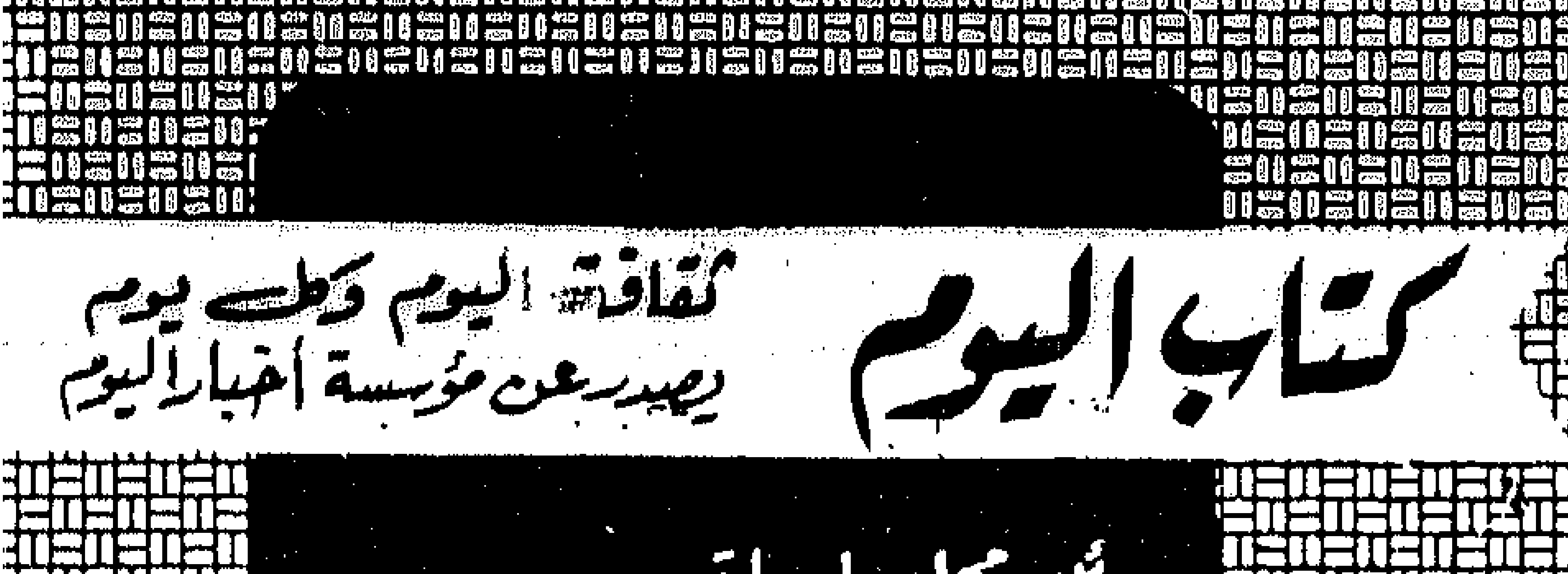

كتاب اليوم
موسى صبري
وثائق حرب أكتوبر



رئيس مجلس الإدارة :
موسى صبري

رئيس التحرير :
أمين محمد عدلي

نائب رئيس التحرير :
عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :
حسين فريد

العدد ١٣٠
أكتوبر ١٩٧٧
شوال ١٣٩٧

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٩٧٧٧٧٧ سبعة خطوط
تلكس ٢٢٢٩ دولي - ٢٢٨٢ محلي

الاشتراكات

البريد العادي	المجموعة الأولى ٢,- مليم ج.م.ع واتحاد البريد العربي والأفريقي
	المجموعة الثانية ٣,- مابقي دول العالم ..
البريد الجوي	المجموعة الأولى ٣,- مليم اتحاد البريد العربي والأفريقي
	المجموعة الثانية ٦,- مابقي دول العالم ..

بصحافة بالقاهرة ت ٩٧٧٧٢٢/٩٧٩٧٤٤



كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

موسى صبري

وثائق حرب أكتوبر

(الطبعة الرابعة)

العدد ١٣٠)

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة

الله أكبر

الصيحة التى دوت وعبرت ..
واقتحمت .. وحطمت أسطورة
الجيش الذى لايقهر ...

هذا الكتاب .. لماذا ؟

استطيع ان ازعم اننى عشت حرب اكتوبر على اعصابى ! ٠٠ ما قبل الحرب ، وخلالها ، وبعدها ايضا !

كنت واثقا منذ اليوم الاول لتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية انه سيحارب ٠ وكنت واثقا ان كل قرار سوف يصدره داخليا او خارجيا ، هو من اجل الاعداد للحرب ٠

وعندما اتيح لى ان القى الرئيس السادات : بعد وفاة جمال عبد الناصر بيومين ، كان حديثه مركزا على شيئين فقط : الديمقراطية ٠٠ والمعركة ٠
وأنا أعرف أن الرجل فيه كل أعماق رجل السياسة ، والقدرة على المناورة ، والصبر الذى لا ينفد منه الصبر ٠٠ واعرف ايضا انه مقاتل ٠٠ بطبيعة المناضل التى لم تفارقه منذ شبابه ، ولم تؤثر فيها المناصب ومظاهرها ٠

أعرفه منذ عام ١٩٤٣ ٠٠ عندما رايته لاول مرة داخل اسوار معتقل الزيتون ٠ وكنت قد تخرجت فى كلية الحقوق ٠

شاب هادىء ، كثير التامل ، قليل الكلام : ملىء بالاسرار ٠٠ يحب الموسيقى والطرب ! انه اليوزباشى محمد أنور السادات ، المفصول من الجيش بقرار بريطانى : لانه كان يسعى من خلال اتصالات دولية سرية مع هتلر زعيم المانيا ، الى ضرب القوات البريطانية فى مصر ٠٠ نضالا ضد الاحتلال ٠

وكان يتحدث معنا فى تاريخ مصر ٠٠

ولم يكن يتحدث أبدا عن الاسباب الخطيرة التى دعت الانجليز الى الامر باعتقاله ، باعتباره عنصرا خطيرا كبيرا على الوجود البريطانى فى مصر ٠

وكان مرنا ، فى تعامله مع كل المعتقلين ، من كل الاتجاهات السياسية ٠٠

وكان بسيطا فى كل سلوكه ، يعنى بملابسه ونظافتها واناقتها عناية شديدة ..

ودبر خطتين للهرب من المعتقل .. على الرغم من ان بناء المعتقل محاط بحراسة مسلحة من الداخل والخارج ، تتغير كل ٦ ساعات ولا ينفصل الجندى المسلح عن زميله أكثر من ثلاثة أمتار ، والاوامر له باطلاق الرصاص على الفور ..

ولكن المعتقل أنور السادات ، استطاع أن يكتشف موقع ضعف فى الحراسة : كان أساس خطة الهرب التى وضعها ، ونفذها ٥ معتقلين هو على رأسهم ، فى سرية تامة ، دون أن يشعر باقى المعتقلين وهم أكثر من ثلاثمائة شخص يضمهم مبنى واحد .. ومن المستحيل أن يبقى فيه سر واحد !

وجرت الايام .. واشترك أنور السادات فى أكثر من عمل سياسى خطير تحت الارض . ولم يكن ليقع انفجار فى القاهرة ، أو حادث اغتيال ، الا وكان أنور السادات أول من يقبض عليه . ولم تصل أجهزة الامن ، الى دليل واحد ضده ، فى كل الاحداث التى كان فيها أنور السادات المتهم الاول ، بأنه العقل المدبر لكل ما جرى !

وجرت الايام .. وكان أنور السادات هو الصوت الذى يذيع اعلان ثورة ٢٣ يوليو من اذاعة القاهرة ..

وفضل أن يعمل فيما يهواه .. فضل أن يعمل كاتبا .. على أن يتولى منصبا رسميا . غير عضوية مجلس الثورة . ثم كان لابد أن يواجه مسئوليات عديدة .. الى أن أصبح نائبا لرئيس الجمهورية .. ثم شاء القدر ان يحمل الامانة الثقيلة ..

وطوال كل هذه السنوات .. لم يتغير أنور السادات .

ان ما يشتغل به وراء الستار أكثر كثيرا جدا ، من عمله على المسرح .

واحتفظ بالطبيعتين .. الحياة النضالية .. والعمل الصامت .

ولذلك تحمست فى تأييد أنور السادات منذ اللحظة الاولى لمسئولياته رئيسا للجمهورية .

وتصور البعض أننى أبالغ .. وتصور الكثيرون أننى أنافق .. ونصحنى البعض بأن هذا التأييد المندفع لانور السادات ، سيعيدنا الى حكم الفرد المطلق .. وأرشيف رسائلى يحتفظ بآلاف الخطابات التى هاجمتنى واتهمتنى .. وتلك التى اشفقت على .

ولم أتردد لحظة فى مسلكى ..

ولم أتخلف يوما عن الدعوة للحرب .. طريقا وحيدا ، للخلاص .

وكنت واثقا من طريقى ..

وأكدت ثقتى ، فرص قليلة ، عندما كان يتاح لى ان اتحدث الى الرئيس بالتليفون ، أو فى لقاء خاص .. وكنت خلالها أزداد ثقة فى أن أنور السادات رئيس الجمهورية ، وهو بعينه المعتقل أنور السادات . المناضل الشرس ، ذو الطبيعة القتالية الشجاعة ، القادر دائما على الكتمان الذى يتمتع بطاقة صبر لا تنفد ، والسياسى المرن ، الذى يهوى الكتابة والمناورة !

. . . . .

. . . . .

وكنت أتحدى فى مجالسى الخاصة .. أن أنور السادات سيحارب .

وكنت ألقى بعض السخريات .. أبسطها أننى أريد أن أدافع عما أكتب ، ولا اريد أن أظهر بمن له رأيان .. رأى يكتبه . ورأى مناقض يظهر فى المجالس الخاصة .. وكانت هذه بكل أسف ظاهرة منتشرة فى السنوات العشر الاخيرة .

. . . . .

. . . . .

ولكننى لا أنكر أن ضراوة الحرب النفسية التى تعرضنا لها فى كل صحف العالم .. وتعقيد الموقف الدولى ، وتعاسة الموقف العربى ، وآلام الموقف الداخلى .. كلها كانت تتراكم بين الحين والحين فى وجدانى .. وأهتز .. وأتساءل فى مرارة .. كيف يمكن أن يخرج أنور السادات من هذا المأزق .. وأتصور أننا نسير فى الطريق المستحيل . وأعذر الرجل . فالتركة ثقيلة . والصراعات الدولية قاسية . وكان جمال عبد الناصر قد رتب سياسته فى رأيى ، على أنه سيصل الى حل سلمى . ولكن الحلقات بدات تضيق فى عهد أنور السادات .. ولم يكن من مخرج الا القتال . فالاعداد العسكرى تطور اذن الى المجرى الطبيعى . لم يكن اعادة لبناء القوات المسلحة للدفاع ، كما بدأ بعد الهزيمة فى حياة جمال عبد الناصر .. ولكننا وصلنا الى الحدود التى يجب فيها أن نحصل على أسلحة تصلح لقتال هجومى . وهنا كانت العقبات الصعبة .. بل البالغة الصعوبة أمام أنور السادات . والموقف

الدولى ، تدرج الى توثيق سياسة التقارب بين المعسكرين الكبيرين ، والجميع مستريح الى حالة الاسترخاء العسكرى ٠٠ وتحولنا الى جثة فى نظر العالم ٠ والداخل لا يرحم ٠ والامة العربية تتفرج ! ٠٠ وشريعة الانسان فى كل زمان ومكان ، لا تحترم الا الاقوياء ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ولكن ثقتى فى انور السادات لم تهتز لحظة واحدة ٠٠

وكل مشاعرى تحولت الى خوف على الرجل الذى شبه له قدره ان يراس الامة فى هذه العاصفة القاتلة !

وجاءت الحرب ٠٠

وعايشتها لحظة بلحظة ٠٠

ثم فاجانا العبور المسرحى الاسرائيلى الى غرب القناة ٠٠

وليس من ينكر انها كانت اياما قاسية ، اضطربت فيها كثير من العواطف ، وحل الارتباك فى كثير من المواقع ٠٠ وكان يمكن ان تنجح هذه الحركة التليفزيونية الاسرائيليةوتحقق اهدافها الدعائية ٠٠ لولا ان قيادة انور السادات كانت فى قمة احتفاظها بطبيعتها النضالية وبالقدرة على اتخاذ القرار المؤسس على تفكير هادىء ، وحساب متزن عميق ، وبموهبة الرؤية الصحيحة لحقائق الامور ٠

واسجل هنا ٠٠ ان المشير احمد اسماعيل واجه الموقف باعصاب هادئة متماسكة ٠٠ وكانت مسئولية جبهة الداخل برياسة الدكتور عبد القادر حاتم فى لجنة تضم رئيس مجلس الشعب وامين اللجنة المركزية ونواب رئيس الوزراء ومستشار الرئيس للامن القومى ، وكانت هذه اللجنة فى حالة انعقاد مستمر منذ بدأت الحرب ، واسجل هنا للدكتور حاتم حنكته وسيطرته العقلية الكاملة ، واسجل لممدوح سالم تماسكه الرصين ٠

وتم الاستعداد الكامل ، لمحاصرة التسلل الاسرائيلى ، والقضاء عليه ٠

ثم كان الفصل بين القوات والانسحاب الاسرائيلي ٠٠ والعمل السياسي من أجل السلام ٠

* * * * *

* * * * *

ورأيت اليوم من واجبي كصحفي عايش هذه الايام ساعة بساعة ٠٠ أن أسجلها في سطور ٠

والجزء الاول من هـذا الكتاب ، يتضمن حديثا تاريخيا للرئيس أنور السادات ، اختص به الرئيس هـذا الكتاب ٠ ان هذا الحديث يكشف لاول مرة عن أسرار عسكرية خطيرة كان يجب أن تحجبها الاحداث ، كما يروى القصة الكاملة لاتخاذ قرار ٦ أكتوبر ٠ كما يكشف عن خطة دفاعية سابقة لم يعلن عنها من قبل ، اسمها الخطة ٢٠٠ !!

ويشمل هذا الجزء فى فصله الثاني ، وثيقة تاريخية عسكرية خطيرة ، من أهم وثائق حرب أكتوبر ٠ أنها المحضر الكامل لاجتمـاع المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى أكتوبر ١٩٧٢ : الذى أعلن فيه السادات لقواد الجيوش ان قرار الحرب مصيرى ولا رجعة فيه ٠٠ وكان بعض القادة يرى أن اسرائيل ستنتصر وستدمر مصر ٠

اما الفصل الثالث من الجزء الاول ، فهو وثائق تاريخية اخرى ٠٠ انها نصوص رسائل الرئيس السادات قبل الحرب الى زعماء وقادة العالم التى يحذر فيها من اشتعال الحرب وتفجر الموقف ٠٠ ولكن احدا لم يصدق !

واخترت أن يكون الجزء الثاني من هذا الكتاب ، خاصا بالجانب السياسى محليا وعربيا ودوليا ٠٠ حتى اتخذ أنور السادات قرار الحرب ٠٠ وأنني أعرض فيه فكر أنور السادات منذ هزيمة ٦٧ ٠ فقـد أتيح لى أن اسـجل آراءه التى لم تنشر ، فى مذكراتى الخاصة ، بعد كل لقاء معه فى تلك الايام ٠ بعد أنقامت مظاهرات الطلبة ٠ ثم أعرض لـكل القضايا التي واجهها بعد رياسـة الجمهورية ٠٠ معتمدا أساسا على أحاديث الرئيس الخاصـة ، وفى الجلسات المغلقة التي كان يدعو اليها عددا من الـكتاب ، وفى الاجتمـاعات المغلقة للقيادات السياسية ٠

واخترت ان يكون الجزء الثالث من هذا الكتاب ، خاصا بالمعركة العسكرية على الجبهة المصرية ٠ وأعتذر بأن ظروف عملى لم تسمح لى أن أسافر الى الجبهة السورية ، للكتابة عن معاركها الرائعة ٠ وقد اعتمدت فى هذا الجزء ، على احاديث خاصة بهذا الكتاب للمشير أحمد اسماعيل معى ٠ وعلى لقائى بقادة

المعارك الرئيسية في القتال ، وزيارتي للجبهة . وقد ركزت على معارك الجيش الثاني ، ثم ملحمة السويس ، وقصة الثغرة .. وارجو أن تتاح لي الفرصة في مؤلف آخر لاسجل معارك الجيش الثالث ، وحرب القوات البحرية .

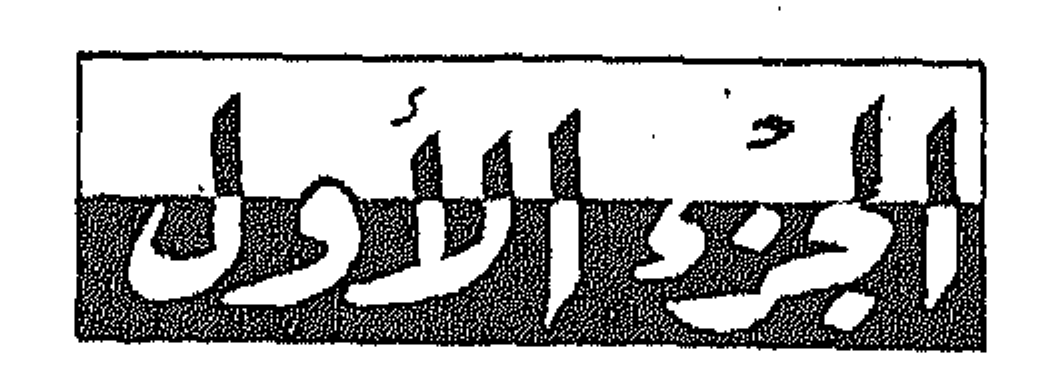
. . . . .

. . . . .

ولا أستطيع أن أدعي ان هذا الكتاب يغني عن مؤلفات عديدة صدرت عن حرب أكتوبر ، ومؤلفات عديدة يجب أن تصدر . هذا الكتاب لا يغني لان جوانب حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، وآثارها المحلية والعربية والدولية ، سوف تزداد وضوحا يوما بعد يوم . وعاما بعد عام ، لانها متشعبة وعميقة وشاملة ، وستظل مؤثرة على المسرح العربي والدولي لاكثر من خمس وعشرين سنة مقبلة .

ولكنني أردت فقط .. أن يكون لي حظ كتابة بعض السطور القليلة في تاريخ أكتوبر .. الضخم ، المجيد .

موسى صبري



الفصل الاول

السادات قال لي :

●●● « هذا حديث خاص للرئيس انور السادات استمر ثلاث ساعات اختص به المؤلف • شرح الرئيس لاول مرة سر التغييرات فى المناصب العسكرية التى امر بها الرئيس في ديسمبر ١٩٧٢ • ماذا دار فى اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة الذى تقرر بعده عزل صادق • ما هى الخطة الدفاعية ٢٠٠ التى وضعها القادة وناقشها عبد الناصر والسادات معهم ؟ ثم استكملها السادات عندما تولى المسئولية • ما هو التكليف العسكرى الذى لم ينفذه صادق فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ ، رغم انه أعطى الرئيس « تمام » بتنفيذ التكليف •• وأن كل شيء سيكون جاهزا فى أول نوفمبر •• الشهر الحرج الذى كان يمكن لليهود فيه ان يوجهوا ضربة قاصمة لقواتنا المسلحة • كيف اتخذ السادات قرار ٦ اكتوبر • سر الكشكول الذى كتبه الفريق الجمسى بخط يده من نسخة واحدة وقدمه الى الرئيس • لماذا لم نبدأ الحرب فى مايو ، رغم استعداداتنا • ماذا دار فى اجتماع مجلس الامن القومى فى الرابع من رمضان ، ثم فى المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى العاشر من رمضان • اليوم الاول فى غرفة العمليات • قصر الطاهرة تحول الى غرفة عمليات بديلة تحت الارض •• اول طلب من السوفيت لوقف النار • اول لقاء مع كيسنجر » ●●●

● الفصل الأول ●

أسرار عسكرية خطيرة
يكشفها انور السادات

قلت للرئيس أنور السادات :

ــ أعتقد أن الاعداد الفعال للمعركة ، بدأ بعد اعفاء الفريق صادق من وزارة الحربية والقيادة العامة .. وقد تسربت الى الجماهير فى ذلك الحين ، قصص كثيرة عن ظروف هذا الاعفاء ، وسيادتك اكتفيت حينئذ بتصريح واحد قلت فيه انه لم ينفذ تكليفات معينة أصدرتها اليه بوصفك القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وربما كانت ظروف الكتمان العسكرى لا تسمح فى ذلك الوقت ، بالتصريح عن حقائق الموقف .. ولكن ها قد قامت الحرب .. وحققنا الانتصار .. فهل يمكن أن نسجل هذه الحقائق للتاريخ ؟ ..

قال الرئيس :

ــ ان محضر جلسة المجلس الاعلى للقوات المسلحة التى قررت بعدها اعفاء الفريق صادق موجود . وكل مناقشات الاجتماع واضحة وتحدد تماما كل المواقف .. ولكننى أعود بك الى ما قبل ذلك ، عندما أصدرت قرار انهاء خدمات الخبراء السوفيت . وبعد أن أصدرت هذا القرار الذى كان فعلا أولى الخطوات العملية ، لدخول الحرب .. ولم يفهم أحد ذلك ، لانه لم يكن من الطبيعى أن أدخل الحرب وعلى أرضى خبراء عسكريون سوفيت .. كما أننى أسقطت حجة اسرائيل التى كانت تضلل بها ، وهى أنها ستواجه الحرب مع السوفيت لا مع المصريين ..

بعد ما أصدرت هذا القرار .. استدعيت أربعة أشخاص . حافظ اسماعيل بوصفه المستشار لشئون الامن القومى . والمهندس سيد مرعى بوصفه أمين أول الاتحاد الاشتراكى . والفريق صادق بوصفه وزير الحربية وممدوح سالم بوصفه الوزير المسئول عن الدفاع المدنى .. وطلبت من كل منهم تكليفات معينة للاعداد للقتال .

قلت لهم ان قرارات انهاء خدمات السوفيت ، سوف تكون لا قيمة لها في نوفمبر المقبل ‥ اذا جاء نوفمبر وهو شهر الانتخابات الامريكية ‥ ستبدأ الادارة الامريكية الجديدة ‥ ويجب أن نكون مستعدين سياسيا وعسكريا ‥ وقد اطمأنت القوى الكبرى الى حالة وقف النار ‥ ولابد أن نثبت وجودنا . والاتصال السياسى لا جدوى منه الا اذا اعتمد على استعداد عسكرى جاد . فماذا يطلب منى وأنا ضعيف ‥ الا الاستسلام ؟ ‥

بالنسبة لحافظ اسماعيل ‥ قلت له ‥ جهز نفسك ‥ أمريكا لو تقدمت بشىء بعد الانتخابات فلن تتقدم الا بالحل الجزئى ، وسيحاول استغلال مبادرتى . ويجب أن نكون جاهزين للرد .

بالنسبة للفريق صادق ‥ قلت له ان القوات المسلحة يجب أن تكون جاهزة فى ١٥ نوفمبر لاننا اذا لم نكن جاهزين عسكريا لاثبات ارادتنا فسيبقي الشرق والغرب ‥ يتفرجوا علينا ‥ الانتخابات الامريكية ستنتهى فى ٧ نوفمبر . ولا فائدة فى رأيى فى أى اتصال سياسى ، بدون أن يتغير موقفنا العسكرى . وهذه نقطة حوارى وخلافى مع الزعماء السوفيت فى رحلاتى الاربع الى موسكو .

وطلبت من الفريق صادق أن ينفذ قرارى مع القيادات العسكرية ‥

وبعد يومين ‥ وكنت فى الاسكندرية ‥ أبلغنى صادق بالتمام .

وفى لقائى مع سيد مرعى أعطيته الخلفية السياسية والعسكرية ، كما أوضحتها لحافظ إسماعيل . وصادق ‥ وقلت له ‥ نبقى جاهزين فى الداخل لمواجهة هذه العملية .

وكان هذا تبليغى أيضا لممدوح سالم بوصفه مسئولا عن الدفاع المدنى كله ، ولا يزال مسئولا حتى الآن .

ونسيت أن أقول أن الفريق صادق أبلغنى أن التمام فى أول نوفمبر ‥ أى قبل الموعد الذى حددته بـ ١٥ يوما . ولكننى قلت له ‥ خذ وقتك حتى يوم ١٥ نوفمبر .

وفى ٢٤ اكتوبر عقدت المجلس الاعلى للقوات المسلحة ، لأراجع مع القيادة استعدادهم ‥ واستمع منهم الى ما أنجزوه ‥

وفوجئت فى هذا الاجتماع ، بأن الفريق صادق لم يبلغ تكليفى الى المجلس الاعلى !

وفوجئت بمن يتحدث عن نقص فى نوع معين من السلاح . ويعلق التجهيز العسكرى على وجود هذا السلاح ‥ وهل اذا لم نحصل على هذا السلاح نقف ‥ ونستسلم ؟؟ ‥

قلت لهم وجهة نظرى ، وهى التى طبقناها فى حرب أكتوبر ‥ المهم أن نعد أنفسنا للقتال ، بما نملكه من سلاح فعلا ‥ فى حدود امكانياتنا فقط

.. ونكمل النقص بالتخطيط السليم الدقيق العلمى .. وبقدرة المقاتل المصرى على القتال . السلاح شرط واجب طبعا . ولكن اذا لم يتيسر لنا كل أنواع السلاح .. هل نقف ؟ .. لابد أن نفكر ونخطط ونعوض هذا النقص .

وفوجئت أيضا بأن على عبد الخبير قائد المنطقة المركزية .. يتحدث بنفس الاسلوب .. وهو بعد ذلك تآمر .. وحوكم ..

وفوجئت أيضا بالفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية . بنفس المنطق . وهذا معناه بكل بساطة ، أن نستسلم .

ولكن الاخطر من هذا كله . ان قرارى بالاعداد لعملية عسكرية الذى أبلغنى صادق فى اغسطس أنه تمام .. وان الاعداد سيكون فى أول نوفمبر بدلا من ١٥ .. هذا القرار لم يعرف به القادة العسكريون .. ووجدت أحد القادة وهو المسئول عن الشئون الادارية فى الجيش كله .. يرفع يده فى الاجتماع ، ويسأل : هو القرار كان ايه ؟!

يعنى انه لم يجر أى استعداد وتجهيز . لانه كيف يمكن أن يتحرك جيش بغير أن تكون الشئون الادارية على علم كامل ، وأن تهيىء له كل المتطلبات الادارية للجيوش .

واذا بأحد أعضاء المجلس الاعلى ـ اللواء عبد المنعم واصل ـ يقول فى الاجتماع : كل اللى سيادتك عاوزه ننفذه اذا كان الامر ندخل الحرب .. ندخل .. وننفذ الاوامر . بس أحب أقول أننا مكشوفين أمام العدو . خطة الدفاع مكشوفة . هوه شايفنا واحنا شايفينه . وأية خطة ستنفذ ستعطى اليهود فرصة لضربنا ونحن مكشوفين .

ثم قال الرئيس :

وقد أذهلنى هذا الكلام فعلا .. لاننا كنا دائما ، متقدمين على الاسرائيليين فى ستر الجبهة . اذا طلعوا اليهود متر .. نطلع احنا متر ونصف . وكان هذا من عمل الفريق محمد فوزى . ولهذا أنا أفرجت عنه بعد الحرب ، تقديرا للدور الذى ساهم به فى الاعداد العسكرى . وهنا أذيع لك سرا عسكريا لم يذع من قبل .

منذ وقت جمال عبد الناصر ، كان لدينا خطة عسكرية دفاعية ، أطلقنا عليها اسم « الخطة ٢٠٠ » . وقد عقد جمال عبد الناصر اجتماعا سريا استمر ٦ ساعات مع القيادة العسكرية حينئذ ، ولم يحضره الا أنا مع عبد الناصر . حضرنا ، وسمعنا تقارير القادة ، وناقشنا جزئيات عديدة . وكانت الخطة كاملة مستكملة . والجميع كان مقتنعا بها مائة فى المائة .

وبعد أن توليت رياسة الجمهورية ، كررت الاجتماع السابق ، فى القيادة العامة للقوات المسلحة .. اجتمعت بقادة القوات المسلحة ..

وتسلمت منهم خطة الدفاع كاملة ٠٠ وهى الخطة ٢٠٠ .

واتضح لى مما جرى فى اجتماع المجلس الاعلى مع الفريق صادق وباقى القيادات ان « الخطة ٢٠٠ » قد انهارت . وان اليهود تفوقوا علينا . وأصبحنا مكشوفين !

رأيت أننى أمام وضع خطير .

وزير الحربية والقائد العام لا ينفذ تكليفاتى العسكرية !

الخطة المعتمدة من جمال عبد الناصر ٠٠ ثم منى بعد أن توليت ٠٠ قد انهارت .

بعض القادة العسكريين يضع شروطا جديدة ٠٠ للدخول فى الحرب ٠٠ ويطلب أسلحة ليس فى طاقتنا أن نحصل عليها ٠٠

وكان لابد أن أتحرك بسرعة . والموقف أخطر مما يتصوره أحد . ان هذا يعنى ان القوات الاسرائيلية لو هاجمت فى ذلك الوقت ٠٠ صيف ٧٢ ٠٠ وقبل أن يتسلم أحمد اسماعيل القيادة ٠٠ كان من الممكن أن تنفذ ما تريد وتعود ٠٠ كما تفعل فى لبنان .

وانتشرت خزعبلات عن الاستعدادات الاسرائيلية وراء الساتر الترابى ، صدقها البعض ٠٠ وقيل وقتها أن اليهود لديهم أجهزة الكترونية ٠٠ وخلافه وراء السواتر تستطيع أن تفعل كذا وكذا ٠٠ مما كان له أثر طبعا على الروح المعنوية ٠٠

كان الموقف يحتاج الى علاج حاسم جدا ٠٠ وسريع جدا ٠٠

ولا يستطيع انسان أن يتصور كيف أمضيت هذه الايام ٠٠

كان تكليفى الاول للفريق أحمد اسماعيل تغطية خطة الدفاع ٢٠٠ .

وقد أبلغنى أنه تمت تغطيتها فى ٣٠ نوفمبر .

وأقول أننى لم أنم ليلة واحدة ٠٠ منذ ٢٨ أكتوبر ، عندما أعفيت صادق وعينت أحمد اسماعيل ٠٠ حتى ٣٠ نوفمبر عندما أبلغنى بتغطية الخطة ، وانها استكملت تماما ، وعدنا الى التفوق على العدو .

نعم ٠٠ لم أنم .

فلم أكن لأقبل أبدا ، أن يضرب اليهود ضربة مسرحية ٠٠ وهم يهوون هذا النوع من الحرب الدعائية ٠٠ للتأثير على نفسية الجماهير ٠٠

بدأت أشعر بالراحة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ .

قلت : وكيف جرى الاعداد العسكرى بعد ذلك ٠٠ كيف تطورت الخطة ٢٠٠ الى خطة الشرارة ٠٠ ؟

قال الرئيس : هذه حكاية طويلة ٠٠ وليس من الممكن أن يذاع كل ما فيها ٠٠

قلت : أطمع فى أن أعرف أكثر ما يمكن أن يذاع ٠٠

قال الرئيس : بدأنا على الفور التطوير الهجومى للخطة ·· بدأنا تطعيم الخطة الدفاعية بخطوات الهجوم ·· وكان أولها انشاء المصاطب الترابيـة الضخمة على امتداد الشاطىء ·· لقد سـخر منها الاسرائيليون وقالوا ان المصريين دائما من هواة بناء الاهرامات ·· ولكن هذه المصاطب كانت خطوة أساسية ، لكشف العدو ولاستخدامات عسكرية بالغة الاهمية ، لم يفطن اليها العدو ·· كان تكليفى للفريق أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا ابتداء من أول يناير ١٩٧٣ · وعلى مدى ثلاثة أشهر تم انشاء هذه المصاطب بعد دراسة عسكرية دقيقة ·· وتكلفت وحدها عشرين مليونا من الجنيهات · وأصبحت سيطرتنا كاملة على الضفة الشرقية بهذه المصاطب · وقد أمكن الانتهاء منها فى أواخر فبراير ·

وهنا يبتسم الرئيس السادات فى سـخرية · وهو يحاول أن يشعل (البايب) ثم يدعها على المنضدة ·· ويأخذ رشفة شاى من كوب صغير ·· ويرفع قليلا كم الجلباب الريفى الابيض الذى يرتديه ·· وقد نسيت أن أقول ان الجلسة كانت فى منزله بقرية ميت أبو الكوم ·

يبتسم الرئيس ساخرا ، وهو يقول مسترجعا ذكريات عديدة ·

ـ فى أثناء هذه الفترة ، وأنا أحترق لاستكمال الاعداد العسـكرى ، والتطوير الى خطة الهجوم ، واسترجاع تفوقنا ، وضمان سيطرتنا على العدو فى الضفة الشرقية ·· فى هذه الاثناء وقعت حوادث الطلبة · ورزالة بعض المثقفين · والفتنة الطائفية ! ··

ولكننى تركت كل هذا على جنب ·· وأعطيت كل وقتى وجهدى لمواجهة العدو وكان عملا شـاقا قام به رجالنا على أروع صـورة · واستطاعوا به أن يقدموا نظريات عسكرية قلبت الاستراتيجيات العالمية ·· لقد أثبت أبناؤنا أن المشاة يستطيعون قهر المدرعات · كان هذا الكلام مضحكا اذا قيل أمام خبير عسكرى عالمى · وجاءت حرب أكتوبر لتحقق هذه النظرية الجديدة عمليا ·· انقلاب فى العالم العسكرى · وجاء هـذا نتيجة الدراسـة · ثم التدريب الشاق العنيف ليل ونهار · وقبل ذلك الايمـان · روح المقاتل المصرى ، التى أسقطوها من حساباتهم ·

قلت : ولكننى سمعت يا سيادة الرئيس انه حتى ٥ أكتوبر كانت ترد لنا أسلحة ، فكيف دخلنا الحرب ·· ولا تزال الاسلحة ناقصة ·· ؟

قال الرئيس : اذا كان على وصول الاسلحة · فقد كانت تصل فى الايام السابقة على القتـال ·· وخـلال المعركة وبعـدها ·· ومن دول كثيرة · وكانت تنفيذا لتعاقدات ·

ولكننا وضعنا خطتنا ونفذنا ، على أسـاس ما كان فى أيدينا فعـلا من سلاح · ولكننى كما قلت لك لم أغفل أبدا ، عنصر المقاتل المصرى · قدرة

الانسان المصرى الذى حقق أرقاما قياسية فى حرب أكتوبر ٠٠ كل صاروخ بدبابة ! ٠٠

نعم ٠٠ لقد دخلنا الحرب أمام تفوق اسرائيلى تكنولوجى ٠٠ ولكن من استرجاعى لشريط الحرب فى ٦٧ ٠٠ كان قرارى قد يكون لديهم التفوق التكنولوجى ٠٠ ولكن حسن استخدام السلاح ، وروح العسكرية فى الانسان المصرى ٠٠ وايمانه بتطهير أرضه ٠٠ قادرة على التغلب ٠

ولماذا نذهب بعيدا ؟

أسطورة سلاح الطيران الاسرائيلى ٠ لقد كانت لهم السيادة لا التفوق ولكن ماذا حدث لهذه الاسطورة ؟ ٠٠ لقد فقد سلاح الطيران الاسرائيلى فى الايام الثلاثة الاولى ـ على الجبهة المصرية ـ زبدة طياريه ٠٠ وأكبر عدد من الطائرات ٠٠ ان الكفاءة فوق العالية ٠٠ نعم ٠٠ فوق العالية لاطقمنا فى حائط الصواريخ ، حققت هذه النتيجة التى تحدت السيادة لا التفوق ٠

وهنا تعود الى وجه الرئيس ابتسامة السخرية الممتزجة بشعور بالارتياح الكامل ، يظهر على قسمات وجهه ٠٠ وعيناه تبرقان بالثقة ٠٠ ثم يقول بعد أن استعاد فى يده « البايب » الخالية من الدخان ٠٠ يقول وهو ينظفها :

ـ والطريف ، أنه فى ذلك الوقت ، تسرب تقرير الى اسرائيل ، ان خروج الخبراء السوفيت ، جعل الصواريخ المصرية لا قيمة لها ٠٠ ولعلهم اعتمدوا على هذا التقرير ٠

قلت : سيادة الرئيس ٠٠ ألم نضع فى حساباتنا أن تضرب اسرائيل فى العمق ؟

قال الرئيس : طبعا : كان هذا محسوبا ، وكنا مستعدين للرد فى عمق اسرائيل أيضا ٠

وأعلنت هذا بعد ذلك فى خطابى أمام مجلس الشعب أثناء القتال ٠

قلت : ولكننى أعرف أن الخلاف على هذا النوع من أسلحة العمق ، بيننا وبين السوفيت كان يستغرق حله وقتا طويلا ٠٠

قال الرئيس : هذا صحيح ٠ المشكلة أن أصدقاءنا السوفيت يبدأون بالرفض عندما نطلب سلاحا جديدا ٠ وبعد الالحاح ، والازمات ، والخلافات ٠ واستمرارى فى الضغط ٠٠ يوافقون ٠ ثم يقدمون لنا الكميات التى يقدرونها ٠ وفى المدى الذى يحددونه ٠٠ مع اشتراطهم فترة تدريب طويلة جدا ٠ وكان أبناؤنا يستوعبون دائما السلاح الحديث فى ربع المدة التى يحددها الخبراء الروس ٠ وأحيانا كثيرة فى أقل من هذا الوقت ٠٠

قلت : وقد أعلنت سيادتك أننا نملك الصاروخ الظافر الطويل المدى ٠

قال الرئيس : هذا صحيح ٠ وكانت صواريخنا موجهة الى ثلاث مدن رئيسية فى اسرائيل ، استعدادا للضرب الفورى فى العمق ٠٠ اذا هم لجأوا الى حرب العمق ٠

قلت : قال الاسرائيليون أنهم أسقطوا صاروخا عابرا طويل المدى في أول أيام الحرب قبل أن ينفجر ..

قال الرئيس : هذا غير صحيح ..

قلت : تردد أننا أطلقنا سلاحا جديدا .

قال الرئيس : هذا صحيح . وكان يوم ٢٢ أكتوبر قبل وقف النار ، وهو سلاح له قوة تدميرية فظيعة . ولكن الصواريخ فقط لم تلعب الدور الاول . ان المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الادوار . ان قائد المدفعية في الميدان اللواء الماحي الذى يعمل معى الآن كبيرا للياوران رجل رهيب فعلا مثل مدفعيته . أنه هادىء صامت يتحدث فى همس .. وقد تلقى منى التعليمات بضرب العمق فى اسرائيل اذا بدأت اسرائيل . وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة . ولكنه رجل رهيب فعلا .. كنا فى غرفة العمليات .. وكنت أصدر اليه الامر بضرب المواقع المحددة بآلاف الاطنان من القذائف .. ويتلقى الامر فى هدوء .. ويعود لى بعد دقائق .. وفى هدوء هامس يتقدم بورقة صغيرة .. ويقول بصوت غير مسموع : تم التنفيذ .. وينصرف ، كأنه لم يفعل شيئا « .. وكأنه لم يقلب مواقع الاسرائيليين رأسا على عقب » ..

وردا على سؤالك الاول عن الضرب فى العمق .. أقول أننا استطعنا فعلا تحييد ضرب العمق .. بالتخطيط الذى وضعناه .. وقد أفلح .

قلت : حتى الآن لا تزال قصة القرار غير واضحة .. لقد نشرت عن اتخاذ القرار أخبار متفرقة .. ولكنها ليست متصلة الحلقات .. وهذه مناسبة أن تعرف الجماهير القصة الكاملة لاتخاذك أخطر قرار فى تاريخ مصر .. وتاريخ الارض العربية .

قال الرئيس : طلبت من أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا كما قلت لك فى أول يناير ٧٣ . الخطة . تجهيزات الهجوم . كل شىء .. وعالم العسكرية يتطور تطورا سريعا . التكنولوجيا فى العلم العسكرى أصبحت شيئا خرافيا .. ولذلك فاننى فى شهر فبراير طلبت بحثا عن أنسب الايام لساعة الصفر من واقع التكنولوجيا الحديثة . وقد قام بعمل هذا البحث اللواء الجمسى رئيس العمليات حينئذ . وكتبه بخط اليد ، التزاما بالسرية وقدمه لى فى كشكول صغير . البحث عن جميع الايام ابتداء من فبراير الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ ، طوال الليل والنهار . كل الظواهر الطبيعية ، والمناسبات ، والتقلبات الجوية ، وحركة الكواكب .. والتكنولوجيا فى هذا متاحة من ٥ أو ٦ علوم عسكرية . فعلا كان هذا البحث على أعلى مستوى تكتيكى فنى علمى .

وضح من البحث أن هناك ٣ مجاميع أيام .. تعتبر أنسب الايام للهجوم .

المجموعة الاولى ·· فى النصف الثانى من مايو ·
المجموعة الثانية ·· فى شهر سبتمبر ·
المجموعة الثالثة ·· فى شهر أكتوبر ·

وقاطعت الرئيس : أذكر يا سيدى أننى سمعت أخبار الحرب فى أبريل ٧٣ ·· واتصلت بسيادتك فى ذلك الوقت ·· وأنا أخشى أن القرار فيه تعجل ·· وأذكر أن سيادتك قلت لى ·· ما لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فلن ندخلها أبدا

قال : أذكر هذا ·· وفعلا ·· أعددنا العدة لكى تكون ساعة الصفر فى مايو · وقد أطلعت الرئيس حافظ الاسد على هذا البحث الذى يحدد ساعة الصفر ·· وكان مبهورا فعلا بدقة البحث · وكنت أنوى فعلا بدء العمليات فى مايو · وكان السوفييت قد حددوا موعد مؤتمر القمة الثانى مع نيكسون فى واشنطون فى شهر مايو · ولظروف سياسية ، لا داعى للكشف عنها الآن ، قررت تأجيل الموعد الى المجموعة الثانية فى سبتمبر أو المجموعة الثالثة فى أكتوبر ·· وخلال ذلك كان الاسد قد سافر فى رحلة سرية الى موسكو ·· وعاد من هناك ·· وحصلنا على صفقة سلاح جديد ، كان السوفييت يرفضون اعطاءه لنا · وكان أحمد اسماعيل قد اتفق على صفقات مع السوفييت فى فبراير ٧٣ ،وأرسلوا جزءا منها ، وتلكأوا فى الباقى ·· ولكن جاءت لنا صفقة جديدة بعد ذلك ·

ولعلك تذكر فى ذلك الوقت ·· تصريحات الاسرائيليين باحتمال الهجوم المصرى لانهم لا شك يعلمون أن النصف الثانى من مايو مناسب للهجوم · انهم أيضا يدرسون ويتحركون ، على أساس التكنولوجيا ··

بعد ذلك عقد اجتماع المجلس الاعلى للقوات المصرية والسورية فى أغسطس فى الاسكندرية ·· ودار النقاش فيه بين القادة حول تحديد المعركة ·· وخلال ذلك قد سافرت فى رحلة الى السعودية وسوريا وقطر ·· واجتمعت بالرئيس الاسد فى دمشق وطلبت أحمد اسماعيل ·· وطلاس وزير الدفاع السورى ··

وانتهيت فى القرار مع الرئيس الاسد ، أن تكون ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر وتركت دمشق مستريح النفس والضمير ··

ومضى أغسطس فى الاستعداد اليومى ، ومواجهة أى مشكلة فى الاعداد العسكرى ·· وكان أحمد اسماعيل على اتصال مستمر بى ·· حتى اقتربنا من ساعة الصفر ·· فقررت أن أدعو مجلس الامن القومى للاجتماع ·· لكى أستفيد بآراء أعضاء المجلس ·

وتم الاجتماع فى ٤ رمضان · حضره نائب رئيس الجمهورية والمستشارون ·· نواب رئيس الوزراء ·· ومدير المخابرات ·· وعدد من الوزراء المختصين فى الاعداد للحرب ··

وكان سؤالى لهم عند بدء الاجتماع .. ما رأيكم فى الموقف الآن .. وكيف الخلاص ؟ ..

وتحدث فى الاجتماع الدكتور محمود فوزى وحسين الشافعى وعزيز صدقى وحافظ اسماعيل وغيرهم .. وكان موضوع كلماتهم .. حرب أو لا حرب .. وكيف ! ..

.. ولم يشأ الرئيس هنا ، أن يعرض ماذا دار فى هذا الاجتماع من مناقشات . ولكننى سألته : وماذا كانت آراء من تكلموا فى هذا الاجتماع .

وقال الرئيس آراء مختلفة .

فقلت : لقد سمعت أن وزير التموين أعطى صورة للوضع التموينى ، ونقص بعض المواد ، مما يتعذر معه الدخول فى معركة ..

قال الرئيس : الحرب ليست مجازفة قدرية . لابد أن يكون كل شىء محسوبا ولكن هناك ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة . ولو حسبنا بأسلوب أننا سندخل حربا مكسوبة مائة فى المائة .. من كل شىء .. لما دخلنا الحرب . ولما دخل أحد الحرب أبدا . هناك موازين ، وحسابات ، وتعويضات واحلالات ، وابدالات .. قرار الحرب يعتمد على صورة عامة محسوبة . لقد كنت أقول دائما ، عبارة فى شكل نكتة .. وهى « والسبب رقم ١٧ - كما يقول المثل التركى القديم - أنه حتى نهاية ١٩٧٣ لن تكون لدينا عملة صعبة لشراء القمح » .. هذا السبب وحده كان كافيا لقرار عدم الحرب .. ولكن يقابل ذلك ، أن التغيير فى الاوضاع العالمية الذى ستحدثه الحرب يمكننا من مواجهة نواقص كثيرة بعد الحرب .. وهكذا فحسابات الحرب لها طبيعة خاصة . لقد كانت أمامى عشرات الاسباب التى يمكن أن أتعلل بها لتأجيل الحرب ، حتى تنتهى مدة رياستى . كان من الممكن أن أناور وأتفادى احتمال خسارة الحرب .. ولكننى كنت أعتبر نفسى خائنا لو فعلت ذلك . لقد اخترت قدرى ..

قلت : هذا صحيح . وقد سمعنا منك نص هذه الكلمات فى جلسة مغلقة . قبل الحرب بأشهر . ولكننى أريد أن أسأل .. ماذا كانت نتيجة اجتماع مجلس الامن القومى ..

قال الرئيس : لقد ختمت الاجتماع بأن شكرتهم على الآراء التى أبديت .

قلت : ألم تبلغ مجلس الامن القومى بقرار ساعة الصفر بعد يومين ..

قال الرئيس لا .. السرية كانت تقتضى الكتمان . وكنا قد بدأنا فعلا تنفيذ العمليات . وكانت القوات البحرية قد تحركت فى هدوء الى المواقع التى حددتها الخطة قبل هذا الاجتماع بأربعة أيام .. وكانت العجلة قد دارت بحيث لا يمكن أن تعود .

قلت : ماذا كان شعورك فى هذه الساعات الفاصلة .. ؟

قال الرئيس : عادى جدا .. كنت صايم رمضان ..
قلت : هل كنت تنام الليل ..
قال الرئيس : كنت أنام الليل ملء جفوني . كنت مستريح النفس . انتهت فترة اللا سلم واللا حرب . تحدد الموقف بالحرب فاسترحت ..

قلت : أذكر أنك قاسيت من الارق والتفكير .. قبل اتخاذك قرار الخبراء الروس .

قال الرئيس : هذا صحيح : وبمجرد أن اتخذت القرار .. استرحت واستغرقت فى النوم .. وقد حدثتك اليوم عن فترة لم أنم فيها ، عندما اكتشفت أن صادق لم ينفذ التكليف .. وان التفوق أصبح للاسرائيليين .. ولم أسترح الا عندما قدم لى أحمد اسماعيل التمام ..

قلت : ولكن اتخاذ قرار الحرب .. وتحديد ساعة الصفر ، لا يمنع يا سيدى من التفكير فى احتمالات الخسارة .. ألم يكن هناك احتمال ١٠ ٪ أن تفشل الخطة ..

قال الرئيس : كان هناك احتمال ٣٠ ٪ .. أو أكثر .. ولكن الموقف هو أننا قد بذلنا كل جهدنا ، ولم نضيع دقيقة من الوقت فى الاعداد الجاد .. واذا حدث لا قدر الله .. أننا لم ننتصر ، فاننا نكون قد أدينا واجبنا الوطنى والقومى بذمة وأمانة وشرف .. ويتسلم الامانة جيل بعدنا ، يثق أننا أدينا واجبنا ولم نفرط .. كنت سأقاتل وأسقط فى ميدان القتال .. كنا سنكبد الاسرائيليين خسائر فادحة .. كنا سندافع عن شرفنا وعرضنا وترابنا المقدس . وليكن بعد ذلك ما يكون . أما استمرار الخنوع والمذلة .. فكان هذا هو المستحيل . وقد كان أشرف لى ألف مرة أن أموت فى هذه المعركة . وأصاب بهزيمة بعد أن أقاتل وأسبب للعدو خسائر قاصمة . من أن أبقى حيا ، فى موقف شائن لا هو حرب ولا هو سلم .. والعسالم كله مقتنع بأننا أصبحنا جثة غير قادرة على الحركة ..

ولكنها كما قلت لك .. لم تكن مجرد مغامرة .. ليست قمارا أو مجازفة غير محسوبة .. كانت استراتيجيا قائمة على أربع نقاط :

١ ــ أن تحارب اسرائيل على جبهتين .
٢ ــ أن تصاب اسرائيل بخسائر لا قبل لها باحتمالها ..
٣ ــ أن تستمر اسرائيل تحت التعبئة لاطول مدة ممكنة لا تقوى عليها .
٤ ــ أن يتحقق التضامن العربى .. وتستخدم الاسلحة العربية الاقتصادية والعسكرية ..

وكان عندى يقين أن هذا كله سوف يتحقق .. وقد تحقق بارادة الله .

قلت : عرفت من المشير أحمد اسماعيل أن سيادتك عقدت اجتماعا للمجلس الاعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر (الخامس من رمضان)

•• وكان اجتماعا حاسما استمر ١٠ ساعات •• ما هى مشاعرك عن هذا الاجتماع ••

قال الرئيس : روعة ••

ثم كررها الرئيس : بصوته العميق وهو يضغط على كل حرف : نعم •• روعة •• روعة •• يجب أن نفخر بهؤلاء الرجال •• لقد حضر هذا الاجتماع حوالى ٢٠ ضابطا من قيادات القوات المسلحة • وعرض كل واحد فيهم الخطة النهائية التى سينفذها فى موقعه •• ولم تخرج كلمة واحدة عن هذا الاجتماع الخطير •• رجال مرتفعون الى أعلى قمم المسئولية • أبطال • وفى هذا الاجتماع باركتهم ، وقلت لهم أننى أتحمل المسئولية أمام التاريخ •• وصدقت على الخطة ، كتابة ، بالتاريخ ١٠ رمضان •• خطة الشرارة ••

ـ وشربت القهوة الرابعة وأنا أتأمل أعماق أنور السادات ، وهو يتحدث عن القرار الخطير •• كان اتخاذ القرار •• البطولة الاولى •• اتخاذه من أرض مسئولية لا من أرض مزايدة أو مغامرة • ان أعماق هذا الزعيم تحتاج الى دراسة متوغلة •

عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، كان يسبح فى ترعة القرية •• وتعرض للغرق • وسأله أصدقاء القرية بعد أن أنقذوه ، كما اعتادوا دائما أن يسألوا كل من يواجه محنة الغرق •• ماذا رأيت وأنت تغرق •• فقال •• لم أر شيئا ! •

فسألوه ألم تفكر فى شىء وأنت تغرق •• وقال الشاب الصغير : نعم • فكرت فى أن مصر ستخسر أنور السادات !

ولم تكن هذه الاجابة معبرة عن غرور • فهو أبعد الناس عن ذلك • ولم يكن رفاق القرية يعرفون عنه الا التواضع ونكران الذات •• كانت الاجابة تعبر فعلا عن حبه لمصر • كان سيفقدها لو غرق •• وكانت ستفقده ••

تأملت وجه أنور السادات ، وأنا الذى أعرف عشرات القصص عن حياته وطفولته وشبابه •• وأعدت سؤالا سابقا ، بتعبير آخر ••

قلت للرئيس : ولكن •• ليلة ٦ أكتوبر بالذات •• أين أمضيتها •• وكيف ؟

وابتسم وهو مدرك الهدف من سؤالى : لم أنم فى بيتى •• كنت قد اخترت قصر الطاهرة لاقامتى وقت المعركة •• وأعددنا به غرفة عمليات كاملة تحت الارض بديلة لغرفة العمليات القريبة من قصر الطاهرة • ومنها نتابع العمليات دقيقة بدقيقة مثل الغرفة الاصلية تماما • وكنت أعرف أن الموقف سوف يقتضى لقاءات سياسية دولية •• ولذلك اخترت هذا المكان القريب لمباشرة عملى السياسى •• وفى الوقت نفسه لم يكن أحد يدرى أنه يشكل مركز قيادة عسكرية •• وأذكر فى تلك الليلة أننى آويت الى فراشى

فى موعدى المعتاد .. وكنت قد أمضيت يوم الجمعة عادى جدا . وصليت الجمعة فى كوبرى القبة فى الزاوية التى تعلمت فيها الصلاة منذ خمسين عاما ! .. وعدت الى قصر الطاهرة .. وأعطيت تعليمات يوم ٥ .. واتصل بى الفريق أحمد اسماعيل ، وسألنى متى سأحضر فى الصباح الى غرفة العمليات فطلبت منه أن يمر على فى اليوم التالى الساعة الواحدة والربع بعد الظهر .. أى قبل ساعة الصفر بـ ٤٥ دقيقة .. ونمت ملء جفونى .. واستيقظت فى الصباح كعادتى ..

قلت : الساعة كام ! ..

قال الرئيس : الساعة ٨ صباحا .. أنا لا أنام بعد هذه الساعة .. وبدأت بقراءة الصحف كالمعتاد .. ولعبت بعض التمرينات السويدية .. وأخذت حمامى .. ثم ارتديت ملابسى ..

قلت : العسكرية ..

قال الرئيس : نعم ثم باشرت عملى كالمعتاد .. ومر على الفريق أحمد اسماعيل فى الساعة الواحدة والربع تماما .. وبعد ١٠ دقائق كنت فى غرفة العمليات .. فالمسافة قريبة ..

الساعة ١ر٣٠ صدر البيان الخاص باعتداء اليهود علينا ..

وهنا حدث شيء لطيف .. أنا كنت عاطى أوامر لاولادى فى القوات المسلحة أنهم يفطروا .. كتير من الاولاد الشياطين دول ما سمعوش الكلام ودخلوا المعركة صايمين . أنا فى القيادة مش واخد بالى .. مش شايف واحد فيهم بيدخن . متحرجين لاننى لم أدخن أو أطلب لهم شيء . رحت طلبت فنجان شاى .. وجابولى « البايب » من العربية .. وبدأوا بعد كده كلهم يدخنوا ..

قلت : وما هو أول بلاغ تلقيته عن القتال ؟ ..

قال الرئيس : أول بلاغ .. كان الساعة ٢ بالدقيقة .. أبلغت جميع قوات الخط على مسافة ١٧٥ كيلو مترا من بورسعيد الى السويس بعبور الطيران . وقد كان من أقوى حوافز العبور أن ترى القوات ٢٤٠ طائرة تمر فوقها فى موجات على ارتفاع منخفض ، مثل الوحوش المنقضة .. هل تعلم أن كثيرين لم ينتظروا أمر العبور .. وبدأوا بمجرد رؤية الطيران ..

بعد ضربة الطيران .. جاء بلاغ الخسائر .. لم يذكروا لى أن أخى استشهد .. لقد كان واحدا من الطيارين الذين حققوا الضربة الاولى . والحقيقة لو قالوا لى .. ما كنش الامر يختلف .. انه ابن مصر .. مثل كل زملائه أبناء مصر .. قبل أن يكون أخى .. والحقيقة أن نتائج الضربة كانت رائعة .. وأكثر مما توقعنا بشكل خارق .. استمرت الطلعة ٢٠ دقيقة .. وبعد ١٥ دقيقة طلبت تكرار الضربة مرة أخرى .. أربعة آلاف موجة انطلقت تزمجر وتدمر ..

وبدأ النمل يدخل ..
استدركت النمل ؟ ..

قال الرئيس : ولادى .. كانوا زى النمل .. آلاف .. وراء آلاف .. وجاءت أول بيانات عن غرس العلم المصرى على الضفة الشرقية .. اللواء السابع كان أول من أبلغ على ما أذكر .. الكل كان منفعلا .. توالت البيانات .. والمدفعية الرهيبة اشتغلت ..

والحقيقة أنه بعد ٤ ساعات .. من ضربتى الطيران .. وضرب المدفعية كان واضحا أن اسرائيل فقدت توازنها كاملا .. وبعد ٦ ساعات تأكد أنها تعانى هزيمة منكرة . لم تكن المدرعات قد عبرت .. المشاة والقوات الخاصة بالصواريخ المضادة بالدبابات ، قدموا أشجع معركة فى تاريخ الحروب .. وهم يتصدون للواءات مدرعة كاملة من العدو .. ويبيدونها .. فرقة لواء ١٩٠ الاسرائيلى أبيدت فى ٢٠ دقيقة .. لواء يعنى ١٢٠ دبابة ..

قلت : ولذلك سمعتك تقول يا سيدى : عند زيارتك للفرقة الثانية فى الجبهة ، أنه عليهم أن يحافظوا على هذه الارقام القياسية . تدمير اللواء المدرع فى ٢٠ دقيقة .

قال الرئيس منشرحا : فعلا .. أولادى .. سجلوا أرقاما قياسية عالمية .. وفى الساعة الثامنة مساء ، أبلغت بأن السفير السوفيتى يطلب مقابلتى .. وكانت الخطة ماشية كما خطط لها وأروع .. المشاة جميعهم عبروا .. بدأ عبور المدرعات .. فيما عدا كبارى الجيش الثالث .. كل شىء كان رائعا .. ذهبت الى قصر الطاهرة .. وجاء السفير السوفيتى ليقول لى أن سوريا تطلب وقف النار غدا ! الى آخر القصة المعروفة التى انتهت برفضنا لوقف النار .

« ثم تناول الحديث مع الرئيس السادات القصة الكاملة ، لوقف النار .. حتى اتفاق فصل القوات . وصول كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى مصر . طلبه وقف النار . رفض الرئيس ذلك الى أن تتحقق أهداف الخطة عسكريا .. واليوم الثانى لكوسيجين فى القاهرة ، لم يقابله السادات ، وكان كوسيجين على اتصال مستمر بموسكو طوال اليوم . ثم مجىء مبعوث الرئيس تيتو لنفس الهدف .. ثم رسالة رئيس وزراء بريطانيا هيث الى الرئيس » .

قلت للرئيس : متى قابلت السفير البريطانى .. وماذا كان يحمل لك ؟

قال الرئيس : طلب السفير البريطانى لقائى عند الفجر ! .. كان يحمل رسالة عاجلة جدا من رئيس وزراء بريطانيا عن وقف النار ، وانسحاب اسرائيل ، وفك حصار باب المندب .. لقد اتصل كيسنجر بمستر هيث رئيس الحكومة البريطانية ، وقال له ان السوفييت أبلغوه أن مصر قبلت

وقف النار ، وطلب كيسنجر من هيث أن يتصل بى ، لان علاقاتنا مع أمريكا مقطوعة .. وقال له أن أمريكا أقنعت اسرائيل بوقف النار على الخطوط الحاليه للقوات عن الجانبين .. وكانت اسرائيل تطالب من قبل بعودة القوات الى أوضاعها السابقة .. والحقيقة أننى لم أبلغ السوفيت بالموافقة .. وكان جوابى على هيث أننا لن توقف اطلاق النار الا بالانسحاب الاسرائيلى ، وعندما نستكمل خطتنا .. وأبلغته أيضا أن سوريا ردت على بأنها لم تطلب وقف النار ..

وسألت الرئيس : وجاء كيسنجر الى القاهرة ، وبدأ الاتفاق على وقف النار يأخذ طريقه العملى .. كيف كان لقاؤك مع كيسنجر ؟ ..

وأجاب الرئيس : لقد بدأ كلانا اللقاء بتحفظ فى الحوار .. ولكن بعد الساعة الاولى من حديثنا استطعت أن أقتنع بأن كيسنجر رجل يوثق به .. كان يتكلم بمنطق ، ورؤية واضحة ، وعلى أساس استراتيجية محددة المعالم . كان يتكلم عن واقع جديد لسياسة أمريكا ..

وكانت الساعتان التاليتان لجلستنا ، تعبران عن اتفاق كامل فى وجهات النظر .. وكان حوارنا ، مناقشة تحليلية على مستوى الرؤية الشاملة ، والاستراتيجية ، أكثر من الدخول فى التفصيلات .. وقد كنا ـ نحن الاثنين ـ سعداء بهذه المناقشة .. وانتهينا الى النقاط الست ، والى البند الثانى منها الذى نص على فض الاشتباك ..

قلت : سمعت أنه قال لك أمام اسماعيل فهمى وزير الخارجية ، أنك أول من غلبه فى الاستراتيجية ..

وقال الرئيس : لا داعى لنشر هذا الكلام .. أنا لا أحب أن أتحدث عما يدور فى الاجتماعات الخاصة ، وليس له طابع عام ..

قلت : سمعت أنه روى لك ما جرى فى الايام الاربعة الاولى للحرب .. فى واشنطون وفى اسرائيل .. وكيف تصور أننا سنحترق فى القناة خلال ٤٨ ساعة .. ثم كيف طلبت اسرائيل النجدة فى اليوم الثالث ..

قال الرئيس : لا أريد أن أخوض فيما قاله لى كيسنجر . هذا حقه اذا أراد التحدث عنه..

★★★

وانتهى هذا الحديث التاريخى الشامل مع الرئيس السادات بعد ثلاث ساعات وكان يمكن ألا ينتهى فى عشرات الساعات ، فأسرار أكتوبر تحتمل حديثا لا يتوقف أبدا .

وقد أفاض الرئيس فى الحديث عن الموقف الرائع للرئيس هوارى بومدين .. والموقف الرائع لجلالة الملك فيصل والموقف الرائع للرئيس تيتو .. مما أفردت له فصلا خاصا فى هذا الكتاب ، عندما استعرض الموقف العربى قبل وبعد حرب أكتوبر .

ولعلني لا أستطيع أن أنسى أنني خرجت من لقاء الرئيس ·· وقبل أن أسطر هذا الحديث التاريخي ·· وذهني يغلي باسترجاع بعض ما كشف عنه الرئيس ·

كانت أحداث الطلبة ·· « ورزالة » بعض المثقفين كما وصفها الرئيس ·· وأحداث الفتنة الطائفية ·· وكلها ضرب لجبهة الداخل ، وكان الرجل فى هذه الايام القاسية لا ينام الليل ، لان تهاون القيادة العسكرية فى ذلك الوقت جعل الجبهة المصرية مكشوفة أمام اسرائيل · وكان يمكن للعدو أن يقوم بضربة تحطم كل شيء ·· وترك السادات كل طعنات الداخل ، وتفرغ بكل جهده ، لاستعادة التفوق العسكرى على الجبهة المصرية ، ولضمان السيطرة المصرية على الضفة الشرقية حيث يربض العدو ··

خرجت من لقاء الرئيس ·· وأنا أسترجع فى ذهنى أسرار « الخطة ٢٠٠ » الدفاعية التى لا يعرف أحد عنها أى شيء حتى الآن ·· وكيف أعدت فى حياة عبد الناصر ·· وكيف استكملها أنور السادات بمجرد توليه المسئولية ·· وكيف طورها الى خطة هجوم ·· ثم اكتشف فجأة أن التكليفات التى أعطاها للقائد العام للتنفيذ ·· لم ينفذ منها شيء !

★★★

ولكنه استطاع بعد ذلك أن ينام الليل ملء جفونه ·· مطمئنا ·· مستريح البال ومتى ؟ ·· فى ليلة ٦ أكتوبر ! فى الليلة التى سيتقرر فى صباحها · مصير مصر كلها ·· ومصير الامة العربية ·· ومصير أنور السادات ! ··

المحضر السرى ..

لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

●●● ان اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ الذى انعقد فى مكتب الرئيس بالجيزة فى الساعة التاسعة من المساء ، واستمر ثلاث ساعات وربع الساعة .. يعتبر أخطر اجتماع تاريخى، اذا أردنا ان نقيم الوثائق العسكرية لحرب أكتوبر .

لقد حدد الرئيس السادات فى هذا الاجتماع ، الموقف بحسم ، دون أن يسمح بأى تراجع أو تشكيك، الموقف هو الحرب . تحريك القضية عسكريا . وأعلن القادة فى هذا الاجتماع ، أنه ليس بالرجل الذى يناور لكى يحتفظ بكرسى الرياسة .. وأعلن أنه لن يستسلم وأن الموت في سبيل الارض،اشرف من هذه الحياة المهينة. وقال لاعضاء المجلس الاعلى أنه يستدعيهم ، ليبلغهم هذا القرار المصيرى . لا مناقشة فى قرار الحرب . ولكن يجب الاستعداد بالتخطيط والدراسة ، والاعتماد على ما نملك من تسليح .. وعلينا ان نعوض التفوق الاسرائيلى بروح العسكرية المصرية .. بروح المقاتل المصرى .. بشجاعة الانسان المصرى ..

وفى هذا الاجتماع اتضح أن بعض القادة لا يريدون الحرب ، وقد كونوا تفكيرهم على أن اسرائيل ستنتصر، وستضرب فى الاعماق ، وستكون النتيجة خرابا .. وذلك بسبب موقف الاتحاد السوفيتى من ناحية التسليح .

وغضب أنور السادات فى هذا الاجتماع ، وأصر على قرار الحرب ، وأعلن أنه مؤمن بالعسكرية المصرية . واذا كانت اسرائيل متفوقة فى الجو .. فلن تتفوق أبدا على الارض .. وأن علينا أن نواجه قدرنا ومصيرنا بشجاعة .. ان الاتحاد السوفيتى لن يحارب من اجلنا ونحن نرفض أن يحارب احد من أجلنا . هذه معركتنا . اما أن نكون أو لا نكون ، هذا قدرنا التاريخى . ويجب ان نواجهه .

كانت جلسة عاصفة ..

ولكن غالبية أعضـــاء المجلس الاعلى ، أعلنوا انهم مصرون على المعركة . ومستعدون للتضحية .

وبعد هذه الجلسة .. صدرت قرارات الرئيس باعفاء الفريق صادق .. واللواء عبد القادر حسن مســاعد وزير الحربية .. واللواء محمود على فهمى قائد البحرية .. الذى كان قد تدخل فى المناقشة العنيفة لتهدئة الجو .. ولكن كلماته صدرت وكأنها مؤيدة لقرار عدم الحرب .

قال السادات لهؤلاء : لو أخذت بمنطقكم .. ان شاء الله نقعد ٥٠ سنة فى هذا الموت .. لقد سمعت هذا الكلام اكثيرا .. والرجولة .. والوطنية تفرض علينا أن نحرر الارض .. ونواجه امتحان التاريخ ..

وليعذرنى القـــارئ اذا كنت قد اضطررت لحذف فقرات قليلة من هذه الجلســة التاريخية ، حفاظا على أسرار عسكرية ، عندما ناقش الرئيس القـــادة فى الاستعدادات العسكرية » ●●●

أخطر اجتماع تاريخي

فيما يلي النص الكامل لاجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة برياسة الرئيس السادات في مكتبه بالجيزة مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ :

الرئيس : في سلسلة الاجتماعات اللي بأعملها علشان الموقف النهاردة .. الحقيقة .. كان لابد أن أجتمع بيكم .. لانني أعتقد أن المرحلة تحتم أن نقعد ونستعرض الظروف والموقف بالكامل .. وخصوصا وأن السنة الماضية منذ اجتماعنا في أكتوبر الماضي لغاية اليوم حصلت تطورات كثيرة جدا تؤثر على الموقف ، وتكاد ترسم خط السير الذي لا مناص منه .. في أكتوبر الماضي (١٩٧١) لما جمعتكم في الواقع كان بعد زيارتي للاتحاد السوفيتي وكان فيه لو تذكروا وقفة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي طول صيف ٧١ .. وانتهت بأن احنا اتفقنا على النقاط في موسكو ١١ و ١٢ أكتوبر .. وبعد اجتماعي في موسكو جمعتكم وقعدنا اتكلمنا وشرحنا الموقف كله .. ولم أكن بعيدا في ذلك الوقت .. هـــذه هي الحقيقة . ولكن كما قلت لكم كان فيه نقطة خلاف أساسية مع السوفيت منذ رحلتي الاولى في مارس ١٩٧١ الى موسكو . ولو عدنا الى محاضر اجتماعات ١ و ٢ مارس مع الزعماء السوفيت ، نجد أننا لم نتحرك في نقطة الخلاف الاساسية . كانت النقطة الاساسية في الخلاف .. كما قلت لهم : أنتم حاطيني وراء اسرائيل بخطوتين .. ومع أنه المفروض أن أكون متفوقا على اسرائيل .. فانني لا أطلب هذا . أطلب أن أكون متساويا معها .

وساعة ما بنيجي للنقطة دي .. دائما بنقع في خلاف ، وبييجي جريتشكو ويطلع النوتة ويقول : عندكم كذا دبابة وكام طيارة .. الكلام اللي بيلجأوا اليه دائما .. وتدخل برضه في مناقشات وعلى خصائص الطيارات اللي عندنا .. يعني دائما كنا نيجي في النقطة الاساسية دي ويطلعوا كشف السلاح .. زي ما قلت لكم في ١ ، ٢ مارس ١٩٧١ واضح تماما في المحضر نحن مختلفون .. قلت لهم مش معنى أننا نكتب كده في المحضر انني هارجع مصر وها أقول أنا مختلف مع الاتحـــاد السوفيتي .. لا قلت لهم ان احنا أصدقاء .. وممكن نختلف وممكن بعد

فترة نتفق سوا . المهم كل واحد منا يفهم موقف الثاني . وجيت فعلا أنا بعد الرحلة دي بتاعة ١ ، ٢ مارس جمعت اللجنة التنفيذية العليا في ذلك الوقت وبعديها اجتمعت بيكم .. وكان معايا منهم محمد فوزي وشعراوي جمعة .. كانوا معايا في الوفد .. حضروا المباحثات كلها .. وقلت لهم اللي جرى بصراحة .. وقلت لهم . ولكن ليس معنى هذا أن احنا بنقطع .. أو أن الخلاف نطلعه على السطح .. دلوقتي لا .. ماجاش أبدا هذا الاوان .. ومش مصلحتنا .. ومش مصلحة لا شعبنا ولا قواتنا المسلحة ان احنا نطلع الخلاف على السطح النهاردة .. لان ده خلاف يكفي أن احنا بنحطه قدامنا في اتصالاتنا الجارية مرة واثنين وثلاثة .. يا اما بنعدي هذا الخلاف يا اما .. ولكن أنا باعتبر أنه بالحاجات اللي أعطوها لنا في ذلك الوقت في ١ ، ٢ مارس أنه من الممكن نخش جولة أخرى وجولة أخرى لصالح المعركة ولصالح البلد .. في أكتوبر كانت أحداث السودان وقعت في الصيف زي ما أنتم فاكرين .. وكان فيه وقفة تماما بيننا وبين الاتحاد السوفيتي .. وبعدين اختلفنا في أكتوبر وواضح في المحضر .

ولكن جه بريجنيف وقال أنه حوالي ٨٠٪ من الصفقة يسلم قبل نهاية ٧١ .. وأناقلت لكم في ذلك الوقت على الحاجات اللي وافقوا عليها والحاجات اللي هاتجيلنا قبل نهاية ٧١ والحاجات اللي هاتجيلنا في ٧٢ وقلت لكم (Exactly) (بالضبط) جهزوا أنفسكم علشان زي ما أنا كنت بنادي أن ٧١ لابد نحسم فيها .. وكانت محل مناقشة معاهم برضه في اجتماع أكتوبر وفي اجتماع مارس أيضا .. وبقول لهم منطقي .. ان شعبنا لا يستطيع الانتظار .. ولا شعوبنا أكثر من كده .. والنتيجة وخيمة عليكم وعلينا .. كانوا بياخدوا الحاجات دي بشيء من الاستخفاف شوية .. بعني هما متصورين كانوا أنه ممكن الامور تمشي بالطريقة اللي هم بيفكروا بيها ..

فات أكتوبر ونوفمبر ودخلنا في ديسمبر .. وجات وقعت معركة الهند وكان واضح لي يوم ما حصلت معركة الهند يوم ٨ أو ٩ ديسمبر ٧١ كان واضح لي تماما أنه مش ممكن نقدر نعمل أي عملية في سنة ٧١ خاصة وأن الصفقة اللي اتفقنا أنها جاية لنا .. هتيجي قبل نهاية ٧١ وكنا ساعتها في ٩ ديسمبر . وحتى التعاقد لم يتم عليها .. أنا تصورت أنه مش هايستنوا التعاقد زي ما حصل في سنة ٦٧ .. هايبعتوا على طول وبعدين نبقى نتعاقد .. فكان واضح في ديسمبر وساعة ما ابتدت معركة الهند كان واضح أن الموقف مش ممكن هانقدر نواجهه .. وهو أنه هايحصل حاجة قبل نهاية ٧١ .. فيوم ١٠ ديسمبر مباشرة استدعيت السفير السوفيتي عندي وقلت له واضح تماما أن ٧١ انتهى خلاص ..

احنا النهاردة ١٠ ديسمبر . ابتدت امبارح معركة الهند عمليا انتهى ٧١ .. طيب وبعدين ؟ .. أرسلت للقادة السوفيت .. كل ده وأنا في حسابي بأحسب أنه احنا أصدقاء .. وممكن أن نختلف ولكن الخلاف ممكن أن احنا نحصره بقدر الامكان ونكمل المشوار .. فقلت له ابعت للقادة السوفيت وقلهم أنا عايز أجي لكم موسكو قبل نهاية ٧١ .. ليه ؟ علشان نحاول نعالج الموقف في بيان نطلعه . في اجراء نتخذه علشان نعدي سنة ٧١ لانني ارتبطت بذلك .. وأنا كنت عندكم في موسكو مرتين .. بل في أكتوبر السنة دي وبأعلن وأنتم سامعين كلامي واتناقشنا في هذا أن ٧١ حسم ومحصلش حسم .. افترضت بقيام معركة الهند مافيش حسم .. مش هاقدر أعمل حاجة في ٧١ وأنتم داخلين فيها طرف .. قل لهم قبل نهاية ديسمبر سنة ٧١ أنا عايز ألتقي بهم في موسكو وماكنش عندى حرج أبدا أني أسافر لثالث مرة موسكو مع أني كنت قبلها في أكتوبر .. جاني الرد من هناك في اخر ديسمبر .. أواخر ديسمبر أن الاجتماع في ١ ، ٢ فبراير ٧٢ .. لان جدول مواعيد القادة السوفيت من هنا لغايه ١ ، ٢ فبراير كذا وكذا وجاب لي جدول المواعيد و ... و ... و ... الخ .. الكلام ده كان في أواخر ديسمبر .. الحقيقة أنا كدت في أواخر ديسمبر أن أصدر القرارات اللى طلعتها في ٨ يوليو .. كدت في اواخر ديسمبر أني أقول للسفير طيب شكرا وأعمله بالقرارات .. لكن يعني الواقع زى ما قلت لكم .. أنا حريص على المعركة من ناحية .. وحريص على صداقة الاتحاد السوفيتي من ناحيه ثانيه .. لسة فيه أمل يعني ما قطعتش الامل .. الحقيقه .. ليه ؟ .. أنا في تفكيري قلت الناس دول مستنين اجتماع موسكو بتاع عشرين مايو ٧٢ .. وأنا عارف أسلوبهم في هذا .. وأنا طول الخمس سنين اللى بعد العدوان .. من ٦٧ بأتعامل أنا شخصيا معاهم في قضيتنا .. في أثناء وجود عبد الناصر .. كنت أنا متولى المسأله بالكامل وماكنتش بتخرج عنا احنا الاثنين .. بس .. فأنا عارف اسلوبهم يعني لعلمكم برضه علشان تكونوا على بينة .. لما عملت المبادرة أنا في فبراير ٧١ . عملت المبادرة الحقيقة أساسا .. لعدة عوامل .. العامل الاول فيها كان أني عارف أن الاتحاد السوفيتي مش هيسعفني .. مش هايديني في الوقت الكافي .. وكان أيامها احنا بنتكلم على وقف اطلاق النار من عدمه في فبراير .. وكان مؤتمر الحزب الشيوعي بتاع موسكو سينعقد في ٣١ مارس ٧١ فأنا عارف ببساطه وبحساب عارفه بقالى أربع خمس سنين معاهم أن قبل انعقاد هذا المؤتمر مش هيديني حتى من اللى احنا متفقين عليه .. وكان في ذلك الوقت القسم الرئيسي من الانفاقات هي بطاريات الصواريخ علشان الصعيد .. ومش

ممكن أبتدى أكسر وقف اطلاق النار وسدود الصعيد ٠٠ ماجاتش لسنه بطاريات الصواريخ عشان أدافع عنها ومعروف عمقنا فى الصعيد ٠ ؟
فوزى جانى يوم وقال لى خلاص يافندم ٠٠ الروس بعتوا لنا ، قالوا أن المركبين اللى جايين بالبطاريات واحدة فى ١٨ فبراير وواحدة فى ٢٢ فبراير ٠٠ قلت « لا ٠٠ آسف يا فوزى مش هاييجى قبل مؤتمر الحزب الشيوعى اللى هايعقد فى ٣١ مارس وقبل ما ينتهى المؤتمر فى ابريل ٠٠ بعد ذلك تيجى البطاريات ٠ قبل كده مفيش حاجة أبدا ٠٠ » قال لى يا أفندم ده أخطرونى رسميا بميعاد ١٨ الى ٢٢ فبراير ٠ قلت له « ولا حاجة جاية ٠٠ وده أسلوبهم أنا عارف ٠ وهذه طريقة تعاملهم » ٠٠ فالحقيقة كانت مبادرتى أساسا تهدف الى أنه ٠٠ طيب أنا ايه اللى تاعبنى ؟ ٠٠ أنا اللى تاعبنى ان أنا مش عايز خسائر فى العبور ٠٠ وعشان كده عملت المبادرة ٠ أنه اذا كانت اسرائيل انسحبت مرحلة أولى بتعبر قواتنا ٠٠ بنفتح قناة السويس ٠ بندى ٦ شهور وقف اطلاق النار رسمى ٠٠ بعد الـ ٦ أشهر اذا اسرائيل ما انتهتش الى حل معانا ٠ قواتنا اللى عبرت تقاتل وتكمل واجبها ٠٠ اللى أنا بأقصده من هذا ، أنه كارت ناجح مع أوربا الغربية وللعالم كله بالنسبة لفتح قناة السويس ٠٠ الحاجة الثانية أنه أنا عايز أخلص من عملية السيف اللى محطوط على رقبتى ٠٠ فى العبور ٠٠ وأرى أننا سنتعرض لخسائر ضخمة اذا كان لابد أنى أعبر قبل الروس ما يدونى الحاجات اللى أنا عايزها ٠٠ وقلت يعنى يمكن تانى الامريكان يســـعوا و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠ لولا أنهم بعد ذلك ضحكوا عليهم اليهود وأنا بعت لنيكسون هذا الكلام ٠٠ وقلت له ضحكوا عليك اليهود لانهم قالوا للامريكان أن المبادرة ليست الا بدء التنازلات المصرية ٠٠ استنوا عليهم هايكملوا باقى التنازلات ٠٠ قلت لنيكسون أنا بعت لك قلت لك أن المبادرة ارتباط كلام وماصدقتنيش وعليه النهاردة أنا مش مستعد أبدا أتكلم فى هذا الموضوع ٠٠ الحقيقة أنا أيامها عملت هذه المبادرة علشان فى العبور أتجنب الخسائر الضخمة اللى لازم تحدث نتيجة عدم امدادى بما أريد ٠٠ الشىء الثانى كان ٠٠ أو السبب الثانى للمبادرة ، الحقيقة ٠٠ أنه ضاق الوقت ٠٠ أنا عارف أنه زى ما قلت لكم أنه فى ٣١ مارس كان مؤتمر الحزب الشيوعى ٠٠ قبل هذا التاريخ مفيش حاجة حتى من اللى اتفقنا عليها هاتيجى ٠٠ وبطاريات الصعيد وغير بطاريات الصعيد ٠٠ حتى أى قطع غيار أو أى حاجة مش هاتيجى قبل ما ينتهى المؤتمر بتاعهم فى ابريل ٠٠ وده اللى حصل فعلا ٠٠ البطاريات ما جتش الا فى ابريل أظن ٠٠

أحد الأعضاء : ابريل ٠٠

الرئيس : آه ما جاتش الا فى ابريل ٠٠ مع أنه زى ما قلت لكم

أخطروا فوزى بأن مركبين واحدة في ١٨ ٠٠ وواحدة ٢٢ فبراير فأنا قلت باكسب وقت شوية ٠٠ برضه ٠٠ منها بتغير الصورة السياسية للقضية كلها وأسرائيل بتقول أنه مفيش حد في العرب يقبل اتفاق سـلام (Peace agreement) حقيقى يعني لو قالت (Peace Treaty) لو قالت معاهدة سلام كانت تبقى خطر ٠٠ لكن لما تقول اتفاق سلام ٠٠ طيب ما هو اتفاق الهدنة بتاع ٤٩ لما تقروه تلاقوه اتفاق سلام ٠ ولذلك أنا قلت اتفاق سلام مفيش مانع ٠

قلت أيضا أكسب الوقت برضه مجاملة لصديقنا الاتحاد السوفيتى أنه يأخذ وقته معلهش ٠٠ أنا عارف ساعة الحزب الشيوعى ما يعمل مؤتمر في ٣١ مارس ويأخذ راحته هو وأقرص عليهم شوية ٠٠ معلش فرعت المشكلة شوية ٠٠ وأهيه ماشية وفعلا المبادرة مشيت وغيرت شكل القضية السياسية بره فى العالم و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ الخ ٠٠ وحركت شوية و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ لكن كان تأثيرها على الروس عكسى ٠٠ أروح لهم يقولوا ما فى حل الا حل سلمى ٠٠ ولازم تتصل بالامريكان ٠٠ طيب ما احنا عرضـنا المبـادرة وبناء على مبادرتى الامريكان هم اللى جم وأنا مارحتلهمش ٠٠ بعتوا لى روجرز ٠٠ الاولاد المتآمرين اللى كانوا هنا فى اللجنـة العليا راحوا للاتحاد السوفيتى وقالوا لهم أنور السـادات باع البلد للامريكان خلاص واتفق معاهم وصفى القضية و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ والناس دول بيفكروا بطريقة غريبة ٠

أنا لم أطلب من الامريكان ٠٠ دول همه اللى جم وقالوا وزير خارجيتنا يجيلك ٠٠ قلت لهم ييجى ما عندى مانع أبدا ٠٠ يعنى بس ييجى يقولى عايز ايه ٠٠ هايجينا ليه أو ها يعمل ايه ٠٠ فضلنا بعد المبادرة فى الموقف اللى برضه المايع الى أن حصلت أحداث السودان فى صيف ٧١ ٠ وقلت لكم فى زيارة أكتوبر بعد كده برجع لحديثى الاصلى ٠٠ الحقيقة كنت فى أواخر ديسمبر ٧١ لمـا جالى السفير السوفيتى يقولى على الموعد فى ١ ، ٢ فبراير كدت آخذ موقف معاهم ٠٠ لكن فى الحقيقة ماكنتش أنا فى هذا الوقت جاهز لاى حاجة ٠ ليه لان مقدرتش آخذ المسائل لا بعاطفة ولا بانفعال ولا بغضب ولا حاجة أبدا لانها مسائل مصيرية ٠٠ وأنا الى ذلك الوقت زى ما حكيت لكم عارض أنى أروح موسكو لثالث مرة فى ديسمبر مع أنى كنت لسة فى أكتوبر عندهم ٠٠ أنا اللى عارض ٠٠ وقلت للسفير قلهم أنا عايز أدرس الامر على طول علشان نقدر حاجة نغطى بيها الموقف بتاع ٧١ ٠ ونخش على ٧٢ لان واضح بعد معركة الهند مفيش حاجة ٠٠ حتى ده مش قادرين يفهموه أن احنا لازم نغطى موقفنا ٠٠ وأنا بغطى موقفهم هم ٠ لان ممكن زى ما حصل ، وقلت باطلع وباحكي القصة كلها ٠ وبأقول أن الناس دول اتفقوا معـايا على

أنهم يدونى صفقة قبل نهاية ٧١ على أساس أنا كنت عايز أخطط وأشتغل ما أدونيش ٠٠ مضطر أقف مش عايزة مناقشة ٠٠ ولكن محبتش ألقى اللوم عليهم ولا حاجة فى ذلك الوقت وقلت لهم عليها كأصدقاء وانا عارف ماذا سيحدث فى موسكو بينهم وبين نيكسون ٠٠ هم عايزين يهدئوا كل شيء وهم ٠٠ الشيء المؤسف اللى اتصـــوروه أن احنا جماعة مجانين أو ناس ما بنفكرش ٠٠ متصورين أنه يوم ما أن نحصل على الاسلحة التى نريدها نروح راكبين راسنا ونقول اضرب يا جدع ! ٠٠ مش قادرين يفهموا ٠٠ أو يعنى متخاذلين ٠٠ بيقولك لأ ٠٠ طريقه تفكيرهم عنا ٠٠ حقيقة لغاية النهارد مانيش عارف أوصل لها كويس ٠٠ انما فيه شيء واحد لازم نعرفه أنه ده قوة كبرى وله سياسته كقوة كبرى وله مصالحه وله أوضاعه ٠٠ بيفكر على هذا الاساس ٠٠ صبرت على مضض حتى اجتماع ١ ، ٢ فبراير وسافرت ٠ وقامت الدنيا كلها خلال هذا ٠٠ الطلبة قاموا ٠٠ الجماعة الحاقدين كلهم اتحركوا ٠٠ وفاهمين أنه دى فرصة وزى مانتم شفتم ٠٠ أنا تركت الطلبة ٧ أيام ٠

واجهت البلد كلها وواجهت العرب كلهم ٠ ودافعت عن الاتحـــاد السوفيتى ٠٠ على أمل أن احنا هنتقابل فى فبراير ٠٠ فعلا ٠٠ فى فبراير اتقابلنا ٠ وشرحت لهم صورتهم وحالتهم وقلت لهم أن الوضع خطر عليكم دلوقتى فى المنطقة وعلى العرب كمان يعنى احسبوا معايا ٠٠ طيب امتى الحاجات دى ستنفذ ٠٠ طبعا حاسين البلد كانت بتغلى ازاى ٠٠ وكان فيها ايه ٠٠ قلت لهم ده كله نتيجة لكل التصرفات اللى فاتت واللى حكيت لكم عنها واللى قلت لكم عنها من مارس ٧١ ٠٠ فى محضر مارس ٧١ تلاقوا الكلام ده كله ٠٠ وقلت لهم لا يمكن شعوبنا تستنى ولا يمكن المنطقة تستنى ٠٠ مش ممكن بالاسلوب ده وبالشكل ده هانمشى الامور ٠٠ ردوا على بكلام عن الرجعية واليسار ٠٠ قلت برضه هانرجع للكلام ٠٠ الرجعية واليسار ٠٠ مفيش عندى لا يسار ولا يمين فى البلد بالنسبة لتحرير الارض أبدا ٠٠ مفيش خلاف اطلاقا ٠٠ ويسار ايه ويمين ايه النهاردة ٠٠ سيبوا الكلام ده كله احنا فى معركة مجروحين ، كل انسان يمينى يسارى رجعى تقدمى كل واحد مجروح عشان الارض اللى محتلة ٠٠ ما نفرعش المسائل ونفسرها غير تفسيرها الحقيقى ٠٠

جيت من اجتماع فبراير ٠٠ فات مارس ، ابريل ، أواخر ابريل لقيتهم جايين ٠٠ جاء السفير فى أواخر ابريل وقال القادة السوفيت بيلحوا ويترجوك أنك تسافر لهم ٠٠ بس ما أنا كنت عندهم فى فبراير ٠٠ أنا الثلاث مرات السابقة ٠٠ مارس ـ أكتوبر ـ فبراير أنا اللى طلبت ٠٠ ابريل أنا مطلبتش ٠٠ ليه يعنى ما أنا كنت عندهم فى فبراير وانتهينا واتفقنا حتى فى فبراير أن احنا مستنيين نتيجة اجتماع موسكو فى ٢٠

مايو .. وأنهم يخطروني بنتيجة الاجتماع ونتصرف على أساس النتيجة بعد ذلك .. جاني فى أواخر ابريل وقالى بأى ثمن .. يا خبر .. أنا كنت عندهم ثلاث مرات فى أقل من سنة .. بيترجوك .. مش ممكن فى ٤٨ ساعة . كانوا محددين ومجهزين لانهم هم اللى عاوزين .. والطيارة تحت أمرك وكذا وكذا .. ورحت فى أواخر ابريل .. عيدنا الكلام من الاول .. هم كانوا تعبانين جدا من الوضع فى المنطقة والوضع فى بلدنا بالذات .. طيب ما أنا من مارس ٧١ من سنة وشوية وأنا بقول لكم هذا الكلام هايحصل .. طيب هاتكلم فى حل .. الحل مفيش حل .. الحل أنكم تدونا اللى احنا عايزينه .. بس .. واللى انا طالبه منكم من مارس ٧١ وكان الكلام بيننا أنه احنا عايزين نتســـاوى مع اسرائيل .. ما تخلوناش ورا اسرائيل النهاردة يمضي وقت من سنة ٧١ لغاية النهاردة .. اسرائيل بدل ما أبقى وراها بخطوتين بقيت وراها بعشرة دلوقتى .. طيب ايه ! .. ده شـعـر به شعبنا وحســه الناس .. طيب ايه هو سبب اللى بيجرى ده .. قالوا التحرك اليمينى .. يا ناس مفيش لا يمين ولا يسار عندنا فى تحرير الارض .. ومع ذلك قلت لهم والله أنا مستنى اجتماع موســكو .. فى الشهر الجـاى مايو .. واتكلمت مع بريجنيف فى الجلسة دى بالذات بتاعة ابريل ٧٢ عن الخط الاستراتيجى .. قلت له حصل حاجتين : حصل معركة الهند فى ديسمبر ٧١ وحصل الهجوم الكبير بتاع فيتنام وكان ابتدأ منذ شهر تقريبا .. قلت له معلوماتى عن الهجوم بتاع فيتنام أنه بيتجهز له قبلها بست أشهر .. بدليل أنه بتقولوا حصار هايفونج وتلغيم الميناء و .. و .. و .. قلت له أنا قعدت أضحك لما قرأت هذا الكلام لان بتلغموا الميناء عشـــان اللى جاى ؟ طيب ما هى المعركة متجهزة من قبلها بست أشهر وكل شىء متشون جوه .. والهجوم الكبير لم يبدأ فى فيتنام الا بعد تشوين كامل لكل حاجة .. و .. فيه أطقم سوفيتية على الصواريخ وعلى مدفعية .. وأطقم سوفيتية أخرى على باقى الاسلحة .. قلت له طيب ما ناخد درس فى هذه العملية ونطلع بالخلاصة الآتية :

أولا : هل تعتقدوا أنتم أن القضية تتحرك سياسيا ما لم تتحرك عسكريا .. قالوا لأ . قلت لهم مثلا عندنا فيتنام .. نيكسون جاى لكم الشهر الجاى .. قلت لهم نيكسون جاى لكم بعد عشرين يوم .. وأنتم عاملين هجوم كبير عليه وسايجون مهددة ٦٠ ألف عسكرى ..

حتى أيامها طلع خبر أن فيه ٦٠ ألف عسكرى أمريكى مهددين انهم يتمسكوا فى سايجون .. ومع ذلك نيكسون جاى لكم .. برغم هذا كله نيكسون جاى لكم لغاية موسكو .. ليه .. لان القضية اتحركت عسكريا فسياسيا بيحصل استجابة على طول .. ما لم نحرك قضيتنا عسكريا

مش ها يحصل استجابة بريجنيف قال ١٠٠٪ موافقك على هذا التحليل ..

قلت له طيب معاك .. طيب ناخد درس من فيتنام زى ماشوفتم قبلها بست أشهر للهجوم الكبير . بعد اجتماعكم فى عشرين مايو اللى جاى .. والى ٣١ أكتوبر قبل انتخابات الرئاسة بخمس ست أيام هايكون باقى خمس أشهر . قلت لهم مش صعب أننا نتكهن بنتيجة اجتماعكم فى موسكو بالنسبة لقضية الشرق الاوسط . بالنسبة للامن الاوروبى ما بيهمنيش كتير وما بيعنينيش وجايز توصلوا فيه لحلول مع بعضكم .. بالنسبة لقضيتنا فى الشرق الاوسط .. قلت له .. لن يحصل تقدم كتير ومن دلوقتى وأنا قاعد معاكم فى ابريل أهوه ممكن أقول ايه اللى هاتسفر عنه المباحثات لماذا ؟ .. لانه بحساب سياسى بسيط . السنة دى سنة انتخابات فى أمريكا سنة ٧٢ .. أمريكا ان ما كانش موقفها هايكون للاسوأ هايفضل سيىء زى ما هو لان دى سنة انتخابات سنة المزايدات بين الحزبين الاثنين .. وهى (Already) من الاول أمريكا متورطة متعهدة لاسرائيل .. طيب يبقى لن يتغير الموقف بالنسبة لنا . يعنى أحسن موقف هايكون هو السيىء اللى احنا فيه النهاردة .. ده الخوف انه يروح للاسوأ . ليه ؟ لانه اسرائيل قاعدة مستنياهم بعد اجتماعكم هاتحاسبهم .. ايه اللى عمله نيكسون عشان تؤيده أو متأيدوش .. وهو واخد فى حسابه هذا .. وقلت لهم مش صعب التكهن بنتيجة اجتماعكم الشهر الجاى مع نيكسون .. فقالوا نشتغل باستراتيجية بعقل شوية .. والخمس أشهر اللى باقية بعد اجتماع موسكو تنتهى فى ٣١ أكتوبر تشوفوا لى فيها الحاجات بتاعتى اللى أنا عايزها للمعركة زى ما حصل فى فيتنام بالضبط .. بحيث أنتم عارفين نيكسون وعاملين حسابه .. وأنتم طالبين أن احنا من هنا لغاية نوفمبر ٧ نوفمبر وانتخابات نيكسون مانعملش حاجة .. أنا معاكم .. قلت لهم أنا موافق .. لان احنا من مصلحتنا أيضا أن نيكسون يعاد انتخابه بدل ما ييجى واحد ديمقراطى جديد .. ونيكسون هايبقى له أربع سنين بس . ومافيش تجديد تانى فيمكن يعمل حاجة ماعملش هايكون أقل سوء من أى رئيس تانى .. أنا معاكم .. مقرر أننا ما نتحركش مانعملش حاجة أبدا قبل الانتخابات .. وقلت لهم عمليا من مصلحتى هذا .. ليه ؟ .. لان أنا لسة لازم أحصل على العمليات اللى أنا عايزها .. الدعم كله أنا طالبه لازم يوصل لى .. وتعالوا نعمل زى فيتنام .. ناخد الخمس

تشهر من بعد اجتماع موسكو لغاية ٣١ أكتوبر لسة خمس أشهر كل كام يوم مركب بتجينى كل الحاجات المطلوبة للمعركة بتشون وبنستنى الانتخابات الامريكية بينتهى الكلام كله فى ٣١ أكتوبر .. الانتخابات الامريكية فى ٧ نوفمبر بنيجى بعد ٧ نوفمبر . اسرائيل وأمريكا هايعرفوا

ايه اللى وصلنا لانه ما عدش حاجة بتتدارى ٠٠ اللى عندنا واللى عند اسرائيل كل واحد عارف ايه اللى عند الثانى ٠ سيعرفوا ان احنا داخلين الجولة الثانية ، اللى أنتم بتقولوا عليها بعد الانتخابات من أرض صلبة فى الحل السياسى ٠٠ فيه سؤال هل ممكن يكون فيه حل سياسى من غير اليهود والامريكان مايحسوا أن احنا واقفين على أرض صلبة ؟ قالوا لأ مش ممكن ٠

خلاص يبقى اتفقنا ٠٠ يبقى اذن من هنا لحد ٣١ أكتوبر نخلى الارض صلبة بأنه يجيلنا امدادكم ٠٠ خلاص ٠٠ خلاص ٠ ده الكلام اللى اتفقنا عليه فى ابريل ٠٠ واجتماع ابريل ٧٢ ٠٠ فى مايو قبل الاجتماع بأيام بسيطة جاه جريتشكو هنا وجابوا الطيارة اللى كانت عندنا M 500 والكلام ده كله وجايب معاه بيان من اللجنة المركزية من موسكو بشأن زيارته عشان اذاعته ٠٠ طبعا واضح أن البيان مكتوب مخصوص علشان عملية سياسية لانجاح زيارتهم هناك ٠٠ مع نيكسون يعنى ٠٠ ويكونوا فى موقف قوة ٠٠ قلت لا مانع من نشر نص البيان ومتعدلوش ولا كلمة ٠٠ يطلع بيان ٠٠ وجريتشكو كمان بياخد نياشين هو والناس اللى معاه ٠٠ مش مشكلة ٠ سياسيا أصدقاؤنا وعايزين يقفوا وعايزين يتكلموا من مركز قوة أنا من مصلحتى يتكلموا من مركز قوة فى عشرين مايو ٠٠ بس لما خلصت مع جريتشكو ٠٠ وكان عندى فى البيت هنا وقلت له يعنى يمكن أنت حضرت معايا الكلام مع بريجنيف على التجهيز فى الخمس أشهر التالية ٠٠ خد بقى منى ٠٠ مش التجهيز مجرد كلام بقى ٠٠ لأ ٠٠ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ٠٠ ابتداء بالميج ٢٣ أو ال M 500 اللى كانت هنا دى اللى هى الطيارة القاذفة الجديدة ٠٠ فيه عقد بالموتورات أيضا وعرضت عليهم مبلغ بالعملة الصعبة كمان علشان يبقوا بسرعة يجيبولى العدد والآلات ونلحق نخلص الموتورات عندنا بتاعة الطيارات كلها ٠٠ بقيت الحاجات للحرب الالكترونية اللى ناقصانا ٠٠ بقيت الحاجات اللى ناقصة فى فروع كثيرة من القوات المسلحة ٠٠ حاجات من هذا القبيل ٠٠ حاجات عشان البحرية عشان معدات وغيرها ٠٠ **وانتهت بالبند نمرة ٦ « القيادة والسيطرة » ٠٠ وقلت فى هذا البند ٠٠ أنا لا أسمح مستقبلا ولا فى المعركة أن يكون فيه وحدات سوفيتية هنا ليست تحت القيادة المصرية ٠٠ كده صريح** ٠٠ هذه رسالتى مع جريتشكو فى أوائل مايو ٧٢ ٠٠ قال لى حاضر هابلغ كل هذا لبريجنيف وكان سعيدا جدا أن زيارته نجحت وأدت الغرض اللى مطلوب منه من موسكو والبيان بتاعه أذيع وخد نياشين وعملنا له ده كله وكان سعيد وراح ٠٠ جه عشرين مايو الزيارة ٠٠ زى ماحكيت لكم هنا واضح أن أنا ابتداء من انتهاء زيارتهم فى ٢٥ مايو ٠٠ كل يوم بحسبه لانه خمس أشهر عصيبة

.. يدوبك زي أنا مابعت لهم على الطيارة الجديدة يدوبك الخمس أشهر يكونوا على قد الطيارين ما يتدربوا .. بقيت الحاجة الالكترونية .. مثلا .. عمرة الموتورات و .. و .. و .. كل الحاجات التفصيلية اللي أنا بعتها في البنود المحددة يدوبك الخمس أشهر ل ٣١ أكتوبر بالعافية هاتكفي وهانزنق العملية قوى .. فأنا بعد ما انتهى اجتماعهم فى ٢٥ مايو .. الحقيقة قعدت مستنى يجينى التحليل بتاعهم زى ما احنـــا متفقين .. واللي بناء عليه سوف أتلقى التواريخ . ابتداء من كذا هاتجيلك الحاجات اللى أنت طلبتها بالشكل الفلانى لغاية ٣١ أكتوبر آخر مركب تقوم من عندى .. وحتى ضربت لهم على سبيل المثال قلت مثلا من ناحية موضوع زى الذخيرة ما نصفى المشكلة ونخلص وتبعتوا خمس ست مراكب عشر مراكب مرة واحدة يفضوا المشكلة .. بس مرة واحدة .. وتنتهى مشكلة الذخيرة نهائيا .. قعدت بعد ٢٥ مايو مستنى يجى لى التحليل .. زى ما حكيت لكم وأنا بتكلم مع بريجينيف فى ابريل وبتكلم مع جريتشكو وبعت رسالة لبريجينيف فى مايو محددة بنقاط محددة .. وقاعد مستنى عشان يحددوا لى التواريخ .. ونحط احنا برامجنا هنا على أننا نكمل نفسنا بحيث ٣١ أكتوبر نبقى جاهزين .. فات ٢٥ مايو وفات مايو كله .. دخلنا فى يونية .. يوم ٦ يونية جالى التحليل رسالة منه .. طيب .. ٦ يونيو .. بعد التحليلات بتاعة الرجعية والاستعمار والكلام ده كله و .. و .. فى الآخر ظل موقف أمريكا كما هو تماما .. طيب ما هو ده اللى أنا قلته فى ابريل قبل الاجتماع مش هايحصل حاجة .. مش هايحصل تغيير فى الموقف الامريكى .. ولو أنهم ضغطوا وقالوا احنا ضغطنا وقرار ٢٤٢ ومهمة يارنج .. ده كله كلام شكلى .. لان ما احنا عارفين مين اللى واقف فى القرار ٢٤٢ والا فى مهمة يارنج والا فى اجتماعات الاربعة الكبار .. مين اللى واقف ؟ ما هى أمريكا .. مش مشكلة .. المهم لما أرانى السفير الرسالة قعد ويايا فى الجلسة دى يوم ٦ يونيو أربع ساعات الا ربع وكان حافظ اسماعيل موجود قال لى يعنى هل فيه رد على الرسالة .. قلت له الصبر .. لأن أنتم تأخرتم على .. واحنا النهاردة دخلنا يونية مع أن يونية ده شهر من الشهور اللى كان من أوله لازم نبدأ عملية التشوين وكان لازم يجينى الكلام ده فى أواخر مايو مباشرة بعد الاجتماع . انما دلوقتى نبحث .. قلت له طبعا فيه رد منى .. التحليل بتاعكم ده أنا موافق عليه فى كذا وكذا وكذا . يفضل بقة أطلع من نتيجة تحليلكم ووجهات نظرنا احنا الاثنين وكلامنا فى ابريل اللى قلناه بالآتى وحكيت القصة اللى قلتها لكم دلوقتى عن أن القضية لن تتحرك سياسيا . ما لم نكون جاهزين عسكريا . وأن ده اتفاقنا احنا الاثنين انه بناخد درس من حرب فيتنام .. والقادة السوفيت

وبريجنيف على رأسهم كان متحمس أكثر منى انه لابد نعمل عملية استراتيجية ٠ نعملها بأن نشوف كل حاجة محتاجينها ٠٠ بعد الانتخابات الامريكية بندخل من أرض صلبة ٠ كررت اللى أنا حكيت لكم هنا ده كله لانه لازم التكرار ٠ وبعدين رسالة محددة من سبع نقط اللى أديتها لجريتشكو ٠٠ تانى قلت له بأكد رسالتى لجريتشكو ٠٠ وبابعتها لك محددة ٠٠ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ وهذه مسائل لازم ننتهي فيها قبل ٣١ أكتوبر فردوا على ، وقولوا لى المواعيد ايه ؟ وهاتتنفذ ازاى ؟ راحت الرسالة فى ٦ يونيو ٠ أنا متصور أنهم مثلا أربع خمس أيام ونتيجة أنهم اتأخروا على فى التحليل ودخلنا فى يونيو هايلحقوا بسرعة يردوا ٠٠ لان الكلام ده زى ما حكيت لكم كده متفق عليه مع بريجنيف من ابريل متفقين أنه فعلا لازم نخش من أرض صلبة ٠ وأرض صلبة يعنى معناها كل حاجة بقدر الامكان يعنى مش ١٠٠٪ لكن على الاقل الحاجات الاساسية لازم تكون عندنا قبل ٣١ أكتوبر بحيث تتم الانتخابات الامريكية ٠٠ جولة ثانية حل سلمى ٠٠ ونخش كلنا ٠ لكن نخش من أرض صلبة ٠ فات ١٠ يونيو ٠ فات ٢٠ يونيو ٠ جاه ٢٥ يونيو مش تمام ٠٠ فى الوقت ده كنت فى مرسى مطروح وكان مجلس رياسة اتحاد الجمهوريات منعقد هناك ٠٠ أما جه ٢٥ يونيو الحقيقة ٠٠ معناها أن يونيو فات خلاص راح ٠٠ ولسه ماجاش رد والمفروض أنه كان يجينى رد يقولوا لى ٠٠ ده أنا مستنى تواريخ المركب وال (Items) (البنود) ٠ وايه الحكاية ؟ ٠٠ مفيش رد خالص ٠ وأنا فى مرسى مطروح قلت لعزيز صدقى أول ما ينزل مصر ٠٠ هات السفير السوفيتى وقول له ليه الرد السوفيتى ماجاش وعملين ايه ٠٠ فنزل عزيز وجاب السفير السوفيتى فعلا ٠٠ وقال السفير ماجانيش رد من القادة السوفيت لسة ٠٠ وأنا بعت أستعجل ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ بعدها بأربع خمس أيام ٠٠ أنا مستعجل بعدها لما رجعت أنا هنا القاهرة ٠٠ ندهت مراد غالب وزير الخارجية : قلت له اطلب السفير السوفيتى وعنفه ٠٠ جاب مراد غالب السفير واتكلم وياه ٠٠ حاضر ٠٠ حاضر ٠٠ أنا باعت استعجال لموسكو ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ دخلنا على يوليو ٠٠ فات الخمس أيام الاولى من يوليو وضح تماما أن العملية مش ماشية ٠٠ أنا الحقيقة حاطط فى ذهنى زى ما قلت لكم من نهاية ٧١ أنه موقف الفصل بينى وبينهم هو اجتماع موسكو مع نيكسون ٠٠ أنا عارف أنهم بيجهزوا له وبيهدئوا الدنيا كلها ٠٠ ومتصورين أن احنا مجانين ماعاقلين مانا عارف ٠ بيفكروا ازاى أو هم خايفين ٠ أى سبب ٠ على أى حال هم بيهدئوا الموقف ٠٠ قلت فليكن ٠ أنا كصديق بأديهم لغاية اجتماع مايو ولهم على هذا الحق ٠٠ لكن بعد ذلك لازم يكون موقف ٠٠ أما جه ٥ يوليو ٠٠ المسألة ماكانش

جديدة بالنسبة لى ٠٠ المسألة زى ما قلت لكم من نهاية ٧١ وهى بتتفاعل جوه ٠٠ العملية كانت فى رأسى الحقيقة ٠٠ جاهزة زى ما قلت لكم مش أواخر ٧١ لكن شكل القرارات ماكنتش انتهيت اليه لسة ٠٠ يمكن الجمسى ادانى مفتاح فى مايو ٠٠ لما كان عندى فى القناطر وماكانش فيه المجلس ٠٠ كان جزء منكم وذكرت فى الاجتماع ده موضوع « القيادة والسيطرة » ٠ كان فى مايو عندى فى القناطر ٠٠ كان شكل القرارات لسة ٠٠ فى العقل الباطن عندى ٠ فى ٥ يوليو كنت جاهز بالقرارات بشكلها الكامل ومعرفش ٠٠ فات ٥ يوليو هايجولى امتى ٠٠ الحقيقة أنا جهزت بقة وقلت خلاص ده موقف وبانتهى منه وخصوصا زى ما حكيت لكم « القيادة والسيطرة » ٠٠ فى رسالتى لبريجنيف مع جريتشكو فى مايو وفى رسالتى أيضا فى ٦ يوليو وفى بند محدد ٠٠ وأشرت لها فى رسالة ٣١ أغسطس الاخيرة اللى بعتها لبريجنيف قلت له أحب أنك تراجع رسالة ٦ يونيو تلاقى فيها « القيادة والسيطرة » مش جديدة ٠٠ الكلام ده مش جديد ٠٠ دنا قايل لهم عليه من رسالة ٦ يونيو ٠٠ ده مبدأ أساسى لانى لن أسمح بوجود قوات سوفيتية هنا ٠٠ ولا تكون تحت القيادة المصرية ٠٠ لا يمكن فى ٥ يولية أنا كنت جاهز بالقرارات وعارف الرد اللى هيجينى بعد المطوحة دى كلها ٠٠ الرد اللى هايجينى ايه ٠٠ أصبح عادى عندى جدا لان زى ما حكيت لكم أنا باستنتج خطواتهم زى ما حصل واستنتجت خطواتهم بالنسبة لبطاريات الصواريخ بتاعة الصعيد ٠٠ وغيره فى أول ما دخلنا فى يونية قلت خلاص يونيو معناها يولية وأغسطس وسبتمبر شهور القرم عند القادة السوفيت ٠ ودول دائما بياخدوهم احتياطى كل سنة ٠٠ القادة السوفيت فى القرم ويرحلك لاكتوبر ٠٠ تقوم تيجى لاكتوبر تتكلم معاهم ويبقى فاضل على السنة شهرين تعدى السنة ٠٠ خلاص ٠٠ عايز يدخلنى فى ٧٣ ٠٠ بنفس الصورة والوضع اللى احنا فيه ٠٠ وبغض النظر بقة عن الكلام اللى احنا اتكلمناه ٠٠ فقلت يعنى هو ده الرد اللى هايجينى ٠٠ وقدامه أنا بكون جاهز بقراراتى كذا وكذا ٠٠ وما قلتش لحد ٠٠ ما تكلمت مع حد الحقيقة ٠٠ يوم ٦ يوليو كان يوم خميس قالوا السفير السوفيتى جاب رسالة وطالب ميعاد أقابله ٠٠ مرضتش أقابله فى هذا اليوم الحقيقة ٠٠ قلت أجلوه للسبت ٠٠ ٨ ٠٠ الحقيقة كنت مشدود جدا وعصبى جدا جدا ٠٠ ومنفعل جدا ٠ أنا رسيت على القرارات ولكن اللى تاعبنى كان هذا الاهمال ٠٠ وعدم الاهتمام يصل الى هذا الحد ٠٠ أخذت الخميس والجمعة راحة ٠٠ علشان أكون أحسن شوية ماكنتش عصبى ٠٠ يعنى أنا كنت فى شدة الانفعال من الاهمال وعدم الاكتراث اللى واضح تماما يعنى ٠ يوم الجمعة ٠ الكلام ده الخميس ٠ (٧) يوليو

ندهت لصادق عندى ٠٠ قولت له ياصادق بكرة أنا هاشوف السفير السوفيتي وقراراتى هى كذا ٠٠ مش عايز حد من القوات المسلحة يحسر بهذه القرارات الا اثنين قائد الطيران وقائد الدفاع الجوى ٠ ليه لان دول اللى عندهم مشكلة ٠٠ قائد الطيران ٠٠ الطيارين ال ٦٤ طيار اللى موجودين عندنا فى بنى سويف وفي جاناكليس وفى غيرها اللى كانوا بيساعدوا فى الدفاع الجوى ٠٠ ولكن ما يحصلش فراغ ٠٠ وبتاع الصواريخ علشان استلام المواقع ٠٠ بحيث أيضا ما يحصلش فراغ أو فجوة يدخل منها لينا ٠٠ الاثنين دول اللى فى القوات المسلحة اللى يعرفوا ولان بكرة ٨ يوليو هاقول للسفير وأبلغه ٠ لن أعلنها الا بعد أن ينفذ فى ١٧ يوليو ٠٠ وعليه مش عايز القوات المسلحة تعرف بيها ٠٠ وقلت له حتى تقول لقائد الطيران والصواريخ انه مش عايز كلام اطلاقا في هذا الموضوع إلى أن أعلنه فى ١٧ بعد الانتهاء ٠٠ يوم السبت ٨ يوليو شفت السفير السوفيتي ٠٠ سمعت الرسالة زى ما قلت لكم ماكنتش جديدة على حتى لدرجة لما الرسالة خلصت أنا كنت قاعد باسمعها ٠٠ أما الرسالة خلصت اندهشت حتى ماجبوش سيرة رسالة ٦ يونيو اللى أنا باعتها ورسالة جريتشكو اللى فيها ٧ نقط محددة ٠٠ الاتفاق اللى احنا عملناه على الاستراتيجية ٠٠ ماكنش فيه حاجة أبدا ٠٠ كلام عام وعارف أنا طريقتهم وأن الهدف أن احنا نخش فى عملية الصيف لغاية ما يخلص سبتمبر ونخش على أكتوبر ونوفمبر وديسمبر خلصت الرسالة ٠٠ وأنا ذهلت وسألت السفير ٠ الرسالة خلصت ٠٠ قال لى آه ٠٠ هى كده قال لى آه ٠٠ قلت له مرفوضة شكلا وموضـــــوعا بالكامل ٠٠ وأسلوبكم مرفوض وأنتم ٠٠ وما خليتلوش وفى النهاية قلت له قراراتى هى كذا ٠٠ المستشارين والخبراء ٠٠ من يوم ١٧ انتهت مهمتهم ٠٠ وكنا فى ٨ كنت مديهم لغاية الاثنين ٠٠ الوحدات السوفيتية اللى هنا تحت القيادة المصرية من يوم ١٧ أو تتفضل تروح ٠٠ أملاك الحكومة السوفيتية اللى هنا ٠٠ ياتبيعوا لنا اللى عايزين تبيعوه ٠٠ اللى مش عايزين تبيعوه اتفضلوا اسحبوه ٠٠ انما كله ينتهى يوم ١٧ الصبح ٠٠ النقطة الثالثة قلت له بناء على معاهدة التحالف ٠ معاهدة الصداقة اللى بيننا يحصل جولة مفاوضات جاية بقة لانه عايزين نشوف المرحلة اللى جاية فيه ايه ٠٠ فالراجل افتكر أن القرارات بتاعة المستشارين والخبراء تخضع للمفاوضات ٠ قلت له لأ ٠ دى قرارات للتنفيذ صباح ١٧ كله ينتهى يوم ١٧ الصبح ٠ ووزير الحربية ها أخطره بيها للتنفيذ ٠ بكرة ان شاء الله ٠٠ أما جولة المباحثات اللى جاية بناء على المعاهدة واللى أنا طلبتها ٠ البند نمرة ٣ بتاع قراراتى فهى للمستقبل فى المرحلة اللى جاية هانعمل ايه فى المرحلة اللى جاية ٠٠ لكن دى قرارات انتهى أمرها

يوم ١٧ ووقعوا فى ذهول وحيص بيص ٠٠ وحاجات ٠ قلت لعزيز يا عزيز مفيش مانع روح لهم ٠٠ وقول لهم بدل ماندى فرصة لتأويلات نطلع بيان سوا قبل ما أعلن أنا يوم ١٨ فى اللجنة المركزية ٠٠ نطلع بيان سوا ونقول كلمة فيه أن بمناسبة انتهاء مهمة المستشارين والخبراء فحكومة جمهورية مصر تشكر الاتحاد السوفيتى ٠٠ شيء من هذا القبيل ٠٠ يفهم منه العالم أن العملية متفق عليها ونغطى موقفهم وأنا لغاية اللحظة دى برضه عايز أغطى موقفهم ٠٠ اللى احنا عايزين نعمله عملناه ٠٠ انتهت خلاص ٠٠ يعنى ماحناش عاجزين ٠٠ بنعمل اللى احنا عايزين نعمله ٠٠ مافيش داعى للقطع ٠٠ راح لهم عزيز ما قدروش يفهمـــوا بطريقة تفكيرهم رفضـــوا قالوا لا دى قرارات ما نقدرش نطلعها احنا الاثنين دى تصدر من جانب واحد ٠٠ خلاص ٠٠ عزيز قال لهم والله دى نهاية الكلام اللى عندى السلام عليكم ٠ ورجع لى ٠٠ وقال لى مارضيوش ٠٠ خلاص ٠ قلت له خلاص انتهى ٠٠ صادق بلغته قلت له يوم الاحد ٠٠ هى كانت القرارات تنفذ يوم الاثنين قلت له يوم الاحد ياصادق تعلن كبير الخبراء وفى الوقت نفسه تكون جامع القادة علشان يأخدوا للتنفيذ صباح الاثنين وهايكلم القادة المصريين ٠٠ الى هذا التاريخ يظهر السوفيت كانوا فاهمين انها تهويش ٠٠ ويظهر السفير السوفيتى هنا بعت لهم قال لهم دى عملية يظهر للضـغط ٠٠ والقرارات مش حتتنفـذ ويعنى طمنهم شوية فى موسكو ٠٠ ولما راح لهم الخبر من عزيز أن صادق هيتكلم مع الخبراء يوم الحد بالليل وبعدها هايكلم القادة ٠٠ جم هم يوم الحد الظهر وعملوا منهم وبعتوا ٠٠ بعتوا لكم أظن فى الوحدات ٠٠ المستشارين كلهم بلغوا القادة أن مهمتهم انتهت يوم الحد الظهر قبل صادق ما يشوف السفير ٠٠ حتى صادق حب يغطيها يعنى ٠٠ لان يوم ما أنت سافرت المحلة يا محمد ٠٠

الفريق صادق : ـ أيوه ٠٠

الرئيس :

حب يغطيها ٠٠ ولكنه لقى أن المستشارين راحوا بلغوا القادة ٠٠ فضلوا فى ذهول تام بعد ذلك ٠٠ الحقيقة أنا يعنى بصدور هذه القرارات أكملت حسبتى ٠٠ زى ما قلت فى اللجنة المركزية لاول مرة الحقيقة فى الخمس سـنين بعد عـدوان ٦٧ حسيت أنى با أتنفس بســهولة ٠٠ حقيقى يعنى ٠٠ ليه ٠٠ الصورة عندى فى يونيو ويوليو قبل ما يجينى ردهم كانت الآتى ٠٠ **احنا واقفين فى رمال ناعمة من اللى بتشفط ٠٠ وأيدينا متكتفة ٠٠ والمعسكرين الاثنين الكبار الروس والامريكان الاثنين**

الروس بيقولوا دول خلاص في جيبنا الامريكان بيقولوا لأ دول فى جيب الروس اخلاص وانتهت ٠٠ والروس ولى أمرهم ٠٠

بالنسبة لنا احنا واقفين متكتفين والرمال الناعمة تشفط فينا واحنا مش عارفين نتحرك ٠٠ طيب صورتنا ايه بعد انتخابات أمريكا اللى جاية ٠٠ بالوضع اللى أحنا فيه ٠٠ الروس هيفضلوا برضه يؤجلونى كمان على طريقتهم لغاية أكتوبر وتيجى لاكتوبر يقولوا طيب بس يعنى الانتخابات الامريكية يتفقوا على صفقة زى بتاعة ٧١ اللى حصلت فى أكتوبر ٠ ويقولوا هاتوصلك بعد ١٥ يوم ولا عشرين يوم ولا شهر ٠٠ ولا توصل ولا حاجة ويستنوا الانتخابات الامريكية وتعدى السنة برضه ٠٠ نفس الحكاية ٠٠ مؤكد هانقف الموقف ده غرقانين فيه ٠ وفى نفس الوقت اللى **احنا موقفنا كده اسرائيل تتلقى بالكامل امدادا من أمريكا بتعربد فى المنطقة ٠٠ والتعبير أنا استعمله من قبل اسرائيل هاتعربد بسنة** ٠٠ وقلته للروس قلت لهم اسرائيل هاتعربد وده فيه اهانة لنا ، ليه ٠٠ ليه تسمحوا بهذا ٠٠ ليه تحطونى فى هذا الوضع المريع ؟ ٠٠ حتى فى مارس ٧١ قلت لهم أنا أفهم أن الامريكان عايزين يعملوا لنا اذلال ٠٠ طيب أنتم ليه ؟ ٠٠ ليه عايزين تذلونا زى الامريكان ؟ ٠ قالوا ٠٠ ازاى احنا أبدا ؟ ٠٠ **قلت لهم لأ الواقع يقول هذا ٠٠ العدو يقدر يدخل عمقى فى أى حتة وأنا ما بطولوش طيب ما أنا حتى الردع ٠٠ أنا ما بقلش أمحو اسرائيل ٠٠ أشسيلها وأوديها البحر أنا عارف أنكم أنتم معترفين بيها والامريكان معترفين بيها ٠٠ لكن اليه حاطينا فى موقف الدفاع ٠ انضرب ٠ أتلقى الضربات وما أقدرش أرد عليها ٠٠ ليه ؟ ٠٠ فقلت لهم أنا الكلام ده أنا مستنيه من زمان ٠٠ وقايل لكم من سنة أن اسرائيل هاتعربد وتقول مفيش فى المنطقة غيرى ولا حد ها يرفع رأسه ٠٠ وده لا أقبله ولا يقبله أحد أبدا ٠٠**

وهكذا كانت الصورة فى يوليو كده زى ما حكيت صورة كئيبة ٠٠ المعسكرين ٠٠ الامريكان خلاص ٠٠ داخلين على مراحل الانتخابات بتاعتهم ٠٠ وراحوا اتفقوا فى موسكو مع الروس ٠٠ الروس على طريقتهم تخدير وتهدئة و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ لغاية ما يعدى الصيف كله ونخش على أواخر ٧٢ ونعدى على ٧٣ ٠ بنفس الاسلوب اللى اتبعوه معايا فى ٧١ ٠٠ فى نفس الوقت أمريكا طلعت من اجتماع موسكو بتقول للعالم وبعتوا لى أنا شخصيا أنه ريح نفسك ٠ الحل عندنا احنا ٠٠ ده بعد اجتماع موسكو ٠٠ الدعاية الامريكى عمالة تزن ٠٠ وبعدين الصفقة والكلام اللى احنا اتكلمناه عن الاستراتيجية السلمية توصلنا فى ٣١ أكتوبر لموقف أو أرض صلبة ننطلق منها ؟ ٠٠ مفيش ٠٠ مردوش علينا خالص ٠ ومش جاى بحسابى أنا بقى وزى ما ظهر لكم وزى ما شفتم مش جاية خالص

٠٠ ده أنا مؤجل الى بعد الانتخابات والى انتهاء ٧٢ ٠٠ وده الكلام عن ٧٣ كله ٠٠ ده كمان غير أنه وضح أن سياسة الحرب الباردة اللى موجودة بين الكتلتين اللى هم أمريكا وروسيا دخلوا فى سياسة وفاق ٠٠ مش منافسة حتى ٠٠ ليه ٠٠ زى ماجانى من موسكو أخيرا من قلب اللجنة المركزية بتاعة الحزب الشيوعى ثبت أن الزراعة السوفيتية بعد ٥٥ سنة فاشلة مفيش حبوب من الاتحاد السوفيتى ٠٠ السنة دى واخدين حبوبهم كلها من آمريكا ٠٠ ميادين كثيرة فى التكنولوجيا اتفقوا عليها حيخدوها من الامريكان ٠٠ صحيح هم سابقين الامريكان فى بعض الميادين ٠٠ وطلعوا القمر زى الامريكان وودوا لونوخود فوق القمر ٠ وغيره ٠٠ ميادين سابقين لكن فيه ميادين كثيرة اتفقوا أنهم يتعاونوا هم والامريكان سوا لانه زى ما قال مدير معهد فى لينينجراد لواحد كان بيزورهم أنا أعرفه ٠٠ قالوا احنا سابقين فى ميادين لكن فيه ميادين ما فتحناش فيها خالص واتفقنا معاهم الدور ده احنا هنأخد الحاجة دى منهم وسياسة الوفاق دى لمدة ٢٠ أو ٢٥ سنة مقبلة ٠٠ انتهت الحرب الباردة نهائيا بين الكتلتين ٠٠ ودخلوا فى سياسة وفاق طيب والله لو دخلوا فى سياسة وفاق الصغيرين اللى زينا ما احنا تحت الرجلين هانندهس ٠٠

كل دى كانت الصورة أمامى فى يونية ويوليو وده السبب انى اتخذت القرارات علشان ناخد حرية حركة كاملة ٠٠ بالنسبة لهم ٠٠ وقد كان مباشرة بعد قراراتى هم ولو أنهم فى حالة ذهول الا أنهم بيحاولوا بكل الطرق كى يتصلوا بى وقلت أنا واخد أغسطس (قرم) عملت (قرم) زيهم مرة ٠ قلت أنا فى القرم ما بردش على حد وفعلا مردتش الا فى ٣١ ٠٠ الامريكان ماضيعوش الوقت اتصلوا بى فورا ٠٠ الانجليز اتصلوا فورا ٠٠ الفرنسيون اتصلوا فورا ٠٠ الطليان اتصلوا فورا ٠٠ حركنا القضية ٠٠ طلعنا من الرمال اللى بتشفطنا ووقفنا على أرض سليمة والناس كلها بتتكلم معانا ٠٠ وبيتكلموا معانا بالمفهوم السليم ان احنا أولياء أمر أنفسنا محدش ولى أمرنا ٠٠ واتحركت القضية ٠٠ يعنى لغاية هذه اللحظة القضية بتتحرك ٠٠ سواء بالنسبة لهم هم فى زيارة عزيز صدقى الاخيرة ٠٠ سواء بالنسبة للأمريكان وطالبين يتكلموا ٠٠ وآخر كلام للأمريكان بيعرضوا المبادرة بتاعتى بس بوجه آخر عايزين يعملوها حل جزئى ٠٠ لكن اذا كان ده اللى بيبتدوا بيه كويس ٠٠ كابتداء أنا مستعد أتكلم معاهم ولكن بالشروط اللى أنتم عارفينها وبالأوضاع بتاعتنا ٠٠ مش مستعد أتنازل عن حاجة ٠٠ الانجليز حسنوا موقفهم وحاولوا وعاملين بيشوفوا الاسلوب اللى بيستطيعوا بيه يعاونونا ازاى ٠٠ ولسه الاسبوع الماضى كان عندى ناس من عندهم وفى الصيف ٠٠ وفى أغسطس بالذات بعث لى

عيث رسالة وبعث مع الرسالة وكيل وزارة الانتاج الحربى بتاعه علشان يناقش معانا المواضيع كلها ٠٠ الدنيا اتحركت ٠٠ القضية مشيت ٠٠ جه برجنيف فى ٣١ يوليو بعث لىّ رسالة تجاهلتها تمام التجاهل لأنه يعنى اذا كنت عايز أقطع معاهم كان ممكن أحطها محل نقاش وأقطع لأنها تساوى انى أقطعها ٠ انما اعتبرت أنهم لسه بيفكروا بعقلية ما قبل ٨ يوليو وعلى ذلك قلت لأ ٠٠ أنا باتجاهل دى ما بردش عليها خالص ٠٠ وجيت فى ٣١ أغسطس بعت بعدها بشهر كامل زى ما هو عمل شهر بالضبط جيت فى ٣١ أغسـطس وبعت له رد ٠٠ بعت له جواب شـخصى منى لبرجنيـف شخصيا ٠٠ ومن عشر نقط حطيت له فيه الموقف كاملا وراعيت فيه ان ده يبقى وثيقة للمستقبل ٠٠ بنحط كل شيء بوضوح ومن غير لا عصبية ولا حاجة أبدا ٠٠ يعنى ٠٠ يعنى قد كده يظهر كان الخطاب عنيف عليهم ٠٠ أنه ما قدروش يردوا عليه أبدا ٠ واشتكوا لحافظ الأسد ٠٠ واشتكوا لكل الناس اللى راحوا لهم ان ده ما يتردش عليه الجواب فى الحقيقة ٠٠ بعد ذلك زى ما قلت لكم يعنى أنا لغاية ما بلغتهم بالقرارات في ٨ يوليو ٠٠ وبعت لهم عزيز صدقى عشان نغطى العملية وأنا عايز أغطيهم برضه ٠٠ ووقفة مع صديق ٠٠ فعلا وقفة مش أكثر ٠٠ الا اذا هم حبوا يقطعوا ٠٠ أما جات لى الرسالة اللى قلت لكم عليها فى ٣١ يوليو أهملتهـا على أساس أنه أنا مش عايز أقطع ٠٠ لأن دى رسـالة ممكن يعنى اذا كنت عايز أقطع أتخذ منها سبيل ٠ مجرد أن أعلنها بس وأقول جات لى الرسـالة دى كافية أن تقطع وننتهى ٠٠ المهم تجاهلتها وبعت رسالتى فى ٣١ أغسطس رسـالة شخصية منى لبرجنيف ٠٠ وقلت له «انت راجل مشاعرك كويسة وعلشان كده أنا ببعت لك أنت شخصيا هذه الرسالة علشان تعمل على وقف هذا الكلام كله ٠٠ وآدى عشر نقط وضحت له فيها بمنتهى الهدوء والشرح والبساطة ٠٠ وضحت له الموقف كاملا ٠٠ مش ممكن نتراجع عن الرسالة ٠٠ فلجأوا لحافظ الاسد ٠٠ علشان يخش فى النص ٠ جانى حافظ الاسد ٠ وطلب انه ييجى ٠٠ يوم قالوا لى أشارة جاية من موسكو ان الاسد هايوصل والاشارة جاية من موسكو ٠٠ حتى لما حافظ اسماعيل بلغنى فى بيتى ٠ أنا ماكنتش أعرف أنه فى موسكو ٠ ولا قلتش لحافظ الاسد ٠٠ أنا افتكرت أن الرسالة جاية عن طريق موسكو لأنى فى مرة حاولت أتكلم بالتليفون مع سـوريا ما أمكنش الا عن طريق موسـكو ٠ فكانت الخطوط مش تمام وعن طريق موسكو اتكلمت ٠٠ أنا افتكرت ان الاشارة جاية عن طريق موسكو وحافظ جاى من سوريا ٠٠ فحافظ اسماعيل قال لى لا ٠٠ ده الرئيس حافظ يبعث الاشارة وهو فى موسكو فى زيارة خاصة غير معلنة ٠٠ وجاى هنا على طول بكره الصبح ٠٠ قلت له مفيش مانع يعنى ٠٠ وجه الراجل وحكى لى القصة ٠٠ وأنا رسالة ٣١ اغسطس اللى قلت لكم عليها اللى بعتها لبرجنيف تانى

يوم أو ثالث يوم، كنت باعت صورتها لحافظ الأسد ٠٠ فحافظ على علم بالعملية كلها وماشي يتابع الموقف ٠٠ وحافظ له ظرف بيدولوا معونات ومساعدات ورحلته الأخيرة خد فيها ٧٠٠ مليون دولار وكذا ٠٠ يعني له ظروف ٠٠ وأنا حتى لما كلمني هنا لأنه جاني بعد عملية أكتوبر يوم ٩ بعد أنا ما اديت قراراتي يوم ٨ فجاني وقال لي طيب موقفي هيكون أيه ؟ ٠ قلت له ولا حاجة انت بتاخد منهم ٧٠٠ مليون دولار وواقفين وياك وماله ٠ ما فيهاش حاجة يعني ٠٠ استمر في علاقتك معاهم ولكن ٠٠ قلت له خد بالك من لعبة سوريا العراق كبديل لمصر يعني ٠٠ مش هاتنفع قلت له حتى يعني اذا تمت مش هاتنفع بديل لمصر ٠٠ فقال لنا ٠٠ بالنسبة لي مش ممكن هايحصل محور ومش ممكن هاعمل معاهدة اطلاقا ٠٠ قال أنا رفضت هذا الكلام ٠٠ احنا هاجمنا معاهدة العراق وجم يطلبوا مني معاهدة بعد ذلك وانا رفضت بالكامل وده موقفي الأساسي مبدئي لنا ٠٠ وما لم يتفاهموا هنا مع مصر أنا مش مستعد يعني أخش معاهم في أي حاجة ٠٠ وسافر على هذا الاساس وكان بيتابع الموقف ٠٠ يظهر انهم لقوا أن الحل الوحيد يوسطوا حافظ الاسد اتفقوا معاه على الزيارة ٠٠ وهو قال لي أن المبادرة جات منه هو شخصيا ٠٠ وان هوه اللي طلب يسافر موسكو ٠٠ المهم راح واتفقوا وجالي وحددوا ١٦ للعرض على انا ، وجالي واتكلم معايا قلت ما عنديش مانع ٠٠ لانه أصله يوم أنا ما عملت قرارات ٨ يوليو ٠٠ بناء على المعاهدة اللي موجودة بيننا بيحصل تفاهم ومفاوضات على المرحلة اللي جاية ٠٠ أنا معنديش مانع أبدا ٠٠ قلت له بس أوعه يكون عندهم شبهة ٠٠ وسألت حافظ الاسد ٠٠ قلت له أوعى يكون عندهم شبهة بالنسبة للقرارات أو بالنسبة للمستشارين والخبراء قال لي لأ ٠٠ لأ ٠٠ اطلاقا ٠٠ ده انته حتى لو طلبت خبراء ومستشارين حايقولوا لك لأ ٠٠ كفاية اللي فات انما هو الكلام بالنسبة للمرحلة اللي جاية ٠٠ قلت له لا معنديش مانع اطلاقا يعني ٠٠ ده موجود في البند نمرة ٣ وأنا معنديش مانع أبدا واتفقت مع عزيز على الكلام ده كله ٠٠ واتفقت مع عزيز صدقي وقلت لعزيز تروح الدور ده مانيش عايز كلام لا في سلاح ولا غيره احنا بنتكلم في مبادىء ٠٠: هل أنتم مستعدين تقفوا معانا وتعادلوا اللي بتاخده اسرائيل ٠٠ بالنسبة لنا والا لأ ٠٠ ده نمرة واحد ٠٠ نمرة اثنين هل أنتم على التحليل اللي عملناه في ابريل اللي فات لازلتم معانا في أنه ما لم نكون على أرض صلبة يعني نكون جاهزين عسكريا ٠٠ مش هايحصل أى تطور سياسي والا لأ ٠٠ فراح عزيز ٠٠ واتكلم وياهم دخلوا في مناقشات عنيفة ٠٠ فالسؤال الملح اللي كانوا بيسألوه ٠٠ ليه الشكل (Form)اللي تمت بيه العملية ٠٠ العملية في ذاتها أمر يخصنا ٠٠ سيادتكم وأنتم أحرار تتخذوا القرارات اللي انتم عايزنها ٠٠ لكن الشكل (Form) الاخراج اللي

أخرجت بيه ليه •• فرد عليهم عزيز قال لهم •• طيب ويعني والشكل اللى انتم عملتوه لما يبعث لكم وتؤجلوه وتسيبوه شهر وهو قاعد يحسب باليوم وبعدين حتى الرد بعد شهر ما بيذكرش فيه شيء عن الرسالة اللى بعتنها لكم •• والنقط اللى طلبها وانتم بتكلموه في الموقف •• هل ده (Form) كمان يعني •• فمردوش في هذه النقط يعني •• هو ده اللي مزعلهم كله Form هم حريصين أشد الحرص •• زى ماقال لى حافظ الاسد •• أن يحافظوا على علاقتهم بمصر لانه •• ثبت لهم انه ضياع مصر مش مصر بس •• ضياع مصر معناه ضياع المنطقة كلها . ولا بديل لمصر •• لا سوريا ولا العراق حتى لو تمت المعاهدة •• و •• و •• ولا أى شيء تانى ممكن يكون بديل •• وخصوصا وانه حصل حاجة عمرهم ماحسبوها أبدا •• لأول مرة في التاريخ من أيام القياصرة تحصل روسيا على اعتراف من أمريكا فى اجتماع عشرين مايو بوجودها ومصالحها فى الشرق الأوسط •• بدل ماكانت سياسة الاحتواء والحصار لحلف جنوب شرق آسيا والاطلنطى •• الرابطة اللى عملها دالاس زمان عشان يكتف الاتحاد السوفيتى لأ •• نيكسون وهو هناك رسميا •• الكلام ده رسمى مش تكهنات اعترف للاتحاد السوفيتى بوجود مصالح له فى منطقة الشرق الاوسط • واتفقوا أكثر •• انه كل منهم يحترم وجود الآخر •• طيب •• الحلم ما تمش الا فى اليومين دول وخذوا هذا •• أقوم أنا آجى أروح قايل لهم لا لا وجود ولا مصالح لكم فى الشرق الاوسط ، فدى تعباهم جدا • بس مش قادرين يتكلموها •• قادرين يقولوها •• من هنا حرصهم الشديد على الرد أو على ابقاء العلاقات مع مصر •• وقالوا لعزيز بصراحة سياستنا لم تتغير •• سياستنا هى المساندة الكاملة لمصر •• القرارات لم تغير من موقفنا بالنسبة لمصر •• احنا حريصين على مصر •• كل هذه التأكيدات قالوها وسجلوها على نفسهم •• وبالاسلوب الجديد اللى احنا عاوزينه •• وهو أنه زى ما قلت لكم أنا كان دائما فى الاربع مرات اللى قلت لكم فيها وزى ما أعلنت فى اللجنة المركزية وأعلنت فى كل مكان أنه فى الاربع مرات اللى رحت فيهم كنت زى ما بقول لكم فيه مبدأين •• أرجو ان احنا مانتساهمش •• **أنا مش عايز عسكرى سوفيتى نمرة ١ يحارب لى فى معركتى ولن يحاربها غير العسكرى المصرى بتاعى • الحاجة الثانية احنا لا نسعى لمواجهة بين الكتلتين لأن اللى يسعى الى هذا مجنون بلا شك •• مش عايزين مواجهة بينهم وبين الامريكان •• فعلى أساس المبدأين دول •• علاقتنا قائمة** •• همه ما كانتش الصورة واضحة

فى ذهنهم شوية •• واحنا من جانبنا كان حصل انه خليناهم تجاوزوا الحد اللى لازم يقفوا عنده •• نتيجة الفترة السابقة ما بعد ٦٧ •• ونتيجة التصرفات أو الفهم اللى كان موجود فى ذلك الوقت الحقيقة من ناحية القوات المسلحة أنها محتاجة لخبراء ومستشارين ومعاونة وكذا وكذا ••

وحجم الهزيمة وحجم النكسة ·· هل هذه كانت عوامل هى اللى أدت الى تواجد الخبراء والمستشارين لغاية المستويات اللى تواجدوا فيها ·· وبعد ذلك حدث تجاوز أيضا فى مهمة المستشارين والخبراء وكان التجاوز بيتم حته بحته ·· على فترات طويلة الى أن وصلنا للوضع اللى أحنا فيه النهارده خلاص ·· خلصنا من الكلام ده كله · وهم داخلين المرحلة اللى جاية معانا واضح تماما لأن عزيز كان حريص فى المحضر ·· وأنا قرأت المحضر كله بالكامل ·· كان حريص على أن يقول لهم فضونا من الكلام فى اليمين واليسار · وكل حاجة نعملها تقولوا اليمين واليسار وتقدمية ورجعية ·· واستعمار ·· والحاجات دى احنا عندنا معركة وتحرير أرض بس ·· معندناش لا يمين ولا يسار ولا أى حد خالص أطلاقا ·· ولا فى داعى ·· واحنا كده بوضعنا اشتراكيين مش عشان خاطركم احنا اشتراكيتنا عملناها لأن ده لصالح بلدنا ولصالح شعبنا وحل حتمى بظروفنا اللى احنا فيها ·· كنا بنحارب الاستعمار من قبل مايكون لنا صلة بالاتحاد السوفيتى ·· يوم ما ضربنا حلف بغداد ٥٤ ، ٥٥ كنا لسه ما عملناش صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى ولا دخلنا فى تعامل ولا نعرفه ولا يعرفنا ·· وهدينا حلف بغداد ·· شرح لهم كل هذا الكلام وقال لهم لا احنا مستعدين للكلام فى اشتراكيتنا ولا كلام فى وضعنا ولا نظامنا ولا حاجة ·· عايزين تساعدونا على كده أصدقاء أهلا وسهلا ·· مش عايزين أنتم احرار ·· معاكم والأصدقاء ·· و ·· و ·· وفى تقديرى أنا أن النقطتين الايجابيتين اللى طلعوا من زيارة عزيز همه النقطتين الاثنتين النقطة الاولى هى : الاتحاد السوفيتى دخلناه الفورمة والقالب اللى أحنا عايزينه ·· وهو أنه تعاون أصدقاء على قدم المساواة ·· اللى بيعجبنا بنقول آه ·· واللى ما بيعجبناش بنقول له ·· لا ·· وعملية الاوضاع السابقة اللى كانت موجودة بالنسبة لقواتنا المسلحة أو بالنسبة حتى للداخل هنا كل ده انتهى بالقرارات بتاعة ٨ يوليو والى غير رجعة ·· وفهم الاتحاد السوفيتى هذا ·· وسعيد أن احنا بنقبل أنه يخش معانا على أساس من هذا الفهم للمرحلة دى ·· دى النقطة الايجابية الاولى ·· الحقيقة ·· النقطة الايجابية الثانية أنه عشان يثبت أنه فعلا متجاوب دخل فى تعاقدات فى المرحلة اللى جاية بناء على هذا الكلام ·· بقى أنا قلت لعزيز أنه لاثبات حسن النية اذا كان صحيح حريصين أنهم يثبتوا حسن النية للمرحلة اللى جاية ·· احنا ما بنتكلمش عن القديم لانه زى ما قلت لكم عزيز ما كانش رايح عشان يناقش القديم أبدا ·· حتى ابتدى جلسة المفاوضات معاهم قال لهم مفيش داعى تتكلم على القديم ·· نتكلم عن المرحلة الجديدة ·· نشوف هاتمر على ايه ·· فقلت انه لاثبات حسن النية والله الكلام اللى طلبناه قبل كده وبالحاح ولا جاشى رد عليه عايزين رد عليه ·· اذا كان صحيح

بيثبت أنكم ناس عايزين تتعاونوا معانا بالنسبة للمرحلة اللى جاية ·· فبالتحديد الميج (···) اللى هى القاذفة يعنى ·· و ·· وسرعة التوريد والتدريب هنا فى مصر لان خلاص مش مستعد تانى أخش فى عمليات مجهولة بالنسبة للتدريب هناك أتأخر ·· فحلفوا أغلظ الايمان أنه الطيارة لسة فيها أخطاء وكذا ·· ولسه ماهيش جاهزة ·· و ·· و ·· سيبدأ الانتاج فى مايو اللى جاى ·· وأنهم فى الربع الثالث من ٧٣ الربع الاخير مش الثالث ·· مش كده ·

عضـــو ـ الثالث ··

الرئيس :

الثالث ·· يعنى سبتمبر ·· الربع الثالث من ٧٣ بيدوا سرب وأنا كنت قايل لمبارك ·· فمبارك معطاشى كلمة فى حاجة ·· لانه قال لهم ابعتوا لى المواصفات بتاعتها قبل ما نتكلم فى أى حاجة فيها ·· لازم تيجى المواصفات كاملة ونشوف الطيارة وكان هذا موقف حافظ الاسد لانهم عرضوها عليه وحافظ برضه تراجع الحقيقة ما استعجلش فى هذا الكلام معاهم على أساس أنه قال لهم لازم أشوفها الاول ·· لانه هو طيار حافظ ·· قال لهم نشوفها الاول لاننا مش مستعدين نخش فى حاجة لسة ماشفنهاش ·· فى الربع الثالث سرب قام عزيز قال لهم طيب سربين ·· قالوا طيب يعنى ده أول كلام بس لانهم كانوا بيتكلموا من الورقة زى العادة المكتوبة فى المكتب السياسى ·· يعنى سرب من سربين الحكاية مش مشكلة ·· انما التحديد ·· الربع الثالث ·· من ٧٣ على أن الطيارين يسافروا فى مايو ٧٢ عشان يخلصوا تدريب ويجيبوا الطيارات وييجوا ·· ليه لان التدريب فى مصر زى ما طلب عزيز قالوا له مستحيل لان مفيش ميادين تدريب ولا فيش تجهيزات تدريب ولا حاجة لازم فى الاتحاد السوفيتى ·· ومايو بالذات ليه لانه طيارة التدريب مش هاتكون جاهزة عندهم قبل مايو ·· ففى مايو يقوم الطيـــارين بتوعنا يتدربوا هناك ويجيبوا الطيارات وييجوا ·· حاجة تانية قالوها ·· احنا كنا وعدنا بصاروخ (أرض ـ أرض) وكنا قلنا أن الصاروخ الارض ـ أرض بتعمل عليه تجارب ·· والتجارب دى خدت وقت ·· التجارب خلصت ونجحت واحنا جاهزين وفى أوائل سنة ٧٣ هانخطركم بمواعيد استلام صاروخ (أرض ـ أرض) ·· طيب ·· نلاحظ هنا بقى ايه ·· زى ما قلت لكم النقطتين الايجابيتين فى الزيارة كانت نمرة ١ دخل الاتحاد السوفيتى الفورمة اللى احنا عايزينها بالكامل بالشروط اللى احنا عايزينها ·· النقطة الثانية دخل فى تعاقد جديد ·· ما بيهمنيش التواريخ دى كلهـــا لان ما عولتش كثير عليها ·· أنا بيهمنى بس الشكل أنه قبل أن يدخل فى تعهد جديد أثباتا لحسن نيته أنه عايز يتعاون معانا ·· ليه لان أنا كنت

محدد في ٣١ أكتوبر في رسالتي لبريجنيف اللي راحت في ٣١ أغسطس قلت له ·· بالتحديد وبالنص ·· قلت له في ٣١ أكتوبر موقف فاصل بيننا ·· فهل بيتفادي هذا الموقف الفاصل عشان ·· لان كان فاهمين هم كويس أن المعاهدة والتسهيلات وكل ما هو باقي لهم ·· يعني لما نخش في سياسة القطع ·· هايبقى المعاهدة والتسهيلات تخلص وينتهي وخلاص ·· فهم مش عايزين هذا ·· اللي بيهمني يقول الشكل أنه دخل في تعهد جديد لكن المضمون وهي التواريخ ·· طبيعي الامر ببساطة كده لما نحلله ·· نلاقي أنهم برضه بياخد الاسراع في ايديه مرة أخرى ·· انه لسة في أوائل ٧٣ يقولك امتى هايديك الصاروخ ويمكن يقولك على الربع الثالث أو الربع الرابع ولو أنه بيقول أن الصاروخ خلص مابيقولوش أن الطيارة خلصت ·· بيقول أن الصاروخ انتهى خلاص وكامل وجاهز ·· أما مواعيد التوريد أديها لكم في أول ·· برضه بيحتفظ في ايده بالاسراع سواء بالنسبة للصاروخ أو بالنسبة للطيارة ·· وأنا ماكنتش باعت عزيز علشان يتفق لي على سرب أو سربين مش دى النقطة الجوهرية ·· النقطة الجوهرية اللي هي محل نقاش بيني وبينهم هتكون في المرحلة اللي جاية ·· قبل اجتماعي ببريجنيف هتكون انه أنا ما بعتش عزيز علشان سرب أو سربين ·· كويس أنك تعهدت بسرب أو بسربين كويس ·· أنا ما أرفضش هذا ·· وهي مش مشكلة يعني ·· لكن لا التاريخ يناسبني ولا هو ده اللي بطلبه ·· دنا عايز أعرف هل أنت مستعد لتقف معايا وتخليني ·· كل سلاح بيجي عند اللي قدامي بيجيلي زيه ·· مثلا الصاروخ بتاع الطيارات اللي هو (شرايك) ·· جه الشرايك ·· بكرة الصبح فوجئت بسلاح جديد ·· هل أنت جاهز انك تقف معايا وكل حاجة قدامي جديدة بتقف معايا فيها وتعوضني أو توجد لها حل ولا لا ·· بس هو ده الاساس اللي أنا عايز أتكلم معاهم فيه ·· انما أنا بأعتبر أن زيارة عزيز نجحت للنقطتين الايجابيتين دول ·· ولشيء أساسي متفرع عن النقطتين الايجابيتين ·· انه ال Flow الامداد ·· معدش مقطوع لان أنا كنت بأجهز نفسي على ٣١ أكتوبر أن أواجه بظرف أن الامداد ال Flow العادي بتاع القوات المسلحة العادي يقف ·· ليه نتيجة المقاطعة ·· نتيجة للنقطتين الايجابيتين ·· أنا بأعتبر الشيء الأساسي اللي أنا حصلت عليه هو ال Flow العادي بتاعكم ماشي وماشي بقه بطريقة غير بتاعة زمان أظن أنتم لمستوها هناك يا مبارك ··

قائد القوات الجوية : أيوه ··

الرئيس : ماشي غير طريقة زمان ·· لانه دلوقتي خايف جدا أنه يتعهد بشيء ومايبعتوش في وقته أقوم أعلنها أنا زي ما حصل وكشفت الموقف ·· ومقدروش لغاية النهاردة ينفوها أمام العالم ولا أمام اي حد ·· لان

الوعود والتعهدات كلهـــا التى أعطوها لى ‥ هم أن كان بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين معاهم ‥ لم تنفذ ٠ آدى نتيجة زيارة عزيز ‥ نيجى بقه للموقف النهاردة اللى أنا جامعكم علشانه ‥ **وأنا اتكلمت ويا صادق ‥ وكلامى مع الفريق صادق كان أنه ما أقدرشى أخش أبدا الجولة التالية اللى هى المضادة بعد الانتخابات الامريكية ‥ ما أقدرشى أخش أبدا الجولة اللى جاية واحنا فى الموقف اللى احنا فيه ‥ بدون تحريك الموقف عسكريا ٠**

طيب ليه ؟ ‥ ببساطة وأنا داخل الجولة التالية لازم أكسبها ‥ ليه السر فى أمريكا فعلا روجرز راح للزيات وزير خارجيتنا وهو هناك ‥ وقعد معاه ‥ وكاد يرتمى فى أحضانه ‥ انه موافق على كلام السادات احنا ما بنقولشى حاجة ‥ كلامه مهتمين بيه جدا ‥ وكل ما قاله بنفسه بالحرف ‥ يبقى ايه اعتراضكم بقى ‥ **لكن ده مجرد كلام زى ماحكيت لكم المبادرة ‥ أمريكا بتلويها علشان بتعمل منها حل جزئى ‥ مش زى ما أنا ما قلتها ‥ أنا بأقول المبادرة لما عرضتها** ‥ وبأقولها وقلتها ومتمسك بيها ‥ انه انسحاب مرحلة أولى ـ ٦ أشهر ايقاف اطلاق نار رسمى يعلن من جانبنا ٠ عبور قواتنا بلا قيد ولا شرط ‥ فى نهاية ٦ أشهر ‥ اذا لم يتم الحل النهائى يبقى على قواتنا أن تكمل واجبها لتحرير الارض واحنا لا يبقى لينا أى وقف اطلاق نار ‥ وكمان القناة تنفتح ‥ والكلام ده كله ‥ يبقى الكلام بتاعنا ٠

كلام أمريكا ايه النهاردة اللى ابتدأت بيه ؟ ٠ كلام أمريكا ‥ المبادرة احنا جهزناها ‥ فتح قناة السويس ‥ عبور قواتكم ‥ واسرائيل جاهزة لعبور قواتكم ‥ بس بيجى بقه يقول ايه ؟ ٠ وقف اطلاق النار وتحديده ‥ طيب مادام حنخش فى جو السلام ‥ والاسرائيليين داخلين مسافة كبيرة جوه سيناء ـ وده الاغراء ـ وحتفتحوا قناة السويس ‥ طيب ما يعنى نخلى العملية بتاعة الحل النهائى لمفاوضات فى المرحلة الثانية ‥ اللى هى ممكن تقعده سنتين و ١٠ سنين و ١٥ سنة و ٢٠ سنة ‥ ونبقى فقدنا فلسطين وفتحنا قناة السويس وراحت القضية على طول ‥ يقبلوا المبادرة علشان يعملوها حل جزئى ‥ والكلام ده حيلاقى اذن صاغية فى أوروبا الغربية ‥ ليه ؟ ‥ لما يقولوا لاوربا الغربية ‥ فتح قناة الســـويس ‥ وعبور القوات المصرية ‥ أوربا الغربية حتقول أنت مش موافق ليه ‥ ولو عبرنا فعلا وفتحنا قناة السويس فعلا ‥ ووقفنا فى نص سيناء فعلا ‥ يبقى انتهى نص سيناء التانى ‥ والقضية ماتت ‥ وفى الرأى العام العالمى خلاص فقدت أهميتها نهائى ‥ وتيجى تتكلم ‥ يقولوا لك أنت بتتكلم فى ايه ؟ ما أنتم خلاص ابتديتم فى العملية مع بعض ٠ خلاص ‥ يعنى مشوا خلاص

وتفقد أهميتها •• ده التحايل الجديد اللى داخله بيه أمريكا وده اللى أنا تنبأت به فى أغسطس الماضى حتى حافظ وهو عندى قلت له يا حافظ الامريكان حيشيروا المبادرة بتاعتي بعد التطورات الاخيرة • نكون صاحيين وجاهزين لهـــذا الكلام •• لانهم عايزين يقبلوها •• أنا الحقيقة فى أغسطس اتكلمت مع الفريق صادق وقلت له ما أقدرش أخش فى نوفمبر اللى جاى الجولة التالية اللى بيتقال عنها ديه • يعني نكون واضحين مع نفسنا •• ونكون صرحاء مع نفسنا •• مافيش حاجة اسمها حل •• ده احنا بس علشان عايزين نكسب وقت نستنى لما تيجى الفرصة •• وكمان عايزين ضغط عالمى •

ولكن من بكره من بعده من النهاردة فى كل وقت •• مافيش حاجة اسمها حل سلمى والحل السلمى معناه •• الاستسلام على طول •• ليه •• لان الشيء المؤسف اللى لازم تعرفوه أنه بعد سياسة الوفاق اللى تمت وانتهت ومعروفة فى العالم •• انتهاء الحرب الباردة وسـياسة الوفاق بين الكتلتين مين اللى فى ايده مفتاح القضية ؟ الكتلتين •• أمريكا هى اللى بتدى اسرائيل كل حاجة •• وهى اللى متعهدة بكل شيء •• وهى اللى واقفة •• وهى اللى حتحل •• وهى اللى بتحل •• الاتحاد السوفيتى لا دور له فى هذه العملية •• عملية اجتماع موسكو اللى حصل فى ٢٠ مايو •• المصيبة كبيرة •• ان الحلول اللى هاتيجى من أمريكا بعد الوفاق حتكون بمباركة الاتحاد السوفيتى • ويستنى لما نقبل احنا •• وعلى ذلك أنا قلت للفريق صادق فى أغسطس الماضى •• القرارات ما تكملش الا بأننا فى الجولة اللى جاية بعد الانتخابات الامريكية •• ماندخلش أبدا من موقف السكون اللى احنا فيه ده لانه موقف الضعف •• لابد أن تتحرك القضية عسكريا •• الصورة ايه ؟ بما نستطيع •• بما نملك بالمناورة اللى نستطيع نعملها بما لدينا • أنا قلت هذا الكلام وأنا فى يقينى التام ذلك الوقت أن الاتحاد السوفيتى أنا هأقطع معاه فى ٣١ أكتوبر •• وما كنتش متصور أنه حيلقط ويفهم أن مصر معناها المنطقة مش مصر لوحدها •• لكن لقط وفهم •• ووفر على أو على الاقل حط نفسه فى الوضع اللى أستطيع أنا النهارده أن أبلغه فيه أكثر ما بلغته فى المره اللى فاتت •• انه ما يقدرش يقطع الامداد عنى •• دلوقت فيه تعهد جديد •• وداخل فى تعهد جديد غير Flow العادى بتاعنا • برغم أننى أنا ما كنتش متوقع هذا من الاتحاد السوفيتى وأنا بأتكلم مع الفريق صادق فى نقطة البدء الا أن كمالة القرارات •• طيب عملت أنا القرارات وخلصنا من المستشارين والخبراء •• وأخذنا حريتنا فى كل شيء وانتهى و •• و •• لكن ماذا بعد •• وضعنا اللى احنا فيه • طب ما هو أمريكا حتعرض عليك المبادرة •• زى ما حكيت لكم كده بالشروط اللى هيه

بتقولها دى وتلاقى اذن صاغية فى العالم . نقطة ضعف . ازاى ما أنتوش قابلين والعالم يقول واضح أن القوات عبرت .. واضح ما بتقبلش ليه .. والعملية مفاوضات .. ومناقشات بينكم بقه .. و .. والكلام ده كله .. وبعدين طيب ما أقدرش .. طيب نحيى مهمة يارنج .. طب ٧٣ فاتت .. ٧٤ تفوت .. المهم أن كل هذا سيتم لانى أنا محركتش شىء .. قاعد .. طيب وهو يتحرك ليه .. الامريكان والاسرائيليين ياخدوا فى بالهم . طب خلاص ما قبلتش عنك ما قبلت .. خلاص .. أهى تفضل رايحة جاية فى كلام .. والاتحاد السوفيتى اللى هو واقف معانا .. موقف الصديق زى ما قلتلكم يهمه جدا أن هذه القضية تنتهى بحل سلمى .. لان دى استراتيجية لكن بس ماعندوش الشجاعة علشان يقولها . حتى ولو بتنازلات من جانبنا .. ليه .. لانه والله بدل وجع الراس .. لانه ما يعرفش حنورطه فى ايه على حسب تفكيرهم . وهو عمل سياسة وفاق .. وخلاص ده فى فيتنام اتفق .. فى الامن الاوربى اتفق .. فى الاسلحة الاستراتيجية اتفق .. فى كل شىء اتفق .. وعمل سياسة وفاق .. وحروب أخد .. واستثمارات لسيبريا أخد كله خلاص .. ورتب نفسه لعشرين سنة جاية مع أمريكا .. طب وجع الراس ييجى له مننا ليه . أدى خطورة المرحلة دى اللى احنا داخلين فيها ..

من هنا زى ما قلت لكم .. فى تصورى الكامل .. والاحداث تثبت هذا الكلام .. كمالة هذا أن احنا ما نخشش الجولة الثانية اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه . ما خدش هذا الامر أنا بعرضه أو باقوله علشان اخد رأيكم فيه . ماخدش هذا الامر لمصر هذا البلد خلاص .. ما عدش أمامنا فكاك .. وادى انتم شايفين النهاردة .. الحرب الدعاية اللى بتعملها اسرائيل فى المنطقة .. بهدف حملة نفسية شرسة علشان تقول ايأسوا يا عرب لا فائدة منكم فى شىء نحن متفوقين الى الابد .. ونستطيع ان نضرب اينما نشاء .. وقتما نشاء .. ولا تستطيعوا أن تعملوا شىء لنا أبدا واحنا قاعدين كأن اسرائيل دى طلسم أمامنا .. ومافيش حركة أبدا .. واذا قبلنا هذا الوضع يبقى مافيش ما يدعو للتكاليف اللى احنا بنتكبدها ونختصر الطريق .. ويمشى نلم نفسنا ونقبل حل أمريكى .. ومبادرة .. وبحل مقلوب وحل مدعوم ونروح نعمر مدن القناة .. ونفتح القناة ونخش سيناء وتعبر قواتنا وندخل زى ما بعض السياسيين العرب ما بيدخلوا . أنا لا ألجأ لهذا الاسلوب .

ان حبتوا للصراحة .. نحن اليوم أمام امتحان كقوات مسلحة .. فى الفترة الماضية أنا عملت كل ما أستطيع .. صبرت على الاتحاد السوفيتى بالكامل . وغطيت موقفهم . وفى يناير وفبراير ومارس من ٧٢ اللى احنا فيها دى النهاردة لما كانت البلد كلها .. المنطقة كلها قايمة .. كنت

أنا واقف فى ١٤ مايو فى البرلمان تذكروا ٠٠ ١٤ مايو وبأدافع عن الاتحاد السوفيتى بشراسة ٠٠ وكنت مستعد أخش معركة كمان مع اللى عايز يخش علشان أغطيه أملا فى أن احنا كنا عاملين استراتيجية اللى حكيت لكم عنها بتاعة ٥ أشهر ٠ وحنيجى ونجهز نفسنا ونقف ٠

ده ما حصلش ٠ وضع تانى ٠٠ قلت له لأ ٠٠ زى ما دافعت عنه بشراسة ٠٠ ووقفت معاه لآخر الشوط ٠ قلت له قف مكانك مهما كان ٠ الموقف مع الامريكان ٠ خدت ٧١ كلها ٠ شفت روجرز قابلته هنا واتقال على من المتآمرين أنى بأبيع القضية وبأبيع البلد للامريكان ٠٠ ماهيش مشكلة يعنى ٠٠ الهدف كله هو المصلحة ٠٠ مصلحة هذا البلد قبل كل شىء مجرد من أى حاجة ٠ وأنا عملت مع الامريكان كل ما يمكن عمله ٠ وقدمت المبادرة بتاعتى وأنا كنت مخلصا فيها ٠ هم يتصلون بى الآن ٠٠ قلت لهم أنا معتمد على حاجة إسمها سياسة الباب المفتوح ٠٠ اللى عنده حاجة يتفضل ٠٠ لو كان عند الروس حاجة بيجوا ٠٠ الامريكان عندهم حاجة تعالوا قولوا لى ٠٠ الانجليز عندكم حاجة اتفضلوا قولوا ٠٠ وأنا أول ما ألقى أنه ممكن بالنسبة لى ولبلدنا ولشرفنا بأقبله ٠ اللى ماهوش مناسب ما بأقبلوش ٠٠ فأنا معتمد على سياسة الباب المفتوح ٠٠ لكن تذكروا فى هذه القاعة ٠٠ وفى القيادة فى كوبرى القبة لما كنت بقعد معاكم ٠٠ تذكروا كويس أنى أنا كنت كل مرة بأجتمع فيها مع القادة السوفيت بأقرأ فى عينهم تساؤل ؟ بيقولوا امتى حتحاربوا ٠٠ امتى حتبقوا رجالة بس مش قادرين يقولوا لى ٠ الدور ده قالوا بصراحة لعزيز صدقى ٠ عزيز صدقى سأل سؤال لكسيجين وبودجورنى فى الجلسة أمام الوفدين ٠٠ فى المناقشة وهى محتدمة ٠٠ طيب لو فيه حته عندكم محتلة زى سينا ما هى عندنا محتلة تعملوا ايه ؟ ٠٠ قالوا نحارب ولو بالبندقية ٠ هو عايز يقول أكثر من هذا ٠ لانى أنا عارف الكلام اللى بودجورنى شتمنا بيه كعسكريين فى تركيا نتيجة الهزيمة بتاعة ٥ يونية بأبعادها المؤلمة اللى احنا كلنا عارفينها كعسكريين ماهياش تايهة عنا ٠

النتيجة أن المعسكرين شرقا وغربا صديقنا وعدونا لا ثقة لهم فينا ان احنا نقدر نتحرك ٠٠ أو نعمل عمل اطلاقا ٠٠ أو نتقبل تضحيات ٠٠ أو نناضل علشان نحرر أرضنا ٠٠ ونأخذ حقنا ٠٠ علشان كده بأقول لكم مافيش حاجة اسمها حل سلمى الا اذا كنا عايزين نستسلم ٠٠ كل العروض اللى جاية مبنية من منطق واحد ٠٠ هو أنك خلاص ألقيت السلاح ٠٠ وعليه فاستعد انك تقبل أى حاجة ٠ لانك ألقيت السلاح ومافيش معركة تانية ٠ هذه الحقيقة عند الاثنين عند الامريكان وغرب أوربا كله ٠٠ وعند أصدقائنا الروس ٠٠ عبر عنها الروس وقالوا: العرب مافيش فايدة فيهم ٠٠ مهما اديناهم سلاح مش حيحاربوا دول مش

بنوع حرب .. وقالوا ما هو أكثر من هذا فينا وده يمكن من الاسباب التي خلتني عجلت الآن .

لعلمكم برضه كان لا يمكن نبتدي نعمل أي حاجـــة والمستشارين السوفيت في وسطنا .. في وسط قواتنا .. أبدا ده مستحيل .. ده كان مبدأ أساسي عندي .

من ضمن الحاجات اللي خلتني الحقيقة اتخذت قراري وأنا سعيد .. ان معركتنا نعملها احنا . ونتقبل كل ما هو مقدر علينا حد تاني اطلاقا .. يعني نحط الاوضاع السليمة في محلها .. ونقف في الخندق السليم بتاعنا احنا بنحارب معركتنا .. بس ..

النهاردة زي ما قلت لكم .. نتيجة هذا .. نتيجة الموقف اللي احنا وصلنا اليه .. اسرائيل تعربد في المنطقة كما تشاء .. وبلا أي رادع من أي جهة كانت .. النهاردة اعتدت على لبنان وبتكسر حاجز الصوت فوق المدن اللبنانية كلها .. بتكسر لهم القزاز .. قبلها كانت في سوريا .. منتهى الوقاحة .. برضه الروس سألوا الاسد وهو عندهم ؟ طب لما ضربوك اليهود في ٧ أماكن في سوريا .. مصر لماذا لم ترد ؟ الاسد قال لهم حترد فين ؟ توصل لعمق اسرائيل ازاي ؟ هو أنتم اديتوهم اللي يوصلوا بيه عمق اسرائيل والناس اتأخروا ؟ يعني اتضح لي أننا توضع اليوم أمام مسئوليتنا وأمام الامتحان .

زي ما قلت لكم أنا غير مستعد أني أقبل حلول الاستسلام .. مش أنا اللي أقبلها أبدا . ولا أتكلم فيها مع أي فرد من الافراد .. لان الجلوس على طاولة مع اسرائيل معناه وأنا في هذا الوضع المهين معناه أني بأسلم . ماذا يبقى أمامنا ؟ .. يجب أن نثبت للعدو والصديق اننا نستطيع أن نناضل وأن نتقبل التضـــحيات .. ونحرك الموقف .. بالتخطيط مش بنرفزة ولا بعصبية ولا انفعال .. لا .. بالتخطيط تمام.

وده ميعادنا .. حتى في كلامي مع الروس في المرحلة اللي جاية .. أو كلامي مع الامريكان في المرحلة اللي جاية .. أو كلامي مع العرب في المرحلة اللي جاية .. أو كلامي مع الشعب هنا في المرحلة اللي جاية .. لن يكون له قيمة مع أي جهة من الجهات دي واحنا قاعدين في السكون اللي احنا قاعدين فيه .. **الكلام انتهى وقته ووصلنا الى نقطة التشبع .. بما لدينا يجب أن نحكم أمرنا نخطط .. لغاية ما نحرك القضية . بمعنى نولع حريقة .. عندئذ الكلام له معناه الكامل وله قيمة وسيظل الموقف العربي كما هو واقع الآن تماما . طالما أن احنا زي ما حنا في موقف السكون . لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب .. مع الامريكان .. مع الروس .. مع شعبنا .. أو في تقديري أن القضية بتنتهي الى السكون والموت .. انتهت .. انتهت ..**

انا قلت مرارا وحاقول انه لا امريكا ولا روسيا ولا اي حد حيحارب لنا معركتنا . او حيدينا اللى احنا عايزينه .. أبدا احنا لازم نحرك .. لازم نحرك الروس علشان يدوا .. ولازم نحرك الامريكان علشان يحلوا .. احنا قوة الدفع . وصلنا الى المرحلة اللى القضية فيها مهددة .

لقد اتخذت القرارات .. **وقلت للفريق صادق على الجولة اللى جاية . ما تدخلنيش الجولة اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه .. والا القضية تنتهى . واذا القضية انتهت على جبهتنا ، فانها تنتهى على الامة العربية كلها .. وعلى الجبهات كلها .. لانه مافيش هنا جبهة لها قيمة عسكرية غيرنا احنا** .. اسرائيل عارفة اذا صمتت جبهتنا انتهت القضية .. وانتهت الثقة اللى فى شعبنا بالتدريج حتنتهى .. النهاردة بنينا وضع وثقة .. وبنينا أوضاع .. كل ده حينتهى كله بالتدريج .. **للتاريخ . انا بأعتبر أن هذه جلسة تاريخ** .. لازم نفكر أيضـــا فى المستقبل .. واحنا بنفكر فى الحاضر .. والتجارب لازم تتحضر .. المعركة تنتهى على أى وضع .. وبارادة الله وبارادة هذا الشعب .. لن نخسر .. ولن يكون الوضع أسوأ من ذلك أبدا على أى وضع .. وعلى أى ظروف كانت .. أبدا .. ستنتهى المعركة .. طب ما هو الحل بالنسبة للمستقبل .. أنا بيهمنى .. فى قيادة القوات المسلحة بتاعتنا .. أنا جامعكم النهاردة .. لانه مثل ما بيشغلنا المستقبل دائما .. بيهمنا الحاضر كمان . ونشتغل بقى بتخطيط وبعقل مانشتغلش زى زمان زى ما حصل فى معركة ٥٦ .. وطلعنا من معركة ٥٦ وقلنا انتصرنا صحيح انتصرنا سياسيا .. عبد الناصر قلب الهزيمة العسكرية الى نصر سياسى . بس ماكانش لازم نقوله لقواتنا المسلحة . ولا احنا فى تخطيط يجرى لنا اللى جرى ونسيب العملية مثل ما حدث بعد ٥٦ بالشكل اللى جرى . لانه اللى حصل بعد ٥٦ .. انتصرنا .. انتصرنا . وقيادة القوات المسلحة صدقت أننا انتصرنا عسكريا فى ٥٦ وناموا وسابوا العدو .. فى نفس الوقت اللى اليهود قعدوا يحضروا من أول ٥٧ عشر سنين بالكامل العدو لغى وغير كل تكتيكاته .. وغير كل شىء . والنص جنزير وراح فيتنام وطور وجدد واشتغل ليل نهار .

واحنا هنا مافيش مابنعملش أى حاجة .. الا أن صدقى محمود الله يكرمه .. كل نوفمبر يقول .. أكبر قوة جوية فى الشرق الاوسط .. وقعدنا عايشين على التهريج ده .. لازم نفكر بأسلوب علمى للمرحلة الجاية . بالنسبة للمستقبل .. علشان تكونوا أمناء على هذه الرسالة .. للتاريخ .. لازم يكون لنا استراتيجية ونستطيع أن احنا نعمل على ٤ أسس : بالنسبة للجو وهو الاساسى .. ليه .. صحيح ليس هو الحاسم فى المعركة .. لانه زى ما احنا عارفين كلنا وعلمنا على عامى

الله يرحمه في الكلية الحربية ·· أنه فى النهاية المشاة (ضحك)
والدبابة علشانك (ضحك) · لكن وضح من الاستراتيجية اللى قدامنا
·· ما احنا كمان لازم نتعلم ·· هى كل المشكلة اللى احنا فيها النهاردة
ايه ·· إن أمريكا عاملة من اسرائيل حاملة طيران ·· بعيدة المدى ··
وكمان جايبة لها طيارات من التى تمون من الجو علشان تدى مدى كمان
فوق ٢٠٠٠ كيلو وهو مدى الطيارة ·· كمان ألفين زيادة ·· علشان
توصل زى ما بتقول لآبار البترول ولا جنوب السودان ولا لطرابلس
وتونس يعنى يوصل لاى حتة ·· أدى المشكلة بالنسبة للجو عندنا ··
معمول من اسرائيل حاملة طائرات فى المنطقة ·· وده مصدر التهديد
الوحيد النهاردة ·· هو التفوق الوحيد ·· أنا ما بأعترفش لاسرائيل
بأى تفوق على الارض ·· أنتم أكثر ناس تقدروا تقرروا على الارض ·
العسكرى الاسرائيلى شكله ايه ·· واجهتم ·· كثير منكم واجهوا هذا
الكلام ·· لكن التفوق الوحيد هو فى الجو يبقى بالنسبة للمستقبل
فى المرحلة اللى جاية ·· القاذفة المقاتلة والهليوكوبتر · تصنيع وليس
شراء · كفاية بقى ·· لان اسرائيل بتعمر ·· (الفوجا) ماشية اللى
بتشتغل من ٢٠ سنة بتشغلها اسرائيل لغاية النهاردة ·· لانها بتعمر ··
بتعمل كل شىء جوه عندها فى اسرائيل ·· ووقت اللزوم ·· هنا بعد
ما ضربوا طيرانا فى ٦٧ لو تذكروا ·· دخلت الفوجا ماشية فوق القاهرة
·· كانت الفوجا ماشية ·· بس تدريب ·· ما هو مافيش حاجة ··
دخلت فوق القاهرة ·· ما لم يكن لنا صناعة عسكرية ·· مافيش ··
يبقى بنحرت فى البحر ·· وما نكررش غلطة ٥٦ · قاذفة مقاتلة ··
وهليكوبتر ·· ده بالنسبة للجو · بالنسبة للبحر ·· بندور نشوف
محمود فهمى بيعمل ايه ·· استراتيجية العالم بعد ضرب ايلات كلها
اتغيرت ·· محمود فهمى بيعمل زورق يعطيه قوة نيران مدمرة بالكامل ·
العالم كله بيتجه لهذا مفيش داعى للقطع الكبيرة الضخمة دى اللى بتضرب
وعليها أطقم كذا ·· وكذا · فيه زورق عنده (عملت فيه تجديدات
عسكرية فنية) ·· زورق ·· ده بالاسلوب اللى ماشى فى العالم كله ··
ونتيجة الخبرة والدراسة ونتيجة معركة احنا عملناها ·· معركة ايلات
·· تغيرت استراتيجية البحرية فى العالم الآن ·

ده بالنسبة للبحر ·· وبالنسبة للجو ·

وبالنسبة للارض ·· الجنزير والنصف جنزير لابد يصنع هنا ··
لازم ·· ما يبقاش مسرح العمليات عندى فى الشرق ·· صحراء فى
الجنوب ·· صحراء ·· فى الغرب صحراء وفى الشمال بحر ·· كله
صحراء ·· واشتغل بالكاوتش ·· كان نوع من السفه الحقيقة مش
عارف سره أنا مش فاهم ·· ما كنتش عايزه ذكاء ·· فى الفترة الماضية

.. وكانت بعد الحرب الثانية كان النص جنزير فى أوربا معروف مرمى بتراب الفلوس .. بالتراب مرمى .. وخدته اسرائيل .. واحنا ماخدناش اشترينا الكاوتش علشان الصحراء ! ..

ويبقى البند الرابع وهو الحرب الالكترونية اللى هى ســـــمة العصر الجديد اللى احنا فيه .. وبدخولنا الحرب جهات كثيرة ممكن تعاونا فى هذا .. مش الاتحاد السوفيتى .. يعنى انجلترا جايز تعاونا فيه فرنسا جايز تعاونا فيه ..

بأعتقد أنه اذا غطينا الاربع بنود دول كاستراتيجية لنا فى البر والبحر والجو والحرب الالكترونية نستطيع أن احنا نقف فى بلدنا على رجلين ثابتة .. وعلى أرض ثابتة .. ونواجه أى حاجة .. وبعد ذلك بنتطور مع العالم فى كل ما يتطور ومش حنقف أبدا . ده بالنسبة للحاضر . وبالنسبة للمستقبل .. ودى كل الصورة اللى حبيت أقولها لكم .. واذا احتجتم الى أسئلة أنا مستعد لكم .

اللواء الجمسى : ما هو موقف سوريا بالنسبة للمعركة :

الرئيس : موقف سوريا أولا باعتبارها مواجهة ويانا موقف سوريا .. كان عندى حافظ الاسد فى اجتماع مجلس الرئاسة واتكلمت مع الفريق حافظ الاسد .. حافظ الاسد كل يوم بيزيد اقتناع عن اليوم اللى قبله انه لابد أن تتحد الجبهتان وتصدر الاوامر من هنا بأى عمل .. وعن قناعة أنه أى وضع حنتحرك فيه العمل .. حيكون أحسن من الوضع اللى احنا فيه النهاردة مهما كانت التضحيات اللى حناخدها .. واضحة جدا فى ذهنه علشان كده أنا كلفت الوزير صادق علشان يسافر ان شاء الله .. وينسق فى هذه الناحية .. وهما جاهزين .. لسبب بسيط .. مصيره كله متعلق بالعملية دى .. ولا يستطيع أن مصر تتحرك وهو يقف يتفرج وبعدين هو يعلم أنه لوحده يتاكل .. لكن مع مصر ممكن يكون فيه حاجة .. سوريا متمسكة انه لازم يتم التنسيق مع هنا بالكامل وفورا .. وحتى كان الاسد بيلح على أن الفريق صادق بيسافر له مباشرة بعد الاجتماع .. وأنا وعدته بس لما جت رحلة عزيز صدقى .. أنا قلت أحسن استنى برضه لغاية ما ييجي عزيز من موسكو وأتكلم مع الفريق صادق . وبعدين يسافر لهم ان شاء الله .. ده بالنسبة لسوريا .. الخلاصة فى كلمتين .. يعنى مرد الوضع فى سوريا الينا .

بالنسبة لليبيا . ليبيا عندها النهاردة طائرات .. رئيس الاركان هناك أبو بكر قال لى انه عمل خطة علشان فى ٦ ساعات تكون الطيارات عندنا هنا فى مطار من مطاراتنا .. فى قاعدة من قواعدنا .

اللواء الجمسى : بس عايزينها بطيارين ليبيين يا أفندم ؟

الرئيس : ما أعرفش أنا مدخلتش فى التفاصيل .

اللواء الجمسى : أبو بكر يونس قال لى ·· على أن تعمل بطيارين ليبيين ·· انما فكرة القوات الجوية بتاعتنا ·· ان الطيارين الليبيين مستواهم منخفض ·

الرئيس : والله أنا لا أبحث هذا هنا ·· أنا كل ما عندى الآن أن أبو بكر يونس جه قال لى أن فى مدى ٦ ساعات عاملين خطة فى ٦ ساعات تكون فى قاعدة مصرية · ده بيبحث بالتفصيل بقى ·· ده أمر عايز بقه المختصين يقعدوا بالتفصيل ويحطوه على الورق وواحـــد + واحد = ٢ اللى أنا عايز أقوله حاجة ·· يوم مايتحرك الموقف مافيش حد حيتأخر عنا ·· كل شيء عند أى حد من اخوانا ·· مش حيتأخروا اطلاقا لكن حالة السكون اللى احنا فيها بتضعفنا داخليا ·· بتضعفنا عربيا ·· أمام الصديق وأمام العدو ·· أمام العالم كله ·· بتبدى عدم ثقة ·· حتى الليبيين فى وقت من الاوقات ما كانوش مصدقين أن احنا ناويين نعمل معركة ونحرر أرضنا أبدا ·· دول فاهمين أن احنا ماشيين فى عملية الحل السلمى ·· حنخش فى الدوامة اياها ومافيش جدية ·· لغاية وقت قريب كانوا فاهمين هذا الكلام ·

اللواء حسنى مبارك : يا أفندم أقول حاجة عن موقف طرابلس أضيف عليها يعنى احنا سبق واتفقنا والفريق صادق موجود أن احنا حنشترك فى المعركة وحتكون مصيرية ·· وعملنا دراسة عن هذا الموضوع ·· وبعتنا لهم ·· هنا لما جم مصر آخر مرة وكان أبو بكر موجود قلنا له فيه أسرار لا تذاع ·· قال لا العقيد قال مافيش حاجة اسمها سر المعركة ·· الاخبار كلها معلنة الناس اللى مسئولين موجودين هناك اللى هما بيشرفوا على التدريب هناك ماجوش على الاشارة الاخيرة ·· حتى بعت اشارة للفريق أول صادق عن الموضوع ·· يعنى أنا ما أعرفش دلوقت عنده الطيارين اللى هناك حتى لو كانوا طيارين مصريين ! ··

الرئيس : يا حسنى ده مش شغل المجلس بتاعنا واحنا فيه حقيقة واضحة قدامنا ·· اذا كانوا ممتنعين ·· اذا كانوا بيناوروا ·· بيزايدوا ده وضع آخر ·· ده يبقى وضع سياسى ·· اذا كان فيه هرجلة ·· المفروض نوقف الهرجلة دى ·· مافيش حاجة حناخدها بالساهل أبدا ·· مافيش شيء جاهز حنلاقيه جاى قدامنا وحناخده ·

ايه يا اخوانا أخبار الجيوش ··

اللواء سعد مأمون : أخبار الجيوش من أنهى ناحية ؟

الرئيس : من كل ناحية ·

اللواء سعد مأمون : ماشى التدريب حسب السياسة الموضوعة والحمد لله كويسة ·· كان فيه تخفيض بالنسبة حتى لعمليات كنا مجهزينها ·· وكانت هيئة العمليات درستها ·

اللواء عبد المنعم واصل : من الناحية التدريبية ٠٠ التدريب ماشى تمام الروح المعنوية تمام ٠٠ اذا كنا هنخش المعركة بالتسليح اللى موجود فى ايدينا ٠٠ يجب أن احنا نقبل أي كمية خسائر ٠٠ لان زى ما سيادتك النهاردة عارف ٠٠ وضع الساتر الترابي وارتفاعه ١٨ر٢٠ متر ٠٠ وعمل مصطبة متصلة أمام واجهة الجيش على كامل مواجهته ٠٠ لضرب الهجمات عليها بحيث تضرب أى قوات تعمل على العبور ٠٠ ده هيحصل خسائر كبيرة بيها ٠٠

اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين : هوه فيه خطة موضوعة؟!

الرئيس : الدفاع الجوى ٠

اللواء محمد على فهمى : (تحدث على أسرار عسكرية لا يجوز نشرها عن بطاريات الصواريخ) ٠

الرئيس : نسيت أقول لكم أن عزيز اتفق معاهم على أن فيه وفد عسكرى ييجى من ١٠ الى ١٥ نوفمبر ٠

(ثم دارت المناقشة بين الرئيس وقائد القوات البحرية حول تفصيلات عن الممرات والغواصات والصواريخ ، وكلها أسرار عسكرية لا يجوز نشرها) ٠

ثم أثار اللواء سعد مأمون موقف الاتحاد السوفيتى وسأل الرئيس :

ـ أنا لا أناقش سيادتك عن واقع المعركة ٠٠ ان تحريك القضية عسكريا أمر حتمى ٠٠ لا أناقشه ٠٠ الموضـــــوع بتاعنا من الناحية العسكرية بنعمل ايه ونناقش ايه والموقف ايه وشكله ايه ٠٠ لا أناقشه ٠٠ بس أنا عاوز أستوضح حتة من الناحية السياسية من ناحية الاتحاد السوفيتى ٠٠ فهمت من سياق الحديث اللى سيادتك شرحته لنا كلنا واضح بس عاوز أستوضح نقطة ٠٠ رأى الاتحاد السوفيتى فى تحريك القضية عسكريا بعد الانتخابات الامريكية ايه ؟ ٠٠ ومتفرع منه سؤال آخر ٠٠ هم قالوا ووجهوا الكلام للرئيس حافظ الاسد ٠٠ لينقل لنا ٠٠ لما سوريا انضربت فى سبع مواقع ولبنان ٠٠ مصر عملت إيه ٠٠ ما سألوش سوريا ما ضربتش عمق اسرائيل اللى جنبها ليه ؟ ٠٠ الحتة دى ٠٠ أنا قمت بزيارة مع سيادة الفريق أول صادق فى يونية سنة ٧٢ للاتحاد السوفيتى ٠٠ كان الكلام لما كنا بنقول أن فيه أسلحة هجومية مطلوبة للقوات المسلحة كانوا بيعتبرونا برجوازيين وكانوا بيعتبرونا أن احنا جبناء ٠٠ وكانوا يعتبرونا أن احنـــا مهرجين ٠٠ ولاول مرة فى المباحثات الرسمية مع جريتشكو ٠٠ ثم مع أنه فى الحديث اللى دار بين بريجنيف والفريق أول صادق أنهم اعترفوا لاول مرة أن القوات المسلحة المصرية أسلحتها دفاعية ومن الآن حننظر فى موضوع الطلبات الخاص

بالخطط الهجومية للقوات المسلحة .. وأن السياسة الواضحة أنهم عايزين الامور تمشى ٧٢ ويمكن ٧٣ النهاردة فيما يختص بالقرار بعد زيارة سيادة رئيس الوزراء للاتحاد السوفيتى .. هل الاتحاد السوفيتى يبارك تحريك القضية عسكريا أم لا ؟

الرئيس : هو بالنسبة للحتة بتاعة حافظ الاسد هو الفريق حافظ أنا اللى سألته .. قلت له انت خسرت الثلاثة ليه .. طيب مادخلتش جوه ليه .. وضربت عمق اسرائيل والثلاثة السوخوى خسرتهم .. خسرتهم .. وكنت خسرتهم أحسن جوة فى عمق اسرائيل زى ما دخلوا فى عمقك .. اللى أنا عارفه بقه أن حافظ كان طول هذه الفترة قاعد فى غرفة العمليات .. فى قاعدة .. وطنى حافظ أى والله .. قال لى أنا اللى رجعت الطيارين .. أنا اللى خليت الطيارين ضربوا الجولان ورجعوا .. ليه ؟ .. قال لى قدامى على شاشة الرادار لقيت ناموس .. أسراب ناموس مش طيارات طالعين مستنيين .. قال لى قلت للاولاد الضباط ارموا فى الجولان وارجعوا .. أما لقى أسراب ناموس ومع ذلك ضربوا ٣ طيارات سوخوى .

لما نيجى للنقطة الاساسية وهى السؤال بتاع الاتحاد السوفيتى .. الاتحاد السوفيتى لن يغير موقفه الا اذا أرغمناه وأحرجناه .. بمعنى الاتحاد السوفيتى لا يريد أى حركة عسكرية .. وممكن أن يقف بس ما بيصرحش انما اللى فى قلبه ايه .. شوية تنازلات ونفض المشكل وبلاش هوسة .. ده سياسة الاتحاد السوفيتى الثابتة المقررة .. طيب أنا سعيد بزيارة عزيز صدقى ليه .. مش علشان تعاقدات جديدة زى ما قلت لكم أبدا اطلاقا .. تعاقدات جديدة ده لسة وضع أنا هابحثه مع بريجنيف ولما هاتشوفه وقبل ما أشوفه لسه هاخد كلام طويل .. هى العملية بتنتهى بسرب أو سربين .. العملية مش سرب والا سربين العملية مبدأ .. انه موقفهم معانا .. بالنسبة للتطور اللى بيحصل فى المعركة .. اللى سعدت به أنا ال Flow رجع .

استراتيجية الاتحاد السوفيتى لعلمك .. هى .. هى لن تتغير .. ولكنها تتغير اذا احنا اتحركنا وأجبرناهم وحطيناهم فى الوضع الحاسم لن يتغير .. واذا لم يتم شىء فى موقفنا .. نرجع نلف .. نلف .. نلف .. مع الاتحاد السوفيتى .. زى مع أمريكا زى مع العرب .. زى مع أوربا الغربية زى مع الكل .. أثبت وجودك .. أثبت أنك موجود يعترف الكل وغصب عنهم .. وها تبقى زى مانت اليوم اللى احنا فيه محدش ها يعترف بك .. وها تبقى زى مانت .. دلوقتى خلاص مفيش معركة ثانى انتهى .. زى الصورة اللى فى ذهنهم .. ان المعركة فى الشرق الاوسط انتهت .. ودى مهابرة .. والكلام اللى بيسمعوه ده

مهابرة بس من العرب لحفظ ماء الوجه ولكن مفيش حاجة تاني والعرب ليسوا أهل حرب وكفاح ولا تضحيات ولا حاجة أبدا ..

الفريق سعد الشاذلي : هل سيادتك ستقوم بتحرك عربى لحشد القوى العربية أو أن المعركة ستكون قاصرة على دول الاتحاد ؟

الرئيس : حدد كلمة حشد القوى العربية .

الفريق سعد الشاذلي : التحرك العربى على ضوء المناقشات القديمة اللى سيادتك عارفها وموقف الجزائر وموقف الدول الاخرى .

الرئيس : لأ .. أنا مش شايف موقف عربى ولا حاجة .. زى ماقلت لك مفتاح الموقف ياسعد ان ما حدش واخد مجال للرد لا فى العرب ولا فى غير العرب اطلاقا .

(ثم تحدث الرئيس عن تصريحات غير صحيحة لاحد رؤساء العرب) .. ثم قال :

ما حصلش كلام من ده أبدا اطلاقا .. مش بس احنا بنواجه موقف متفكك فى العرب وغير جاد .. احنا بنواجه مزايدات وكلام عارفينه ..

ثم أعرب الرئيس عن وجهة نظره فيما عرضته الجزائر من أنها ترسل سلاحا وقوات قبل بدء المعركة بثلاثة أشهر . وقال أن هذا غير عملى ، ولا يمكن أن يحدث فى الحروب .

★★★

ثم قال الرئيس : أنا قدامى اسرائيل ضاربة سوريا وضاربة لبنان وممكن قوى تضرب فى مصر وتعاقب زى ما هى عايزة فى المنطقة وتفرض علينا معاهدة .

وحسنى مبارك كان فى الجزائر بناء على طلب الرئيس بومدين . أنت كنت هناك امتى يا حسنى .

اللواء حسني مبارك : ما بقاليش شهر .

الرئيس : الشهر اللى فات .

الفريق سعد الشاذلي : على اعتبار أن المعركة لسة لم تتحدد يعنى انما لو سيادتك تكلم الرئيس بومدين على أن المعركة خلاص بدأت والتحضير لها وحتكون فى هذه الحدود .

ثم قال الرئيس : مغزى كلامى لكم كله النهارده مانحملش بقه مشكلتنا على حد . اللى نقدر نعمله نخطط بعقل ونعمله .. ونتحرك نولع حريقة للكل .. للعرب للصديق للعدو ولاسرائيل .. ونقف فى موقفنا السليم .. وزى ما قلت لعزيز صدقى وهو مسافر موسكو .. حيكون موقفنا ايه يعنى أسوأ من اللى احنا فيه النهاردة .. مش حيكون .. فى أى وضع من الاوضاع مهما واجهنا من تضحيات مش حيكون أسوأ من اللى احنا فيه النهاردة لانه هنقدم تضحيات وحنحط فى اسرائيل تضحيات

.. هى ما تستحملش .. احنا نستحمل .. مش حنكون أسوأ مما نحن فيه .. وأشرف لنا نموت واحنا واقفين على رجلينا أحسن ما نكون بنرتعش أو بنسلم .. بس مش هنموت .. مش الشعوب .. الشعوب مابتموتش أبدا .. أبدا ..

عضو : أنا فى تقديرى للموقف بأقول أن حتى بالفرض الامريكان اذا كانوا حيفكروا فى حل سلمى أو ناويين يحلوا هما واسرائيل فالامريكان من مصلحتهم واسرائيل مش حاقول حد تانى .. أحسن بقى يمكن أتهم بالمغالاة .. كلهم لهم مصلحة فى تدمير مصر أو القوات المسلحة المصرية اللى هى خطر مخيف اللى اسرائيل بتعمل حسابه فى المنطقة .. حتى لو حصل أنه فيه حل سلمى يكونوا فى وضع هما مستريحين فيه احنا نكون فيه تعبانين وياخدوا فترة بتاع عشر سنين راحة زى ما عملوا سنة ٥٦ وزى ما عملوا سنة ٤٨ وخلافه اللى هى الفترات اللى هو استريح فيها من وجود قوة كبيرة موجودة على حدوده الطويلة .. ولذلك لازم نفكر كويس جدا أنه يصح أنه هو قبل احنا ما نبدأ أى حاجة أنه هو يقوم بأى تلكك .. أنا جمعت اخوانى أيام ما ضربنا الطيارة بعد ما رجعت من بره ويذكروا هذا الكلام أنا قلته لهم .. قلت لهم فيه احتمال كبير جدا ولازم نحطه أن احنا نفاجأ بأن اسرائيل تبدأ هى علينـــا ضربة وحيمارس هذا الموضوع الامريكان .. مش عايز أقول ناس ثانيين كمان . لان الكل مصلحته حيشترك فى تدمير القوات المسلحة المصرية .. فى هذه الفترة . من قبل المفاوضات وقبل يعنى ما نتكلم من مصدر قوة . يعنى لازم برضه نحط فى اعتبارنا أن احنا لازم نخوض قريبا معركة دفاعية عنيفة جدا ستستخدم فيها اسرائيل سلاحها الرئيسى اللى هو سلاح الجو لان أنا ما أعتقدش من الناحية العسكرية أنها تقدم على عملية عبور برية أبدا .. ولازم نكون حذرين جدا من ضربة جوية مفاجئة أو من تركيز عنيف على مواقعنا أو على مواقع داخل أراضينا فى عمق أراضينا فجائى .

مش لازم يعنى مانقعدش بقه فاهمين أن احنا نحصر الوقت المناسب بتاعنا والحتة المناسبة بتاعتنا والكلام اللى احنا بنفكر فيه دلوقتى بس ؟

الرئيس : أنا قلت هذا الاحتمـــال من زمان .. دا أنا بأحكيه لكم وأقولكم يعنى من فترة .. من الصيف وأنا متهيأ لى أنه قبل الانتخابات يعنى لو أنا محلهم هناك قبل الانتخابات لازم أضرب . ليه ؟ .. لان اسرائيل النهاردة من بعد قرارات الروس وخروجهم من المنطقة بدأت تطنش مع أمريكا شوية .. تحليلهم هكذا على المدى الطويل الامريكان وغرب أوربا .. الشىء اللى كانوا بيشتغلوا عليه وهو أن الاتحاد السوفيتى هنا وهما قاعدين عشان يقاوموه وعلشان كده بيسحبوا من أمريكا ومن

غرب أوروبا ومن كله تأييد .. خلاص .. خلص . تحليل من داخل اسرائيل جانى أنه بيقولوا .. على المدى الطويل أن احنا حنكسب أمريكا وغرب أوروبا الاثنين وعليه يعنى العملية اللى عملوها فى لبنان وكسروا القزاز .. و .. و .. و .. كل ده بيعملوه ولا هامهم ولا هم سائلين .. ليه .. يعنى لو يفكروا صح لازم قبل الانتخابات علشان يحطوا أمريكا والكل فى Corner انه يبقى الكلام .. الحل بيجى على اللى جرى فى الضربة دى مش بتاع يونيو ٦٧ .. ينقلوا الكلام بدل ما نتكلم على حل القضية .. لا .. على اللى جرى فى الفترة الاخيرة ويوقفوا اطلاق النار .. عدونا خبيث .. بيشتغلوا بمخطط واسع كبير قوى قوى وقاعدين يحسبوا براحتهم .. عندهم كل اللى همه عايزينه وبراحة .

اللواء على عبد الخبير : اذا كان سيادتك تسمح أسأل .. يعنى نقطة أستوضحها .. سيادتك بتحدد ميعاد اجراء الانتخابات الامريكية كموعد محتمل سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحيتنا فى جمهورية مصر .

الرئيس : بعد الانتخابات بالنسبة لنا .

اللواء على عبد الخبير : بالنسبة لنا بعد الانتخابات .. وهذا الموعد يجوز بالنسبة لاسرائيل .. فى الوقت نفسه الموقف بالنسبة لروسيا لم يتغير من ناحية التسليح .. بيتهيأ لى خلال السنتين الاخيرتين لا يوجد أى نوع من التغير اطلاقا . أو أى نوع من الزيادة . فيه تأثير نتيجة استهلاك بعض المعدات واستهلاك الذخيرة أو أى استهلاك خلال الفترة .. نواحى النقص الاساسية اللى هى موجودة وقائمة بيننا وبين اسرائيل فى نواحى الطيران لم يتعدل الموقف فيها حتى الآن . فى خلال المدة دى . الاتفاقية التى تمت وكلها حاتتم فى خلال ٧٣ وما بعدها ولن تؤثر على الموقف الحالى .. هل ده ما يكونش له تأثير على موقف القوات المسلحة فى حالة دخولها ، مع حساب موقف الطيران الاسرائيلى ، وموقف قواتنا وما يترتب عليه من خسائر .

الرئيس : برضه ما فهمتش التحليل الاولانى يا على أما نيجى أمام قدر .. يعنى لو أنا خدت بهذا التحليل فى ٨ يوليو وحسبت على هذا النمط ماكانش لازم آخد قرارات ٨ يوليو خالص .. بنيجى لحظات عليك أن تواجه قدرك فيها .. اذا خدنا بتحليك ولا سنة ٨٠ هنتحرك .. يبعوض هذا الكلام اللى أنت بتقوله تخطيط سليم لسد الفجوات اللى عندنا بيعوضه أن نفهم طبيعة المعركة اللى أحنا بنواجهها ونفهم الناس اللى حتخش المعركة طبيعة المعركة وأنه الروح .. روح القتال وروح الجندى الاستبسال والتشبث بالارض و .. أو .. وكل ده أسلحة لازم نستخدمها علشان نعوض النقص اللى عندنا لازم .. كقائد سياسى أنا النهارده

وباواجه الظروف اللى احنا فيها .. فى سنة ٧١ أنا أديت براح كبير وأمام الوضع اللى أنا فيه تحدت وقت واتكلمت مع الامريكان .. واتكلمت مع الروس وطولت .. وزرت روسيا ٤ مرات وتحركت فى كل الاتجاهات وبذلت كل ما يمكن بذله .. تلخص الموقف فى الآخر أنه هل أنت موجود ولا مش موجود .. كشعب وكقوات مسلحة .. دى اللى أنا باواجهه النهاردة ..

اللواء على : أنا من سنة ٦٧ وأنا أعلم أن الروس موقفهم لم يتغير من يوم ما عملنا اتفاقية معاهم .

الرئيس : بس أنا مش معاك فى أنى أحمل الروس المسئولية يا على .

اللواء على : لا أنا ما أحملهمش المسئولية .

الرئيس : عايز ايه أكثر من واحد سلح لك جيشين . سلح لك جيشين بس بالسلاح اللى هو عايز يديه لك .. لكن سلح لك جيشين حقيقة واقعة ولا لأ .. ؟؟

اللواء على : الروس بيقرروا سياسة لهم وبينفذوها واحنا عاطفيين من بعض النواحى فبنطلب منهم أكثر من السياسة بتاعتهم ما بيستجيبوش .

الرئيس : طيب ايه دخل ده فى أنك تكون أو لا تكون . ايه يعنى . ؟ همه الروس اللى بيخلونى أكون أو لا أكون .

اللواء على : لا احنا على أساس نكون أو لا نكون هو ده (الوضع) . انما علشان نكون لازم يكون كل شىء من أجل أن نكون .

الرئيس ــ لا كل شىء بقه أنا مش معاك مفيش قائد عسكرى ابتدا معركته بكل شىء قدامه .

اللواء على : لا مش كل شىء معايا يافندم .. باقول كل شىء فى الدولة .. كل فرد زى أى دولة تدخل الحرب تجند كل امكانياتها فى سبيل المعركة ..

الرئيس ــ ملكش دعوة بالدولة .. ده شغلى أنا .. الدولة بتطلع من بقها لقمة العيش والدولة يوم ما تتحرك أنت .. أنا باقولك مش على موقف العرب ومش للروس ومش للامريكان .. لشعبنا قبل دول كلهم .. يوم ما تثبت أنك موجود ان شاء الله تقلعهم الهدوم هايقلعوها ويدوهالك . لكن شعبك شانه شان أى حد تانى النهارده . فيه معركة ولا مفيش . التساؤل ده موجود عند ناس طيبين .. مش عند الحاقدين .. لا .. فيه معركة ولا مفيش .. عاملين ايه .. احنا بنواجه القدر وساعة الانسان ما بيواجه ظروف وقدر يبقى فيه خطر محسوب .. نخشى .. بنقبل ونخشى المحسوب .. اذا ترددنا .. بنقبل .. ما بنقبلش .. الحال حايبقى على ما هو عليه بل اسوأ .. الوضع عندى فى الداخل قبل ما اكون باتكلم على العرب ولا على الروس ولا على الامريكان .

اللواء علي : نقبل الخطر المحسوب ..

الرئيس : آه طبعا ..

اللواء علي : مفيش بدل .. نعمل على تلافي الخطر .. يعني .

الرئيس : أمال بأقول تخطيط يغطي الفجوات ليه ؟ ما عادش امامنا من سبيل يعني حاولنا .. وعملنا كل ما يمكن عمله وأمامي لحظة من لحظات القدر النهارده .. هل احنا موجودين ولا مش موجودين بس .

الفريق عبد القادر حسن (نائب وزير الحربية) : الحقيقة يعني احنا من وقف اطلاق النار واحنا أملنا جميعا يستمر الوضع .. أحسن وضع وصلنا له هو الوضع بتاع يوليو سنة ٧٠ هل المطلوب . أو التركيز .. من الكلام اللى سيادتك قلته ان احنا نقوم بعمليات نشطة ومحدودة أو بمهمة تحرير الارض . هنا فيه فوق . الهدف الاول المحدود هو للتنشيط عسكريا وليكون فيه أساس سياسي أو قاعدة نتحرك فيها . طبعا مختلفة عما اذا كان التخطيط أو الهدف هو تحرير الارض .

الرئيس : في أغسطس ادينه للوزير .. وهو .. كسر وقف اطلاق النار .. كسر وقف اطلاق النار .

الفريق عبد القادر حسن : هو بس فيه نقطة .. انه عملية الدخول في الارض .. تحرير الارض فيه .. موضوع الاستهلاك المستمرة .. والاستهلاكات المستمرة لازم يكون الاحتياطات الموجودة كافية باعتبار أن اعتمادنا على الصديق أحيانا فيه بعض احتياجات استراتيجية مش هايدينا . انما اذا كان بالغرض اللى سيادتك حددته .. يبقى شيء آخر .

الرئيس : محدد من أغسطس .

الفريق عبد القادر حسن : المعركة حتي لو أردنا أن تكون محدودة قد لا تكون محدودة .

الرئيس : طبعا مفيش شك .. ده طبيعي ..

الفريق عبد القادر حسن : انما هي قد تبدأ من هجوم مننا طبعا . وطبعا سيادة الوزير يظهر عنده خطة .. انما احنا مش حنمتلك انها تكون محدودة أو في مكان أو في مدة محددة . بمعني أني أنا في تخيلي للعمليات أن على قدر الامكانيات الموجودة عندنا نقدر نبدأ عملية محدودة ، لكن حتنقلب العملية بشراسة من اسرائيل . وحتنقلب نهايتها الى معركة دفاعية . حنخوض معركة دفاعية مع تعديل في بعض القوات الموجودة في سيناء . في بعض المواقع اللى هانكسبها باذن الله . لكن حتنقلب الى وضع دفاعي واسرائيل حتستمر فيها لانها ما زالت عندها التفوق الجوى .. الورقة اللى بتلعب بيها .

هنتعرض لموقف أن العمق بالذات هو الكلام بتاع محمد على فهمى اللى قاله ليس جميع أهدافنا الحيوية تدخل ضمن خطة الدفاع بالصواريخ .

وطبعا حتى الاهداف اللى فى خطة الدفاع بالصواريخ معرضة أنها لو ركز عليها حتصاب •• ففيه احتمالات كثيرة أن أهداف كبيرة من عندنا فى العمق هتتدمر •• سواء كانت قناطر أو مصانع كبيرة •• هو ده التأثير بالنسبة للعمق ••

بالنسبة لوضعنا فى نهاية المعركة الدفاعية طبعا فى نهاية المعركة الدفاعية لازم العدو هيتحرك وحيوقف المعركة الدفاعية وهنشوف بقه وضعنا احنا حيبقى ايه ووضع اسرائيل ايه ؟ • النقطة بس الوحيدة •• ان اسرائيل حتصل من معركتها الدفاعية اللى حتتوقف بعد كده الى أنها أصبحت صاحبة حق فى كل ما تملكه من بقاء جزئى فى سيناء فى أيديها • وحتعتبر أن هذا هو الواقع الاسمى اللى تتمناه •• يعنى مثلا الخطة اللى احنا بنفكر فيها أو بنحضر لها لا تشتمل على (كذا) •• وقد تصل الى أقصى ما نتمناه الى (كذا) وحتحتفظ اسرائيل (بكذا) أو كذا على الاقل •• هتعتبر هذا حق اكتسبته بعد معركة أخرى تانية بعد ٦٧ •• احنا ماهيكونش عندنا الطاقة ان احنا نستغل نجاح قواتنا اللى عبرت عشان نكمل فى تحرير الارض لان امكانياتنا فعلا غير (موجودة) • يقابل هذا ان اسرائيل هتتمسك وممكن بقه تبقى بعد كده عشرة ، عشرين سنة فى وضع هى تتمناه أو بتتمنى النهاردة جزء منه •• أنا نفسى يتبع العملية ايذاء اسرائيل انى أنا أضرب عمقها بعنف وقسوة سواء كان من سوريا أو بواسطة أى حاجات أنا حاجيبها •• اذا لم يكن هذا يتبع العملية بتاعتنا • يبقى اسرائيل فى الواقع هينتهى بيها المطاف أنها فى وضع أحسن مما هو الآن •• هتخسر بس خسائر •• انما هتمتلك جزء من سيناء كبير والوضع كما هو ومايبقاش فيه مجال بعد كده انها تتفاوض حتى ويانا ولا أية حاجة •• اذا كنا عندنا مقدرة فى أى وقت نطردها من سيناء بالكامل تقدر فى الواقع مهما كانت العملية محدودة لابد أن تكون ••

الرئيس : اذا تصورنا أنه فى هذه العملية المحدودة مش هنضرب عمق اسرائيل نبقى واهمين ويبقى مفيش فعالية فى هذا ••

الفريق عبد القادر حسن : تماما

الرئيس : وبعدين أنا كان دايما لى رأى مع عبد الناصر الله يرحمه •• أنا كنت باقول عشرة سنتى جوا سينا •• عشان اعمل ثغرة لى جوا سينا •• وأشرف الف مرة أن القضية تقعد عشر سنين ولا أطلع ولادى من القاعدة يشتغلوا طول الليل ويرجعوا الى الفجر •• من موقف السكون اللى احنا فيه اللى القضية بتنتهى فيه نهائيا مش بقه نص سيناء •• لا •• ده كل سيناء •• واحنا وجودنا كوجود انتهى •• فبالنسبة للنقطة الاولى ما حدش بيشك فيها أبدا واذا كنا احنا مش بانيين على هذا نبقى واهمين • ممكن أن نضرب عمق اسرائيل وبعنف •

الفريق عبد القادر حسن : ضرب عمق اسرائيل بقه يستوجب حاجات الحقيقة مبدئية لازم أحنا نأخذها من الاتحاد السوفيتى أو سوريا تاخذها يعنى أرض سوريا لا يمكنها أن تضرب اسرائيل اذا لم تؤمن سوريا بخطة صواريخ ودفاع جوى كامل •• هم ماشيين فيها وأنا بأقول لسيادتك أنا مطمئن لهذا وصحيح فيه أكثر من طيران بيشتغل من سوريا وهو ده اللى هيقدر يضرب عمق اسرائيل من السوريين •

الرئيس : كل الصعوبات اللى بنقولها وهنقولوها بقالى سنتين من يوم ما توليت •• بقالى خمس سنين من يوم ٦٧ وأنا عايشها ووصلت فى الآخر ان احنا بنواجه لحظة قدر •• يبقى تكملوا لى كل الفجوات بالتخطيط السليم •• يتبعه تجميع وتركيز لكل امكانيات ممكنة •• وتبدأوا فى التنفيذ ونتوكل على الله •

الفريق عبد القادر حسن : طيب نقطة ثانية يافندم بالنسبة لسوريا برضه •• التوقيت بتاع نوفمبر ده أو بعد الانتخابات لما نبص للاوضاع فى سوريا تملى همه يبقى عندهم Execuse انهم مش حيقدروا يتحركوا •

الرئيس : مش شغلى أنا •• ده مش شغلى ده شغل القائد العام بتاع الجبهتين •

الفريق عبد القادر حسن : فيه نقطة ثانية يا أفندم مع احترامى برضه لسيادتك طبعا •• ان فى حالة ضرب العمق أو أى بهدلة فى العمق عندنا •• احنا مش عايزين نصل الى موقف يضطرنا أن نقول للاتحاد السوفيتى ولع •• مرة ثانية ••

الرئيس (بلهجة جادة) : يا عبد القادر دى تانى مرة انت بتغلط فيها قدامى •

الفريق عبد القادر حسن : لا يافندم بس •

الرئيس (أكثر احتدادا وغضبا) : دى تانى مرة انت بتغلط فيها قدامى وأنا لا أسمح بهذا •• مش انت الحريص على استقلال البلد دى •• انت اللى خدت القرارات ؟

الفريق عبد القادر حسن : لا يافندم •

الرئيس : انت اللى جتنى أقنعتنى بيها ؟ أنا لا أسمح بهذا أبدا أنا مسئول عن استقلال البلد وأنا عارف أنا باعمل أيه وما أحبش تتدخل فى شغل غير شغلك •• دى تانى مرة تغلط فيها •• الثالثة حا أقولك روح •• أنا عارف بأعمل أيه • وأنا وقفت للاتحاد السوفيتى لاحاسبه لغاية ما أكمل المعركة •• انما أنا مش محتاج انك تنبهنى لشغلى يا عبد القادر أبدا •• لان فى مرة انت غلط •• الغلطة الاولانية كانت فى الطيارة •• وأنا يومها أنا فكرت أشيلك •• عيب الزم حدودك •• أنا ما عندى حد يتخطى حد •• أبدا ••

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف قوى .
الرئيس : انت شغلك عسكرى بس .. مش سياسي .. والدعم .. عايز تنبهني لواجبى دعم ايه .. بتتكلم عن ايه ؟
الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف خلاص .
الرئيس : للاسف .. يعنى فترة فاتت كل واحد تصور فيها انه يتخطى حده .. لا .. أنا اذا كنت سمحت في الفترة اللى فاتت في الوقفه انه يحصل غلط .. المرة دى أنا مش مستعد أسمح أبدا أن انسان يجاوز حده أبدا .. مهما كان .. يكون ده واضح (فترة صمت طويلة) .
اى أسئلة .
اللواء محمود فهمي قائد البحرية : هو قطعا كل واحد فينا بيتمنى أن القضية ما تتحلش سلميا وتتحل عسكريا لكرامة الضابط والعسكرى المصرى .. وكل واحد مستعد يبذل كل جهده يعنى وحياته .. فى سبيل المعركة المصيرية بتاعت مصر وتحرير الارض .. انما لو فيه أى سؤال فهو برضه من الحرص على مصر ومصلحة مصر ..
الرئيس : أيوه .
اللواء محمود فهمي : ده بس .. يعنى كنت سيادتك زعقت شوية يعنى احنا كلنا بنحرص قطعا ان احنا ..
الرئيس : انت بتدافع عن عبد القادر حسن .
اللواء محمود فهمي : لا أبدا ..
الرئيس : أمال ايه يعنى معنى كلامك .. دى وجهة نظرك ؟
اللواء محمود فهمي : لا
الرئيس : أمال ايه يعنى ما معنى الكلام ده يا محمود .
اللواء محمود فهمي : أنا بأقول أن كل واحد فينا مستعد أنه يقدم حياته للقضية المصيرية .
الرئيس : فى حدود شغلك مش فى حدود شغل حد تانى .. يعنى فى حدود البحرية عندك اعمل .. ما عندى مانع أبدا .. وبأديكم كل الصلاحيات ومديكم كل الصلاحيات . وفى البلد .. مدى لكل واحد فى مكانه كل الصلاحيات .. رئيس الوزراء بيشتغل رئيس وزراء .. مجلس الامة بيشتغل مجلس الامة .. كل حتة بتشتغل ومدى صلاحيات كاملة بس كل واحد ما يتجاوز القدر بتاعه .. ومش عايز حد يفهمنى واجبى .. أو يخرج عن حده أو يعمل بطل ..
اللواء محمود فهمي : تمام .. وكل واحد فينا بيبذل كل جهده فى التدريب عشان اليوم بتاع المعركة .
(صمت طويل)
الرئيس : اذا كان فيه أى حاجة .. ان شاء الله ربنا يوفقكم زى ما قلت

لكم بأعيد كلامى لحظات قـدر واتحطينا أمام التحدى .. صـعب .. فيه تضحيات وآلام ودم .. ولكن يعلم الله أنه مفيش أمامنـا حل غيره . يعنى عملت كل ما أستطيع فى السنتين اللى أنا أتوليت فيهم عشان أحاول أخففها ما أمكنني .. وواجهنا الظروف .. والنهارده زى ما قلت لـكم احنا أمام اختبار قدر .. هل أحنا موجودين ولا مش موجودين .. بعد كل اللى عملناه اللى بنيناه ووقفنا فيه .. هل احنا موجودين والا مش موجودين .

بالنسبة لشعبنا .. بالنسبة للعرب .. بالنسبة لامريكا .. بالنسبة لروسيا صديقتنا .. بالنسبة لغرب أوربا .. بالنسبة للعالم كله ..

هل احنا موجودين والا مش موجودين ؟

وكفاية سمعنا كلام كتير .. وتجريح كتير .. ولحظة لازم نواجهها .. محكوم علينا من الكل ان أحنا ناس لا قدرة لنا .. خلاص مشلولين .. بنقبل هذا بنفضل مشلولين .. بنقبل هذا بنفضـل مشلولين وهيتحول الشلل الى عجز مطلق .. نهائى .. ما بنقبلوش .. بنقبل قدرنا ونخش ونشـتغل على أحسن ما يمـكن أن يعطينـا العقـل اللى ربنـا اده لنا .. والتخطيط السليم .. واستخدام الامكانيات أمثل استخدام . وفى الحدود اللى نستطيع ان احنا نعمل فيها بعد ذلك .. يفعل الله ما يشاء .. عملنا كل اللى علينا .. وبعد ذلك نواجه قدرنا .. معنديش لكم حاجـة أقولها النهاردة غير هذا اطلاقا .. مفيش .. يا ريت كان قدامى شىء .. أنا قلت فى وقت من الاوقات أنا مستعد أروح لآخر الدنيا عشان عسكرى مش ضابط .. عسكرى واحد ما يتعورش ولا زلت لحد النهاردة مستعد لآخر الدنيـا أروح مستعد أروح موسكو تانى ويعلم الله أننى لا أريد .. لقد فاض من كل قلبى مش عشان عبد القادر حسن وحماسه وبطولته .. يعلم الله أنا مستعد أدوس على كل شىء آخر وأخشها برضه بس لما أعرف أنى حاعمل لكل حاجة .. مفيش .. النهاردة مفيش .. لكن واحنا أمام امتحان .. نخش الامتحان اللى بأرجوه بالنسبة لكم وبالنسبة لكل الاولاد اللى معاكم .. لازم يكونوا عارفين ان احنا بنعوض نقص كتير بايماننا بقوتنـا .. من استبسالنا من استماتتنا بنعـوض كتير .. ودى حيكون لها قيمتها ان شـاء الله .. ولن يخذلنا الله سبحانه وتعالى أبدا ما دمنا مؤمنين وعلى حق مش حنخذل أبدا أبدا .. وذى ما قلت لكم مش حيكون أسوأ من اللى احنا فيه ده .. انتوا مش حاسين بيه .. لأ .. أنا قاعد أحسب احنا فى وضع سيىء مصيره ابتداء من العام القادم الى لا شىء .. نهائى ..

أنا اللى يهمنى فى المقام الاول هو بلدى .. احنا فى وضع سيىء .. وبعدين أنا قلت للفريق صادق وهو عنـدى وممكن يعنى اذا كان المسالة ميئوس منها . والله خلاص . معروض على حل جزئى .. معروض فعلا على حـل جزئى .. بس أنا مش حاقبـله .. وييجى حـد غيرى يقبله .. أنا

بتكويني وبطبيعتي ما اقبلش حل جزئي ولا زلت مؤمن بالعسكري المصري .. ومؤمن بأننا نستطيع نعمل حاجة .. وأنه أشرف لنا ان احنـا نموت واحنا واقفين ورأسنا في سابع سماء .. من اننا نتخاذل ونقبل أن حاجة .. وخاصة بعـد ما بذلنا كل ما نسـتطيع وباخلاص .. وبليالى طويلة « مابينامش الانسان » اطلاقا .. الناس كلها مسافرة بره فى الصيف .. وأنا قاعد فى المعمورة ..

وبالليل كنت أقول لابني طلعنى يا ابنى بره المعمورة أشم هوا .. وأنا أرجع ماناماش .. بيانات طويلة .. الشعب طيب .. وأصيل .. واداك اللى عنده .. لحظة ثمنها غالى .. ثمن كبير .. ممكن الواحد ينام طويلا خلاص واذا كانت العملية على الـكرسى نقبل أى حاجة وندخـل فى عقول الناس أى تهريج وأى مزايدات وخلاص أنا ما أعملش هذا أبدا .. ولا قيمة للكرسى عندى اذا ما كانش فيه كرامة .. أبدا .

كان عندى ناس ديك النهار بتكلمنى وقلت والله القرارات .. قرارات ٨ يوليو ما تساوى أى شيء . القرار باكتبه من ثلاثة أسـطر لرئيس مجلس الشعب .. يوم ما أحس انى مش كفء أو يوم ما أحس ان احنا مش قادرين أقول لهم .. دوروا على حد تانى يمشى .. لانى أنا غير كفء انى أمشى فى هذه المهمة . ما بيساوى عندى شيء . ولا بيزود ولا بينقص عليه حاجة .. احنا أمام امتحان قدام شعبنا فى المقام الاول قدام رجولتنا . تاريخنا كله قدام أجيالنا اللى جاية .. هل احنا موجودين ولا مش موجودين ..

ربنا يوفقكم وشكرا ..

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى بعد منتصف الليل بربع ساعة ..

وهنا يجب أن ننحنى تقديرا لموقف السادات القـائد الاعلى .. ان أهم القيـادات العسـكرية أمامه كانت تخشى من الحرب . كان تقـديرها أننـا سنتحول الى موقف دفاعى ، وأن اسرائيل ستضرب فينا كما تشاء . هذه القيادات التى تدافع عن هذا الرأى هى المحيطة بالفريق صادق وزير الحربية .. نائبه الفريق عبـد القادر حسن .. اللواء على عبد الخبير قائد المنطقـة العسكرية المركزية ..

ثم يسمع القائد الاعلى من اللواء عبد المنعم واصل ، ان اسرائيل متقدمة عنا فى السواتر الترابية .. اننا مكشوفون ، واننا سنواجه خسائر فادحة .. وهذا يعنى ان الخطة الدفاعية ٢٠٠ لا تنفذ !

ثم يسمع القائد الاعلى من اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين ، الذى يقول : لا يمكن أن يتحرك أى جيش الا اذا كان ملمـا بكل تفصيلات الخطة .. يسمع القائد الاعلى منه ، تساؤلا : هل توجد خطة ؟ .. معنى ذلك انه لم يخطر بأى شيء ..

ويصمت وزير الحربية فى هذا الاجتماع ، ولا يتكلم .. والرئيس يعرف رأيه . ويعرف ما كان يتحدث به الى قيادات الجيش ، بأن الحرب مستحيلة ، بالاسلحة السوفيتية التى نملكها ..

كل هذا .. ويقف أنور السادات كالعملاق .. ويؤكد قرار الحرب .. ويؤكد ثقته فى المقاتل المصرى والعسكرية المصرية .. ويعلن عن ايمانه بأن الموقف هو أن نكون أو لا نكون ..

ويسرع على الفور فى اجراء تعديلات فى القيادة .. ويعين وزير الحربية الجديد .. ويبدأ الاعداد الجاد للقتال .

هذا هو موقف التاريخ ، الذى لن ينسى لانور السادات ..

بطولة اتخاذ القرار .

كان من الممكن أن يستند الى آراء هؤلاء القادة .

كان من الممكن أن يجد العذر ولا يتخذ القرار .

ولكنه قرار زعيم مسئول عن شعبه .. لا قرار رئيس جمهورية يتمسك بالمقعد ..

قرار التاريخ لاجيال الامة العربية كلها ..

قرار لا يتخذه الا زعيم بطل .

● الفصل الثالث ●

رسائل السادات

الى قادة العالم

● ● ● كان التحرك السياسي لمصر قبل حرب اكتوبر، مستمرا ، وفعالا على نطاق المسرح العالمى الكبير شرقا وغربا ، وكان مواكبا للاستعداد العسكرى ٠ لم يتوقف أيهما انتظارا للآخر ٠ ولعل النشاط الكبير الذى وضع فى تحركنا السياسى ، أقنع الكثيرين ، بأن احتمالات دخولنا الحرب ضعيفة ، بل مستحيلة ٠٠ والا فلماذا نبذل هذا الجهد المكثف فى السعى السياسى والدبلوماسى ٠

وكانت وجهة نظر الرئيس السادات ، انه يضع زعماء العالم أمام مسئولياتهم ، وانه يضمن بذلك التأييد السياسى العالمى لقرار الحرب ٠

ونرى فى رسائل السادات الى قادة العالم خطين متوازيين : انه يستحث بكل الاصرار على جهود تؤدى الى سلام عادل مشرف ٠٠ وهو فى الوقت نفسه يحذر من أن مصر ستضطر الى استخلاص حقوقها بوسائل اخرى ٠٠ مؤكدا ان الموقف متفجر ٠

فنقرأ فى رسالته الى السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند فى ٥ مارس ١٩٧٣ ــ اى قبل الحرب بسبعة اشهر ــ نقرا قول الرئيس لها : « لقد جاوز الاحتلال

الاسرائيلي لبلادنا خمس سنوات ، وهذا موقف ، كما ولا شك تقدرين ، لا يمكن السكوت عليه أو استمرار تحمله بكل ما يلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا »
•• ويشرح لها مراوغات اسرائيل لقتل جهود السلام ثم يقول : « •• ومما سبق يتضح بجلاء أن سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والابواب أمامنا ، عدا باب واحد وهو باب الاستسلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التي تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ، ولكي تملي علينا الشروط التي تقبل بها تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو ما لا نقبله ونعلن أمام العالم رفضه ، وان مسئولية ما يترتب عليه يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا واثقون من قدرتنا ـ بمساعدة جميع الدول الصديقة والتي تؤمن بعدالة قضيتنا ـ على ازالة العدوان الاسرائيلي بكافة آثاره » •

ويؤكد السادات مرة أخرى في ختام رسالته الى أنديرا غاندى : « اننا نرجو مخلصين بأن يتحقق هذا السلام بالوسائل السلمية ، ونرجو مخلصين الا نضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى أمام الغطرسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا الاساسية المشروعة » ••

وفي رسالة السادات الى موبوتو رئيس زائير في ٢٢ مارس ١٩٧٣ ، يستحث الرئيس التضامن الافريقي ويطالب « بضرورة تضافر جهودنا واتخاذنا المواقف الحاسمة من أجل ارغام اسرائيل على أن تكف عن سياستها الغاشمة » •

والرئيس السادات يحذر في رسالته الى هيث رئيس وزراء بريطانيا في ٣١ يوليو ١٩٧٣ ، من خطورة التعنت

الامريكي في المساندة الكاملة لاسرائيل على السلام :
« لقد اصبح واضحا أن الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة ، هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق امام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ، ويعرض السلام والامن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا » .

ثم نقرأ رسالة الرئيس السادات الى قداسة بابا روما فى مارس ١٩٧٣ ، موقفا مصريا يسجله الرئيس ، وهو اننا « بالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها في سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان » .

... وفي فصل مقبل من هذا الكتاب ، سيجد القارىء قولا للرئيس السادات يحدد فلسفته .. « ان المعركة العسكرية يجب أن تكون في خدمة المعركة السياسية .. كما أن المعركة السياسية يجب ان تكون فى خدمة المعركة العسكرية » ..

ورسائل السادات السياسية الى زعماء العالم . كانت مقدمة فعلا لتهيئة الرأى العام العالمي للمعركة العسكرية

وفى الصفحات المقبلة نصوص من بعض رسائل الرئيس الى زعماء العالم ● ● ●

رسالة الرئيس
الى أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند
فى ٥ مارس ١٩٧٣

عزيزتى السيدة أنديرا غاندى
رئيسة وزراء الهند

لقد كنت آمل أن تتحقق رغبتى فى لقائك اثر لقائى مع صديقنا وزميلنا العزيز الماريشال تيتو ، ولكن مشاكل ملحة طرأت وألقت بكامل ثقلها على الموقف فحرمتنى مما كنت أرغب فيه ، بل وأتطلع اليه من تبادل الرأى معك والتشاور سويا بشأن الموقف العصيب الذى تمر به مصر والبلاد العربية . والواقع أننى كنت آمل فى أن أشرح لك شخصيا الابعاد المختلفة لهذا الموقف لنفكر سـويا فى الوسائل المتاحـة لمعالجته بكل ما يستحق ذلك من جدية وحسم وعلى أساس المبادىء التى آمنا وما زلنا نؤمن وباصرار بأنها يجب أن تكون أساس العلاقات الدولية .

سيدتى العزيزة :

لقد جاوز الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات ، وهذا موقف كما ولا شك تقدرين ، لا يمكن السكوت عليه أو استمرار تحمله بكل ما يلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا ، فلقد أصبحت ميزانية الدولة تنوء بأعباء الدفاع الثقيلة التى تتزايد يوما بعد يوم وتعطل بذلك والى حد كبير جهودنا التى نحرص على أدائها كاملة من أجل التنمية ، كما اضطررنا الى أن نبقى فى ميدان القتال مئات الالوف من الشبان طوال هذه السنوات بكل مايستتبعه ذلك من آثار نفسية واجتماعية واستنزاف لجهود هـذه النخبة الممتازة من أبناء مصر وبغير طائل . ولقد تمادت اسرائيـل فى صلفها فأخـذت تخطط وتعمل لتغير واقع أراضينا ومعالمها لتجابه العالم بما تسميه الحقائق البديلة وانني واثق أنك تتفقين معى فى الرأى على أن هذه الاوضاع هى بطبيعتها مما لا يمكن السكوت عليها أو تركها سنوات اثر سنوات بغير علاج فعال أو رد حاسم تجنـد له كافة الطـاقات والامكانيـات من سياسـية واقتصـادية وعسكرية .

سيدتى العزيزة :

لقد تعددت جهودنا من أجل السلام سواء عندما قبلنا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ أو عندما تعاونا مع سكرتير عام الأمم المتحدة ومع ممثله الخاص أو عندما عرضنا عليه اقتراحاتنا الخاصة بجدول زمنى يتم على أساسه تنفيذ قرارات الامم المتحدة وكذلك عندما قبلنا وشجعنا مباحثات الدول الاربع الدائمة العضوية فى مجلس الامن ولم نتردد فى مساعينا هذه فى الاستماع والاستجابة لاى جهة كان لديها ما تقترحه فى سبيل التوصل الى تسوية شريفة • فلقد استمعنا الى فرنسا عندما اقترحت المباحثات الرباعية والى الولايات المتحدة عندما تحدثت عن احترام الحدود الدولية وتقبلنا بل وشجعنا زعماء أفريقيا عندما نهضوا لصيانة العدالة الدولية الى جانب صيانتهم للحرية والكرامة الافريقية ، كما أعلنا قبولنا لمبادرة السفير يارنج فى فبراير ١٩٧١ ، الا أن كل هذه الجهود والخطوات من جانبنا قوبلت ، وكما كنا نتوقع ، برفض قاطع وعناد وصلف من جانب اسرائيل بل وبكل أسف بتردد وتراجع من جانب الولايات المتحدة التى أصرت فى نفس الوقت على مساندة المعتدين •

واننى أود أن أؤكد لك يا سيدتى العزيزة أننا اتخذنا هذه المواقف كلها حرصا منا فى المقام الاول على أن يلمس العالم ايماننا بالسلام ورغبتنا الامينة فى أن نعيش فى ظل المجتمع الدولى وشرائعه •

ومما سبق يتضح بجلاء ان سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والابواب أمامنا ، عدا باب واحد هو باب الاستسلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ولكى تملى علينا الشروط التى تقبل بها تعديل خطوط احتلالها لبلادنا وهو ما لا نقبله ونعلن أمام العالم رفضه وان مسئولية ما يترتب عليه يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا واثقون من قدرتنا بمساعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا على ازالة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره •

وازاء تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة لاحكام النظام الدولى فاننا نعتقد ان على دول عدم الانحياز عدم الاكتفاء بشجب موقف اسرائيل واستنكاره ، فمجموعة عدم الانحياز أخذت فى أكثر من مناسبة مبادرات ايجابية وفعالة لحماية السلام العالمى وكان دائما لسياسة دول عدم الانحياز تأثير مباشر على مسرح السياسة الدولية كلما تعرض السلم والامن الدولى لاخطار الحروب ولا شك أن العالم اليوم يتعرض لتهديد مباشر وشديد بسبب الموقف المتوتر المشحون بالاخطار فى الشرق الاوسط • ولذلك فاننى آمل أن تتمكن دول عدم الانحياز من مباشرة دور قيادى وتقوم بنشاط مكثف

بين مختلف الدول لتأكيد مسئولية المجتمع الدولى نحو ازالة آثار العدوان الاسرائيلى والعمل على اقرار السلام العادل فى الشرق الاوسط ٠

وفي ختام خطابى هذا أود أن أؤكد أننا نرحب دائما بكافة الجهود الامينة من أجل التوصل الى حل سلمى عادل ومشرف ينتهى بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضى العربية التى احتلتها اثر عدوانهـا فى يونيو ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وأننا نؤمن بأن اقرار السلام العادل هو مسئولية المجتمع الدولى وان هذا واضح من تصرفاتنا بما لا يدع مجالا لاى شك **واننا نرجو مخلصين أن يتحقق هذا السلام وبالوسائل السلمية ونرجو مخلصين ألا نضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى أمام الغطرسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا الاساسية المشروعة ٠**

سيدتى العزيزة :

اننى اذ أبعث اليك خطابى هذا مع السيد وزير الخارجية الدكتور محمد حسن الزيات لكى يضع أمامك حقائق الموقف الراهن وتفصيلاته ويوضح تفكيرنا ازاءه من أنك شخصيا والحكومة الهندية والشعب الهندى الصديق سوف تبذلون كما عودتمونا دائمـا أخلص الجهود وأقواها لمساندة قضيتنا العادلة فى هذا الموقف الدقيق الراهن ٠

القاهرة فى ٥ مارس ١٩٧٣

محمد أنور السادات

رسالة الرئيس
الى موبوتو .. رئيس زائير
في ٢٢ مارس ١٩٧٣

عزيزى الرئيس موبوتو سيسى سيكو

رئيس جمهورية زائير

أبعث اليكم بأخلص تحياتى مقرونة بأطيب تمنياتى لكم بالصحة والسعادة والهناء والتوفيق ولشعب زائير الصديق بمزيد من التقدم والازدهار تحت قيادتكم الرشيدة .

لقد تابعنا باهتمام ردود فعل الدول الافريقية الشقيقة ، كما لاحظنا بصفة خاصة بالتقدير ، موقفكم العادل والمشرف من حادث العدوان الاسرائيلى الاجرامى ضد الطائرة المدنية الليبية وهو عدوان يمثل حلقة جديدة من استخفاف اسرائيل بكل المبادىء الانسانية والقانونية التى تتمسك بها شعوبنا فى سعيها لبناء عالم أفضل . كما أن هذا الحادث يؤكد **اقتناعنا جميعا بضرورة تضافر جهودنا واتخاذ المواقف الحاسمة من أجل ارغام اسرائيل على أن تكف عن سياستها الغاشمة** وتستجيب لاحكام القوانين الدولية بأن تنسحب من جميع الاراضى العربية التي احتلتها غدرا وعدوانا . وأن تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى السياسية والانسانية .

ان موقف الدول الافريقية الشقيقة التى قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل لخطوة هامة لاسماع صوت قارتنا عاليا وابراز تصميمها على التضامن في وجه العدوان الاسرائيلى والاطماع الصهيونية التوسعية .

ان هذا القرار يعد تعبيرا عن الادراك العميق لافريقيا بأن التضامن الفعال بين شعوبها هو وحده الكفيل بتحقيق النصر لها .

مع وافر تحياتى واحترامى ..

القاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٧٣ ..

اخوكم

محمد أنور السادات

رسالة الرئيس
الى هيث رئيس وزراء بريطانيا
فى ٣١ يوليو ١٩٧٣

عزيزى المستر ادوارد هيث

رئيس وزراء المملكة المتحدة

لقد رأيت أن أكتب اليكم بعد انتهاء اجتماعات مجلس الامن بناء على طلب مصر لبحث مشكلة الشرق الاوسط ، لاعبر لكم عن خالص الشكر والتقدير للموقف الذى اتخذته بلادكم خلال مناقشات المجلس وما أظهره مندوبكم فى المجلس من تعاون مع وزير خارجيتنا ، وما أبداه من تأييد واضح وصريح لمشروع القرار الذى يؤكد بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ بالمخالفة لاحكام ميثاق الامم المتحدة ، ويؤكد ضرورة احترام حقوق وآمال الشعب الفلسطينى .

ولقد كان هذا الموقف ـ فوق انه يعكس علاقات الصداقة بين بلدينا وتأييد أوربا لموقفنا ـ تعبيرا عن المبادىء السامية التى تؤمن بها جميع الشعوب والدول المحبة للحرية ، والعدل والسلام .

ولقد اصبح واضحا ان الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة الامريكية لتحول دون صدور القرار الذى صوتت لصالحه ١٣ دولة هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق امام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ويعرض السلام والامن الدوليين لمخاطر شديدة في منطقتنا التى تتطلع الى تحرير أراضيها واسترداد حقوقها وبناء سلام عادل تستطيع فى ظله الاسهام بطريقة ايجابية وبناءة فى تحقيق الامن والرخاء فى العالم .

وليس من شك فى أن المجتمع الدولى فى مواجهة هذا الموقف الامريكى المعوق والذى يتناقض مع مسئوليات دولة كبرى عليها مسئولية خاصة تجاه السلم والامن الدوليين ــ سوف يواصل ــ داخل الامم المتحدة وخارجها ــ دعم جهودنا من أجل حقوقنا التى تقرها الغالبية الساحقة فى دول العالم .

وانى اذ أبعث بأطيب تمنياتى بالصحة والسعادة لشخصكم ، أرجو للشعب البريطانى اطراد التقدم والنجاح والازدهار .

القاهرة فى ١٩٧٣/٧/٣١

محمد أنور السادات

رسالة الرئيس
الى بابا روما
فى ١٩ مارس ١٩٧٣

قداسة البابا

تسلمت بكل تقدير واعزاز رسالتكم التى وجهتموها بمناسبة يوم السلام العالمى فى شهر يناير عام ١٩٧٣ ٠ وقد وقعت من أنفسنا موقعا حسنا لاننا نشارك قداستكم ولاءكم واخلاصكم لقضية السلام اذ أننا فى هذه المنطقة من العالم نواجه عدوا يبدى اصرارا على الغزو والعنف واراقة الدماء ، عدوا لا يعرف الا لغة الحرب ٠

ونحن نعلم جيدا من خبرتنا المرة خلال الخمس سنوات الاخيرة ان استتباب السلام ليس بالامر الهين ، فبالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها فى سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان ٠

اننا نشارك الآمال التى تحدو قداستكم نحو مستقبل أفضل للامم المتحدة ، مستقبل تكون فيه المنظمة الدولية أداة لاقرار النظام وتتركز عليها آمال الشعوب نحو عالم يسوده العدل والحق حتى تصبح المنظمة فى حد ذاتها قانون سلام يحكم العلاقات الدولية ٠ وقد أبدينا من قبل ثقتنا بالمنظمة كمؤسسة تعبر عن أمل الانسان فى البقاء وقد توجهنا اليها ننشد معونتها فى جميع مراحل أزمة الشرق الاوسط والتزمنا بجميع قراراتها منذ انشائها ٠

ونحن نعتقد ان السلام يجب أن يقوم على العدل والمساواة وان يحتوى الانسانية جمعاء بغض النظر عن العقيدة واللون والجنس - أما التمييز والتعصب السياسى الذى تمارسه بعض الدول فهو من أهم أسباب الحرب والصراع ٠

ودعاؤنا الى الله أن يلهمنا جميعا للعمل من أجل أن يكون صراع الانسان فى سبيل العدل والتفاهم الذى بدونه لا يمكن اقرار السلام ٠

القاهرة فى ١٩/٣/١٩٧٣

محمد أنور السادات

الجزء الثانى

الوثائق السياسية

● الفصل الأول ●

ذات مساء
من ابريل ١٩٧٣

●●● « فى مايو تمت آخر تجربة كاملة للعبور . اتخذ القرار الخطير . السادات يوفد وزراء فى مهام سرية . أسرة الرئيس ترفض تغيير المنزل مع أنه هدف معروف للأعداء . نصائح للرئيس بالعدول عن الحرب نهائيا ، واعلان المفاوضات المباشرة مع اسرائيل . الرئيس يؤكد فى حديث خاص ـ للمؤلف ـ اننا اذا لم ندخل الحرب قبل نهاية ١٩٧٣ ، فاننا لن ندخلها أبدا . حسابات دقيقة عن قوة اسرائيل . بورقيبة يائس . القذافى يؤكد أننا لن ندخل حربا . وفجأة بدأت الحرب » ●●●

ذات مساء من أبريل عام ١٩٧٣ ·· وجدت من واجبى أن أتحدث الى الرئيس أنور السادات ، بكل ما يؤرق نفسى ·· وبكل الوضوح ·

لقد أمضيت أكثر من ليلة عاجزا عن النوم حتى يشرق النور · وكان قد تأكد لى من أكثر من مصدر ، اننــا مقبلون على الحرب فعــلا ، وخلال وقت قصير جدا · لقد تصورته حينئذ ·· ربما أسبوعين أو أقل ·

وعرفت أن الرئيس استدعى أحد الوزراء ، وكلفه بمهمة سرية سافر اليها الوزير ، خاصة بتوفير مادة استراتيجية هامة من مواد الحرب ·

وقال الرئيس للوزير :

ـ سأبلغك بساعة الصفر قبلها بوقت كاف ، لكى ترتب نفسك ·

وأذكر أننى أثرت هذا الموضوع ، فى اجتماع لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، وطالبت باستكمال كل استعدادات الدفاع المدنى وكنت أؤكد أننى أشم بأنفى الصحفى ان المعركة تقترب جدا ·

وزاد يقينى ما سمعته من مصدر ثقة عن هذا الحوار الذى دار ـ حينذاك ـ بين الرئيس أنور السادات والسيدة جيهان قرينته ··

قال لها الرئيس :

ـ عليكم من الآن أن تبحثوا عن منزل غير هذا المنزل · ان المعركة ممكن أن تبدأ فى أية لحظة · ولا شك أن منزلنا مطمع محدد لطائرات العدو ·· وموقعه معروف وأنا لن أكون معكم ·· مكانى سيكون فى قيــادة القوات المسلحة وأماكن أخرى ليل نهار ··

ولكن السيدة جيهــان أجابته ·· بأنها ســتبقى في المنزل ، وما يحدث سوف يحدث ، وهى تفضل أن تعيش أيام الحرب كأية أسرة مصرية ·

وقد سعد الرئيس السادات بهذه الاجابة ، وهذا الاصرار ·· وقال لها انه كان متأكدا تماما ، من أن هذا سيكون موقفها ·· ومع ذلك فقد أراد أن يعطيها الخيار ·

عندئذ قلت لنفسى ·· اذا كان الرئيس يتحدث هكذا مع السيدة قرينته ·· فلا شك أن القرار قد اتخذ تماما · ولم يبق الا التوقيت ·· ولا شك أيضا أنه قريب جدا !

وكان الرئيس قد أدلى بحديث الى « بورجريف » كبير محررى النيوزويك، أكد فيه بصراحــة كاملة ، ان الحرب على الابواب ·· وخلال وقت قصــير ، وتحدى فى اجابته محرر النيوزويك ·· بقوله ·· انتظروا وسترون أن هذا سيحدث وفى وقت أقرب مما تتصورون ·

وأذكر أنني اتصلت بالدكتورأشرف غربال المستشارالصحفي للرئيس، وقلت له ان لهجة الحديث عنيفة جدا ٠٠ وأحسست منه بأسلوبه الدبلوماسى أنه يؤيدنى ٠٠

وكان « بورجريف » قد اتصل بى أكثر من مرة ، قبل أن يقابل الرئيس أنور السادات وتناقشنا فى الموقف طويلا ٠ وهو صحفى عالمى على أوثق الصلات بأكبر الساسة فى دولهم ٠٠ وله صداقة مقربة بالدكتور كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ٠ وهو الصحفى الامريكى الوحيد الذى كان له لقاء خاص معه عندما حضر كيسنجر الى القاهرة لاول مرة ٠٠ وكان «بورجريف» يرى أن دخولنا الحرب مسألة خاسرة ، علينا ألا نفكر فيها ٠٠

وقال لى :

ـ لو كنت الرئيس أنور السادات ٠ لاستطعت أن أقضى على جولدا مائير باعلان سياسي واحد ٠٠

قلت :

ـ كيف ؟ ٠٠

قال :

ـ لقد أخرج الرئيس الخبراء الروس ٠ والخطوة التالية هى أن يعلن الغاء المعاهدة مع السوفيت ٠٠ وأن يعلن للعالم كله ، أنه لن يدخل الحرب ، وأنه يعرض مفاوضات مباشرة مع جولدا مائير من أجل السلام ٠

قلت :

ـ وماذا بعد ؟ ٠٠

قال :

عندئذ يكسب الرئيس السادات العالم فى صفه ٠٠ وتنهار كل حجج مائير ٠٠ فهم يقنعون العالم الآن بأن أمن اسرائيل معرض للخطر المباشر وكل مشكلات العالم الآن تحل بالمفاوضات المباشرة ٠٠

وقلت لبورجريف :

ـ ان ما يقوله مجرد خيـال ٠ أولا لانه ليس من صـالحنا أن نتخلى عن صداقة الاتحاد السوفيتى ٠٠ وقرار اخراج الخبراء السوفيت هو قرار وطنى مائة فى المائة ، قد اتخذ بعد أن استنفد الخبراء مهمتهم ٠٠ وأصبح وجودهم، وكأنه اتهام لنا بأننا سوف نحارب بقوات روسية ٠٠ وقد جاء الخبراء بناء على طلبنا فى عهد عبد الناصر ٠٠ ومن ناحية أخرى ، ليست هناك جدوى على الاطلاق ، من المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ٠٠ فما معنى المفاوضة وأنا عاجز ؟ ٠٠ وبالعكس سوف يكون ما تتصوره أنت قاضيا على جولدا مائير وكل الصقور ٠٠ مدعاة لمضاعفة غرورهم ٠٠ وستفشل المفاوضـات طبعا لاننا لن نحرر شبرا واحدا من أرضنا ٠٠ ونعود مرة أخرى مائة سنة الى الوراء ٠٠

وقال بورجريف :

ـ اذا أفشلت اسرائيل مفاوضات السلام ، فهذه ورقة فى يدكم أمام العالم ·· وهذا أيضـــا يضعف القوى الســـياسية الامريكية المدعمة للصهيونية ، بحجة أنكم لا تريدون مفاوضـــات السلام ·· ويمكن أن تنصرفوا الى مشكلاتكم الداخلية ، الاقتصادية والاجتماعية ·

قلت :

ـ اذا كنت مخلصا لمصر فأنت تعيش في أوهام ·· ولا طريق أمامنا الا الحرب · ولن ترعوى اسرائيل الا اذا ذاقت مرارة الحرب ··

قال :

ـ وما فائدة الحرب اذا لم تنته بانتصاركم ··

قلت :

ـ لا أريد أن أقول اننا سوف ننتصر · ولكننا لن ننهزم · سوف نلحق باسرائيل خسائر فادحة في الارواح والعتاد ·· وسوف تلحق بنا اسرائيل أيضا خسائر فادحة ·· ولكننا نحتمل الخسائر ونستطيع أن نستوعبها ·· أما اسرائيل فلن تقدر ··

وبدا على « بورجريف » أنه غير مقتنع · لقد زار اسرائيل أكثر من مرة · ويعرف قادتها واحدا واحدا ·· ويعرف مدى قوة اسرائيل العسكرية · وهو هناك ليس شخصية محبوبة من مائير ·· وقد أحرجته مرة مائير فى مؤتمر صـــحفى ، وعتبت عليـــه ، أنه لا يقـــدر معنى أمن اسرائيل الذى يواجـــه الاخطار ··

فقلت لبورجريف :

ـ لا تنس يا بورجريف أن الحرب ليست مواجهة عسكرية بين جيشـــين فقط ·· هناك أساليب أخرى عديدة ، سوف نلجأ اليها ·

قال : ماذا تقصد ؟

قلت :

ـ لا أعرف كيف يمكن أن تحدث ، ولكنى واثق انها لابد أن تكون فى تخطيطنا ·· وليس أمامنا الا أن نخرب جميع المصالح الاقتصادية الامريكية فى المنطقة العربية من أقصاها الى أقصاها ··

قال :

ـ كيف ؟ ··

قلت :

ـ لا أعرف كيف ·· ولكننى أعرف أن الدول الصغيرة قادرة على الحاق أخطر الاضرار بالدول الكبرى التى تملك الصواريخ الذرية ·

ولم يقتنع بورجريف ·· وكان مصرا على رأيه فى أن دعوة الســـلام من السادات ، ونبذ فكرة الحرب ·· هى الطريق الوحيد أمام الرئيس ·

واستقبله الرئيس السادات ٠ وأجرى معه ذلك الحديث المثير ، الذى أكد فيه أن الحرب على الأبواب ٠ وقد وصف أحد وزراء ألمانيا الاتحادية الذين جاءوا الى مصر ـ بعد قطع البترول العربى ـ هذا الحديث بقوله : لقد قرأنا كلمات السادات فى النيوزويك فى ابريل ٠٠ ولكننا لم نفهمها الا في ٦ أكتوبر !

وأذكر أن النيوزويك ، نشرت فى نفس العدد مع الحديث ، تحليلا سياسيا ، مؤداه أن مصر عاجزة ٠ كما نشرت قصة خبرية ، تقول أن طائرة هليوكبتر اسرائيلية هبطت في موقع مصرى على الضفة الغربية ، وأسرت عددا من الجنود والضباط المصريين ، وعادت بهم ٠٠ دون أن تتعرض لطلقة واحدة مصرية ٠٠

وانزعجت من هذا الخبر ٠

واتصلت بالدكتور محمد حافظ غانم أمين أول اللجنة المركزية ـ وكان حديثا في منصبه ـ وأبلغته بما نشرته النيوزويك ٠٠ وقلت له أنه يحتاج الى توضيح ٠٠ واذا كان حقيقيا ٠٠ فلماذا لا تكتب الحقائق ٠٠ وليس من العيب أن تتسرب طائرة للعدو ٠ هذا يحدث كثيرا ٠ وبعد دقائق ٠٠ عاود الدكتور غانم الاتصال بى ، وقال لى انه تحدث مع الفريق أحمد اسماعيل وزير الحربية فى هذا الخبر ٠٠ فأكد الوزير أنه كذب ٠٠ وأنه جزء من الحرب النفسية ٠٠ بل قال فى لهجة الواثق :

ـ لو أخذوا منى جنديا واحدا ٠٠ لأخذت منهم بدله على الفور عشرين ٠٠

❊ ❊ ❊

وكان صدى حديث الرئيس السادات الى النيوزويك ٠٠ مختلف الاتجاهات فى أمريكا ٠٠ ولم يصدق أحد ٠٠

فى اسرائيل ٠٠ خرجت التعليقات كالعادة على كل تصريح للرئيس بأنه حاكم يفتقر الى الشعبية والتأييد ٠٠ وأن هذه الكلمات للاستهلاك المحلى ٠ وللرد على الأحداث التى تطالب بالاستعداد الحقيقى للحرب ٠

في أوروبا ٠٠ لم يغير من الموقف شيئا ٠٠

أما في الداخل ، فقد اختلفت الآراء ٠٠

المؤيدون للسادات الذين يرون أن الرجل تسلم تركة مثقلة ، لا ذنب له فيها ، يجدون أن من حقه أن يناور ، وأن يلعب بكل الأوراق التى بين يديه ٠٠ وماذا يمكن أن يفعل ؟٠٠ أن أمامه مشكلة لا حل لها الا بالحرب ٠٠ فاذا كان غير قادر عليها ، فليس خطأه ٠٠

المتحفزون لتأليب المشاعر ضد السادات ، وهم قلة لها نوعية خاصة ، وهذا موقفها منذ ١٥ مايو ٠٠ يرون أن السادات لن يحارب

الواثقون من صلابة أنور السادات ، وقدراته ، ووطنيته ، ومصريته . في قلق كبير عليه . بل يخشون أنه يتعجل قرار الحرب وأن نفاد الصبر ربما كان له تأثير على القرار .. ولذلك فانهم يضعون أيديهم على قلوبهم قلقا على رجل سيصنع لمصر الكثير.. لو أنقذه الله من محنة احتلال الأرض.

قلة لا يعرفها الناس واثقة من القرار ، وتنفيذ القرار .. وهؤلاء هم قيادات القوات المسلحة . ولكنهم كانوا يعملون في صمت كامل .

وكنت من القلقين .. لعدة أسباب ..

كنت مقتنعا بأن من حق أنور السادات أن يأخذ الوقت الكافي في الاستعداد .. عاما آخر أو عامين أو ثلاثة أعوام . فمشكلات حصولنا على السلاح الكافي ليست بالهينة .

كنت مقتنعا بأن الحملة ضد أنور السادات من هذه « النوعيات » في مصر وبعض البلاد العربية ، هدفها دفع السادات الى حرب سريعة خاسرة .. ومن ثم يمكن أن تكون أمامهم الفرصة لتحقيق أطماعهم السياسية في الحكم.

لقد كنت مؤمنا ، تماما ، بأن الحرب هي سبيلنا الوحيد . ودعوت الى هذا في كل ما كتبت . ولكنني لم أكن أتعجل القرار أبدا

ولذلك أمضيت ليالي عديدة ، يهدني الأرق .. وأنا أفكر .. بعد أن تجمعت لدي المعلومات ، بأن الحرب على الأبواب .. ووجدت من الأمانة أن أعبر عن أفكاري بصدق ، للرئيس ..

وتحدثت اليه ..

وقد بادرني الرئيس بتوجيهه أن الأقلام يجب أن تتجه كلها الى توعية الناس بالمعركه .. ويجب أن نركز تماما على أنها حرب تضحيات وأنها ستكون حربا شرسة .. وأنها ستصل الى كل موقع

ومن هنا وجدت فرصة النقاش ..

قلت للرئيس :

الشعب معك .. والشعب يثق في كل قرار تتخذه سيادتك . ولكن أحدا لا يتعجل القرار .. فليكن بعد عام .. بعد عامين .. لنا قدرة على الاحتمال .. ولكن يجب أن تأخذ وقتنا الكافي في الاستعداد الكامل ..

قال الرئيس :

ـ انني لا آتخذ أي قرار تحت أي ضغط .. هذه طبيعتي . وهذا مصير بلد ، وليس أمامنا الا القتال.. واذا لم نقاتل هذا العام ، فلن نقاتل أبدا.

قلت :

ـ اني يا سيادة الرئيس ، لا أحشر أنفي فيما ليس لي فيه .. ولكنني فقط أريد أن أؤكد لك ، أن الشعب بثقته فيك ، يمكن أن ينتصر .. المهم أن نأخذ وقتنا لنكسب المعركة ..؟

قال الرئيس :

ـ كل الحسابات الدقيقة عملت ، من جميع النواحى ·· حتى فى أصغر التفصيلات التى لا تخطر على بال ·· وأنا واثق أن الله معنا ·· وكل الحسابات تؤدى الى أنه لا مفر أمامنا من القتال قبل نهاية ٧٣ ·· بعد هذا قد يتغير الموقف العسكرى فى غير صالحنا ، ولدينا معلومات دقيقة عما تملكه اسرائيل الآن ·· وعما يمكن أن يكون بين يديها فى العام المقبل ··

قلت :

ـ ولكن ·· هل من العدل، أن نتحمل أعباء المعركة وحدنا ··

قال :

ـ هذا قدرنا ··

قلت :

ـ أليس من الأوفق أن نضمن مشاركة عربية ··

قال :

ـ عندما يبدأ القتال ·· ستشارك الدول العربية ··

قلت :

ـ اننى أشك فى هذا تماما يا سيادة الرئيس ·· وكل ما أتوقعه بضع مظاهرات شعبية ··

قال :

ـ لا ·· تأكد أن الطلقة الاولى · ستغير الموقف العربى كله ··

قلت :

ـ على بركة الله ياسيادة الرئيس ·· وكلنا معك حتى آخر قطرة من دم ·· وأسأل الله أن يعطيك الصحة ·· يا أمل مصر ··

***

وقد تأكد لى بعد ذلك ، أن القرار النهائى قد اتخذ فى ابريل فعلا ولم يكن باقيا الا التوقيت النهائى ، واللمسات الأخيرة ، فى استكمال بعض أنواع السلاح الناقص ·· وبعض معدات العبور ·· فقد أجريت آخر تجربة عسكرية للعبور فى شهر مايو ، واتفقت كل الآراء العسكرية ، على أننا أصبحنا قادرين فعلا على نجاح العبور ولكن كانت تنقصنا حينئذ بعض المعدات العسكرية ·

وقد صرح لى بذلك الفريق سعد الشاذلى ·· فى نوفمبر الماضى ·

★ ★ ★

وخلال شهر أغسطس ·· كان كل شىء معدا تماما ··

عقدت القيادات العسكرية المصرية والسورية ، الاجتماع السرى ـ الذى أصبح مشهورا ـ فى العاشر من أغسطس ، وفى مدينة الاسكندرية وتم الاتفاق على حالة الاستعداد الكامل لخوض القتال

وكانت القيادات العسكرية السورية قد حضرت الى الاسكندرية بطريق البحر ·

وبعد الاجتماع ، اتفق على أن يكون تحرك القيـادات العسـكرية ، بين مصر وسوريا ، بالأسلوب الفردى لا الجماعى ·· وقد نبه رئيس الاركان السورى الى ذلك بقوله ·· ان وجود القيادة كلها فى طائرة واحدة ·· أمر بالغ الخطورة ·

وعاد القواد السوريون ·· الى دمشق متفرقين ·

★ ★ ★

وأمضى الرئيس أنور السادات بعض الوقت فى استراحة « برج العرب » قريبا من الاسكندرية · وتصور الرأى العام ، أن الرئيس منشغل باجراء تعديل وزارى · والحقيقة أنه كان معطيـا كل وقته للاعـداد العسـكرى والداخلى للقتال · ودعا فى برج العرب ، الى اجتمـاعات سرية كثيرة ، لم يعلن عنها · ومنها اجتماع مع المحافظين وأمناء المحافظات نبه فيه بشدة الى ضرورة اليقظة الكاملة ، والاشراف الدقيق من الآن على المرافق العـامة ، ومتابعة الاكتمال فى أجهزة الدفاع المدنى والشعبى ·· وحذر المحافظين من امكانية وقوع أى تسـلل اسرائيـلى من قواتهم الخاصة (الكوماندوز) ·· وقال الرئيس : أنه لن يغفر أبدا هذا ·· ولا أقبل أن يجرى فى مصر ماجرى فى لبنان ·· من تسلل الاسرائيليين وارتكابهم جرائم داخل بيروت · ثم هربهم ·

ولـكن الرئيس لم يحدد للمحافظين توقيتا ·· ولم يتحدث بوضوح كامل ·· وخرجوا جميعا من اللقاء ، يستشعرون أن القتال أصبح قريبا · وألغيت أجازات المحافظين ·

وفى اجتماع الرئيس مع اتحادات الطلبة فى برج العرب أيضا ، استطاع بعضهم أن يستنتج من بعض تلميحات الرئيس اليهم أننا اقتربنا من المرحلة القتالية ·· ولكنهم لم يفهموا تماما ما قصد اليه الرئيس ، الا بعد ٦ أكتوبر ·· وأخذوا يسترجعون كلماته فى لقائه معهم ·· كما قال لى أحدهم ·

★ ★ ★

وخلال شهر يوليو وقع حادث غريب فى الوسط الصحفى ··

كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الاهرام » فى رحلة صحفية الى الخارج · وفى باريس اجتمع بعدد من الصحفيين الفرنسيين الذين سألوه عن رأيه فى المسيرة الليبية التى دبرها العقيد معمر القذافى ، لتطالب بالوحدة الفورية باسم ما يطلقون عليه الثورة الشعبية ·· وقد كان موقف مصر حكومة وشعبا ضد هذا التهريج السياسى لعدة أسباب :

١ ـ ان الوحدة لا تتحقق بتدبير مظاهرات أو مسيرات ·

٢ ـ ان الوحدة ليست مجرد شكل أو شعار ‥ ولكنها تخطيط علمي ، يحقق أهدافها اقتصاديا وتعليميا وتشريعيا ‥ وانها يجب أن تتم على خطوات راسخة • فالوحدة لا خلاف عليها ، ولن يكون هناك خلاف عليها • ودور أنور السادات في هذا ، لا يمكن النيل منه •

٣ ـ ان **العقيد القذافي** أتيحت له الفرصة الكاملة في مصر ، لاجراء مناقشات حرة موضوعية في مجلس الوزراء وفي دور الصحف ، وفي مجلس الشعب ومع التنظيم النسائي في الاتحاد الاشتراكي العربي وقد لمس ان الرأى العام في مصر ، يؤيد الوحدة بكل الاقتناع ، ولكنه لا يتقبل الاندماج الفوري ، بدون اعداد حقيقي ، كما لا يتقبل التجارب الداخلية في ليبيا ، لتطبق في مصر ، لاننا تجاوزنا هذه المرحلة تماما •

٤ ـ في مرحلة الاعداد للقتال ، لا يجوز أن ننشغل الآن باجراءات وحدة فورية ، ولابد من توجيه كل الجهود للحرب •

٥ ـ وكان القذافي يفتح مدافعه الكلامية ، على المملكة السعودية ويطالب باسقاط الحكم فيها ، ويريد من مصر أن تشارك في الهجوم على الملك فيصل ‥ ودول الخليج والكويت ‥ ويصرح بأنه لابد من تصدير الثورة الى هذه الدول ‥ ورفضت مصر هذا المنطق تماما ‥ فالاعداد للمعركة يحتاج الى توحيد كل القوى العربية ‥ وقد فشلت تماما سياسة التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية ‥ واتضح بعد ذلك ، أن الرئيس السادات كان على اتفاق كامل مع الملك فيصل عن خطوات المعركة •

ولكن محمد حسنين هيكل تحدث الى الصحفيين الفرنسيين في باريس ، بما يؤيد المسيرة الليبية ، واعترض على وقفها ، وقال انه كان يجب أن تستقبل بالاحضان ، وأيد كل تخطيط القذافي • ونشرت الصحف هذه الاحاديث •

وكان من قبل ، قد اختار خطا واحدا في كل ما يكتبه ، وهو أن انتصارنا وحدنا في الحرب هو المستحيل ‥ وكانت مقالاته مثيرة لمشاعر الجنود والضباط الذين أمضوا في خنادق الجبهة ٦ سنوات ‥ يستعدون للحظة الحماسة • وأذكر أنني تصديت لهذه المقالات التي رأيتها تساند ـ بأسلوب غير مباشر ـ حملة الحرب النفسية ضدنا ‥ وتعمق الفكرة السائدة اننا عاجزون عن الحرب ‥

وثارت بلبلة كبيرة بين صفوف الرأى العام ‥ رئيس الدولة يؤكد في كل ما يقول على حتمية المعركة ‥ وكاتب كبير مسئول ، يظهر في كتاباته انه يلتقي بالرئيس وأنه عليم ببواطن الامور ‥ يؤكد حتمية الهزيمة بايماءات عديدة واضحة وغير واضحة ‥

والتقى الرئيس السادات في أغسطس بمحمد حسنين هيكل ‥ وخيره فعلا بين ثلاثة مواقف :

١ ـ اذا كان غير مؤمن بخط المعركة .. فيمكن أن يستقيل ، ولا يكتب غير ما يقتنع به ..

٢ ـ اذا كان راغبا فى الخدمة العامة ، فيمكن أن يفيد الدولة بخبراته وآرائه ولكن فى منصب رسمى .

٣ ـ اذا كان مصرا على الاستمرار ، فى التشكيك فى جدوى القتال .. فهو يعرض نفسه للعزل من مسئوليته كرئيس تحرير ..

وأكد محمد حسنين هيكل للرئيس ، انه ملتزم تماما بخط المعركة .. وان ما نشر فى الصحف الفرنسية محرف وغير صحيح .. وانه لا يقر بحال أسلوب القذافى .. وقال رأيا فى هذا ، يتنافى مع كل ماكتبه عن القذافى .. وبكى مؤكدا صدقه .

وتقبل أنور السادات هذا الالتزام من محمد حسنين هيكل .. وكان معروفا أن الرئيس كان قد قرر فعلا اسناد مسئولية أخرى اليه .. تقبل أنور السادات هذا الالتزام ، مع أن نصوص كل ما نشره هيكل فى صحف فرنسا بين يديه .. ولم يكن يهم الرئيس الا التزام كل مصرى ، بالاستعداد للحرب .. حلا حتميا لتحرير الارض ، وتحريك القضية العربية دوليا ..

ولم يصدر قرار بنقل هيكل من « الاهرام » ..

وكان ذلك موضوع تعليقات مندهشة فى كل الوسط الصحفى ..

وبعد ٦ أكتوبر .. عرف الصحفيون السر .. كان الرئيس حريصا على تجميع كل الطاقات من أجل المعركة . وكان لا يهمه الا التزام كل المواقع المسئولة بهذا الاتجاه التاريخى الذى لا عدول عنه ، لرفع الكرامة المصرية .. وظهر ذلك فى قراره بعودة الصحفيين المبعدين من الاتحاد الاشتراكى وبالافراج عن الطلبة .. حتى تدخل مصر كلها المعركة .. بلا أى فجوة داخلية . لقد كان أنور السادات يتصرف .. فى ظل تهيئة كل الاجواء ، لليوم الحاسم . ولم يكن أحد يعرف ان الايام تقترب بسرعة من ساعة الصفر .

وأذكر أن شخصية سياسية قريبة الصلة بالرئيس أنور السادات .. اعتادت دائما أن تصارحه بكل رأى تراه بلا حرج . وهذه الشخصية مؤمنة تماما بقيادة الرئيس السادات .. ولكن عندما بدأ حديث الحرب يرتفع .. وخاصة بعد تصريحات الرئيس لمجلة « النيوزويك » .. بدأ صاحبنا يسمع الكثير فى اتصالاته وجولاته السياسية .. وشعر بأن الحرب النفسية للاعداء ، توحى للناس أن اليوم الاول للحرب ، يعنى أن اسرائيل ستدمر القاهرة وكل المدن الكبرى .. وان أمريكا سوف تشترك بكل قوتها العسكرية لتخريب كل المرافق .. حتى يقع النظام .. وكانت الحرب النفسية تروج الاشاعات عن عدم استكمال استعدادنا العسكرى .. مما كان له بعض الاثر فى النفوس ..

وقد أسرع صاحبى وطلب لقاء مع الرئيس ·· ونقل اليه الصورة كما سمعها من بعض الناس ··

وقد التقيت بهذا الصديق ـ وهو الاستاذ محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب ـ بعد اجتماع الرئيس به ·· وسألته عن النتيجة ··

فقال لى :

ـ ان أنور السادات شخصية غريبة ·· كثيرا ما أذهب اليه ، وأنا مقتنع تماما بالرأى المخالف ·· أناقشه بكل حرية وصدق وبدون أى حرج فى ابداء رأيى ·· ولكننى أخرج من لقائه دائما مقتنعا تمام الاقتناع ، بوجهة نظره ·· لقد ذهبت اليه هذه المرة ، مهتز الوجدان ··

وخرجت من عنده ، وكأننى أحمل بندقية ·· وكأننى مستعد للقتال فى التو واللحظة ·· وبكل الثقة فى الانتصار ··

★ ★ ★

وانتهى شهر أغسطس ·· وأنا أتابع أنباء الاستعداد للقتال ·· والتقيت بالدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ·· وبعد حوار طويل استمر أكثر من ساعتين ·· وجدته يعد بكل هدوء الاعصاب ، للخطة الاعلامية عندما تبدأ المعركة · وهذا يفسر ان الاعلام خلال فترة الحرب ، كان هادئا وناجحا ، واستطاع أن يكسب ثقة العالم ·· لان كل شىء كان مخططا له من قبل ، وفى فسحة من الوقت ·

والتقيت بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ·· ووجدته ممتلئا بفكرة القتال ، مطمئنا تماما الى امكانيات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى ·· واثقا من الانتصار ·

وكنت مدعوا للسفر الى تونس فى العشرين من أغسطس لعشرة أيام ·

وشددت الرحال الى هذا البلد الجميل ··

وكان لقائى مع الرئيس بورقيبة ·· الذى لم يتقبل منى أبدا ، أن مصر مستعدة للحرب بل قال لى ، وكرر عبارته أكثر من عشر مرات : أنا متشائم ·· أنا متشائم ·· أنا متشائم ·

بل انه ذكر لى أنه نصح الرئيس أنور السادات عندما كان فى زيارة تونس ، أن يتخلى عن شرم الشيخ ·· ولا داعى لاستمرار هذه الازمة الطاحنة ، اذا كانت قطعة أرض صغيرة ترضى اسرائيل !!

وكانت وجهة نظر الرئيس بورقيبة تتمثل كما يلى ، على لسانه :

قال :

● اننى أرى أن النفوذ السوفيتى يتدعم ويتسع فى مختلف بقاع العالم · والحرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى مستحيلة ·· والاتحاد السوفيتى الآن يريد أن يستفيد من التقدم التكنولوجى الامريكى ، لكى

يدعم كيانه فى الداخل ، ويوسع نفوذه خارج أرضه والنفوذ السوفيتى قائم الآن فى الشرق الاوسط • وان العون السوفيتى العسكرى لمصر لن يحقق كل ما تريده مصر للقتال •

● والموقف الامريكى واضح فى المساندة الكاملة لاسرائيل • وأصبح معروفا أن الاتحاد السوفيتى لا يؤيد نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط • ومصر لم تحصل على ما تريده من أسلحة ، والميزان العسكرى لا يزال فى صالح اسرائيل ، وقد أصبحت اسرائيل الآن تشكل خطرا على الواقع العربى كله • وسوف تحقق حلمها من النيل الى الفرات •

● السياسة الناجحة هى الترهيب والترغيب •• بمعنى أن تكون لدينا القوة لضرب اسرائيل ضربة جزئية • وبعدها يكون الترغيب •• بالتفاوض ولكن •• بكل أسف •• ليست لدينا القدرة على الترهيب ، لان المقاومة الفلسطينية غير قادرة على مباشرة نشاطها ، بسبب ما فرض عليها من قيود خوفا من رد الفعل الاسرائيلى • كما أن مصر لا تستطيع أن تبدأ حرب استنزاف ، لانها ستتحول الى حرب شاملة ، والميزان العسكرى فى صالح اسرائيل •

● الواقع العربى مؤلم ومؤسف • خلافات • اصطدامات • تناحر • صراعات حزبية ومذهبية • تقسيمات للدول العربية بأن هذه رجعية وهذه تقدمية وهذه ثورية • والامة العربية تغط فى نوم التخلف •

وليس من السهل استخدام سلاح البترول العربى • وأمريكا سوف تنفذ تهديدها بالاستيلاء بالقوة العسكرية على منابع البترول اذا حرمت من حاجتها اليه •

● لقد أعدت اسرائيل نفسها عسكريا واقتصاديا ، بحيث تستطيع التمرد على أمريكا ، اذا اضطرت أمريكا الى مباشرة ضغط على اسرائيل لصالح العرب اذا هم استخدموا سلاح البترول (وهذا غير وارد) •• ان اسرائيل لن تستسلم لاى ضغط أمريكى ، وأصبح لديها من قوتها الذاتية فى التصنيع الحربى ما يكفيها ، وستصل الى ما هو أقوى •

حتى أننى قلت للرئيس بورقيبة :

ــ اننى أرى أنك تقفل كل الابواب • أليس هناك من أمل ••

ــ لا أمل عندى على الاطلاق ••

ــ والحل ••

ــ أن تنصرف الجهود وبسرعة لمقاومة التخلف ••

★ ★ ★

كان هذا رأى الحبيب بورقيبة •• ولم يختلف معه فى هذا الرأى وزير خارجيته حينئذ محمد المصمودى • لقد دعانى الى غداء ، جرى خلاله حوار

طويل ·· كان يقول أنه ليس متشائما مثل الرئيس بورقيبة ، لان المشكلة تعقدت الى درجة لابد من الوصول فيها الى حل · ولكن الحل ليس هو الحرب ·· لاننا غير قادرين عليها ··

ــ وماذا ترى ؟ ··

قال :

ــ ان الرئيس السادات أجرى تحولا جذريا فى أسلوب الحكم الداخلى · وأصبحت مصر تشعر فعلا بالديمقراطيــة · اننى أرى ان الطريق الوحيــد أمامه ، هو أن يعلن نبذه لفكرة الحرب تماما ، ويترك الوضع على ما هو عليه، ويتجه الى البناء الاقتصادى · عندئذ ستساعده كل الدول ··

وحتى تقوى مصر ·· وتقاوم التخلف ·· تستطيع اذن أن تحارب وتحرر الارض ·

وحاولت عبثا أن أقنع المصمودى بأن الحرب هى الحل الاوحد ·

أما الرئيس الليبى معمر القــذافى فــكان قد أعلن عن رأيه فى خطابات علنية ·

قال أنه مختلف تماما مع الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد · فى الاستراتيجية التى اتفقا عليها · وأنه يرى أنها استراتييجية فاشلة فى قهر العدو الصهيونى ، ولكنه سجل أنه يقدم كل امكانيات تطلب منه (ونفذ ذلك بعد الحرب ، جزئيا) ·

وقد كان القذافى يرى بعــد حادث نسف الاسرائيليين للطائرة المدنيــة الليبية ، أن تجرى ضربة انتقامية داخل اسرائيــل · ثلاث طائرات تنطلق من دمشق الى اسرائيل ، وتضرب ، وتعود الى القاهرة أو العكس ·

ولم تقر القاهرة ·· ولم تقر دمشق ·· وجهة نظر القذافى · لان الحرب هى الحرب الشاملة · ولن نبدأ الا عندما نكون قادرين على المواجهة الشاملة فعلا · وأى جهد جزئى ·· هو شىء ضائع ··

وأعلم أن القــذافى طلب بعد ذلك ، أن تضرب البحــرية المصرية باخرة كبيرة للركاب ، هى الباخرة البريطانية « كوين اليزابيث » التى كانت تنقل سائحين من أصحاب الملايين الى اسرائيل · وقد رفض أيضا هذا الطلب ، لان الحرب ، ليست بضرب مدنيين سائحين ··

وأخطأ القذافى فى تحليل الوضع الداخلى فى مصر ··

كان يتصور أن النظام على شفا هاوية ·· ولذلك دعا الى ما أسماه الثورة الشعبية داخل ليبيا ·· وطالب بتطبيق هذه الدعوة فى مصر ، متصورا أنها تثير الطبقة العاملة وتحقق اضطرابا داخليا ، وتأييدا له كصاحب الدعوة ·· ثم دعا الى ما أسماه النظرية الثالثة ·· ولم تجد هذه الدعوة أيضا أى صدى فى مصر ··

وعلى كل ليس هذا مجال تفنيد كل ذلك .

ولكن المهم أن القذافي كان معارضا للتخطيط المصري للمعركة .. ثم أنه أيضا شكك في هذا التخطيط في حديث صحفي نشر في بيروت قال فيه ما معناه : ان الرئيس السادات يتحدث عن المعركة .. والحقيقة أنه لا توجد معركة .. وعندما بدأ القتال في ٦ أكتوبر .. اعرب القذافي أيضا ، عن معارضته ، وقال أنه لا يتوقع النجاح ، وانه لم يغير رأيه السابق ، وان مصر لم تبلغه بساعة الصفر .. وأنه « برى » من هذه الحرب .. يقصد « برىء » ..

وقام القذافي بعد ذلك بجولة في أوروبا .. ودعا الى مؤتمر صحفي في باريس ، وصف فيه انتصار ٦ أكتوبر ، بأنه هزيمة ، وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر بترول .. وقال أيضا ان الامة العربية تفتقر الى الرجل القائد الشجاع الذي يعترف بالحقيقة .. وقال ان جمال عبد الناصر كان هو ذلك القائد الشجاع الذي اعترف بالهزيمة في عام ١٩٦٧ ، ولكن جمال عبد الناصر غير موجود الآن .. وان الثغرة التي قيل أنها من ٧ دبابات .. تحولت الى ٧ ألوية ..

وكان المؤلم أن يصرح رئيس عربي بذلك في عاصمة أوربية .. في وقت كان أي مسئول اسرائيلي لا يجرؤ على ادعاء الانتصار ..

وأسجل أن شخصية مصرية كبيرة ـ ليست الرئيس السادات ـ التقت بالقذافي عندما حضر الى القاهرة لتكريم أبطال القوات المسلحة في مجلس الشعب .. وقالت هذه الشخصية المصرية للقذافي : أنك قدمت أكبر خدمة لاسرائيل .

ولا أريد الاستطراد في تقديم صورة للموقف العربي ، قبل ٦ أكتوبر ، فستجيء هذه الصورة في الصفحات المقبلة ..

ولكنني أردت أن أقول .. ان الصورة الظاهرة لم تكن تدعو الى أي تفاؤل ، عن امكان القيام بعمل حربي موحد .. أو أن الامكانيات العسكرية العربية كلها يمكن استخدامها في القتال .. أو أن سلاح البترول سيكون له وجود بعد اشتعال القتال ..

★ ★ ★

وعدت من تونس في أول سبتمبر ..

ثم بدأت الاشاعات تنتشر عن اعلان حالة الطوارىء في القوات المسلحة المصرية ..

وأذكر أنني كنت في زيارة مسئول كبير يوم الخامس من أكتوبر .
وقلت له : ان أخبار حالة اعلان الطوارىء في الجيش .. على كل لسان .

وابتسم وقال ممعنا في تضليلى : وما الغريب في هـذا ٠٠ ؟ يجب أن تتحرك مشاعر الجماهير ٠٠ ان الحرب ممكنة في أى لحظة ٠٠ واسرائيل يمكن أن تهاجم ٠٠ فلماذا لا نجـرب حالات الاستعداد ٠ ثم أخذ هـذا المسئول الكبير ـ الذى كان يعرف سـاعة الصفر ـ يحدثنى عن مشـكلات التموين والمجمعات الاستهلاكية !

وفى صباح ٦ أكتوبر نقلت وكالات الانبـاء ، وتل أبيب ، أن اسرائيل تستدعى الاحتياطى ٠٠ وأنها أعلنت التعبئة الكاملة ٠٠

واتصلت بأحد الوزراء وأعطيته صورة عن الموقف في اسرائيل كما نقلته وكالات الانباء ٠٠

فقال لى :

ـ فى نطاق مسئوليتى كوزير ٠٠ لقد طلب الى أن أتخذ كل الاحتياطات الممكنة منذ أيام ٠٠ ولكننى لا أعرف حقيقة ما يجرى الآن ٠٠

⊙❖⊙

ثم صدر أول بلاغ عسكرى مصرى عن القتال ٠

وكانت الحرب !

⊙❖⊙

ولكن كيف كان الموقف منذ هزيمة يونيـو ١٩٦٧ ٠٠ وكيف كان أنور السادات يفكر منذ ذلك الحين ؟ ٠٠

حديث خاص لانور السادات فى نوفمبر ١٩٦٧ ، يلقى الاضواء على فكر الرجل الذى كان يعده القدر لمستقبل لم يكن أحد ليتخيله ٠

وهذا ما تقرؤه في الفصل المقبل ٠



علم مصر .. فوق ارض مصر .. بعد ان طهرها أبناء مصر ..

حديث لم ينشر

●●● « في نوفمبر ١٩٦٧ جمعتني مع أنور السادات رئيس مجلس الامة جلسة خاصة استمرت ثلاث ساعات ، تحدث خلالها الرجل عن تقييمه للموقف بعد الهزيمة ، وعن طريق البداية لمواجهة كل آثار الهزيمة . سجلت هذا الحديث في حينه ولم يكن للنشر .

ان قراءة كلمات أنور السادات بعد الهزيمة في ١٩٦٧ .. تؤكد أن الطريق الذى بدأه بعد توليه الرياسة لم يكن فكرا جديدا طارئا عليه . في هذا الحديث يؤكد أنور السادات أن أمريكا لن تغير من موقفها المنحاز لاسرائيل الا اذا أجبرناها على ذلك » ●●●

« عد بنا يا سيدى الى ثلاثة وعشرين عاما خلت من العمر ·· أنت اليوزباشى أنور السادات المطرود من الجيش ، والمعتقل بأمر السلطة البريطانية ·· وأنا الشاب الذى لم يجاوز حينئذ التبسعة عشر عاما ، المتخرج لتوه فى كلية الحقوق ، ونزيل المعتقل معك ·· لم يكن بيننا حجاب فى رأى أو تعبير أو وجهة نظر ··

اليوم يا سيدى تجمعنا ساعات محنة بالغة القسوة والمرارة · كلنا اليوم فى ساحة معركة واحدة · رئيس مجلس الامة والوزير والصحفى والقاضى والعامل والمهندس والفلاح وطالب الجامعة ·· كلنا نعانى أيام المصير » ··

⊙❖⊙

وهكذا بادرت أنور السادات رئيس مجلس الامة ·· فى جلسة خاصة دعانى اليها فى مكتبه بعد هزيمة يونيو ··· وبالتحديد فى صباح العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٧ · لم يكن الحديث للنشر ·· ولكنه كان كعادته بين الحين والحين ·· يدعو صديقا كاتبا أو صحفيا ·· ليتبادل معه الكلمة ·· يستشف منها اتجاهات الرأى العام المختلفة ··

وانتهزت الفرصة لكى أفرغ له كل ما فى صدرى من قساوة ومرارة · وسجلت المناقشة ـ التى استمرت ٣ ساعات ـ فى حينها ·· واحتفظت بها فى أوراقى الخاصة ·· ودعوة التاريخ تطالبنى اليوم بنشر هذه المناقشة بكل كلمة فيها ·· وبعد أن أصبح أنور السادات هو الرجل الاول ·· وبعد انتصارات ٦ أكتوبر ·· فاننا نرى ان الطريق الذى سار فيه أنور السادات رئيس الجمهورية حتى اتخذ قرار ساعة الصفر ·· كان ممتدا فى أعماق فكره منذ زمن طويل ··

لقد كان واضعا يده تماما على كل أوجه القصور ··

وكان مقدرا للدور العدائى الذى ستقوم به أمريكا ··

وكان عارفا أن الانتصار سينطلق أولا من قاعدة ديمقراطية فى الجبهة الداخلية ··

وكان مدركا ، أن الجهد السياسى الدبلوماسى ·· لا يتنافى أبدا مع الاعداد للقتال ··

قلت له وهو يجلس على المقعد الهزاز بجوار شرفة تتسلل منها شعاعات شمس دافئة ·· سارحا يفكر فى دخان سيجارته ·

ـ ليس عندى لك أيها الاخ العزيز كلمة نفاق ·· وأرجو ألا أجد عندك لى يا سيادة رئيس مجلس الامة الا كلمة الحقيقة ··

قال أنور السادات والارهاق يثقل عينيه وكل قسمات وجهه :

ـ وكيف يمكن أن نخطط وسط هذه الغيوم المتلبدة ، ومشكلات المصير تحاصرنا .. كيف يمكن أن نقتحم الغد الخطير ، بغير الكلمة الامينة ، بغير صحفي يعيش بالصدق ، ومسئول لا يخفى ولا يخدع ، ومواطن يعطى ثقة عن حرية واقتناع .

قلت :

ـ اذن فلنبدأ النقاش في حرية كاملة .. ولو كان النقد موجها اليك . كيف يمكن أن يتأخر اجتماع مجلس الامة منذ ١٠ يونيو حتى اليوم ؟ . كيف تعيش الامة أخطر أزماتها ، بغير مجلس يقول كلمة الامة ؟

أنور السادات :

ـ أنا مسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن عدم التقاء المجلس ..

قلت :

ـ كان يجب أن يجتمع المجلس . ألم تصل اليك أصوات الجماهير تنتقد هذا الوضع ؟ .. ألم تستمع الناس يقولون في شبه اجماع .. كيف يؤلف مجلس الامة لجنة تتقصى الحقائق فى مصنع السيارات ومستشفى قصر العينى .. ثم يقفل المجلس فمه ويصم أذنيه ويغمض عينيه . والامة كلها تعانى من أزمة قاصمة ؟ ..

أنور السادات :

ـ طبعا سمعت هذا الكلام .. واحترمت واجهته .. وأنت تعرف أننى لا أزال ابن الشارع . لم أنفصل عنه ولن أنفصل . ولكن يجب أن تستمع الى وجهة نظرى .. ولنعد معا الى ليلة وصباح ١٠ يونيو .. لقد سجل التاريخ هبة الشعب الكبرى .. صوت الملايين . اجتماع المواطنين كل المواطنين .. صرخة الشارع .. نداء الضمير القومى . سجل التاريخ اجماعا لم يشهده من قبل على أرض الوطن .. شعب يطالب القائد فى صوت واحد أن يبقى .. يطالب الرمز ألا يسمح للاعداء بأن يسقط الرمز .. يقول لعبد الناصر .. ابق فى مكانك ..

وأرجو أن تعلم ان جمال عبد الناصر فى مساء ٩ يونيو ، قد أعلن قراره بالتنحى عن تصميم قاطع .. فشلت كل القوى التى تحيط به والقادرة على التأثير عليه أن تزحزحه قيد شعرة عن التنحى وكان منطقه غير قابل للمناقشة .. اذا كان الاستعمار يلحق ـ بسبب وجودى ـ أضرارا لبلادى لا أستطيع دفعها .. فلأذهب أنا .. لتبق بلادى ..

واجتمع مجلس الامة فى صباح ١٠ يونيو محاطا بكتل الجماهير الصاخبة .. واتخذ المجلس قراره بتخويل جمال عبد الناصر سلطات المجلس فى اعادة البناء العسكرى والسياسى للبلاد .

وعندما أقف لاقول لك ان جمال عبد الناصر اتصل بى تليفونيا بعد الجلسة مباشرة ٠٠ ولم يكن يعرف من قبل شيئا عن هـذا القرار ٠٠ وسألنى ٠٠ ما هذا القرار ٠٠ وتلوته عليه ٠٠ وسألنى ولماذا أخذتموه دون استشارتى فقلت له ٠٠ الموقف خطير جدا وبالغ الخطورة ٠٠ واذا لم يطمئن الشـعب اليوم الى أنك ستقوده فى هذه المرحلة ٠٠ فلا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحل بالبلاد من فوضى وخراب ٠٠ وأبلغت الرئيس بالعرائض التى تلقيتها من مختلف طوائف الشعب تطالبه بتحمل المسئولية ٠٠

خلاصة الموقف ٠٠ ان غضبة الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو كانت تعبر عن حقيقة واحدة ، وهى الثقة برمز واحد هو جمال عبد الناصر ٠٠ كان اعلان هذه الثقة بجمال عبد الناصر ، يحمل فى طياته اقتراعا بعدم الثقة فى كل شىء آخر أدى الى الفشـل ٠٠ كانت صورة الهزيمة هى الصـورة الحقيقية الجامعة لكل جوانب الموقف ٠٠ وكان الامل فى القائد أن يحول هذا الفشل الى نجاح ٠

ولذلك اتخذنا قرارنا بتخويل جمال عبد الناصر سلطات مجلس الامة فى اعادة البناء العسكرى والبناء السياسى للبلاد ٠٠

قلت :

ـ هل تسمح لى أن أتوقف قليلا باستطرادك ٠

قال :

ـ تفضل ٠٠

قلت :

ـ كانت تلك لحظات عاطفة ساخنة ٠٠ وكان هـذا القرار يحمـل معنى يماثل المعنى الذى عبرت عنه مظاهرات ٩ ، ١٠ يونيو ٠٠ جميلا جدا ٠ ولكن ماذا يمنع المجلس من الاجتماع لمناقشة أسباب النكسة ٠٠ لدراسة عميقة فى كيفية اعادة البناء ٠٠ لنظرات مدققة فى داخل أنفسنا ٠٠ لمكاشفة حقيقية لما لنا وما علينا ٠٠

قال :

ـ لقد تم هذا فى الاجتماعات التى عقدناها للمجموعات الاقليمية ٠٠ بل ان بعض الاعضاء فى هذه الاجتماعات تجاوز حدود الدراسة والمناقشة ٠٠ ولكن هل ننسى الدور الايجابى الذى أداه الشعب ٠٠ هل ننسى مناقشات الشعب فى كل مكان ٠٠ لقد كانت هى التعبير الصادق عن الجماهير ٠٠ هى صوتها الامين ٠٠ ان مرحلة نقد النفس التى واجهناها هى الدليل الساطع أمام التاريخ ، على أن هذا الشعب ٠٠ طيب ٠٠ أصيل ٠٠ ان كل ما تردد من مناقشات ليل نهار بين كل الفئات ٠٠ حتى النكت التى رددتها الالسنة بكل سخريتها اللاذعة ٠٠ كل ذلك يؤكد انه شعب واع ٠٠ لا يفوت حقه

أبدا فى المحاسبة عن الخطأ ‥ وفى الوقت نفسه لا ينسى أمام الكوارث والنكبات ، ان الحفاظ على نظامه ومكاسبه هو أول واجباته فى التصدى للعدو ‥ كان يمكن لو ألمت هذه النكسة بشعب آخر أن تشيع فيه الفوضى ، وأن تتسلل اليه النوازع الخبيثة ، ولكن الشعب حافظ على تماسكه الرائع ‥ وقدم الدليل على أنه الشعب الاصيل الطيب المتطلع الى الخير ‥ هذه واحدة ‥

أما ما كنت سأستطرد اليه ، وقاطعتني ملاحظتك ، هو أن المهمة الشاقة الجسيمة الاولى بعد النكسة كانت أعادة البناء العسكرى ‥ لقد كان الشروع الفورى فى اعادة البناء السياسى مستحيلا ، والعدو فى أرضنا منتفخا فى ساعات نصره الاجرامي الانتقامي وقواتنا تعانى من انسحاب تم فى ظروف بالغة السوء يعلمها الجميع ، وقسوة الاحزان والآلام تمزقنا وأمامنا قوات الطيران تتبدد فى ساعات ‥ ومدرعاتنا وأسلحتنا الرائعة تتحول الى سلائب للعدو فى أيام ‥ اننى لا أتحدث الآن عن الاخطاء العسكرية ، ولكنى أصور الوضع العسكرى بعد النكسة ‥ الذى كان لابد من انقاذه بكل القوى ومهما كان الثمن .

وأؤكد لك أننا نتصور أعادة البناء العسكرى للبلاد ، وكأنه الحلم بمعجزة مستحيلة .

وكان العدو يعرف ذلك ، وقد بنى خططه السياسية بعد القتال ، على أن الحكم الثورى فى مصر لن يستمر بضعة أيام ‥

ولذلك فاننى أقول ان قرار مجلس الامة بتخويل جمال عبد الناصر كل السلطات لاعادة البناء العسكرى ، صدر فى توقيته السليم ، وفى موضعه الصحيح .

ليس من الحكمة أن نخوض فى التفاصيل ‥ ولكننى أقول ، وأنا مستريح الضمير ، ان مقارنة الوضع العسكرى اليوم ، بالوضع العسكرى فى أيام النكسة ‥ تؤكد لنا ان القيادة باشرت مسئوليتها على أكمل وجه ‥

بقى الموضوع الخطير الثانى ‥ والموضوع الاول مستمر بطبيعة الحال ، فحالة الحرب قائمة ‥ والقتال متوقع والمعركة طويلة تحكمها المفاجآت .

الموضوع الثانى هو اعادة البناء السياسى ‥ وها نحن قد بدأنا بدعوة المجلس الى الانعقاد ليباشر مسئوليته ‥

قلت :

ـ المسألة تتحمل مزيدا من الجدل ‥ ولا أريد أن أضيع من وقتك الآن بعد أن تقرر اجتماع مجلس الامة ولكن قبل أن نتطرق الى موضوع اعادة البناء السياسى ‥ أريد أن أسألك عن الحلول السياسية التى تجرى الآن فى الامم المتحدة .

أنور السادات :

ـ لا بأس ٠٠ وأريد أن أعلن بوضوح كامل ، اننى لا أعتقد على الاطلاق أن أمريكا ستعدل عن موقفها في المساندة الكاملة لاسرائيل ٠٠ الا اذا استطعنا اجبارها على ذلك ٠

الذى يبدو الآن جليا ، ان أمريكا لا تساند اسرائيل بهذا الاسلوب المفضوح الذى لا يتفق مع مكانتها كدولة كبرى ، ليس لانها أخلص حلفاء اسرائيل كما قال موشى ديان منذ أيام ٠٠ ولكن لان أمريكا تريد فعلا أن تصفى حسابها مع ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ وقائدها جمال عبد الناصر ٠

لم يعد الموقف الآن فى الامم المتحدة بيننا وبين أمريكا ٠٠ نحن نطلب السلام والحق ونلتزم بتطبيق ميثاق الامم المتحدة وأمريكا تريد لنا أن نحرم من السلام ٠٠ وأن نقبل الباطل راكعين ٠٠ وأن نؤمن بأن أمريكا هى حاكم العالم ٠٠ هى المعز المذل ٠٠ هى القوة التى يجب أن تطاع وأمريكا أرادت هذه المعركة وصممت عليها ، ولا تزال مصرة فى عناد غريب ٠

هى التى طلبت منا ألا نهاجم ٠٠ حتى تباغتنا اسرائيل بالهجوم ٠٠ وهى التى عرضت أن يحضر همفرى نائب الرئيس جونسون الى القاهرة للتباحث مع عبد الناصر ٠٠ وبعد سفر رسولها بأيام ٠٠ وفى الموعد المحدد لسفر زكريا محيى الدين الى واشنطن٠٠ وقع الهجوم الاسرائيلى،وهى التى أرادت بعد النكسة أن تظهر براءتها من اتهام تدبير الهجوم والمشاركة فيه ٠٠ فأظهرت استعدادا للتدخل بشأن حل سياسى يحترم حقوقنا وفجأة غيرت موقفها ٠٠ وتمادت فى العناد والصلافة والاصرار !

كانت أمريكا تتصور أن هذا النظام سينهار ٠٠ وان الحكم الثورى لايمكن أن يستمر ٠٠ وكانت ترقب الموقف وخاصة الاحداث المرتبطة بمؤامرة أغسطس الماضى التى قام بها عدد من ضباط الجيش ولذلك أبدت جانبا من المرونة ٠٠ ثم تحولت فجأة عن هذه المرونة ٠٠ وكان خطاب الرئيس جونسون الى الرئيس اليوغوسلافى جوزيف بروز تيتو الذى تلقاه فى اليوم السابق على مجيئه الى القاهرة ، مؤكدا أن أمريكا تبيت شرا للحكم الثورى ٠

ثم عادت الى المرونة بعض الشىء ٠٠ وتبنت مشروع دول أمريكا اللاتينية ٠٠ ولكنها أخيرا أصبحت تقول ان هذا المشروع يعتبر فى خبر كان ٠٠ وان الموقف قد تبدل ٠٠ وانه لا يصلح أساسا للعمل السلمى !

المسألة اذن ٠٠ ليست هى مساندة الرئيس جونسون لاسرائيل بسبب الانتخابات المقبلة ٠٠ ولكنه موقف محدد للحكومة الامريكية من نظام الحكم فى بلادنا ٠٠ حتى ولو كان على حساب سمعة الولايات المتحدة الامريكية الدولية ٠٠ حتى ولو كان على حساب صداقة سبعين مليون عربى فى الشرق الاوسط ٠٠ وتلاشت المبادىء الخمسة التى أعلنها جونسون كأساس لحل الازمة ٠٠

واذا ضربنا المدمرة (ايلات) بعد استفزاز استمر يومين •• تقرر أمريكا على الفور امداد اسرائيل بخمسين طائرة مقاتلة •• ويقرر الكونجرس مقاطعة القطن المصرى والقطن السودانى •• وعندما تضرب اسرائيل مواقع البترول والمناطق المدنية فى محاولة همجية لتخريب الاقتصادى المصرى •• فان أمريكا لا تنطق بحرف واحد !! •• ولعلها سكتت ، بل قاومت أن يصدر مجلس الامن قرارا بادانة اسرائيل فى هذا الانتهاك •• الحل السياسى الذى تريده أمريكا ، هو الاستسلام •

ولن نستسلم •• ولن نستسلم •• ولن نستسلم ••

قلت :

ـ اذن •• انت ترى ان الحل السياسى قد أصبح خارجا الآن عن الحساب والتقدير ••

أنور السادات :

ـ لا •• ولكننا لن نقبل الاستسلام •• ؟ •• وحتى لو فرض وأصدر مجلس الامن قرارا نرتضيه •• فمن سينفذ هذا القرار ؟ •• هل تتصور ان اسرائيل ستمتثل لقرار الامم المتحدة ، وهى ترى أمريكا تحرضها على التمرد ، وعلى تحدى دول العالم •• وتحميها من أى عقوبات دولية ••

واذا كان هذا الموقف من أمريكا كما أسلفت ، هو موقف ضدنا نحن مباشرة •• موقف مرصود مقصود ، فهل نتصور أن أى قرار يصدر من مجلس الامن أو الجمعية العامة فى صالحنا •• هل نتصور أن أمريكا ستساعد على تنفيذه ؟ • الجواب طبعا بالنفى • والجواب أعلنته أمريكا نفسها وهى تباشر ضغوطها العنيفة على الدول الاعضاء •• لقد قال جولدبرج ان أمريكا لن تتعهد بتنفيذ أى قرار الا اذا كان القرار الامريكى ••

الحق القتيل يريدون له أن يرضى بدمه المسفوك •• والغيلان القاتلة لا تريد له أن يمسح جراحه •• انها أبشع صور التسلط •• ان أمريكا تريد لجلسات الامم المتحدة أن تكون مأدبة لمص الدماء •• لا يا أمريكا •• لن يكون فينا غير الرجل الحر الذى يدافع عن دمه بدمه •• وسيجىء الوقت الذى تعرف فيه أمريكا ، انها تسير فى غير طريق الصواب •• وستعرف أمريكا يوما ان الاعتماد على اسرائيل ضد العرب لن يجدى •

قلت :

ـ ألا ترى أن القوى الاشتراكية ستكون مسئولة عن هذا الطغيان الامريكى •• اذا لم تتخذ موقفا متحديا له •

أنور السادات :

ـ هذا أمر واضح •• فالمعركة الآن تجرى على ميدان عالمى واسع • تفجر فيها أمريكا صواريخها فى موقعين •• فيتنام والشرق الاوسط ••

ولذلك فان شعوب العالم المكافحة على ثقة من أن القوى الاشتراكية المتحررة لابد أن تتحرك خطوات جديدة حتى لا يؤثر هذا الاختلال فى التوازن العالمى ..

قلت :

ـ هل تقصد الموقف الدولى ؟

أنور السادات :

ـ أقصد ان مجال العمل الدبلوماسى على نطاق القوى الكبرى لا يزال متسعا لكثير من الخطوات التى تحمى حركات التحرر فى الشرق الاوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من أن تفتك بها الضغوط السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية التى تباشرها قوى التسلط العالمى .

ان القضية فعلا .. ليست قضية مصر فقط أو البلاد العربية .. انها قضية القوى المتحررة فى العالم ..

ولذلك كان طبيعيا أن يجتمع زعماء الدول الاشتراكية فى أوربا أكثر من مرة .. لمناقشة أزمة الشرق الاوسط ..

قلت :

ـ ولكن هذا لا يعنى أن نتراخى وأن نحمل الصديق فوق ما يطيق .. ماذا فعلنا نحن فى أرضنا حتى نغير ما بأنفسنا ؟ .

قال :

ـ هذا يعود بنا الى اعادة البناء السياسى .. دعم الجبهة الداخلية .

قلت :

ـ نعم .. وهذا هو السؤال الكبير الذى لم تصدر عنه اجابة كبيرة حتى الآن ..

قال :

ـ كان لا يمكن أن نشرع فى اعادة البناء السياسى بحلول جذرية .. قبل أن نجتاز مرحلة التقاط الانفاس .. وأعتقد أننا اجتزنا اليوم تلك المرحلة .. وعلينا أن نفكر جميعا بصوت مسموع .. أريد أن أسمع رأيك ..

قلت :

ـ اذا كان الناس قد انتقدوا عدم اجتماع مجلس الامة .. فهذا لا يعنى رضاهم عن مجلس الامة بشكله الراهن .. وأعتقد أن من الحلول الجذرية أن تجرى انتخابات حرة جديدة ..

قال :

ـ ماذا تقصد بشكله الراهن ..

قلت :

ـ أقصد بأعضائه الحاليين ٠٠ فقد مرت مناسبات قومية عديدة ٠٠ ولم تر الجماهير أن أعضاء مجلس الامة قد ارتقوا الى مستوى تلك المناسبات ٠٠ وليس مفهوما أن يكون رئيس مجلس ادارة الشركة عضوا فى مجلس الامة ٠ ان المجلس رقيب على هذه الشركة ٠٠ فكيف يراقب العضو نفسه ٠٠ والناس تتحدث عن امتيازات الشقق وسيارات نصر لاعضاء المجلس ٠٠ والناس تتحدث عن رحلة أعضاء المجلس الى غزة ٠٠ كانت للدراسة فتحولت الى شراء الملابس والكماليات وأطقم الصينى ٠

⊙✣⊙

وتوقفت عن الكلام ٠٠ ولم يعلق أنور السادات ٠٠ كان يستمع بكل مشاعره ٠٠ ثم قال :

ـ أنا لا أريد أن أقيد حريتك فى التعبير عن الرأى ٠٠ ولكننى أقول لك أن هناك عناصر صالحة فى مجلس الامة ٠٠ وان المجالس النيابية فى كل أنحاء العالم يعتمد نشاطها على عدد محدود من البرلمانيين ٠٠ ولكننى أوافقك على أن الحلول الجذرية تتطلب بدايات جديدة من الاعماق ٠٠ ان أعضاء المجلس الحالى لا يغضبون لو قلنا لهم ان المرحلة الخطيرة التى تمر بها البلاد تحتاج الى استفتاء شعبى جديد ٠٠ أى الى اجراء انتخابات جديدة ، يختار فيها الشعب من يمثله ليتحمل مسئولية البناء الجديد ٠٠ والكفاح الجديد ٠٠ فهذا أسلوب ديمقراطى ، لا يأباه أعضاء مجلس الامة ٠٠ ولا تأباه التقاليد البرلمانية ٠٠ هذا صحيح ٠ ولكن هل تعتقد ان الوقت الآن مناسب لاجراء انتخابات ؟

قلت :

ـ ولماذا لا يكون مناسبا ؟ ٠٠

قال :

ـ أنا لا أفرض رأيى ٠٠ ولكن لنقلب الامر معا ٠ العدو على الابواب ٠٠ ولابد أن نتوقع منه اجراء غادرا فى أى وقت ٠٠ والجبهة الامريكية الخارجية التى تناصبنا العداء قوية ولها امكانياتها الضخمة وتحتاج منا الى يقظة مستمرة وحذر لا يغفل أو ينام ٠٠ والحماسة من أجل الانتخابات قد تخرج المرشحين عن مواقف اليقظة والحذر ٠٠ ألا ترى ان انتخابات مجلس جديد ، وان كانت واجبا ديمقراطيا ، هى واجب يتقبل منا أن نمهله الى حينه ٠

قلت :

ـ الوضع يا سيدى لا ينطبق على مجلس الامة فقط ٠٠ انه ينطبق أيضا على تنظيمات الاتحاد الاشتراكى واستكمالها ٠٠ وقد أعلنا أنها ستجرى من القاع الى القمة بالانتخاب الحر وسيلة مثلى للتعبير عن رأى الجماهير ٠٠ ولا أعتقد أننا سنجرى تغييرا جذريا فى البناء السياسى بغير صوت الجماهير ٠٠

ـ الواقع ان هناك مشكلات عديدة فى الوسائل الجذرية لاعادة البناء السياسى ويعترضها دائما السؤال السياسى .. من أين نبدأ ؟ وكيف ؟ .. وهذا هو موضوع البحث المستمر منذ وقوع النكسة حتى يومنا هذا . الكلمة متفقة على أن اعادة النظر فى الجسم السياسى ، وفى وظائف أعضائه .. وفى حسن أختيار الاعضاء الوظائفها الديموقراطية .. من واجبات دعم الجبهة الداخلية .. ولكن المناقشة مستمرة فى كيف ؟ ومتى ؟ .. ان الهدف من المناقشات هو .. كيف نسير فى الطريق الذى يكون المواطن الصالح الحر فيه هو المواطن الذى يقدم رأيه الامين مجردا من النفاق والخوف ومسايرة السلطة .

قلت :

ـ هناك تعبير سياسى يقول .. سياسة جديدة تعنى وجوها جديدة ..

قال :

ـ لقد كان يقينى دائما ولن يتغير .. ان الوجوه التى يختارها الشعب بملء ارادته وحريته هى التى ترسم وجه المجتمع فى صدق .. وفى مراحل التحولات التاريخية فى حياة الشعوب ، فان القائمين على مسئولية هذه التحولات ، ومواجهة مشكلاتها وأزماتها ومفاجآتها ، لن يقدروا فعلا على أداء دورهم الا اذا كانوا معبرين عملا وقولا عن ارادة الجماهير ..

ونحن فعلا نواجه اليوم مشكلات التطبيق الديمقراطى ، فى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بوظائفه كتنظيم شعبى .. وفى قيام مجلس الامة بدوره التشريعى والرقابى .. ان المزيد من الديمقراطية السليمة التى تشارك فى البناء ، وتتصدى للتحدى ، وتدعم وحدة الجبهة الداخلية وتماسكها .. هو الشعار الذى نرفعه الآن ويجب أن نسعى الى تنفيذه .

قلت :

ـ ان ذلك يتطلب أولا تمهيد الارض الصالحة .

قال :

ـ ماذا تقصد ؟ ..

قلت :

ـ أقصد القضاء الكامل على الامتيازات التى أصابت البلاد بوضع طبقى ممجوج .. هدد ثقة الجماهير بشعار تكافؤ الفرص ..

قال :

ـ ان كل وطنى مخلص يتحمس مع الجماهير فى ندائها بالقضاء الكامل على الامتيازات .. وقد بدأت اجراءات ذلك فعلا فى تخفيف بدلات التمثيل وغيرها ..

قلت :

ـ بدأنا بالقليل ·· ولكن بقى الكثير ·

قال :

ـ انت تقصد امتيازات شقق الحراسة وشركات التأمين ·· انت تقصد امتيازات الوظائف فى بعض الوزارات ·· وفى بعض المؤسسات والشركات ·· هذا حق · وسعينا فى هذه المرحلة ، أن يكون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ·· حقيقة واقعة يلمسها الجميع · لا مجرد شعار نرفعه بالكلام ونمزقه بالتطبيق ·

قلت :

ـ والقدوة الحسنة من القيادات ·· الجماهير تسمع عن قصور تسكن ·· وأثاثات تستورد من الخارج ·

قال :

ـ خذ فى هذا كلمتى الواضحة ·· اننا مقبلون على أيام التضحيات · أيام أبسط ما تحتاجه منا لمواجهتها أن تكون الجبهة الداخلية كبنية واحدة ·· جسم واحد ·· روح واحدة · وهذا الشعب الاصيل الطيب ، يقبل التضحية فى سبيل الهدف بكل التجارب والرضا والاقناع ·· ولكنه يأبى أن تقع التضحية على فريق دون فريق··ان الشعب مستعد أن يحرم نفسه من أية مادة تموينية مهما كانت أساسية بالنسبة له ·· ولكن بشرط أن يرى أنور السادات وزير التموين ورئيس المؤسسة يشاركه هذا الحرمان ·

ونحن الذين عشنا أمر أيام الكفاح قبل الثورة وبعد الثورة ·· مستعدون أن نقدم أغلى التضحيات ·· لقمة الخبز الاسود تكفى معدة أنور السادات ··

قلت :

ـ الجماهير تريد أن ترى اجراءات الغاء الامتيازات تنفذ بأقصى سرعة ··

قال :

ـ سيحدث ·· سيحدث ·· ولابد أن يحدث ·

قلت :

ـ ولماذا لا نعيش الآن حالة الحرب ؟

قال :

ـ نحن نعيشها بكل أعصابنا ··

قلت :

ـ ولكن مظاهر حياتنا تتنافى مع حالة الحرب ·· ان المجمعات الاستهلاكية بعد محنة النكسة وحتى الآن عامرة بألوان الطعام التى لم تكن موجودة بها من قبل ·· وعندما خربت اسرائيل مستودعات البترول ·· لم نتخذ أى اجراء للاقتصاد فى استخدام البترول باستثناء اجراء الكروسين ·· وهذا ما لا يمكن أن تتحمله دولة ولو كان لديها مخزون كبير ·

قال :

ـ انت تجرني الى الحديث عن الوضع الاقتصادى ·

قلت :

ـ صدقني ·· لا ·· ان وضعنا الاقتصادى ليس سرا فى بطون الملفات ·· والعيب أن نتمهل فى اجراءات تتناسب وظروف الحاضر ·· وتحمينا من احتمالات المستقبل ·· الشعوب المحاربة عاشت على بيضة واحدة فى الاسبوع وعشر قطع من السكر وترقيع الملابس ·· واذا اتجه دعم البناء السياسى الى تأمين المواطن على حريته وعمله ، واشراكه فى تقرير مصيره بأسلوب ديمقراطى سليم ·· واذا رأى قياداته تقدم له القدوة الطيبة ·· فان شعبنا الاصيل يتقبل بكل الرضا والحماسة ميزانية الحرب وتقشف الحرب ونضال الحرب ··

قال :

ـ هذا يعيدنا الى الحديث عن دعم الجبهة ·· اننى لا أستطيع أن أخفف من احتمالات المستقبل ·· بل من الحكمة أن نفرض كل ما يمكن أن يأتى به الغد ·· بل يجب أن نغالى فيما نفرض ·· ولا شك أن الاحداث هى التى ستتحكم فى فرض الطريق الذى يتجمع موكبنا للسير فيه ·· ولا أشك لحظة ان هذا الشعب الوفى الكريم الذى ضرب مثلا تاريخيا أذهل شعوب العالم فى تماسكه وترابطه ·· هذا الشعب لن يبخل على أرضه بأى تضحية · اننا مستعدون دائما أن نبدأ من الصفر ·· أن نحمل السلاح من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت ·· فلم نكن يوما الا من نبض هذا الشارع ·· واذا كنا وقعنا فى أخطاء ·· واذا كانت المرارة قد جسمت هذه الاخطاء فى نفوس البعض ·· فللقلوب الحزينة كل الحق أن تقسو فى النقد ·· لانها تشعر أنها تنقد نفسها أولا ·· ان قيمة أى منصب فى هذا البلد لا تسمو الا باحترام الكيان لا عبادة المنصب ··مناصبنا الاولى هى أننا مواطنون فدائيون ·· مناصبنا الاعلى والاكرم ، هى أننا وطنيون لا محترفون ·· كل ما على السطح هو الزيف الذى يبطل وكل ما فى الجوهر هو النبض الذى لا يذبل ·· وجوهرنا هو مزيج الدم بتراب هذه الارض ·

قلت :

ـ مرحبا بانتفاضة تعبر عن روح ٢٣ يوليو ··

قال :

ـ بل مرحبا بالشعب كله من أقصاه الى أقصاه ·· ينتفض فى صلابة روح ٢٣ يوليو ·· ونحن خلفه ·· ان الشعب هو المعلم القائد ·· ولقد علمنا الشعب كيف نعتبر من دروس النكسة ·· ربما فرضت علينا الظروف يا أخى بعض مظاهر الانعزال عن الشعب ولكن تأكد ان الجوهر لم ينقطع أبدا

.. أنا لا أزعم اننى فوجئت ببعض أخطاء النكسة .. ان الكثير من هذه الاخطاء كان يؤرقنى .. ولكن العمل السياسى الذى يحرص دائما على عدم التصدع .. كان يؤجل المواجهة الجذرية للاخطاء .. ولكن ما جرى قد جرى .. ولنبدأ من جديد بداية حازمة .. ولتكن رؤوسنا متجهة الى الامام .. ولتكن النظرة الى الوراء للاستفادة من كل ثغرة .. وليؤد كل مواطن فى المواقع الكبيرة والصغيرة دوره بلا خوف .. بلا شك .. بلا تردد .. ولن يضيع حق نسعى اليه بالعرق الحلال ..

⊙✣⊙

الذى قاله لى أنور السادات حاول أن يقنع به الشباب المتمرد على الهزيمة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . لقد عقد مع قياداتهم الغاضبة الرافضة لكل شىء اجتماعا خاصا فى قاعة مجلس الشيوخ .. أذيع الآن كل ما جرى فيه لاول مرة ..

وهذا هو موضوع الفصل الثالث ..



القائد الاعلى انور السادات .. صاحب القرار يقلد المشير احمد اسماعيل وسام النصر ..

سقطت جميع اللافتات

●●● « ماذا قال أنور السادات للطلبة عن المعركة في مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . كيف كان يتصور الخلاص ؟ .. كيف أراد اعادة البناء الداخلي ؟ .. كيف تحدث عن الحرية والاعداد العسكرى لحرب الانتصار ؟ » ●●●

اليوم الثامن والعشرون من فبراير عام ١٩٦٨ ٠٠ كان يوم عصيبا ٠
محاكمات شمس بدران وزير الحربية وزملائه المتهمين بتدبير الانقلاب مع عبد الحكيم عامر ٠٠ مستمرة ٠ ما ينشر منها يعطى صورة مؤلمة عن فضائح فساد الحكم ٠٠

كانت قد صدرت أحكام ضباط الطيران ٠٠ وكانت الجماهير معتقدة أن قيادة الطيران هي سبب الهزيمة ٠٠ فبدأت مظاهرات من أحد مصانع حلوان ٠٠ ثم بدأت مظاهرات الطلبة ٠٠ احتكاك الشرطه ٠٠ اطلاق رصاص ٠٠ المظاهرات اتجهت الى جريدة الاهرام ٠٠ الهتافات ضد محمد حسنين هيكل ٠٠ « هيكل ٠٠ هيكل ياخدام ٠٠ يا مزيف الاحلام » ٠٠ « بتقول بصراحة ٠٠ وتكتب بوقاحة » ٠٠ « يا جمال للصبر حـــدود ٠٠ عشرة يونيو مش حنعود » ٠٠ وهتافات عديدة أخرى تنادى بسقوط الفرد وتطالب بالحريات

وانتهى الامر باعتصام عدد من الطلبة فى كلية الهندسة جامعة القاهرة ٠٠ واستمر اعتصامهم أياما ٠٠ حتى جاء يوم ٢٨ ٠٠ واتفق على أن يجتمعوا بأنور السادات رئيس مجلس الامة فى قاعة مجلس الشيوخ فى المساء ٠٠

وحضرت هذا الاجتماع الصاخب العنيف ، الذى لم ينشر عنه كلمة واحدة حتى الآن ٠٠ وسجلت كل حرف دار فيه ٠

لقد واجه أنور السادات في هذا الاجتمـــاع شبابا فى قمـــة الغضب بعد اعتصام اســـتمر أياما ٠٠ وبعد أن انتشرت بينهم أنبـــاء القبض على بعض زملائهم ٠٠ وكانوا يطالبون بتغيير أسلوب الحكم وكانت كلمة الحرية هى هتافهم المستمر ٠٠

قاعة مجلس الشيوخ صغيرة ٠٠ والزحام على أشده ٠٠ عدد كبير من النواب حضر هذا الاجتماع ٠٠ وجلس الى المائدة أنور السادات وحوله بعض الوزراء ٠٠ فى مقدمتهم شعراوى جمعة وزير الداخلية ، والمتهم من الطلبة أنه أطلق الرصاص عليهم ٠

وتكلم أنور السادات ليشرح الموقف للشـــباب الغاضب ٠ قد أردت أن أسجل كلماته فى هذا الكتاب عن ٦ أكتوبر ٠٠ لانها تعطى صـــورة لمنطلق تفكير أنور السادات منذ الهزيمة ٠٠ وتؤكد أن قرار ٦ أكتوبر ، لم يكن وليد تجربته كرئيس للجمهورية ٠ أن هذه التجربة تستمد جذورها من فكر أنور السادات الضابط الشـــــاب المفصول من الجيش فى عام ١٩٤٢ والمعتقل بالزيتون بأمر السلطات البريطانية، لانه قرر أن يحرم على القوات البريطانية

وجودها فى مصر ، وهى تحارب معارك الحرب العالمية الثانية ‥ ثم أنور السادات المتهم بتدبير مقتل أمين عثمان وزير المالية الوفدى الذى كان يفاخر بعمالته للانجليز ‥ وأنور السادات القاسم المشترك ، فى كل محاولات التخلص من عملاء الاستعمار فى مصر ‥ ثم أنور السادات أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ‥

لقد جاءت هزيمة يونية ٦٧ ‥ وأعلن جمال عبد الناصر تحمل مسئوليتها كاملة ·

وشارك أنور السادات مشاركة ايجابية ، فى كل المحاولات التى بذلت ‥ لخلق بداية جديدة لتثبيت النظام لكى يواجه آثار الهزيمة ، ويحاول الانطلاق الى طريق التصدى لها ‥

ثم جاءت ‥ هذه المظاهرات التى كان يمكن أن تهدد القاهرة بحريق جديد ‥ وكان ـ الشعب يتجاوب مع نداءات الطلبة ‥ وهتافهم الباكى « بلادى ‥ بلادى ‥ بلادى ‥ لك حبى وفؤادى » ‥ وهتافاتهم الاخرى الملتهبة بسقوط حكم المعتقلات ‥ ثم الهتاف الخطير « ٩ يونيو أيدناك ‥ والنهاردة عارضناك » ·

والسبب المباشر لكل هذه المشاعر فى رأيى ، أن تغييرا أساسيا فى نظام الحكم الداخلى لم يحدث منذ الهزيمة ‥ واستمرت الاوضاع على ما هى عليه ‥ وكان من المستحيل أن يتقبل أحد هذا الاستمرار ‥

ولكن كلمات السادات الى الطلبة فى تلك الليلة ‥ تلقى الاضواء على فكره ‥ وتفسر كثيرا من القرارات الجذرية الداخلية ، التى اتخذها بعد أن تولى مسئولية رئيس الجمهورية ‥ وبعد أن قرر أن يدخل المعركة بالسلاح لا بالكلمات ‥

قال أنور السادات فى تلك الليلة التاريخية :

ـ بعد هزيمة يونيو سقطت اللافتات كلها ‥ كل أجهزة النظام بما فيها مجلس الامة · وقد اختار الرئيس جمال عبد الناصر أن يبدأ باعادة البناء العسكرى ‥ لماذا ؟ ‥ لان العدو على بعد ١٠٠ كيلومتر من العاصمة ‥ ‥ وكان لابد أن نحرر ارادتنا أولا من أن تكون أسيرة للعدو ‥ يضرب ويملى علينا الشروط · ولم ينته البناء العسكرى بالشكل الذى يطمئن على بلدنا دفاعيا الا فى شهر ديسمبر · وقفنا على أقدامنا ‥ حمينا ارادتنا من الخوف ·

ما هو الموقف الآن ‥ ؟ ‥ أنتم بتصرخوا وتشتكوا ‥ كثير من أبناء الشعب يشاركم نفس الشعور ‥ الكل يسأل ‥ ايه اللى بيجرى فى الاتحاد الاشتراكى ‥ فى الحكومة ‥ ايه اللى بيجرى فى المؤسسات وانى أسلم بكل هذا تماما · ولكننى أقول أن البناء العسكرى كان له الاولوية

.. كان من المســـتحيل أن أترك نفسى لضربات اسرائيل .. وأنا عاجز عن الدفاع ..

تبقى الخطوة التالية .. وهي اعادة البناء الســـياسى .. الحكومة .. الاتحاد الاشتراكى .. مجلس الامة .. وسائل الاعــلام . المؤسسات .. الحكم المحلى . مجموع هذا كله هو البناء السياسى .

أريد منكم أن تتصوروا معى .. معنى اعادة بنـاء جيش من لا شيء .. اعادة بناء قوات مسلحة انتهت فى ٩ يونيو . لقد تم هذا فى ٦ أشهر على صورة معجزة بدون شك . . اقتضت ٢٤ ساعة من العمل المستمر ليل نهار

وبعدين كنا بنصرخ .. لماذا لم يتم البناء السياسى اللى فيه كل الحاجات التى تطالبون بها .. كما تم البناء العسكرى ؟ .. هل يمكن اعادة البناء السياسى ، بنفس طريقة البناء العسكرى .. هل يمكن ؟ .. البناء العسكرى يعتمد على استمرار أسلحة وتدريب .. وعمل يمكن أن يتم بالاوامر ولكن فى البناء السياسى الامر يختلف .

ضعوا أنفسكم فى المسئولية وأنتم تحاسبونا ..

القطاع العام .. فيه لخبطة .. آه .. صح .. ولكن هل ممكن نقول فى يوم واحد .. جميع رؤساء المؤسسات .. برة ؟ . جميع المديرين .. برة ؟ البناء السياسى عملية متكاملة .. كل مكان يتأثر بالمكان الآخر . الجبهة الداخلية كلها نافدة على بعضها .. أى لخبطة فى الحكم بتأثر على الانتاج . وده يؤثر على العمالة .. الى آخره . اذن لابد من خطة تستوعب أبعاد العملية كلها .. الجهاز الحكومى .. أقول على مسئوليتى أنه خرب يحتاج الى اصلاح ضخم .. القطاع العام .. متهم فيه أخطاء . قطاع عام بهذا الحجم الكبير لابد أن تحدث فيه أخطاء .

طيب .. الراجل اللى كلفتوه بهذا .. جمال عبد الناصر .. كل مجهوده انصرف للبناء العسكرى .. طيب علشان يعيد البناء السياسى ، مش على الاقل يفكر فى المدخل لهذا .. ويضع الخطة لهذا .. فى الشهر الماضى عقدنا اجتماعات متتالية .. وكان أمامنا نقطتان أساسيتان للبحث :

النقطة الاولى .. تقييم ما وصلنا اليه الآن .. ومن المسئول . لانه ثبت أن الطريقة اللى كنا ماشيين عليها خطأ من أساســـها .. لابد من طريقة جديدة . وهذا يتفق مع ما تطالبون به .. ولكن لابد من التقييم أولا .

النقطة الثانية .. هى دراسة الوضع الاقتصـــادى .. لماذا ؟ .. لان الاقتصاد هو الصمود .. هو أساس معركتى . لا أستطيع أن أقول للشعب .. جوع .. وكافح .. وأصبر . وأنتم مانقدرش أقول لكم بعد ما تخلصوا جامعة ، اطلعوا عاطلين و ١١٠ ألف عامل لازم نشغلهم سنويا ..

اننا لم ننته بالعدوان .. لقد خسرنا معارك .. أمريكا خسرت معارك فى

الحرب العالمية ثم انتصرت ‥ ولابد أن نستعد ‥ وأن نعيد البناء ‥ وأن ننتصر ‥

أصوات الطلبة : احنا عارفين الحاجات دى ٠

السادات :

ـ يجب أن تتكلموا من مستوى المسـئولية ‥ من دلوقت ورايح أنا حاحطكم فى المسئولية وعلى أعلى المستويات ٠

بعد كده بتقولوا الحريات ‥ بتقولوا الصحافة ‥

أصوات :

ـ آه ‥

السادات :

ـ أقول لكم على أعلى مستوى ‥ عاوز اعادة تنظيم ‥ لابد بناء ديمقراطية ‥ ولابد من صحافة تعبر عن آمال الشعب ٠

طالب :

سمعتنا فى الخارج شوهتها الصحافة ٠

السادات :

ـ الكلام اللى بيقوله أخ ‥ بينقلنا الى حاجة أساسية ‥ شرط أساسى وشروط الالتزام أن يكون المواطن على علم بما يجرى ‥ مش ترديد كلام ‥ أن يكون عارفا بالحقائق عن اقتناع ‥ اننى أشعر فعلا ‥ وخاصة بعد أن قابلت بعضا منكم ‥ أنكم لا تعرفون حقائق ما يجرى ٠

أصوات :

ـ الصحافة ‥ الصحافة ‥

السادات :

ـ يعنى هيه المشكلة اللى احنا فيها ‥ رسييت على الصحافة بس ؟ ‥

أصوات :

ـ لا ‥ لا ‥

طالب :

ـ الحرية هى البند الاول ‥ وكل شىء بعد ذلك يليها ‥ ومنه الصحافة ‥ لكى نعرف الحقائق ‥ لابد أن تكون هناك صحافة حرة ‥

السادات :

ـ الحرية ‥ هل هى حرية مطلقة ؟ ‥ علشان تنظمها تبقى من خلال ايه ؟ ‥

أصوات :

ـ دستور ‥

السادات :

ـ النصوص وحدها لا تكفى ٠٠ لابد من بناء سياسى متكامل ٠ لو كان لدينا هذا البناء ، ماكنتوش وصلتم الى هذه المشاعر ٠٠ البناء السياسى صعب ٠٠ وليس لى اعتراض أبدا أن تعبروا عن كل آرائكم ٠٠ ولكن داخل الجامعات وبنظام ٠٠

أصوات :

ـ فيه مخابرات ٠٠ مش قادرين نتكلم ٠٠

السادات :

ـ أنا أضمن لكم أنه لن يمس طالب بسوء ٠٠ لكم الحق أن تعبروا عن رأيكم ٠٠ كل ما أطلبه ألا يخرج التعبير عن حيز الفهم والادراك للحالة التى نجتازها ٠ نقول رأينا بكل صراحة فى كل شىء ٠٠ الى أن تتم خطوات البناء السياسى ٠٠ أنتم ما عشتوش اللى احنا عشناه قبل ١٩٥٢ ٠ المسألة الآن ٠٠ اننا كلنا كشعب نجتاز فترة من أصعب فترات حياتنا ٠٠

أصوات :

ـ احنا صوت الشعب

السادات :

ـ أنتم شجعتم بالمظاهرات ٠٠ عناصر كانت انتهت ٠٠ كانت دخلت الشقوق ٠٠ النهاردة الضهر ، عربية كانت بتلف على المدارس فى مصر الجديدة علشان يضربوا ٠٠ واتمسكت العربية ، واللى فيها من أولاد الاقطاعيين بتوع زمان ٠٠

أصوات :

ـ وزير الداخلية هوه اللى اقطاعى ٠٠

السادات

ـ عاوز أخلص كلامى لانكم تعبتونى يا أولاد ٠ أرجو كمواطن مثلكم ، أن نضع فى ذهننا وفى تقديرنا الظروف التى تمر بها البلاد ٠٠ وقد يكون هذا مدعاة للضغط على أعصابنا ونفوسنا ٠٠ الى أن نحقق الانتصار ٠٠ انها معركة مصيرية ٠٠ العدو كل تركيزه اليوم على الجبهة الداخلية ٠٠ فى ديسمبر لم تكن لدينا عملة صعبة ٠ الآن بعد مؤتمر الخرطوم الوضع تحسن بعد الهزيمة كان العدو يتصور أن النظام سيقلب من الداخل ، لم يحدث ٠٠ اجتزنا مرحلة الضغط الاقتصادى ٠ العدو لايزال يريد تكسير الجبهة الداخلية ٠ أريد القول بصراحة ، وبكل الهدوء ٠٠ ان موقفنا اليوم لا يدعو الى التفاؤل فقط ٠٠ ولكنى واثق أننا فى طريقنا الى تحقيق النصر باذن الله ٠٠ قواتنا العسكرية تتقدم فى الاستعداد والتدريب ٠٠ الوقت فى صالحنا وصالح المعركة ٠٠ ولكن المعركة تحتاج الى نفس طويل يعتمد على جبهة صلبة

لا ينالها أى خدش ٠٠ عليكم أن تحافظوا على صلابة الجبهة في كل تصرف من تصرفاتكم ٠٠ وفى كل ما يعرض لكم ٠

وأنا جاهز للاسئلة ٠٠

وأجاب السادات على أسئلة الطلبة الذين حاصروا شعراوى جمعة وزير الداخلية فى موضوع الصدام بين البوليس والطلبة ٠٠ ثم أراد الطلبة تلاوة بيان باسم الاتحاد العام لطلاب الجمهورية وطالبوا بنشره كاملا فى الصحف٠

وهنا قال السادات :

ـ أنا أرفض هذا البيان شكلا وموضوعا ٠٠ كان عندى بالليل وقرأته مش هوه البيان بتاع الحرية تؤخذ وتغتصب ٠٠ أنا بقولكم ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ لان هذا البيان بنى على عملية انفعالية ٠٠ ولم يبن على الموقف اللى أحنا فيه النهاردة بعد هذه المناقشات الديمقراطية ٠٠ والمسألة ليست مزايدات ٠٠ أننا نخوض معركة واحدة ٠ وأمامنا مسئولية واحدة ٠

ودارت مناقشة حول البيان اشترك فيها عدد من أعضاء المجلس ٠ وكان أحـــد الطلبة قد قال قبل أن تبدأ أية مناقشـــات : انا نشترط أن تنشر مناقشاتنا على الشعب في الصحف ٠٠ اتفقنا أو لم نتفق ٠ ورفض السادات وقال في اصرار ٠٠ اذا كانت المسألة فيها املاء شروط ٠٠ أنا مش بتاع شروط ٠٠ وكرامة هذا المكان لا تسمح باملاء شروط ٠٠ نحن هنا جالسون على قدم المساواة والمسئولية ٠٠ نتناقش ونقتنع ٠٠ والصحافة موجودة في الشرفة ٠

⊙⁂⊙

سجلت هذه المناقشة ٠٠ وهى خلاصة أعتقد أنها وافية ٠٠ لانها تعبر عن فكر أنور السادات ٠

كان يريد الاستمرار فى الاستعداد العسكرى واعطاءه الاولوية دائما ٠٠ وكان يريد أعادة البناء السياسى ٠

كان يريد مواجهة كل الاخطاء الداخلية ٠٠

كان يرفض الضغوط ٠٠ وأهم من هذا كله ، أنه كان يعرف الحقائق ٠٠ ولكنه لم يتخلف أبدا عن ارتباطه الكامل ، بالدفاع عن النظام الذى أوجدته ثورة ٢٣ يوليو ٠٠

وكان يعرف الداء الاكبر ٠٠ فى المحيطين بالقيادة ٠٠ وعندما أثار الطلبة هذا الموضوع فى المناقشات ، تجاوزه أنور السادات في الرد عليهم ٠ وهذا هو أنور الســـادات السياسى ٠٠ الذى قال للطلبة فى تلك الليلة ٠٠ « لا أعتقد أن فيه مراكز قوى ! »

بل انه عندما عقدت جلسة مجلس الامة فى مســـاء ٢٨ فبراير ١٩٦٨ لمناقشة موضوع مظاهرات الطلبة ، غضب غضبا شديدا من النائب علوى

حافظ ، لانه هاجم على صبرى هجوما قاسـيا ٠٠ ووجه كلمته مباشرة الى جمال عبد الناصر ٠٠ وقال بأعلى صوت : واننى أقول للرئيس جمـال عبد الناصر ٠٠ أبدأ بمن حولك !

ولا أشك لحظة فى أن أنور السادات ، كان يقر كل كلمة قالها علوى حافظ ٠٠ ولكنه رأى أن انطلاقها تحت قبة مجلس الامة ، ومن علوى حافظ القريب الى أنور السادات ٠٠ يعنى أن رئيس المجلس على اتفاق مسبق معه على هذه الاتهامات ٠ وهذا ما حرص أنور السادات على أن يتجنبه بعقلية السياسى الذى يعرف ، متى يتحرك ٠ ومتى يجب أن يقف موقف الترقب والانتظار ٠٠ وماذا يجوز أن يناقش علنا ، وماذا يجب أن يعالج بالاسلوب السياسى على مسرحه الحقيقى ٠

ولم يتحرك أنور السادات للقضـاء على مراكز القوى الا بعد أن تولى مسئولية رياسة الجمهورية ، بسبعة أشهر ! ٠٠ بل وبعد أن أمسك بالدليل تلو الدليل على وجود مؤامرة !

وللتاريخ ٠٠ أنشر اليوم فقرات من كلمة علوى حافظ ، التى لم تنشر قط بسبب الرقابة على الصحف ٠

قال علوى حافظ فى جلسة ٢٨ فبراير ١٩٦٨ :

ـ هى ليست نكسة فقط ٠ انها نكسة ونكبة ٠

ـ يجب أن نعترف أن النكسـة هى نتيجة أخطـاء فى الجبهـة الداخلية والعمل السياسى وقيادة الشباب ٠

ـ اننا نواجـه أزمة أخلاقية سـببها الابتعاد عن الدين والوطنية وهما ركيزتان لاي تقدم وانتصار ٠

ـ يجب أن نعرف أن الولاء الصحيح هو الولاء للشعب ٠٠ الشعب كله ٠٠ وليس الولاء للافراد ٠٠

ـ لقد سـقطت دولة المخابرات ٠٠ ويجب أن تسـقط كل دولة داخـل الدولة ٠

ـ المعاهد الاشتراكية للشباب ٠٠ يشرف عليها ويوجهها اليســار المتطرف الذى يريد أن يقضى على مصر الازهر ٠٠ مصر الكنيسة ٠٠ مصر الانسان الطيب البعيد عن الحقد الدموى ٠

ـ اشتراكيتنا ليست اشتراكية ماركس وانجلز ولينين ٠

ـ الشعب ٠٠ يجب أن يحكم مصر ٠٠ ولا يمكن أن نسلم مصر لدكتاتورية طبقة ٠

ـ يجب أن نضع حدا للامتيازات التى حصل عليها البعض بدون وجه حق ٠٠ وأنا أقول لجمال عبد الناصر « ابدأ بمن حولك ٠٠ ابدأ بالقيادة ٠٠

بالمتصدرين للعمل السياسى • القيادات الســـياسية اذا لم تمثل القدوة الصالحة النظيفة •• فنحن سائرون الى الهاوية » •

ـ يجب أن يقدم الوزراء كشف حساب بما يملكون •• ومن أين ملكوه •

ومن المؤسف إن بين القيادات حول جمال عبد الناصر ، من أسس قصرا بسبعين ألفا من الجنيهات •• وكأننا فى عصر المماليك •• وهو فى الوقت نفسه يتصدر القافلة الاشتراكية !

ـ التكافؤ فى التضحية مبدأ يجب أن يطبق على الجميع •

ـ أين النقاء الثورى ؟ •• أين الطهارة الثورية ؟ •• فى كل مكان شلل •• قطيع غريب • محاسيب • قرايب • يسار متطرف • ناس لفظتهم القوات المسلحة • هذه الصورة هى التى تصنع السخط وتثير القلق • ما معنى أن يبقى وزير فى الحكم ١٥ سنة !! يجب أن يخرج قبل أن يحكم الوزارة بشلة



المرحوم المشير احمد اســـــماعيل .. وسط جنوده فى جبهة القتال بعدالانتصار ..

المحاضـــر الســـرية
لاجتمـــاع الرؤســـاء العـــرب
قبيـــل وفـــاة عبـــد الناصـــر

●●● « الفصول السابقة عرضت للوضع الداخلى بعد الهزيمة وقبل أن يتولى أنور السادات مسئولية الرياسة ٠ ولكن ماذا كان عليه الوضـــع العربى ؟ ٠٠ كيف كانت العلاقات بين الدول العربية ؟ ٠٠ ان آخر الاحـــداث قبيل وفاة عبـــد الناصر ، كانت مذبحة الفدائيين في الاردن وخلالها اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى القاهرة ٠٠ ان المحاضر السرية لهذا الاجتماع تكشف حقائق الوضع العربى المنهار عندما اصبح السادات رئيسا للجمهورية» ●●●

بعد أيام من الهزيمة القاصمة في يونيو ١٩٦٧ ٠٠ أذكر أن أنور السادات رئيس مجلس الامة ، دعا عددا من الكتاب الى مكتبه ، لمناقشة مقفلة ، حول أسباب الهزيمة وسبيل البداية الجديدة بعدها ٠ حضر الاجتماع يوسف السباعي واحسان عبد القدوس ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين وفتحي غانم وأحمد حمروش ٠٠ وكاتب هذه السطور ٠

طلب منا أنور السادات أن نتحدث بمنتهى الحرية والوضوح ٠

وأذكر من الآراء التي قيلت ما قاله أحمد بهاء الدين ، عن ضرورة أن تقوم المشاركة في الرأى ٠ لابد من شعور المواطنين بأنهم يشاركون فعلا في اتخاذ القرار ٠

وأذكر أن أحمد حمروش ركز في كل كلماته على الدور الذى يجب أن يؤديه الاتحاد الاشتراكى ، لكى يكون تنظيما سياسيا مؤثرا ٠٠

وأذكر أنني طالبت بالديمقراطية ٠٠

وسافرنا مع أنور السادات بعد ذلك الى السويس ٠٠ حيث تفقد آثار ضرب مصانع الزيتية ٠٠ واجتمع بالقيادات الشعبية هناك ، لكى يحثها على استمرار المقاومة ، ويشجع عناصرها التي أثبتت وطنية وشجاعة ٠

وكان قد زار من قبل بورفؤاد ، واجتمع بالضباط والجنود الذين قاتلوا في موقعة رأس العش بعد الهزيمة ، وأعادوا الثقة بجدارة المقاتل المصرى وشجاعته ٠

وكان بعد كل زيارة يقول بلهجته البسيطة المصرية : « أولادنا زى الورد ٠٠ شيء يفرح القلب ٠٠ لا يمكن أن تستمر الهزيمة وفي مصر هذا الشباب »

وكنت أحس أن أنور السادات رئيس مجلس الامة ، كان يرى الحقائق أمامه واضحة ٠٠ وكان يدرك تماما الاسباب الحقيقية للهزيمة ٠٠ وكان يرى أن المحيطين بجمال عبد الناصر ليسوا أبدا على مستوى المسئولية ٠٠

وعندما تولى أنور السادات مسئولية الاتحاد الاشتراكي العربي بعد تنحية على صبرى ، بسبب « البضاعة » التي أتى بها من موسكو ، وأعدت لاستقبالها سيارتان لورى في مطار القاهرة ٠٠ لجأ أنور السادات الى أسلوب « السامر » ٠٠ فتح القاعة الكبرى في مبنى الاتحاد ، لكى تدعى اليها الجماهير مرة كل أسبوع ٠٠ وتجرى المناقشات وكأننا في « دوار » العمدة بالقرية ٠٠ وكانت مشاعر الناس ساخنة ٠٠ لجان المعركة لا تؤدى شيئا ٠ استعدادات الدفاع المدنى والشعبى ٠٠ تشكو القصور الكامل ٠٠ وكانت الشكوى عامة من أن الاتحاد الاشتراكى عاجز ٠٠

وكان أنور السادات يركز في هذه الاجتماعات على حقيقتين :

● الاولى ٠٠ أنه لا مهرب من المعركة ٠

● الثانية ٠٠ أن المعركة ستخلق قيادات جديدة هى الجـــديرة بتولى المسئولية فى مواقعها بعد الانتصار ٠
وكنت أتابع هذه الاجتماعات ٠٠

وكنت ألمس مدى الجهد الذى يبذله أنور السادات ، فى اطفاء هذه الحرائق المنتشرة فى كل مكان ٠٠ وكان هدفه الاول ، أن تتجمع الجبهة الداخلية فى وحدة وطنية حقيقية ٠٠ فبغير هذا ٠٠ لا معركة ٠٠ ولا انتصار ٠

كانت مصر تواجه تفسخا حقيقيا بعد الهزيمة ٠
مؤامرة عبد الحكيم عامر الفاشلة ٠
محاولته الانتحار فى منزل جمال عبد الناصر ٠
ثم انتحاره بعد ذلك ، فى البيت الذى تحددت فيه اقامته ٠
قضية المؤامرة وما ظهر فيها من فضائح الذهب والفساد ٠

قضية صلاح نصر رئيس المخابرات العامة ٠٠ وما انتشر حولها من قصص التعذيب واستغلال النفوذ ٠

قضية قائد الطيران ٠٠ الذى اختير كبش فداء هو وعدد من ضـــباط الجيش ٠٠
وكان جمال عبد الناصر قد اختار حسين الشافعى ليرأس محكمة المؤامرة ٠٠ ثم اعتذر حسين الشافعى ، فغضب عبد الناصر ، وطلب اليه أن يعطى كل أوراق القضية الى أنور السادات ليرأس المحكمة ٠٠ وكان أنور السادات مستعدا لذلك ، واشترط أن يجريها فى مجلس الامة ٠٠ وعلى مشـــهد من الجماهير ٠٠

ثم عدل حسين الشافعى عن اعتذاره ٠٠
وجاءت بعد ذلك اقالة زكريا محيى الدين ٠٠

خلاصة القول أن البلاد كانت تمر بفترة حالكة السواد ٠٠ وقد كشفت حقائق مؤامرة مايو فى عهد أنور السادات ، ان جمال عبد الناصر كان يقاسى آلام المرض الشديد ٠٠ وكان فى معظم أيامه لا يغادر فراش المرض ٠٠ وكان يحكم مصر من خلال لجنة من سامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد حسنين هيكل ٠٠ وكان يحضر بعض اجتماعاتها أمين هويدى والفريق محمد فوزى ٠٠ كل هذا وأنور السادات ، لم يفقد الامل لحظة واحدة ، بأن الغد سيحمل معه بشائر الخير ٠

وتقدمت أمريكا بمشروع روجرز ٠ وسافر عبد الناصر الى موسكو ٠ ولم تكن مباحثاته ناجحة مع الزعماء السوفيت ٠٠ ولذلك قرر قبول المشروع ٠ وكان أنور السادات قد أعلن رفضه للمشروع فى اجتماع سياسى بالاتحاد الاشتراكى أثناء وجود عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى ٠

وكان أنور السادات قد أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ، وحلف اليمين قبل سفر عبد الناصر الى موسكو .. وعرف أن عبد الناصر تلقى تقارير عن مؤامرة تستهدف حياته .. فاختار أنور السادات ليكون على رأس الدولة في غيبته .

وعاد جمال عبد الناصر من رحلته .

وفوجئت بأحد سكرتيرى أنور السادات يبلغنى فى التليفون ، أنه يتحدث من قرية ميت أبو الكوم ، وأن نائب رئيس الجمهورية يعانى من أزمة قلبية .. وطلب الى أن أكتب خبرا بهذا المعنى ، وأن الاطباء منعوه من استقبال الزوار ..

وكتبت الخبر . وأمليته عليه . وعرضه على أنور السادات . وأجاز صيغته .. وطلب منى ابلاغه لباقى الصحف ..

ومن هنا انتشرت شائعات كثيرة .. تتناول مرض أنور السادات وأنه مرض سياسى ، بل تتناول أيضا نزاهته بقصد النيل منه والتشهير به .. وسرت قصة كاذبة تماما ـ مصدرها جهاز سامى شرف ـ أن أنور السادات أمر بوضع تاجر تحت الحراسة ، لانه رفض أن يترك الفيلا التى يملكها .. لكى يسكنها !

ثم انتقل أنور السادات من ميت أبو الكوم الى الاسكندرية .وزرته فى منزله . وقلت له أن الاشاعات منتشرة بأن مرضه سياسى وأجابنى بأنه سيعود الى مسئوليته بعد أيام .. واستأذنته فى نشر هذا الخبر ، حتى نقضى على الاشاعات .. ووافق وزاره عبد الناصر فى منزله . وتجاوز أنور السادات أزمته الصحية .. وكان يزور عبد الناصر كل ليلة ، من الغروب حتى ساعة متأخرة من الليل .

اننى أورد هذه الوقائع لاقول .. ان تولى أنور السادات منصب نائب رئيس الجمهورية ، كان محاطا بسموم الثعابين .. ومع ذلك استطاع أنور السادات بكل الهدوء أن يخطو بقدمه فوق كل مناورات صراع السلطة .. وأن يظل على علاقة طيبة ومباشرة بجمال عبد الناصر .

وأذكر أن فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى روى لى ، نقلا عن حديث جرى بينه وبين عبد الناصر ، قول عبد الناصر له ، وهو يستعرض معه كفاءات أعضاء مجلس الثورة ، أن الوحيد من بينهم الذى يعتبره سياسيا داهية هو أنور السادات ..

وكان ذلك فى الاشهر الاولى للثورة ..

وأذكر أيضا أن مصدرا ـ أفضل عدم نشر اسمه ـ قال لى أيضا أن جمال عبد الناصر قال له يوما : اننى أشعر أن أنور السادات هو الذى سيخلفنى

ثم مات جمال عبد الناصر فجأة ..

ولو أن المخابرات الامريكية تنكر أن موت عبد الناصر كان مفاجأة بل أن رجلها « مايلز كوبلاند » ، الذى كان على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر كتب فى صحيفة صنداى تلجراف فى الرابع من أكتوبر بعد وفاة الزعيم يقول : « على النقيض مما عن للرئيس نيكسون أن يصرح به فى حديث تليفزيونى أخيرا ، فان حكومة الولايات المتحدة لم تفاجأ بوفاة الرئيس ناصر ، وكذلك الحكومات البريطانية والسوفيتية والاسرائيلية · بل أن الحكومة المصرية لم تفاجأ بذلك ، اذ أن «ناصر» كان قد وطن نفسه منذ فترة من الزمن على التسليم بخطورة حالته الصحية · ان الحكومات الحديثة نادرا ما تفاجئها الاحداث التى تعنيها بصفة مباشرة ، اذ تكون لديها خطط للطوارىء لكل الازمات تقريبا التى يحتمل نشوبها · وبالنسبة لناصر فليس سرا أنه كان مريضا بمجموعة من الامراض مثل السكر والتهاب الاوردة ·· وكان جهازه التنفسى يعانى من الضيق ·· وبعد أن ألمت به نوبة مرضية خطيرة فى سنة ١٩٦٩ قال له طبيبه أنه لابد أن يكف عن عمله الذى كان يستغرق ١٦ ساعة يوميا ، لان ذلك سيقصر من عمره ·· وأن بوسعه أن يعمل أربع أو خمس ساعات ويكون لديه الامل فى الحياة فترة أطول ·

مات جمال عبد الناصر ··

واتفق من كانوا يعتقدون أنهم ورثة الحكم ، على اختيار أنور السادات·· تصوروا منهم أنه سيكون صاحب العرش الذى يملك ولا يحكم !

وفى يوم الجنازة الشعبية التاريخيـــة ·· سمعت وأنا فى مكتبى فى « الاخبار » أن أنور الســـادات أغمى عليه ·· وأنه نقل الى فندق شبرد لاسعافه ، فارسلت مندوبا ليتحرى الخبر ··

وفجأة دق جرس التليفون ··

فقلت : مين ··

قال : أنا أنور ··

قلت : أنور مين ··

قال : أنور السادات يا موسى ··

قلت : عفوا ·· ان ذهنى تائه ·· الحمد لله انى سمعت صوتك ·· لقد أبلغت منذ لحظات أن سيادتك فى فندق شبرد بعـــد أن اغمى عليك فى الجنازة ·

قال : الحمد لله ·· الآن ·· انى أتحدث اليك من القبة · لقد شـــعرت بارهاق شديد فى الصباح ، لاننى لم أنم منذ يومين ·· ونقلت الى هنا ·· وأعطانى الطبيب حقنة منومة ·· والحمد لله ·· أنا أحسن ··

قلت : الحمد لله · كنا فى غاية القلق عليك ··

قال : أريد أن ترسموا في الصفحة الاولى من الاخبار .. صورة لجمال .. توضع في مكان ثابت بجوار اسم الاخبار .. كرمز لمؤسس أول دولة مصرية ..

وفعلا .. كلفت الاستاذ الفنان بيكار ، برسم الصورة .. واستمررنا في نشرها عاما كاملا ، حتى الذكرى الاولى لوفاة عبد الناصر ..

وبدأ أنور السادات يتولى مسئولياته .

وبدأ يستعد لانتخابات رياسة الجمهورية .

وكان في ذلك الوقت يقيم في قصر العروبة .

ولقيته في الصباح التالى . كان مرهقا كل الارهاق . رأيته بعد اجتماع طويل مع علي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف وأمين هويدى ..

وكان يعد للقائه الاول بمجلس الامة .

وأذكر أن الرئيس أنور السادات قال لى في هذا اللقاء ..

أنه يشعر أن المهمة ثقيلة وصعبة بعد اختفاء زعامة جمـــال عبد الناصر بثقلها العربى والدولى الكبير ..

انه يؤمن بأن أولى مسئولياته هي الاعـــداد الكامل للمعركة .. ولكنه سيستمر في نفس الوقت في طريق السلام .. وكان قد استقبل مبعوث الحكومة الامريكية في تشييع الجنازة ، وقال له أنه مستعد أن يناقش كل شيء مع أمريكا بعقل مفتوح وقلب مفتوح ..

وأنه يؤمن تماما بأن الديمقراطية هي أمل الجماهير .. وهى صمام الامن والامان ، استعدادا للمعركة .

وكان بعض أعضاء مجلس الثورة السابقين قد تقدموا اليه بمذكرة .. وطالبوا باتخاذ خطوات معينة لمواجهة الموقف بعد وفاة عبد الناصر .. وكان تعليقه على ذلك أن الموقف لا يحتمل .. وأن كل الجهود يجب أن نوجه أساسا الى اعداد كامل للقتال ..

◎❖◎

لقد أردت بهذا العرض السريع أن أقدم صورة لانور السادات منذ هزيمة ٦٧ حتى وفاة جمال عبد الناصر .. يتضح منها أن الرجل كان يرى بنظرة ثاقبة كل أوجه القصـــور . وأنه استطاع أن يتغلب على كل ألاعيب صراع السلطة . وأنه لم يتخل يوما عن التزامه مع جمال عبد الناصر .

وأنه كان يرى أن الحرب هى الحل الوحيد .. مع متابعة المساعى السلمية من جديد .. ومع السير في طريق ديمقراطى ..

◎❖◎

ولكن ماذا كان عليه الموقف العربى .. والموقف الدولى في الايام القليلة التى سبقت وفاة جمال عبد الناصر ؟ .. والتى عايشها أنور السادات لحظة بلحظة ؟ ..

كان في القاهرة مؤتمر للملوك والرؤساء ..

وقد بدأ انعقاد المؤتمر في الثاني والعشرين من سبتمبر ، أثر مذبحة الفدائيين في الاردن . قاطعت العراق المؤتمر .

وفشلت نداءات الرؤساء الى الملك حسين بوقف المذبحة ..

وذهب وفدان من المؤتمر الى عمان . وفشلت كل المحاولات مع الملك حسين لوقف النار .

وحضر ياسر عرفات الى القاهرة .. وحضر بعض زعماء المقـــاومة .. وأنذرت أمريكا بالتدخل العسكرى .

ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التدخل الامريكي بكل وسيلة ..

وطالب القذافى فى المؤتمر بدخول الجيوش العربية .. لمحاربة أمريكا !

وأخيرا .. طلب الملك حسين الحضور .. وتم توقيع اتفاقية سميت باتفاقية القاهرة ..

والازمة بدأت منذ يوم الاربعاء ١٦ سبتمبر ، عنـــدما أعلن الملك حسين الاحكام العرفية ، وألف وزارة عسكرية ، وعين حاكما عسكريا .. وأعلن الملك أن هدف الحكم الجديد اعادة مكانة الدولة .. وردت المقاومة ببيان قالت فيه : ان الحكم العسكرى مؤامرة ضد العمل الفدائى الذى سيدافع عن نفسه ..

وطلبت الحكومة العسكرية من الميليشيا تسليم الاسلحة الى منظماتها .

الخميس ١٧ سبتمبر :

بدأت المذابح الرهيبة . سقط مئات القتلى والجرحى . اشعلت الحرائق في عمان . كان الرئيس جمال عبد الناصر مجتمعا مع القذافى فى مرسى مطروح .. وصل الفريق صادق الى عمان يحمل رســـالة من عبد الناصر ونميرى والقذافى لوقف المذبحة .

الجمعة ١٨ سبتمبر :

الاسطول الامريكى يقترب . الطائرات البريطانية تتجمع فى قبرص .. وصل عدد القتلى والجرحى الى ٥ آلاف . إستمر القتال من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع فى ٥ مدن .

السبت ١٩ سبتمبر :

. الباهى الادغم يتصل بالرئيس عبد الناصر تليفونيا ويقترح عقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة . عبد الناصر يرسل نداء الى الملك حسين وعرفات بوقف القتال فورا لصد المؤامرات الدولية للتدخل . القاهرة تحذر أمريكا من عواقب التحركات العســكرية وتحملها مســئولية نتــائجها الخطيرة . الخسائر مخيفة . آلاف الابرياء تحت رحمة النيران فى الشوارع .

الاحـــد ٢٠ سبتمبر :

أمريكا تذيع بيانا رسميا عن تدخل قوات ســـورية ، وتطالب بسحبها فورا · كان البيان الامريكي يعبر عن تمهيد لتدخل عسكرى اذا لم تنسحب القوات السورية · عمان تؤكد أن القوات السورية تقدمت في القطاع الشمالى من الاردن · عبد الناصر يبعث برسالتين الى الملك حسين · حكومه البعث العراقى تتدخل ضد المقاومة · بدأت اتصالات عقد مؤتمر القمة ·

الاثنين ٢١ سبتمبر :

الموقف يتدهور · وصل القذافي والاتاسي ونميرى والادغم الى القاهرة · تقرر الاجتماع مساء اليوم التالى ·

الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

اجتمع الملوك والرؤساء · نميرى والادهم ووزير الدفاع الكويتي والفريق صادق سافروا الى عمان · عدد القتلى وصل الى ١٥ ألفا · المعارك عنيفة في الشمال ·· طائرات السلاح الجوى الاردنى تشترك فى القتال ·

الاربعـــاء ٢٣ سبتمبر :

اتصالات القاهرة بعمان مستمرة · عاد نميرى من عمان ومعه زعماء المقاومة الاربعة الذين طلبوا وقف القتال · المذبحة مستمرة · استمع الرؤساء الى تقرير نميرى · عمان تحولت الى أنقاض وخرائب وجثث ·

الخميس ٢٤ سبتمبر :

نميرى يسافر الى عمان للمرة الثانية ·· سافر حسين الشافعى والادغم ورشاد وأحد زعماء المقاومة · الهدف تنفيذ وقف النار ·

الجمعة ٢٥ سبتمبر :

ماثير تهدد بعمل عسكرى ضد مصر ، بحجة تحريك الصواريخ المصرية نميرى عاد ومعه ياسر عرفات · اجتماعات الرؤساء مستمرة ·

السبت ٢٦ سبتمبر :

الملك حسين يطلب الحضور الى القاهرة · نميرى أذاع فى مؤتمر صحفى كل أسرار الاحداث · قال أن المذبحة بدأت باخلاء عمان من الاردنيين وضربها بقوة من ٧٤ ألف جندى ·

الاحـــد ٢٧ سبتمبر :

يتم الاتفاق على وقف جميع العمليات العسكرية · وقع الرؤساء الاتفاق

الاثنين ٢٨ سبتمبر :

مات جمال عبد الناصر ··

⊙❖⊙

وقد استطعت الحصول على ثلاثة محاضر لاجتماع الرؤســـاء ·· من دبلوماسى صديق حضر هذه الاجتماعات · ولا أقول أنها محاضر كاملة ، لان

صديقى كان يسجل بقلمه •• وربما فاته الكثير •• وأننى أنشرها الآن لكى اعطى صورة بامنه عن الموقف العربى الذى سلم أنور السادات حلاله أمانه المسئوليه •

جلسة مساء الخميس ٢٤ سبتمبر ١٩٧٠

« أمريكا تهدد بالتدخل العسكرى • الاتحاد السوفيتى ينصح بتجنب التدخل الامريكى فى المنطقة •

القـدافى ورئيس اليمن الجنوبية يطالبان بتدخـل الجيوش العربيـة • عبد الناصر يعلن انه يرفض هذه المزايدات • قال لهم •• انتم تصدرون البيانات •• ومصر هى التى تحارب »

الرئيس عبد الناصر :

ـ أرحب بالاخ سليمان فرنجية الذى يشارك معنا وهو فى أول عهد رئاسته •

الرئيس فرنجية :

ـ ياريت فى هذا الظرف •

الرئيس عبد الناصر :

ـ معلهش •• أتمنى لك التوفيق ، حصل اليوم تضارب فى الاقوال فهناك من يقول أن اتفاق أمس نفذ حسب ما قال الملك حسين ، وجاءنا من سفارتنا أنه وقع اطلاق نار بعد الظهر •• ومن دمشق يقولون أن أربد معرضـة للقصف • ويقولون أن الموقف سيىء جدا ، وقلت للاخ نميرى أنكم تكملون مأموريتكم وتتأكدون من وقف اطلاق النار وتتصلون بياسر عرفات ، والاخ نميرى رحب بالسفر ، كان هناك أيضا الشيخ سعد وبعد كده كان هناك الاخ الباهى الذى قال أنا مستعد أيضا وقلنا يروح أيضا حسين الشافعى والفريق صادق وأخذنا مبعوث عن الملك فيصل وقلنا يسافروا •• لنعرف من هو على خطأ ومن هو على صواب ، نحن مستعدون نبعث عشرين أو ثلاثين ضابطا ليؤكدوا صحة ما يقال فى الاذاعات •

كذلك فيه امبارح كلام ضد المؤتمر • وأن المؤتمـر مؤامرة ، نحن فى الحقيقة لما الاخوة فى تونس تكلموا معنا ومع الاخوان فى ليبيا قلنا أهلا وسـهلا ، وكان ممكن أن أطلع أنا بيان نؤيد فيه المقاومة ، انما احنا نتآمر على مين ؟ هـذا الكلام طلع امبارح ، الناس اللى عايشين فى المعركة فقدوا أعصابهم ، ان من يحكم عمان هم وصفى التل وحابس المجالى • نحن هنا لانريد أن نزايد نريد وقف اراقة الدماء أنا بعثت برقية للملك حسين قيل فى دمشق أنها شديدة اللهجة ، واحنا لن نذيعها لاننا لا نريد المزايدة ، أنا عندى جواب من ياسر عرفات يقول أن كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار • الاخوان اللى

راحوا سوف يحاولون مع الملك حسين تحويل الوضع العسكرى الى مدنى ، سيحاولون أيضا ايجاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المأساة ، مازال هناك اطلاق نار حتى على سيارات الاسعاف ·· اعداد كبيرة من الفدائيين وافقت على وقف اطلاق النار ·· برقية وردت الآن (الساعة التاسعة الا ربعا) من سفارتنا فى عمان تقول أنه منذ الصباح والقوات الاردنية تشن حملة على الفدائيين ولم تحترم وقف اطلاق النار · ننتظر الوفد الذى سافر ويتصل بياسر عرفات ثم يصل الى نتيجة أو رأى ·

الملك فيصـــل :

ــ اختلفت الروايات وليس هناك شىء واضح نبنى عليه ·· هل هناك برقيات أخرى · « قرئت برقية الملك حسين من الاذاعات » ·

الرئيس عبد الناصر :

ــ كل الصحف أيضا تتكلم ضد المؤتمر ، كذلك نسعى بأن توقف هذه الاذاعات · يجب تشويشها بأى طـــريقة بالوسائل الدبلوماسية أو بأى وسيلة أخرى ، وممكن أن يسافر الرئيس معمـــر القـــذافى والرئيس ربيع الى دمشق ·

الرئيس ربيـــع :

ــ كل الدلائل تشير الى أن الحكم فى الاردن لا يزال يمارس أطلاق النار ، واذا كان كل ما يصلنا غير صادق ، فمن يتكلم الصدق ؟ ·

الرئيس عبد الناصر :

ــ أنا مستعد أصدر بيان واستريح ، ويمكن تصفقوا لى لو اصدرت بيـــانا ، وأنا مستعد أعطى للفـــدائيين اذاعة أو أثنـــين وأذهب الى الاسكندرية ، والناس تقول أنى ثورى ونترك الناس تذبح فى بعض ، فى الواقع هناك مخطط فى الاردن وهناك مساعى وهناك فدائيين ، جورج حبش أخذ مطارا وأحضر طيارات ، هل تقبل أنت ·· يا سالم ربيع أن تأتى جماعة من اليمن ويتصرفوا هذا التصرف حتى ولو كانوا صينيين ، أن السلطة فى الاردن تستطيع أن تقضى على الفدائيين ، وكذلك السلطة فى لبنان · تدخلنا لفائدة الفدائيين · الملك حسين غير مهدد ، الناس اللى بتنضرب هم الفدائيين · وهناك فدائيون يريدون أن يشعلوها وهنـــاك المجالى وهناك التل الخ ·· السؤال ·· هل أحنا مستعدين نحارب فى الاردن ؟ ·· لا ·· أنا بصراحة : أقول لا ·· السوريون أدخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها ·

الرئيس ربيـــع :

ــ القبائل هناك ··

الرئيس عبد الناصر :

ـ .. وجهة نظرنا أعلناها أنه لا لايمكن أن نقبل بتصفية المقاومة الفلسطينية ، احنا سنأخذ مواقف نتيجة لما يجرى ، نرسل ضباط تراقب ، الناس تموت الآن من الجوع والعطش ، ونحن نريد ٢٤ ساعة وقف أطلاق النار وبعدين نشوف .

الرئيس ربيع :

ـ القبائل متوحشة ..

الرئيس عبد الناصر :

ـ بصراحة هذا واقع في الجنوب فقط ، وذلك أثر اعتداء عليهم من جماعة من الفدائيين وأنا أرسلت الى الملك حسين أن الناس اللى معاك مشبوهين ، أحنا لما جينا كان هدفنا وقف أطلاق النار. وما يحصل الآن هو ما تتمناه اسرائيل ، اذا كان هناك طلب من الاذاعات أن تسكت وهذا صعب في رأيي . أحنا مجهزين الضباط . أنا تصلنى أخبار منتظمة مفادها أن أطلاق النار متواصل ، تصلنا أيضا برقيات . كيف نوقف هذه المجزرة ؟

رشيد كرامي :

ـ لا يزال وقف أطلاق النار غير محترم . لكن لتسهيل مهمة اللجنة في رأيي .. لو صدر عن هذا الاجتماع قول : بأنه اذا لم تتوصل اللجنة اليوم أو غدا أو بعد غد . كلام من هذا النوع يعنى أن المؤتمر أصبح على وشك أظهار الامور كما هى .

الرئيس القذافي :

ـ ما هو الموقف الذى سوف نأخذه .

محمد المصمودى :

ـ هذا قد يكون بعد عودة الوفد .

الرئيس عبد الناصر :

ـ حقيقة ما هو الهدف ؟

محمد المصمودى :

ـ نود أن نعرف نص الكلام الذى قيل الى الوفد لكى يبغله هناك

الرئيس عبد الناصر :

ـ أنهم خططوا على أساس انهم يقضون على المقاومة فى ثلاث ساعات ، الحق أن الملك حسين لم يطلب منى أى شيء ، لكننى قلت للفدائيين انكم عندما تضعون الحسابات فان الاردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابة عندما تقول الصحف : الملك العميل ، معناه أنه سوف يضربهم وهذا الكلام

أو قيل للنبى محمد لما سكت • أقول نحن نتوسط ، هناك ناس قالوا مافيش فايدة • هذا سهل • وكذلك التحريض • والنتيجة أن الواحد يذبح الثاني والاعداء يكسبون • ماذا نعمل لو أصدرت بيانا الآن ؟ وأنا فى الحقيقة أرسلت له برقية شديدة ثم ذهب الوفد •

الشبلي (السودان) :

ـ أن هدف المؤتمر أنه لابد من وقف أطلاق النار • وهذا ليس بسيط• المخطط لاشك موجود • لكن المهم الا ننتوه فى مواضع وننسى أن الناس تموت جوعا وعطشا •

وزير خارجية اليمن الجنوبية :

ـ هناك دول عربية مبررها أن اجتماعا مثل هذا قد يعقد وتكون نتائجه سلبية كالمؤتمرات السابقة • ونحن جئنا والآن مرت ثلاثة أيام ، ذهبت اللجنة ثم رجعت ولم يقع شيء ثم رجعت مرة أخرى ، فما هو الجديد حتى تعود ؟ وما هى الخطوات التى اتخذت حتى تشكل ضغطا معنويا • ونحن نتكلم عن الملك لانه هو الذى يمثل السلطة ، وكما قال أمس الاخ الباهى الادغم هو المسئول لانه هو السلطة •• لذلك فان اقتراح رئيس وزراء لبنان بأن نقوم بنوع من ••

محمد المصمودي :

ـ أن أعمالنا فى المؤتمر فى ظروف دقيقة للغاية ، وحتما لايمكن أن نشبهه بمؤتمر سابق للملوك والرؤساء • والرئيس عبد الناصر يعطينا أولال بأول أخبارا وتكاد تكون جلسة عمل متوالية • قال الرئيس القذافي وربيع اذا كان حصل اقتناع بأن الملك حسين عنده مخطط للقضاء على الفدائيين ، وان كان هناك من له مصلحة فى أن تراق الدماء ، ونشك فيما يقولونه •• وخاصة أن هناك من قال ان هذا المؤتمر مؤامرة • وربما اجتماعنا عطل المخطط ان كان هناك مخطط • وذهب الوفد الاول ثم الثاني وعلى كل حال رجعوا باخوان أعزاء علينا وهم أنفسهم حريصون على حل • هذا الوفد سوف يقابل ياسر عرفات عندما يقول الاخ الرئيس ربيع كيف يمكن أن يفشل المخطط ، فعلا هنا كما قال الرئيس القذافى لازم ضمانات والحالة معقدة • نمشى خطوة بخطوة • ثم تحرك عربى • وسعى لعمل خير عربى على ضوء المعلومات والمعطيات وعندما تكون لدينا المعلومات الكاملة •

الرئيس عبد الناصر :

ـ البرقية التى أرسلتها يوم ٢٢ سبتمبر الساعة الواحدة والنصف ، هناك ناس يقولون أن اذاعة هذه البرقية يفيد وأنا قلت ان المهم ليس

أذاعة البرقية بل وقف أطلاق النار · موضوع المؤتمرات ·· هناك ناس لا تحب المؤتمرات · أمبارح طلعت نكته فيه نظام يسارى فى اليمن الجنوبى عايز يؤمم كل حاجه وموش لاقى حاجة يؤممها ·

يجب أن نعرف أن هناك متناقضات في العالم العربى وهناك من يريد الفتنة أن تستمر ، وهناك اسرائيل · اذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها · وهذا كلام أقوله ليسجل للتاريخ · هدفكم الاول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا علاقاتكم بالفدائيين · يمكن أخواننا فى اليمن الجنوبى يقولوا أحنا عجزنا وهم شباب ، لكن أحنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ اللى ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ وهذا اللى جعلنى أمس أقول أننى غير مستعد لارسال جيوش · يمكن أن نصدر بيانا · أننا ننتظر غدا ·

الملك فيصـــل :

ـ لازم كل شيء ينظر فيه على أنه موجه للجميع ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ ويمكن أن نصدر الليلة شيء يمكن أن نقول أن المؤتمر يوصى بضبط النفس ·

الملك فيصـــل :

ـ نوجه الكلام للجميع ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ ان من رأيى عـــودة الوفد معناها اننا عايزين نشوف الامور على الطبيعة لو كان الهدف من المؤتمر هو أدانة حسين لخلصنا الموضوع فى خمس دقائق · لكن حاليا فى أذاعة الجزائر وبغداد ودمشق أكثر من الادانة بل بيلعنوا أبوه · يمكن أشجب النهارده لكن لن يكون فى أمكانى أن أتدخل فى الموضوع · الاتحاد السوفيتى باعتين يقولوا لى أن العملية خطيرة ، ولابد أن تجنب المنطقة ويلات التدخل فى الاردن وفى لبنـــان وسوريا · وهم منزعجين من دخول القوات · أنا أقدر أطلع بيان ـ وبيانات ·

أنا أعمل أيه لو نزل الامريكان فى عمان · عندى قوات فى القنال لو طلعتها يهاجمونى اليهود ، أنا حابقى أحارب الامريكان · تقدير الاتحاد السوفيتى ان أى تدخل يضر بمصلحة العرب ·

الرئيس القذافى :

ـ بعد سنة ١٩٦٧ ماعدناش نصدق الاتحاد السوفيتى ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ أحنا سنة ١٩٦٧ لم نبدأ أطلاق النار · ان أى بيان سيقطع الطريق

أمام الوفد وبكره الظهر يعودوا ونقول ما هو الواقع • الصبح جبت أبو أياد والجماعة وقلت لهم عايزين أيه أنتم عايزين تقولوا أن لواء الحسين أستسلم وتعملوا أغاني • في اليمن الشعبية يقولوا أن موقف الجزائر كويس لانها عملت بيان كويس وأنا قلت للوفد روحوا السفارة بتاعتنا في البلد وما تقعدوش في القصر ، أنتم في اليمن الجنوبي عملتم بيان ضد مشروع روجرز •• ما أنتم دوختونا ؟! انتم تقدروا تعملوا آيه ؟ •• ما هي أمكانيتكم ؟؟.•

الرئيس ربيـع :

ـ أنتم مسئوليتكم ••

الرئيس عبد الناصر :

ـ أنتم بتطلعوا بيانات •• وأنا اللى احارب •• عايزين تحرروا • تعالى قدامى • وأحنا موش عايزين ندخل فى مزايدات • واللى يتكلم يتكلم بالحساب ، أنا عندى ٦٥٠ ألف عسكرى وفى ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ ألف عسكرى •• العراق عملت أيه ؟؟ • نقصت ميزانية الجيش • هى عملية استكراد واللا أيه ؟؟ اللى يحب يحارب الملك حسين يروح يحارب هذا واقعنا • العراق شتم من اسرائيل مفيش أى تعليق على كلام اسرائيل ، وانما على ما يجرى على القناة •• ياريت نميرى ينجح ويمكن الملك حسين يستجيب •• وأنا قلت ما فى نفسى •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر

برقيات الى الرئيس جمال عبد الناصر ، عن ضرب السفارة العربية في وجود نميرى بها ، واتصال نميرى بالملك حسين ووقف الضرب • وقف النار لم ينجح •

الرئيس عبد الناصر :

ـ حصل نداء فى عمان بشأن الاجتماع ، وهناك شخص أخذ الوفد من السفارة المصرية الى لقاء مع ياسر عرفات الذى قال ان أكثر من ٢٠٫٠٠٠ قتلى في المخيمات • وأخيرا تم التوصل الى الاعلان عن وقف اطلاق النار • بعد هذا وصلتنا معلومات أن الرئيس نميرى حينزل يلف المدينة وبعدين جاءتنا برقية من الفريق صادق أنه حصل ضرب ووقع اتصال ثم انحصر الضرب حول السفارة • ونميرى طلب الملك ، وسمع الملك الضرب وبعث رئيس الديوان ورئيس الاركان ومساعده ووصلوا وأوقفوا الضرب • وآخر المعلومات أن النيران حاليا تنصب على السفارة وانهم موش راجعين الليلة وأجلوا سفرهم لبكره •

وتلا الرئيس عبد الناصر البرقيات التى تلقاها ومنها برقية من السفير الساعة الخامسة : حدث حوالى الساعة الرابعة والربع ضرب مما دفع

الضيوف الى الاحتماء • أتصل النميري بالملك حتي أن الملك سمع اطلاق النار وأوقف علي الاثر • ولم تحدث أصابات • الساعة السابعة ٠٠ (برقية من الفريق صادق) بعد آن تحادث الوفد مع المسئولين بما يفيد تأخير السفر ، حدث ضرب شديد على السفارة بقصد حملنا على السفر والتمكن من مواصلة العمليات ضد الفلسطينيين •

ثم قال الرئيس عبد الناصر ٠٠ اذا لم ننجح فى وقف اطلاق النار ما نكونش عملنا حاجة ، اللجنة اللى راحت مرتين وشايف مفيش أمامنا ما نقوله حتى يصل الرئيس نميرى • وهل سينجحون فى وقف أطلاق النار ، اذا لم يلتزم أى من الطرفين بوقف أطلاق النار فنحن لازم يكون لنا موقف ٠٠ جاءت برقية وقالوا أن يكون عدد من الضباط لمراقبة وقف أطلاق النار من : مصر ، السعودية ، الكويت ، تونس ٠٠ طالبين منا نبعث من الكويتين والمصريين صباحا على اعتبار أن فيه هناك من تونس والسعودية •

الملك فيصل :

ـ اطلاق النار جاء من أين ؟

الرئيس عبد الناصر :

ـ كلام الفريق صادق أن أطلاق النار جاء من الجيش الاردنى •

الملك فيصل :

ـ المراقبون لازم يكونوا من الجهتين •

امير الكويت :

ـ نبعث برقية للمك حسين •

الرئيس عبد الناصر :

ـ لازم أبعث حاجة أنا شخصيا • بدأت أفقد الإمل ٠٠ الفلسطينيون ضربوا كثيرا •

محمد المصمودى :

ـ الشىء الذى حملنا أن نبدى لكم شكرنا على المظهر السياسى الرائع اللى جعل الكيان العربى يتحرك • وقد أذيع وقيل أنه حصل أمل كبير حتي أن الامريكيين أعلنوا أنهم غير متأهبين للدخول • لكننا الآن معلوماتنا تختلف من الناحية الموضوعية • لقد ظهر الكيان العربى ويرجع الفضل اليكم فى هذا السبب ضبط الاعصاب ٠٠ ومادام الاخوان هناك وصلوا مع الاخوان الفدائيين فعلينا أن نواصل ضبط الاعصاب ومادام الاخوان طلبوا منا أرسال ضباط ٠٠ طيب نرسل ضباط ليرى العالم أجمع ٠٠ ربما نبعث للمك حسين ببرقية بلهجة أشد وبدون

أذاعتها وبرقية للرئيس نميرى أننا معه · ونرسل ضباط وننتظر والعالم يعرف أين نمشى وكيف نعمل ·· وليس من المعقول ان نعود بدون شيء ، وهل نعطى فرصة لمن يتهمنا ويدعى أننا متآمرون ·· ليقول لهم ها هم راجعون بخفى حنين وهذا غير منصف لا لنوايانا ولا لعملنا ·· وأنا أطالب باستمرار السعى ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ الكلام بتاع الاخ هو الا نذيع ·· نبعث برقية لحسين وبرقية للنميرى ولا نذيع أيضا ·

أحد وزراء السودان :

ـ يبدو أن الموقف خطير واعتقد أنه يجب أن نكون قريبين الى الحقيقة أكثر ونفوض الوفد الموجود هناك بارسال برقيات الى الملك أو الى الجهات التى يراها ، بدلا من أن نبعث نحن مباشرة ولا نذيعها وأرى أن نسرع بارسال مراقبين ·

الرئيس عبد الناصر:

ـ رايحين غدا الساعة التاسعة ·

السـودان :

ـ المسائل تتطور بسرعة يمكن موش حيعملوا حاجة ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ حسب ما أعلم النميرى اتصل بالملك حسين ·

المصمودى :

ـ نبعث برقية للملك حسين ونفوض الوفد ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ القضية أكثر من وقف اطلاق النار فى الحقيقية ، لكننا نركز على الناحية الانسانية ·

الرئيس فرنجية :

ـ نبعث برقية ·

الرئيس القذافى :

ـ نبعث ·

الملك فيصل :

ـ أنا ما عندى مانع ، ونحدد أننا عندنا معلومات أن وقف اطلاق النار لم يحترم ·

الرئيس عبد الناصر :

ـ نبعث للنميرى أيضا ·

الملك فيصل :

ـ بالنسبة لهيئة الاغاثة أنا تأتينى برقيات ٠

الرئيس عبد الناصر :

ـ جاءنى بعد الظهر أن الصليب الاحمر موجود فى اسرائيل وانتقل الى الاردن ٠ ونحن مستعدين نعطى بضائع بمليون جنيه مواد وأدوية وطائراتنا تعمل مجانا ، هذا ما أضعه تحت تصرف الملك فيصل ٠

الملك فيصل :

ـ الجميع مستعدون وقد انقضى ثلاثة أيام وأنا مسافر وتشكل اللجنة وتبقى ٠

محمد المصمودى :

ـ فى هذه المدة القصيرة ركزنا جهودنا على وقف اطلاق النار ٠

الملك فيصل :

ـ مادام هذا كلامكم لماذا عينتونى مسئولا عن اللجنة ٠

الرئيس القذافى :

ـ عينا وزير الصحة عضوا فى اللجنة ٠

محمد المصمودى :

ـ هل من العملى ارسال غدا ما يمكن تجميعه وتكون هى أول بادرة ٠

الرئيس عبد الناصر :

ـ عندى ٠٠ ممكن أنقل ١٥٠ طن بضاعة ٠

الملك فيصل :

ـ جاءتنى برقية من الملك حسين يطلب موعدا ٠

القـــذافى :

ـ والله ملك مجنون وهذه أبسط كلمة تطلق عليه ، أبسط شىء أن يؤخذ لمستشفى الامراض العقلية ٠

الرئيس عبد الناصر :

ـ الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف مين المجنون ٠٠ وأول واحد تشوفه القذافى ٠

الملك فيصل :

ـ مستعد أقدم نفسى خليهم يعطونى شهادة وأستريح ٠

الرئيس القـذافى :

ـ فيـه أعـراض ٠

الرئيس عبد الناصر :

ـ ونجيب أحمد حسن البكر ٠٠ نعين اللجنة ٠

الملك فيصل :

ـ لازم تنبثق من لجنة الاغاثة .. لجنة فرعية تسافر الى الاردن .

أنور السادات :

ـ ممكن تكون لجنة من السفراء العرب هناك .

الرئيس عبد الناصر :

ـ ينتظر وصول النميرى الليلة الساعة العاشرة .

الرئيس القذافى :

ـ نجتمع أثر مجيئه .

الرئيس عبد الناصر :

ـ لجنة الاغاثة تجتمع بكره .

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ بعودة الوفد من عمان

« تقرير الرئيس نميرى ، ان التفاهم مع الملك حسين مستحيل .. وأن الموقف ليس فى يده .. وان محاولات وقف النار فشلت . القذافى مصمم على تحريك جيوش عربية لتحارب أمريكا ويقول أن هناك متطوعين من أمريكا سينضمون للجيوش العربية .. عبد الناصر يرفض هذه المزايدات . قال : لن أحرك جيوش .. ومن عنده جنود يحركها .. فليتقدم .. أما أنا .. فلا .

الرئيس عبد الناصر :

ـ نشكر الرئيس النميرى والاخوان على المشقة التى تحملوها .

الرئيس نميرى :

ـ هذا واجب .. أود أن أسرد على مسامعكم ما قمنا به من أعمال وما وصلنا اليه من نتائج وما نوصى به من اقتراحات وبعد ذلك سيقوم الاخوان أعضاء الوفد بالحديث عن انطباعاتهم . (ثم تلا البيان الذى أذاعه فى المؤتمر الصحفى) .

ياسر عرفات :

ـ العملية ليست عملية فدائية .. والمجزرة الآن لا شىء يمكن أن يبررها الا انتقام صهيونى استعمارى خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة كبيرة .

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر . لكن ظهرت بوادرها فى ٢٦ أغسطس . وبعثت فى حينها للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يمكن قبل الحوادث بيومين ، كنت أصرخ وأقول هذه كربلاء الشعب الفلسطينى . اننا معرضون لاعتداء على أعراضنا .. نحن عندنا مناطق

وقبائل نصرف عليها عـلاج ودواء وتعليم وزراعة ·· هذه القبائل ، قامت على كل من هو فلسطيني واستباحوا دمه ·· عندى احصائية أن الشيكات زادت ٨٥٠ ألف دينار في شهر واحد (شهر أغسطس) وهي رشـاوى لما قام به هؤلاء المشايخ من مجازر ·

الملك فيصل :

ـ الشيكات من أين ؟

ـ من مصادر مختلفة وسـعر الدينار مرتفع · أنا أقول أرقام · يمكن تسألوا بيوت المـال في بيروت · في الشمال قاموا بعملية على ١١ قاعدة من قواعدنا · ونحن نعيش في الكهوف · وهي قواعد عسـكرية عبارة عن نقاط نتخذها مراكز ·

في يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤٠ ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة أن نغض الطرف · وأن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم · من نهار كنا مجتمعين مع أعضاء اللجنة المركزية وأصيب هذا الاجتماع ب ٨٦ قذيفة · ومع ذلك عودنا الاتصال عندما جاءت اللجنة الخماسية يقول الملك رئيس الوزراء وقع الاتفاقية وهو مستقيل والحقيقة أنه تم الاتصال بالملك حينذاك وحصل رئيس الوزراء على موافقته · ثم يقول الملك أن الاتفاقية وقعت بدون موافقته · ثم بدأت حوادث الزرقاء كلما تكون هنـاك بادرة خـير تبدأ حوادث التخريب · حاولت واتصلت برئيس الوزراء وبرئيس الاركان (مشهور حديثة) مش موجود · وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت · واتصل بي أخ من اللجنة وقال لى أنه اتصل بهم · فقلت هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وأنا لا أستطيع أن أحكم على نفسى بالاعدام · أفضل أن يقتل الفدائى وسلاحه بيده · وقد قيل لنا هذه أوامر الملك · واتصلنا بنائب رئيس الوزراء لتلافي المذبحة · شاهدت شخصيا مذابح ومجازر كثيرة من قبل لكن لا أعتقد أن ما يحدث فى عمان حدث من قبل · فهناك ثلاثة ألوية مدرعات وأربعة ألوية مشاة أحضرهم من الجبهة ، وبقى على الجبهة سرية واحدة أى ١٢٠ جنديا فقط · اتصلت ثانية فلم أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذى قيل لى أنه يصلى · ولم أستطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر · وبدأت المذبحة فى عمان · أول يوم كان بينى وبين الدروع تقريبا ٢٠ متر تعاملنا معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع المدفعية · الكتيبة السادسة كانت ولا زالت تدك عمان بمدفعية الدبابات · أما الرشاشات الثمانيمائة فغـير محسوبة · وهـذه أول مـرة تظهـر فيهـا الرشاشات · اذ كان الملك يطلب منى أن أحمى مصـنع الاسمنت (والسلط) وبعض مواقع بالسلاح القليل الذى أحشده خلينا نقول هؤلاء الفدائيين مجرمين خونة ·

ولكن ما ذنب مخيم الوحـــدات ؟ لم أســـتطيع أن أمشي أكثر من مائة متر . لان روائح الجثث في الشـــوارع وتحت الانقاض مافيش حـــد يدفنها . حبيت ندفنهـــا قالوا لي حـــرام . مافيش ماء في الاحيـــاء الشـــعبية اطلاقا . حتى سمعت أن الســـفارات ما فيهاش ماء أيضا . أكل مافيش حتى الادوية لم تصـــل الى مستشـــفياتنا اطلاقا . اليوم دكوا مستشفى الاشرفية واســتطاع شــبابنا أن يعطلوا الدبابات ثم لجأوا الى حيلة . وضعوا أطفالا فوق الدبابات واقتحموا المستشفى وأخذوا الاطباء والمرضات . وأنا أعرف أين ستبيت المرضات الليلة . لان عمان استبيحت كما تستباح المدن في القرون الوسطى . دكوا مخيم الحسيني ولا زالوا يدكون . أنا مضطر أن أقدم غدا شكوى الى مجلس الامن بابادة جنسية . والعملية فوق أن الفدائيين انحرفوا . وهذه السلطة لا تشـعر بأنها من هذا الشعب وأمس كنت في بيت انفجرت فيه قذيفة . وفي البيت امرأة تقول لي اياك أن تصالحه لقد صالحته ثلاث مرات . أنا أعتقد أننـا مقبلون على مذبحة غدا . في أربد اليوم حى المصاروة الحرائق مشتعلة .. طبعا فيه تناقض .. يقول أنا أسمح بالتجول وهو مسيطر على هذه الاماكن ويرسل بعثة للصليب الاحمر ويذيع مطالبا بوقف اطلاق النار . لن يعطونا لا هدنة ولا شيء . المخطط ماشي . وفيه اصرار عليه . يجب أن يشعر أن هناك حماية عربية لهذا الشعب . أريد أن أسأل نفسي .. ماذا فعلنا لهذا الشعب منذ ٤٨ سنة . أنا أذكر كلمة للرئيس عبد الناصر أنه لم يكن يتوقع أن يصمد .. وها هو صمد . ومن حقه أن يسأل قادة العرب ما ذنبه ؟ هل نخون .. نروح نتفق مع أمريكا ونأخذ حماية منها . نروح نتفق مع اسرائيل نخونكم (وهنا بكى ياسر عرفات)

القـــذافي :

ـ الصورة واضحة أمامكم .. انني أريد أن أتحرر .

عبد النـاصر :

ـ أود أن نسمع من الاخ الباهي الادغم . اذا كان هناك لا أمل في وقف اطلاق النار . الأخوان اللي حضروا نحب نسمع منهم . قال الاخ نميري اليكم طبعا كلكم متفقين .

الباهي الادغم :

ـ باختصار رحنا الى عمان للنظر في حل يضع حدا للقتال بدون سابق تحيز . فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات . وخلاصة الامر في خصوص وضع حد للقتال بوقف اطلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل . لان الفدائيين لا يريدون وقف اطلاق

النـــار ، فهناك نهب ولابد من مواصلة الاعمال . قلنا طيب .. فيه حالة هيجان يمكن يكون هنالك عمليات بوليســـية فى المرة الاولى ، بقينا فى ضيافه الملك لكن علمنا من جهات أخرى أن اطلاق النـــار نقوم به القوات المسلحة ورأينا آن هناك عمليات مخططه منطقة بعد منطقة هناك قتلى بالالاف والجرحى بالآلاف . قلنا ذلك للملك . فلم يعتذر بل قال أنه لم تتم العملية بعد . فقلنـــا طيب لابد من حد أدنى من ظروف الحيـــاة الخاصـــه وان ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن العمليات عمليات حربيـــة تجاوزت بكثير الاهداف التى قامت من أجلها خاصة فى عمان ، الملك وأخوه لا يخرجان من القصر و ٤ أو ٥ أشخاص يخرجون ويدخلون وكل شىء فى يد هؤلاء ولم تبق هناك دولة . فحاولت أن أتحدث معه على الاقل من حيث أن الافراط مضر . هذه ليست عملية ابادة فى مدينة آهلة بالسكان . رد الفعل موش طبيعي ولا يوجد من نحاسبه . واحد يقول لى أنا عسكرى . وواحد يقول لى أنا لا أعمل سياسة . لم نجد مجالا للحديث . عملية قمع قصيرة النظر . أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لى أنه ينصح أخوه ومصير الشعب بيد أخوه الذى يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحى . فبقية الاردن تكفي .

في الساعة الخامسة صباحا رأينا قصفا . فسألت الضابط فقال هذه مدافع . ثم رأينا النار تشتعل وهى ذخـــيرة بالفوسفور ممنوعة دوليا . والضرب فى منطقة جبل حسين وهى آهلة بالسكان وهذا بعد التصريح بوقف اطلاق النار . وأنا شخصيا سمعت عويل النســـاء . هذه ليست عملية اشتباك مع الفدائيين بل هنالك مخطط يشمل عمان . وقد قلنا هذا للملك . واليوم رأينا ٣ مناطق تشتعل ونحن هناك . والمعارك مستمرة وهو يقول ليس هناك شيء . ولمـا وصلنا هذه المرة .. أول ما وصلنا على بعد مائة متر قصف فى المطار مدة ســـاعة والمطار طافىء . هذا لا يهمنا بأن الفدائيين ما زالوا يسيطرون على المنطقة ثم أدخلونا فى المصفحات . وخال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهمنا بأن مناطق كاملة اشتعلت بدون ذنب . عندما كنا فى السفارة أطلق علينا النار ولم نكن فدائيين على ما نعلم هناك تصرفات ربما الملك برىء منها لكنها غريبة . هناك أشياء لم نعرف مثلها فى التاريخ لقد اتفقنا على ايقاف النار ثلاث مرات . ولم ينفذ شىء .. هناك حالة جنونية . ونصل الآن الى الموقف وننتظر غدا ونبعث بالفعل الملاحظين لادخال وقف اطلاق النار حيز التطبيق فاذا تعذر هذا ندرس .

رشـــاد فرعون :

— لذلك نبعث لجنة ما دام الملك موافق عليها .

حسين الشافعي :

ـ كنت بأتصور أن ايقاف القتال والاغاثة موضوع ممكن · لكن وجدنا أن لا ايقاف القتال ولا اغاثة ممكنة فى هذه الظروف · والنـــاس الذين يحكمون عمان غير أمناء على الشعب الفلسطينى · ولو كان هناك استعمار من أى نوع ماكانش يتصرف بهذا النوع · لما رأينا الاخ ياسر عرفات الصبح وهو فى حالة الضياع ·الحقيقة أن هذا الوضع يتجاوز أى لجنة · فاذا كنا نحن على هذا المستوى وعمل فينا هذا الشىء ·· فكيف يكون مصير لجنة ثم الاجابات مافيهاش احترام · عندما نسأل عن الضرب يكون الجواب هذا تفجير ألغام · لذلك مافيش حلول ·

ياسر عرفات :

ـ جبل الاشرفية بالليل فى الفجر الســـاعة ٤٫٣٠ ضرب يدك عمان بلا رحمة ولا هوادة حتى حوالى الســاعة ٧٫٣٠ ـ ٨ أنا من التعب غفيت وما صحوت الا على صوت الله أكبر وهو منبثق من الاحياء الشعبية · والناس متجهة نحو الجيش خارج عمان يقولون الله أكبر على الظالم الناس لم تجد ما تقوله لان الرشاشات بدأت تحصد ·

فاروق أبو عيسى :

ـ ما يجرى فى عمان عملية ابادة رجالا ونساء وأطفالا · المناطق التى تحترق هى فقط التى يسكنها الفلسطينيون والمخيمات ·

عرفات :

ـ حى الطفايلة لم يطلق عليه النار بينما أصيب ما حوله ودخل سوريا ٧٤٫٠٠٠ مواطن ·

فاروق أبو عيسى :

١ ـ أريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم · حتى أن أحد الجماعة اللى بعتهم الملك اتصل بغرفة العمليات وقال لهم هذا موش معقول لاننا احنا موجودين · جاء الاخوان السودانيين · قالوا ان ما جرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا فى الكونغو ·

٢ ـ ان العملية عملية ابادة وليست عملية عسكرية ·

٣ ـ العملية بدأت منذ يوم الخميس وبدأت منذ الاول بالمدفعية الثقيلة· ان الجيش كان من شهور يعبأ بكراهية ضد الفلسطينيين ·

عندما أمر الرئيس نميرى أن يرجعوا وكانوا يلبسون لباسا عسكريا وفى سيارة عسكرية أردنية ·· ضربوا علينا ·

سجلنا النداء والضرب مستمر وقلنا كويس · فكيف نرسل لجنة فى هذه الظروف فهذه اللجنة كان تشكيلها مرتبطا بعملية وقف اطلاق النار ·

البــاهي الادغم :

ـ احب أن أقول أن مجيء الاخ ياسر عرفات لم يتم بموافقة الملك ٠

عبد النــاصر :

ـ عندى اقتراح نحن عقدنا المؤتمر بدعوة من الاخوان في تونس ٠٠ وفى الايام اللى فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهى عملية انسانية ٠ كل هذا يبين أنه ليس هنالك فائدة ٠ وأنا حدثت معى عدة مراوغات ٠ وانما كنت فاكر أن الاخ النميرى يتكلم معه على أساس عمل حكومة وطنية ٠

عبد النــاصر :

ـ قلت له فى الاسكندرية ازاى تقيم بلدا على القتلى ٠ وأنتم عارفين مين الموجودين حاليا في عمان أقترح أن الاخ نميرى والاخوان اللى كانوا معاه ، يعملوا لنا التقرير كامل ٠ وبكره الاخ نميرى يقدم لنا التقرير ويعقد أثر ذلك مؤتمرا صحفيا ثم نناشد القادة العرب ألا يقبلوا هذا الوضع ٠ وأنى موافق على أن يذيع الاخ نميرى تقريره ٠

القــذافى :

ـ هذا التقرير شيء لكن ما العمــل ٠٠ فيه عملية جنونية ٠٠ ماذا نعمــل ؟

النمــيرى :

ـ ننشر البيان ونعلنه للعالم كله ٠

عبد النــاصر :

ـ يعلم الملك أنه لن يستطيع أن ينفعنا بعد هذا ٠

القــذافى :

ـ وبعد ماذا ٠٠ نفعل ؟

عبد النــاصر :

ـ انتظر حتى نخلص من هذه النقطــة ٠ الكلام اللى قلتوه هنا يقال للعالم ٠ ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد ٠ اذا أقرينا هذا ٠ يبقى نفكر ٠٠ ماذا نعمل ٠٠ فاذا اتفقنا عملنا ٠ فاذا لم نتفق كل واحــد يعمل على كيفه ٠ ماذا تقترح يا أبو عمار ؟

عــرفات :

ـ أنا متهم أنى معتدل وقرأت هذا الكلام فى الصــحف الاجنبية قبل ما أسمعه فى الصحف العربية ٠ وأنا لم أعاد الملك حسين وليس بينى وبين هذا النظام فى الاردن عقد ٠ وأربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبحنا ٠

وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفاهم معه رغم كل المزايدات . أما هذه المرة فانى أعتبر نفسى مفرطا فى حق هذا الشعب . فاما أخونه أو أجد له منفذا . وأنا فى حل أن ألجأ الى الشيطان . غدا ستسمعون صيحات اللى يذبحوهم في أربد .. أناشدكم أنتم مسئولون عن الامة هذا الرجل غرق فى الدم . واذا تراجع فهو أدين . انه لا يستطيع أن يتراجع . هؤلاء لن يتراجعوا . سوف يكملون المذبحة . هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان . أنا سأوقع مع الشرق والغرب . أورط المنطقة العربية . ولا أفنى شعبى .

هناك استفزاز . هذا الوفد لم يبعث لاجراء تحقيق صحفى . وقد ظهر الحق ولكنه لم يستمع لا للبرقيات ولا للوفود ولا لمؤتمر غايته السعى للخير وبعثنا الوفد . ان هذا الشخص أدان الامة ولم يحترم المؤتمر واستفزه . فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤســـاء الليلة ويتخذون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها .

عبد النـــاصر :

ـ الحقيقة أن هناك شقين : الشق الاول الاعلان عن التقرير . الشق الثانى ماذا نعمل لايقاف ما يجرى .. هذا هو الموضوع الثانى .

القـــــذافي :

ـ واضح أن الامة العربية يجب أن تقاتل الى جانب الشعب الفلسطينى ويدخل من يدخل . ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ أمريكا دولة متحضرة ليست مثل هذا الجيش الوسخ . أنا متأكد أن أمريكا فيها ناس متطوعين حيقاتلوا معنا ..

عبد النـــاصر :

الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا جنوب أربد . قلنا هل حسبتم حساب اسرائيل وأمريكا قالوا لا ..

أنا لا أريد أن أخدع أحدا . قيل اليوم أن الســـوريين خرجوا لاننا ضغطنا عليهم . عندنا تفاصيل كاملة على ما حصل .. قلت للاتاسى .. عندكم حسبما بلغونا الامريكان ٣٠٠ دبابة فقال فعلا كذلك . كلامى للاخ معمر .. بالنسبة للتدخل العسكرى لازم يكون محسوب .

البـــاهي الادغم :

ـ اذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف .

عـــرفات :

ـ اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا .

عبد النـــاصر :

ـ نسأل ياسر ماذا يطلب منا ؟

النمـــيرى :

ـ سمعتم هذا التقرير تجروا عليه دراسة . اذا كان كل واحد يبعث لواء مدرع يكون المجموع ٦ وهم عندهم ٢٠ ..

القـــذافى :

ـ نقرر قطع علاقاتنا . اللى ما يقطع معنا يعتبر مشارك فى الجريمة

عبد النـــاصر :

ـ الموقف يتطلب ألا نتكلم بنرفزة .

من الناحية العسكرية أنا لا أستطيع أن أحرك أى عسكرى . اللى عنده ألوية يبعث بها . أنا لا أستطيع أن أحرك عساكر . اذا وصلنا الى حاجة ان الاخ ياسر يخرج جماعته من أربد ثم يعيد بناء الجيش الفلسطينى . احسبوا أنتم أيه القوات اللى ممكن تبعثوها .

القـــذافى :

ـ اننا لم نعد نجد فلسطينيين لنعطيهم سلاحا .

عبد النـــاصر :

زى ما أنتم شايفين المعلومات التى لدينا أن أسرائيل تستعد لضربنا . لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان سوريا موش علشان مصر . عندنا قتلى ١٩ ألف و ٥٠٠ ضابط وجندى . لا نستطيع أن نقامر نخلى اسرائيل تقوم بعملية عبور .

عـــرفات :

ـ نرسل برقية شديدة اللهجة نخليه يفكر .

عبد النـــاصر :

ـ أنا مشيت معاه حتى لا يعمل صلح مع اسرائيل . لكن مستعد اقطع علاقاتى أنا مليش صلح معاه . الذى يحكم الان هو وصفى التل . قطع العلاقات بالنسبة الينا أسهل شىء . لكن عن طريق سفارتنا نكون مطلعين. كذلك عندنا مكاتب فى انحاء مختلفة .

البـــاهى الادغم :

ـ أنا أخذت معايا القائم بالاعمال وأعضاء السفارة . فى هذه الحالة لا يمكن ابقاء أحد لكن هذا لا يعنى أن نغلق السفارات .

عبد النـــاصر :

ـ اسرائيل مركزة الآن ..

عـــرفات :

ـ أنا شايف الاوضاع فى الاردن بشكل آخر . الغارق فى العملية ليس فقط الملك .

الفريق صادق :

ـ العسكرى يقيم ويضع العلاج الناجح . فالملك حسين موش حيخلص على عمان ويقتصر بل سوف يستمر . لازم التقييم العسكرى السليم لقدرة الفدائيين .

الباهي الادغم :

ـ الصعوبة الأولى تأتى فى شروط المراقبة فيها خلافات . فاذا رأينا أن هناك صعوبات فلا فائدة . وأنا رأيى أن يمشى ضابط أو اثنين بجس النبض .

عبد الناصر :

ـ اذا كنا جنقطع العلاقات نرسل ضابط ليه ؟

الفريق صادق :

ـ الملك حسين مصمم على خطته وموش عاوز ينحرف عن كل ما يعمله . خطته من الآن تضليل ثم ادخال فى دوامة أضاليل . أنا وجهة نظرى كالآتى .. وضعى دقيق يحتاح الى اعادة تقييم .. لازم تخلونا لبكره ندرس على الاقل .

عبد الناصر :

ـ المؤتمر الساعة ١٢ صباحا .

. . .

اجتماع الملوك والرؤساء يوم السبت ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠

« تقرر قبول حضور الملك حسين الى المؤتمر .. قال القذافى لو حضر الملك حسين فسأنسحب من المؤتمر .. ثم تراجع . مشادة بين الملك فيصل والقذافى والباهى الادغم » .

عبد الناصر :

الساعة ٥٥ر١٠ وصلت هذه البرقية من الملك حسين . كان سلمها للسفارة عندنا الساعة ١٠ (يقرأ نص البرقية) :

وطلب منا على أثر ذلك أن يؤجل المؤتمر الصحفى وهو يقول :

ـ ان الحالة هادئة الا من أصوات طلقات فردية . وأنه فى الساعة ١٢ وقف اطلاق النار سينفذ تماما . وقد بدأت قوافل الصليب الاحمر القيام بواجبها . ثم تلقينا أنه حتى الساعة ٢ كان القذف مستمرا بالاشرفية وحالة الجرحى سيئة لم يعد الاطباء والممرضات حتى الآن . الموقف سيىء .

وجاءت برقية أثر مؤتمر الرئيس النميرى وهى رسالة صوت اللجنة المركزية الى النميرى « اكتشافكم جاء متأخرا » . ماذا ستفعلون الآن وهل تريدون حقا أن تفعلوا شيئا . اذا كانت هناك فرصة ؟

عرفات :
ـ جريمة حدثت في الاردن فعلا ، هذا الملك حاربنا بالدبابات التي اشتريت من دم الأمة العربية هذا الشعب يطالبنا هل نسمح لفئة من الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعة والاخوة ثم يقول انها فتنة عليه . قال علينا أننا مجرمون خونة مرتبطون باسرائيل . لدى المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع اسرائيل وهذا موسى العلمي عنده اثباتات أن ذلك حدث في لندن . حتى مستشفانا الوحيد ضرب واحتل . يعني نصف مليون شخص وما عندنا مستشفى كان في الوفد عسكريين يقدروا لكم كم طنا من المفرقعات نزلت علينا . احنا قادرين نخوض حرب عصاباب . وامبارح نسفنا محطات البنزين . أنا أعرف لاى شيء ضرب الاشرفية لانه مركز قيادتي . وعندما بدأ ضربها ربما كان يتصور أنني ما زلت هناك . شفتم الحالة ما فيش ماء ولا أكل ولا كهرباء .

لا زلت أعتقد أن وقف اطلاق النار هو المهم . النهار ده الساعة السابعة الا عشرة اتصل بي الملك حسين وقال لي أن الحالة أهدأ وأن تصريحات الرئيس نميرى سيكون لها صدى كبير . فقلت له أن هذا الكلام موش كلام النميرى وما نطلبه هو وقف اطلاق النار . وكان معاى الأخ أمير الكويت . فأجابني بأن التخريض مستمر . فقلت له لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار وقلت له أنتم ضربتم مستشفى الاشرفية .. ليه تضربوا الاشرفية .. فقال سأعمل المستحيل لوقف اطلاق النار وقال انه مستعد للحضور الى القاهرة ورأيي هو الآتي : أنا أرسلت البرقيات التي كلفتوني بها .. والمؤتمر كان نوعا من وثيقة اتهام. ثم يقول انه يجب أن يجيء وأنه يمكن أن نصل الى اتفاق غير الاتفاق اللى حصل مع أبو أياد .

ان هدفنا هو ايقاف القتال والا سيزيد القتلى .. وهمنا أن نجنب الأردن مثل هذه النتيجة . وأنا في كلامي مع الملك حسين أردت أن نعطى فرصة للملك حسين . نحن لحد الآن لم نضرب ببشاعة .. لكن صدقوني نستطيع أن نحول هذه الدولة الى خراب .. أول مرة وقفنا اطلاق النار وثاني مرة وثالث مرة بلا نتيجة . أنا أريد أن يقف الشعب العربى الى جانب هذا الشعب الذى ظلم ، وكلمة ظلم لا تكفى .

الرئيس عبد الناصر :
ـ عندنا عدة اختيارات . ممكن نقول للملك حسين انه مايجيش لكن اذا جاء أحسن .

ربيع :
ـ لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنده اصرار مسبق على القضاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطيني .

السودان :

ـ كل الحاضرين مقتنعون بأن الملك حسين يرتكب جريمة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنا باطلاع الرأى العام العربى والدولى ٠ والآن السؤال ٠٠ ماذا نستطيع أن نقدم للشعب الفلسطيني ؟

السيد الباهي الادغم :

ـ فيما يخص الملك حسين يمكن دعوته ٠ لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص وكل أصناف سوء المعاملة فضلا عما تقتضيه الكرامة وصلة الرحم ٠ هناك أيضا مقتضيات المصلحة العليا وتقديرهم الأهم على المهم ٠ هذه سياستنا نحن أمام خطرين :

أولا : أن يأتي الملك حسين يحكى لنا الحكاية ونحن مستعدون لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشاهدة عيان ٠ الخطر هو بعد حضوره يرجع لعمان ويتصرف نفس التصرفات ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين ٠

ثانيا : أن يرفض القدوم ٠

أكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم أنكم تقومون بعمليات محق بالنيابة عن اسرائيل قلناه ومستعدون لاعادته ونتخذ مسئولياتنا واذاتمكنا من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لاخواننا ٠ ولكن لازم يدفع الثمن ثمن الدماء ٠ نحن لا ندخل فى مغامرات ، هو أطلق علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته ، نحن لم نوجه اليه دعوة ، نحن نترك له خط الرجعة ، نتسامح اذا جاء وننظر ما هى الأسباب التى جعلت اتفاق وقف اطلاق النار غير صالح للتطبيق ؟

نحن نسعى الى توفير أسباب النجاح ووضوح الرؤية ، لأن البشر يعيش حالات جنونية ٠

شخصيا أؤيد اقتراح سيادة الرئيس عبد الناصر ٠

النميري :

ـ الملك حسين عفا الله عنه ٠٠ أنا أوافق على قبول الملك حسين مع حضور رجال المقاومة ولكن يجب أن أطلب منه يرجع قواته للخلف ، يسحب المدفعية والدبابات للثكنات وقد قلت فى المؤتمر الصحفى أن ما ادعاه أن القصر ضرب ليس صحيحا لقد جاء بوحدات تضرب لايهامنا لكنه نسى أننا عساكر وتفرق ٠

عبد الناصر :

ـ قلت فى البرقية أن الكلام الى جاء فى الندوة الصحفية ليس كلام النميرى فقط بل هو تقرير اللجنة ٠

النميرى :

ـ لقد جاء بولية تبكى فى القصر تدعى أن أولادها خمسة قتلوا سألناها عن عمر أبنائها قالت ابنى عمره ٣٠ سنة وهى عمرها ٣٨ سنة ٠

الباهى الادغم :

ـ بمجرد ما خاطبناه بالتليفون عن موضوع المستشفى أجابونا بالرصاص ٠٠

النميرى :

ـ أهم شىء اذا جاء الملك حسين عليه أن يوافق على تقديم المساعدة فى صورة وقف اطلاق النار ٠ والا فعلينا أن نقدم الذخيرة للمقاومة ونبدأ حرب عصابات ٠

وزير خارجية السودان :

ـ من الناحية المبدئية حضور الملك حسين خطأ خاصة بعد زيارة اللجنة للأردن ٠ حضوره يعني التشكيك فى الوفد وفيما صادق عليه الوفد ٠ حضوره لا فائدة منه لآحد خاصة بالنسبة للشعب الفلسطينى الذى يقتل ٠ لكن من الناحية العملية حضوره يجب أن يقتصر على الجلوس فى غرفة مع المسئولين عن المقاومة للوصول الى حل ٠ أقترح لذلك أن يطلب اليه الحضور لتنفيذ وقف اطلاق النار ٠ لكن قبل أن يرفع المؤتمر يجب كما اقترح الرئيس النميرى اقرار كل المساعدات للشعب الفلسطيني ٠

حسين الشافعى :

ـ ملاحظاتنا أدتنا الى القول أن الملك لم يكن يتصور أن الصور حينما تنقل للملوك والرؤساء ستؤدى الى المؤتمر الصحفى طالما أن الهدف الاساسى هو ايقاف النار ٠٠ فاذا كان ثمة طرف متغيب طالما أن الهدف الإساسي هو وقف اطلاق النار فان وجود الطرفين سليم للتأكد من مراقبة العملية ٠٠ سمعنا أن الملك وافق على وقف الاطلاق وأن بعض الضباط يرفضون هذه العملية ٠٠ وهذا خلق نوعا من الاثارة داخل صفوف الجيش ٠٠ لدرجة أنها تخلى الملك لا يملك كافة الوسائل ٠٠ فيه فئات من الجيش لا تنفذ أوامر الملك ، هذه الاشياء تجعل قدوم الملك مرغوبا ٠ ان تقرير اللجنة ليس مجالا للنقاش فقد شاهدنا كل ما قلنا ٠

محمد المصمودى :

ـ تونس عندما قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضار ياسر عرفات والحسين ٠ أنا أعتقد أن الوفدين تعرضا للتجريح ، ولا أعتقد أن هناك جدالا فيما جاء فى تقرير الوفدين ٠ ونحن لا نقبل أن يمس الحسين ماجاء فى التقرير والسؤال هو لو استجاب حسين لدعوتنا من اليوم الاول هل كنا نقبله أم لا ٠

انى أوافق الاخ فاروق على عدم امكانية فتح نقاش بين الرئيس النميرى والحسين • تحرك الحسين اعتراف بالضغط المسلط عليه • عندما يأتى نقرر الاجراء • الحضور أو المحادثة على مستوى ثانى •• عندما يأتى هنا جو الضغط •• واذا كان بمجيئه يكون وقف اطلاق النار وتحسين الاتفاق المبرم مع الفدائيين لا أعتقد أن قدومه يكون مرارة فى الرأى العام قد يكون ذلك اذا ما فشلنا • ان قدومه اكبار للوفد •

فاروق ابو عيسى :

ـ انى أعتقد أن حضور الحسين يكون لطاولة عمل لتنفيذ مايقرره المؤتمر بشأن وقف اطلاق النار •

الشافعى :

ـ المؤتمر وصل فعلا الى وسائل ضغط •

رشيد كرامى :

ـ هناك اجماع حول الهدف : وقف اطلاق النار • من أجل الوصول لذلك ، أرى أن اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصل ومن يشاء•• سيكون مفيدا •• وسيتم ما يرضى ضمائرنا •

فيصل :

ـ انى أوكل الاخ عبد الناصر •

عبد الناصر :

ـ وأنا أوكل الأخ معمر•• كنت فىمرسى مطروح هروبا من الاسكندرية ٩ أيام وكان باستطاعتى أن أصدر بيانات وأقول أضع كافة امكانياتى وأروح أستريح •

فيصل :

ـ حل المشكلة ايش السبيل للوصول الى الهدف هذا هو المهم ••

عبد الناصر :

ـ هدفى هو وقف اطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية ـ الحسين قلنا له تفضل وفى استطاعتى أن أبرق له بعدم الحضور •• هل يرى الاخوان الفدائيين فائدة فى حضوره ؟•• اذا كانوا لا يرون فاننى أبرق له معتذرا•

ابو عمار :

ـ فى خلافاتنا السابقة كنا نحاول أن نبعد الملك حسين • كنا نحاول ما ندخلش الملك • قلنا له هذه الزمرة تبعدك عن الشعب • وأشرنا عليه أن يكون سلطة وطنية تحكم البلد • فوجئنا به يخذل الاتفاق • طلب منا بانذار تسليم السلاح • أعلمت الملك فيصل عن طريق سفيره • حدثت المذبحة حاولت الاتصال بالقصر •• بالوزارة •• بالأركان لم يجاوبنى مسئول فى الدولة لمدة ٣ أيام أحاول الاتصال •• بدأ القصف فى البلد ولمدة ٣ ساعات أحاول الاتصال بدون جدوى •

لقد استباحوا دمنا ولا يزالون حتى أمس باعترافهم ١٤ ألف قتيل ٠ فى اسرائيل ــ أنا محكوم على بالاعدام ٠ وسيادة الفريق شاهد واحدا من أعضاء الصليب الأحمر بكى خمس ســاعات عنــدما رأى حالة الجرحى ٢٥٠٠٠ عدا الاموات ٠ والله أعلم ٠ البعض لا يزال تحت الانقاض الحقيقة ليحضر حسين ولكن ٠٠ شكلوا لجنة لمحاكمتــه كمجرم ٠٠ أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ فى فيتنام ، أخو الملك قال والوفد سمع ذلك أن أسرته جاءت الى هذه الارض وهى خلاء وستتركها كذلك ٠

القذافى :

ــ من أين جاءوا ٠٠

ابو عمار :

ــ من الجزيرة ٠

فيصل :

ــ هربوا ٠

اليمن الشمالى :

ــ المأساة مريرة وشـــديدة ٠٠ ولــكن هل تحولت القضية من قضية أساسية الى قضية بين المؤتمر وبين دولة الاردن لا أعتقــد أن أحدا يوافق على ذلك ٠

عبد الناصر :

ــ ما فهمته من كلام الاخ ياسر أن يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك فى المؤتمر ٠٠ واذا حضر ٠٠ لابد أن أستقبله ٠

القذافى :

ــ ماتروح لوش ٠!

عبد الناصر :

ــ بعد استقباله من سيحضر ؟ الأخ نميرى ؟ الاخ القذافى ؟ الاخ ربيع ؟

القذافى :

ــ الاخ فيصل ٠٠ لأنه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى

فيصل :

ــ أقترح الأخ الباهى ٠

عبد الناصر :

ــ اللجنة الاخ نميرى ، الملك فيصل ، الامير الصباح ، الاخ الباهى الاخ ياسر عرفات :

ياسر عرفات :

ــ وصلنى انذار من القيـــادة العسـكرية اذا صافحت هـذه المرة فلا طاعة لى ٠

عبد الناصر :

ـ ننهي المؤتمر ونبعث للملك رسالة .

القذافي :

ـ ما هي القرارات التي توصل اليها المؤتمر ؟

الباهي الأدغم :

ـ أستطيع أن أجاوب .

عبد الناصر :

ـ أنت الداعي .

الباهي الأدغم :

ـ لقد أبعدنا تدخل الأجنبي . فرضنا الطرف الفلسطيني ، وأخرجنا من السجن أقطاب المقاومة . ومن الناحية المعنوية ، أفهمنا الملك أنها خطة فاشلة وفرضنا عليه أن يحضر الذين كانوا أسرى كطرف مقاتل . لقد كنت اليوم أفكر في طريقة للخروج من هذا المؤتمر مع الحفاظ على ماء الوجه فلاحظت أن وجود الاخ عرفات بيننا كطرف يعتبر المسألة تتعلق بـ ٤٨ ساعة لتحديد المؤتمر .

النميري :

ننهي المؤتمر ويستمع حسين .

القذافي :

ـ التدخل الأجنبي غير وارد الآن طالما حسين منتصر . ما جئنا الى هنا بشأن التدخل والضغط الأدبي . الافراج عن زعماء المقاومة شيء ايجابي . والذين لم يحضروا المؤتمر منضمين تحت راية الأمة العربية . لأن العالم لا ينظر الينا كرجعيين وتقدميين .. وقف اطلاق النار ليس بأيدينا . حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع الوقت .. السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل هذا يعتبر تأييدا للمقاومة ؟

اذا جاء حسين ولم يقبل وقف اطلاق النار لابد من اتخاذ تدابير من الآن . قدومه هنا مراوغة بودي أن أسمع من الملك فيصل بعض إيضاحات .

عبد الناصر :

ـ الملك فيصل أدان تصفية العمل الفدائي ووافق على نص البرقية .

فيصل :

ـ أنا أتكلم لأني متهم . نحن خلال هذه الفترة لم ندفع شيئا . دفعنا قسط ونصف أكتوبر وماتدفعه المملكة هو بناء على قرار مؤتمر القمة في الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ أليس كذلك يا أبو عمار ؟

نحن نستقبل حسين • واذا لم توافق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ كل الاجراءات بثقلنا •• وموقفنا يتضح على ضوء النتائج •

ابو عمار :

ـ انا أخشى أن يأتي الى هنا وهو يعتقد انه في مركز قوة •• نحن لانجتمع معه كمؤتمر ـ نشكل لجنة للتفاوض معه ـ نتخذ قرارات (ادانة) ونؤكد في هذه القرارات ان ما قاله الرئيس نميري ليس على لسانه بل هو باسم الجميع • ويجب دعم الثورة واغاثة الجرحى في أسرع وقت •

فيصل :

ـ أقترح أن نشكل لجنة من السفراء العرب مع مندوب من الهلال الاحمر الفلسطيني والاردني لاستلام الاغاثة وتوزيعها •

عبد الناصر :

ـ ما زلت أهدف الى وقف اطلاق النار • تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين • يمكن بعث لجنة من الضباط للمراقبة • قد يقال أن الملك حسين سيأتي ويغدر بنا •

القذافي :

ـ ماذا تعمل لحسين اذا غدر بنا ؟

عبد الناصر :

ـ اذا غدر نقطع العلاقات • ونقطع عنه المعونة وندينه •

فيصل :

ـ توقيعنا غدا سيكون على ذلك •• اذا لم ينفذ حسين •

عبد الناصر :

ـ أذهب الى المطار غدا يرافقني السيد الباهي الادغم هل هناك من يريد أن يصاحبنا ؟

القذافي :

ـ سأغادر القاهرة حال وصول حسين •

عبد الناصر :

ـ أما أن يحضر كل رؤساء الوفود أو ننهي المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليها •

فيصل :

ـ لا أوافق على انهاء المؤتمر واصدار القرارات الليلة ولابد من مواصلة السعي •

القذافي :

ـ انني أطلب رأي المقاومة وأوافق مسبقا على رأيها •

عرفات :

ـ أقترح اجتماع حسين مع اللجنة .

الباهي الأدغم :

ـ (الى القذافى) اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلا فانه يمكن أن يقال فى حقك أنك منفصل .

ابراهيم بكر :

ـ موقف العراق سلبى . موقف الجزائر سلبى . موقف النميرى وندوته الصحفية شىء ايجابى . ان ما قاله الأخ النميرى له وقع فى الأردن . هناك صلح مع اسرائيل منذ ثلاث سنوات وهناك تبادل تجارى وغيره . نريد وقف اطلاق النار بصفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لان هذا الملك مخادع ورأينا أن الملك حسين يجىء لأن له جيشا مواليا ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نميرى .

⊙❖⊙

وحضر الملك حسين .. وتم توقيع اتفاق القاهرة .

ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار .

وتسلم أنور السادات أمانة المسئولية فى ظل هذا الموقف العربى العصيب .

* المقاومة الفلسطينية تنزف دما .
* دول عربية تريد أن تحارب .. ولكن حتى آخر جندى مصرى .
* دول عربية فى موقف انعزالى عن القاهرة تماما .. ولكن بياناتها عنيفة وملتهبة .
* أمريكا يسيل لعابها للتدخل العسكرى .
* الاتحاد السوفيتى يطالب بتجنب دفع أمريكا الى التدخل العسكرى .
* مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز .. هو الاستسلام .
* وأخيرا الموقف الداخلى فى مصر .

ولكن أنور السادات .. بدأ يفكر منذ اللحظة الأولى فى المعركة ، والاعداد الحقيقى الكامل للقتال .

لقد أشاد بعد ذلك بعبارة كان قد قالها أشرف غربال ، ممثل المصالح المصرية فى ذلك الوقت فى أمريكا .. هى أن الاسرائيليين لن ينتزعوا من سيناء .. الا اذا انتزعنا دماءهم ..

مؤامـرة مراكز القـوى

●●● « مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ التى اعلنها الرئيس السـادات في مجلس الأمة كانت مفاجاة لـكل مراكز القـوى ٠٠ وكانت الدليـل ان رئيس الجمهـورية بدأ يتحـرك ٠٠ وبدأ يحـكم بسـلطاته » ●●●

تولى أنور السادات المسئولية ··

قال علي صبري أنه لا يريد أي منصب ·· يريد فقط أن يبقى في موقعه عضوا في اللجنة التنفيذية العليا ·

وقع الاختيار على الدكتور محمود فوزي رئيسا للوزارة ·· وكان لذلك صدى شعبي كبير ·

أولا لأنه رئيس وزراء مدني · وثانيا لأن له سمعة دبلوماسية على المحيط الدولي · وكان هناك تصور أن بالامكان حل أزمة الاحتلال الاسرائيلي بالأسلوب السياسي ·

أنا شخصيا ·· لم أرحب بهذا الاختيار ، لأن رأيي أن الدكتور محمود فوزي رجل مفكر ، ودبلوماسي ·· ولكن ادارة الحكم في هذا الظرف العصيب ·· بعد وفاة عبد الناصر ·· تحتاج الى حزم وقدرة على المتابعة والتنفيذ ، وقدرة على اتخاذ القرار · وهذه الصفات لا تتوافر في رئيس الوزراء ·

وتولى أمانة الاتحاد الاشتراكي العربي عبد المحسن أبو النور ·
وكان الدكتور لبيب شقير رئيسا لمجلس الامة ·
وكان شعراوي جمعة أمينا للتنظيم ·
وكان سامي شرف الوزير المسئول في رياسة الجمهورية ·
مجالات العمل والمسئولية أمام أنور السادات ، ضخمة وثقيلة ··

أولا : الاستمرار في الاعداد العسكري ·· وقام أنور السادات برحلة سريعة الى موسكو ·· وبدأت الخلافات مع الاتحاد السوفيتي على التسليح ·· ولكنها كانت خلافات مكتومة · وكان أنور السادات يشيد دائما بالصداقة السوفيتية ·

ثانيا : الاستمرار في السعي الدبلوماسي ·· وبدأت اتصالات فعلا مع نيكسون بعد أن بعث الرئيس الامريكي تهنئة الى الرئيس أنور السادات في عيد ميلاده يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ·· وأسفرت الاتصالات عن عرض أمريكا أن يزور روجرز القاهرة ويجري مباحثات مع السادات ·

ثالثا : مواجهة مطالب الجبهة الداخلية ، وأولها الديمقراطية ، وتصحيح الأخطاء ، ورفع الظلم ··

وأهم من هذا كله مواجهة مناورات مراكز القوى التي بدأت الجماهير تحس بها وتتوقع تطوراتها ·

كان واضحا أن السيطرة على كل شئون الحكم فى يد القلة التى كانت تباشر الحكم فعلا فى فترة مرض جمال عبد الناصر وقبل وفاته .. وقد رحبت هذه القلة باختيار أنور السادات لرياسة الجمهورية ، لأنهم تصوروا كما قلت ـ أنه سيملك ولا يحكم .

وكانت (الأهرام) قد ركزت فى يوم وفاة جمال عبد الناصر . على ابراز اسم زكريا محيى الدين .. وفى تشييع الجنازة ، سلطت عليه عدسة التليفزيون أكثر من ساعة متصلة ..

ولكن القلة استقر رأيها على أن أنور السادات سيكون أسلس قيادا .

وفى الوقت نفسه ، كان الرأى العام ، لا يعرف قدرات أنور السادات ، لقد كان طوال حكم الثورة بعيدا عن الأضواء .. وحتى تاريخه القديم قبل الثورة ، نسيه الناس وتجهله الأجيال الجديدة .. وكان التساؤل هل يمكن أن يملأ أنور السادات فراغ عبد الناصر ؟..

ولكن الجماهير بدأت تميل بعواطفها نحو أنور السادات ، لأنها تعرف تماما عناصر القوة المضادة له فى الصراع الداخلى . وتعرف أنها قوة مخيفة ، تعتمد على أجهزة المخابرات ، ووسائل القمع والفصل والاعتقال .

وعندما تحدث أنور السادات الى الشعب بالتليفزيون بعد انتخابه لرياسة الجمهورية ، وقال أنه يأمل أن يقتنع به من قالوا نعم .. أحس الناس بالارتياح ، لأنهم يسمعون هذا الأسلوب الديمقراطى المتواضع لأول مرة .

وأراد أنور السادات أن يتحرك ديمقراطيا .

ان الهدف الأول فى كيانه .. هو المعركة .. ولا يمكن أن يكون رأس الدولة ، مقدما على معركة عسكرية .. وهو يعانى من صراع داخلى فى الحكم .. والجبهة الداخلية تعانى من كل ما عانت ، فى ظل الحكم بقرارات استثنائية ، وكيف يمكن أيضا أن نصل بالاتصالات الدبلوماسية الى أية نتائج .. اذا كان النظام مهتزا .. ورئيس الدولة لا يمارس سلطاته ؟.

وبدأ أنور السادات يتصل بالجماهير أتصالا مباشرا .. بهدفين : الاقناع بجدية الاستعداد للمعركة .. ومحاولة تحويل التمزق واليأس الى أمل ..

وكانت أول مواجهة بينه وبين الجماهير فى مدينة طنطا . وهى مدينة ذات طابع خاص . ولم يزرها جمال عبد الناصر فى حياته أبدا . وفوجىء أنور السادات باستقبال شعبى منقطع النظير لم يكن ليتوقعه ، بل أنه شعر وهو فى سيارته عندما اقترب من مشارف المدينة ، بشىء من القلق . لقد تذكر فى تلك اللحظات فقط أنه سيخطب فى اجتماع شعبى وهو رئيس الجمهورية لأول مرة . ولكنه تجاوز هذا الشعور .. وجاء الاستقبال الشعبي الضخم ، ليغمره بالثقة .. وكانت الدبلوماسية الامريكية تسير

معنا فى تلك الإيام ، بمنطق أن الشعب المصرى لا يريد أن يحارب •• وأن القيادة هي التى تريد دفعه الى حرب ستكون خاسرة •

وكان أول رد علنى من أنور السادات عليهم فى اجتماع طنطا الشعبى• سأل الجماهير :

هل تريدون الذل والعار •• أم تريدون الحرب ؟••

وجاءت أصوات عشرات الألوف فى عبارة واحدة •• تدوى فى حماسة ملتهبة (الحرب •• الحرب •• يا سادات) ••

ثم سافر الى أسيوط ••

وكان الاستقبال الشعبى فى روعة استقبال طنطا •• وامتلات نوافذ المدينة وشرفاتها بالرجال والنساء والاطفال •• ونثرت عليه الورود •• وانطلقت الزغاريد •• وان كانت مراكز القوى حددت مرور موكب السادات فى شارع واحد فى الحى الجديد من أسيوط •• ومع ذلك فقد تجمع الآلاف فى ميدان المحطة •• واهتز الميدان بهتافهم بمجرد رؤية السادات الذى سالت الدموع من عينيه تأثرا بهذا الترحيب •

ثم جاءت زيارته لقاعة محكمة الجنايات التى سبق أن حوكم فيها •• فى قضية مقتل أمين عثمان •• وتكلم عن القضاء وسيادة القانون •• وفخر تاريخ مصر بتاريخ قضاته ••

وكان ذلك الخطاب أول اشارة منه ، الى طبيعة حكمه •

ثم عقد اجتماعا فى قاعة محكمة أمن الدولة الكبرى •• حضره الآلاف من رجال القضاء •• والقى خطابا فى قمة روعة التعبير •• عن اجلاله لقضاء مصر •• وكان القضاء المصرى يئن من مذبحة القضاء التى فصل فيها أكثر من مائتى قاض •• لبيان أصدره ، طالبوا فيه بتصحيح الاوضاع فى البلاد •• ولأحكام أصدروها بالبراءة لأشخاص لفقت لهم اتهامات كاذبة •

ثم أصدر أنور السادات قانون الحراسات ••

وأذكر انني قلت للرئيس فى ذلك اليوم : ان هذا القرار لم يكلف ماديا أكثر من ثمن الورقة التى كتب عليها •• ولكن أثره على الجماهير كان لايمكن أن يتحقق ولو بمشروعات تتكلف ملايين الجنيهات •

وقبل عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ ، عرفت الجماهير قصة أنور السادات العامل •• الذى نحت الحجر ، واشتغل سائق لورى •• وعانى من الفقر والجوع ، ولم يفرط فى مبادئه ، حتى عندما ماتت طفلته لانه لم يجد ثمن الدواء ••

ثم سعى الى انشاء دولة الاتحاد •• لتوسيع قاعدة دعم الاستعداد للمعركة •

وسافر الى السودان •• وكان لقاء تاريخيا مع الشعب السودانى ، الذى كان متلهفا على رؤيته ••

وكان من قبل قد عقد اجتماعا كبيرا في قصر عابدين مع الصحفيين والادباء والكتاب والفنانين ·· دعا فيه الى الحب والامل ··

وبدأت شعبية أنور السادات فعلا تصل الى القلوب · وانتشرت عنه القصص ·· قيل أن وزير الداخلية تقدم اليه بكشف به عدد من الاسماء وقال لرئيس الجمهورية : هؤلاء يتحدثون عنك بالسوء ··

وسأل أنور السادات : هل تآمروا ·· هل أتوا شيئا يخالف القانون·

فأجاب وزير الداخلية : لا ··

وأمسك أنور السادات بالكشف ، ووضعه في درج مكتبه ، وقال لوزير الداخلية : دعهم يتكلمون ·· هذا حقهم ··

وبدأت الجماهير تستشعر أيضا ، أن أنور السادات ، يريد ان يحكم ديموقراطيا ·· ولكن القوة المضادة المسيطرة على كل شئون الدولة تقف له بالمرصاد ··

ثم تسربت الانباء الى الجماهير ·· بأن هناك خلافا على توقيت المعركة بين أنور السادات وبينهم في اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا ·· وأنهم يريدون أن يدفعوا به الى معركة خاسرة لم يتم لها الاستعداد الكافي ·· وهو يعارض ·· وكانت حجته القوية أن تسليح الصعيد لم يستكمل فكيف يغامر ·· وهذه الاسرار لا يمكن أن تذاع على الجماهير ·· ولكنها تسربت·

ثم فاجأ أنور السادات الجميع ·· بالمبادرة(١) التى أعلنها فى مجلس الامة في ٤ فبراير والتى عرض فيها :

١ ــ مد وقف اطلاق النار حتى ٧ مارس ، استجابة لنداء أوثانت أى الامتناع عن اطلاق النار ٣٠ يوما ··

---

(١) ·· شرح الرئيس السادات أهداف مبادرة ٤ فبراير في اجتماع مغلق للهيئة البرلمانية قال فيه : لقد كنا مطالبين من الدول الكبرى بمد وقف النار · واسرائيل تزعم أن تحديد مواعيد لوقف النار يهددها · وأوربا الغربية تصدق اسرائيل · وعندما سافر محمود رياض وزير الخارجية الى اسبانيا وروما وبروكسل وجد ان وزارة الخارجية الامريكية ارسلت الى اوربا الغربية تقارير بوجهة نظرها بهدف اثارة الخوف في اوروبا الغربية من الوجود السوفيتي في مصر وفي البحر المتوسط ، وانه يهدد اوربا الغربية كلها · وكانت الاشارة الى فتح قناة السويس في المبادرة بعد الانسحاب الجزئي (وهو مرتبط تماما بالانسحاب الكامل) تريح اوربا الغربية التى يتحمل اقتصادها سنويا ١٣٠٠ مليون جنيه استرليني بسبب اغلاق القناة ، علاوة على زيادة اسعار البترول وقبل اعلان مبادرة السادات ،كانت جولدا مائير قد طلبت من السفير الامريكي في تل ابيب أن يبلغ نيكسون انه اذا قبلت مصر ان تتفق على السلام ، فانها مستعدة ان تضع كل أوراقها امام الامريكان · ولكنها قالت انها متأكدة أن السادات لن يفعل ذلك لانه لا يريد السلام ·

وقد ابلغ روجرز الرئيس السادات بهذا ·

ثم قال الرئيس : ولما اعلنا المبادرة ورددنا على يارنج ، انكشف موقف اسرائيل · والمبادرة تنقل الكلام من وقف النار الى موضوع الانسحاب · وقد قلت لروجرز : لا يهمني موقف اسرائيل لانني اعرفه منذ عشرين عاما · يهمني أن تحدد امريكا موقفها ·

وقال الرئيس : البعض يقول ·· لماذا نتصل بامريكا ؟ ·· ومن السفه الرد على ذلك ، لان امريكا طرف اساسي في الموضوع وانا لا اضع راسي في الرمال كالنعامة ·

٢ ـ يتحقق فى هـذه الفترة انسحاب جزئى لقوات الاسرائيليين على الشاطىء الشرقى لقناة السويس كمرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الامن .
٣ ـ اذا تحقق ذلك فى هـذه الفترة ، فنحن مستعدون للبدء فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، وإعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

وقال السادات :

ـ ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننتشل جهود السفير جونار يارنج من الالغاز الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الامن .

وأذكر أننى لقيت الرئيس أنور السادات بعد هذه المبادرة فى القناطر الخيرية ..

وبدأت أفهم حقائق كثيرة من المناورة المقصود بها احراج أنور السادات ودفعه الى قرارات ساذجة ..

فهمت أن هذه المبادرة كانت مفاجأة لاعضاء اللجنة التنفيذية العليا ولوزير الخارجية محمود رياض .. وقد تجمع فريق الصراع فى احدى حجرات مجلس الشعب .. وقال على صبرى .. أنا لا دخل لى . أنا لست مسئولا . وقال آخر : هذه المبـادرة ستنتهى بمصر الى الهلاك .. البلد راحت فى داهية !

ولما استمالت المبادرة الرأى العـام الاوروبى .. وجاءت تعليقات صحف الغرب مؤيدة لها ، وخاصة أننا نتيح فتح قناة السويس .. عاد المناورون ليمتدحوا المبادرة .. ولكنهم لم يهضموا أبدا ، أن يفاجئهم بها أنور السادات .. انها أول خطوة تثبت أن رئيس الدولة يحكم ولا يملك كما لم يكن مقدرا له ! ..

وسمعت من أنور السادات لاول مرة .. أنه لن يقبل الارهاب الفكرى وأنه مستعد لاطاعة صـوت الشعب فقط . ولذلك فانه يعتزم اجـراء انتخابات جديدة فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة .. بلا أى قيود . ومن يختاره الشعب يجب أن يحكم ..

سمعت من أنور السادات لاول مرة .. التعبير الذى أطلقـه الدكتور محمود فوزى على مراكز القوى .. كان يقول عنهم « وحوش غابة ما بعد جمال عبد الناصر » ..

ـ بدأت أدرك أن أنور السادات يتحرك .. ويتحرك بقوة .

ولكننى كنت مثل بقية أبناء الشعب .. أخشى عليه .. كنت أتصور أنه محاصر بمن يسيطرون سيطرة كاملة على كل السلطات .

وذكر أن الدكتور عزيز صدقى قال للرئيس وهو فى مكتبه ذات يوم :
ـ لدى معلومات ياسيادة الرئيس أنه توجد آلات تسجيل فى مكتبك

وفى كل حجرات منزلك ..
ولم يعلق أنور السادات ، واستبعد ذلك ضاحكا ..
ثم جاءت رحلته الى ليبيا .. واعلان دولة الاتحاد ..
وأذكر أنني تحدثت اليه بعد عودته من ليبيا .. وأعربت له عن خوفى من هذه الوحدة .. لان الناس لا تزال تعيش بعقدة الانفصال بعد الوحدة مع سوريا .. وشرح لى الرئيس أن البيان المعلن لا يعبر عن وحدة اندماجية أو وحدة فورية . انه أول أشكال الوحدة .. وكل دولة محتفظة بنظام حكمها .. ولن تأتي الوحدة الا على خطوات مدروسة .. ولابد من دعم الكيان العربى من أجل الاستعداد للقتال .
واجتمعت اللجنة التنفيذية العليا فى استراحة الرئيس بالقناطر .
ولم يصوت مع أنور السادات الا حسين الشافعى والدكتور فوزى
وطلب الرئيس عقد اللجنة المركزية فى أسرع وقت .. لعرض الامر عليها . وحاول عبد المحسن أبو النور أن يتمهل الرئيس فى تأجيل اجتماع اللجنة المركزية بحجة تهيئة أعضائها للقبول .. ووجد الرئيس فى هذا المطلب ، احراجا له ، ووضعه فى موضع العاجز أمام القادرين الذين فى يدهم السيطرة على اللجنة المركزية . لكى تقبل أو ترفض .
وانعقد الاجتماع فى الموعد الذى حدده .. وجرت فيه المناورة المعروفة التي تصدى لها أنور السادات .. وواجه على صبرى بعد الاجتماع ، بأن ما فعله هو تخريب .. وأنه سوف يتصدى لهذا التخريب . وسيقضى عليه ، ولن يسمح به . وكان السادات فى قمة الغضب الحاسم .
ثم جاء الاحتفال بعيد العمال فى أول مايو بحلوان ..
وأمضى الرئيس الليلة مستيقظا حتى الرابعة صباحا ، وهو يعد خطابه الذى أعلن فيه أنه يرفض الارهاب الفكرى مهما كان مصدره .. وأنه لن يسمح بأن يقاتل أبناؤه فى القوات المسلحة .. الا بعد أن يحصلوا على السلاح الحديث القادر على الانتصار ..
وكان قد رتب الاجتماع على أن يكون الهتاف لجمال عبد الناصر .. وأعطيت صورة لكل الصفوف .. لكى يلوحوا بها فى وجه أنور السادات .. وكان المقصود ، اتهامه بأنه يخرج على طريق عبد الناصر .. وأن حكم « خلفاء » عبد الناصر ، هو الحكم المطلوب ! ولكن خطاب السادات كان مفاجأة مذهلة لعلى صبرى وشركائه .. وحل عليهم الوجوم .. وقال لى السادات بعدها « لو كان عندهم دم كانوا ما حضروش » ..
وعاد السادات الى منزله عن طريق كورنيش النيل بعد أن ألقى القنبلة .
وحيته الجماهير على طول الطريق .. تحية رائعة ..
وفى اليوم التالى أصدر القرار باعفاء على صبرى .
وصفقت الجماهير فى كل مكان .. وكانت « فرقة » مراكز القوى قد

طلبت من الرئيس تأجيل هذا القرار ، حتى لا يفسر أنه تم بناء على طلب أمريكي ٠٠ قبيل أن يحضر روجرز الى مصر ٠
ولكن السادات لم يهتم بهذا التهديد ٠٠
وتحرج الموقف ٠٠ ووصل الى درجة الخطورة ٠ وبدأت الجماهير ترقب وكان السؤال ٠٠ هل يقدر أنور السادات على التخلص منهم ؟
وامتنع السادات في كل أحاديثه الخاصة ، عن الافصاح بأية كلمة عن نواياه ٠
وكان ينام الليل ومسدسه تحت الوسادة !
وكانت السيدة قرينته لا تكتفى بهذا ٠٠ بل كانت تقفل باب حجرة النوم بالمفتاح ٠
كانت نتوقع حدوث أى شىء ٠٠
ولكن أعصاب أنور السادات الهادئة ٠٠ لم تخش أية مفاجأة ٠٠
وفى ذلك الوقت ٠٠ نما الى علمى من ضابط مخابرات ، جاء لزيارتى دون تعارف ، أن جهاز المخابرات يعد فرقا خاصة لا يعرف عنها باقى أجهزة المخابرات شيئا ٠٠ وأنه يستريب فى أن هذه الفرق الخاصة معدة لمهام ضد الرئيس ٠٠
وأبلغت الرئيس تليفونيا ٠٠ ولكنه تجاهل كلماتى وكأنه لم يسمع منى شيئا !
كان يعرف قطعا أن تليفونه مراقب ٠
وحاولت أن أتحدث اليه عن خطورة استغلال أجهزة الامن فى هذه المرحلة ٠٠ ولكنه أجابنى متجاهلا قصدى ، بقوله أن الامن بخير :
وكنت أشتعل غيظا بينى وبين نفسى ٠٠ وأتساءل : « كيف لا يعرف أنهم مسيطرون على كل شىء » ٠٠
وباختصار ٠٠ تقدم له ضابط بالاشرطة المسجلة التى تثبت المؤامرة ٠٠
وأقيـــل شـــعراوى جمعة ٠٠ وحــــدث ما يعرفه الجميـــع ٠٠ وأعلن أنور السادات سقوط دولة مراكز القوى ٠٠ والغى كل اجراءات الحكم الاستثنائى ٠٠ وأفرج عن المعتقلين ٠٠ وبدأ حكم سيادة القانون ٠٠ وعاد القضـــاة الى آخر ما هو معروف من اعادة الانتخابات ٠٠ فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة ٠٠ واصدار الدستور الدائم ٠
وبدا أن الرجـل سـوف يتفرغ لمواجهـة القضـية الخارجيـة سياسيا وعسكريا ٠
ولكن ماذا فعلت أمريكا ٠٠ ؟
وماذا فعل الاتحاد السوفيتى ٠٠ ؟
وكيف بدأت المتاعب من جديد ٠٠ والرجل يرى أن قدره ومصـــيره ومسئوليته الاولى والاخيرة ٠٠ هى تحرير الارض ان سلما أو حربا ؟

مسرحية .. روجرز

●●● « يروى الرئيس انور السادات الفصول الكاملة لمسرحية روجرز ، فى اجتماع مغلق اتيح لى ان احضره مع عدد من الكتاب والصحفيين وحضره رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى فى اكتوبر ٧١ . كيف بدأت الاتصالات بين السادات ونيكسون فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ؟ . وكيف انتهت الى القطيعة بعد مباحثات روجرز ؟ وكيف ساءت العلاقات خلال هذه الفترة مع الاتحاد السوفيتى .. ثم عادت الى تحسنها بعد ازالة سوء الفهم بين الجانبين فى مباحثات السادات فى موسكو ايام ١١ و ١٢ و ١٣ اكتوبر ١٩٧١ . وانتهى الاتفاق مع السوفيت أن عام ١٩٧١ يجب ان يكون عام الحسم ..

ان اقوال الرئيس فى هذا الاجتماع المغلق يزاح الستار عنها .. لاول مرة » ●●●

في جلسة خاصة مغلقة دعا اليها الرئيس أنور السادات عددا من الكتاب خلال شهر أكتوبر ١٩٧١ ، استعرض الرئيس حقائق الموقف من جميع جوانبه ·· وأسرار الاتصالات التى جرت مع أمريكا ·· وانتهت بفشل مهمة روجرز ··

قال السادات : لقد خولت المحافظين سلطات واسعة ·· ان أمامنا معركة داخلية هى العصف بالروتين ، وهذا يذلل تفرغنا لمهمتين أساسيتين :

الاولى : المعركة فوق كل شيء ·

الثانية : بناء الدولة الجديدة ·

ولن يتغير مفهومنا للحكم ، الا اذا تغير ما بنفوسنا أولا · لابد من فهم جديد للمسئوليات · معركتنا العسكرية معتمدة على العلم والتكنولوجيا · وهنا تحضرني كلمة بارناردشو « الذين لا يستطيعون أن يغيروا أنفسهم ·· لا يستطيعون تغيير أى شيء آخر » ·

لقد قلت للامريكان : اننا لن نواجه مصير الهنود الحمر ·

ولكنني مقتنع أنه لن يساعدنا أحد ، قبل أن نساعد أنفسنا · كل طاقة · كل امكانية · كل ملكة · يجب أن تبذل أقصى ما عندها من أجل مصر ··

لقد دعوتكم الى هذا الاجتماع لكى تكونوا في الصورة كاملة ·· لكى تقدر أقلامكم حقائق الموقف ، ومدى المسئولية ·· وأنتم تتناولون المواضيع القومية ·

السؤال : أين نقف الآن ؟ ··

ما هى قصة الشهور العشرة الاخيرة ؟

ولكنني أعطيكم الصورة منذ وقت الهزيمة ·

في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، استطعنا أن ننشيء أول خط دفاعى · تم هذا في ٥ أشهر ، وكان الخبراء الروس يقدرون انشاءه في عام ونصف عام ·· واعتبروا ما تم بالايدى المصرية أقرب الى المعجزة ·

واجتمع مجلس الامة في نوفمبر ١٩٦٧ ·· وتحدث جمال عبد الناصر في الاجتماع عن الصمود السياسي والاقتصادي والعسكرى ·· وكان قد كلفني في اجتماع المجلس ، أن أسافر الى الجبهة وأتفقد خط الدفاع ، بقيادة اللواء أحمد اسماعيل ·· لاتأكد من وجود الخط ·· واستكماله · وأذكر هنا ·· حوارا دار بيني وبين جمال عبد الناصر ، بعد مظاهرات الطلبة ·· وبعد أن اجتمعت بهم في مجلس الامة وكانوا معتصمين في كلية الهندسة ·· قال لى جمال : ابنى خالد منهم في كلية الهندسة · والحقيقة أنني لا أجد ردودا شافية لانفعالات ابنى · كلهم مثله ·· اتركوهم ينفسوا عن أنفسهم ··

وكان عبد الناصر حينئذ في أوج المرض · وكان يقاسي آلاما شديدة وكان عاجزا عن تحريك قدميه ·· كانتا شبه مشلولتين ·· ولكنه كان فى قمة الصفاء الذهنى ··

فى سبتمبر ١٩٦٨ :

بدأنا عمليات الردع · كانت ضربا بالمدفعية ··

ورد علينا العدو فى نجع حمادى ··

رأينا أن نتوقف ·· وأعدنا تنظيم الدفاع عن العمق ·

ثم عاودنا الضرب بالمدفعية فى عام ١٩٦٩ ·

والواقع أن القتال استؤنف من يوليو ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة ·

معركة رأس العش :

ضرب سلاح الطيران لمواقع العدو في الضفة الشرقية فى أغسطس عام ١٩٦٧ ··

ضرب ايلات فى أكتوبر ·

بداية الرد فى ٦٨ ثم التوقف ·

استئناف الضرب فى ٦٩ بدرجات متفاوتة ·

وخلال كل ذلك اتصالاتنا السياسية ·

كنا قد قطعنا الصلة تماما بأمريكا بعد الهزيمة · ووضح لنا أنهم كذابون ومخادعون · وكنا لا نتحدث معهم مباشرة ، وكانوا هم يتصلون بالسوفيت ·· وأدركنا أنهم يريدون الوقيعة بيننا وبين السوفيت · وقد تأكدنا من هذا تماما فى هذا العام (٧١) ··

نحن لا نتصور طبعا أن أمريكا بعيدة عن الحل ··

وفى أول مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر أول خطاب له الى أمريكا ·

لقد كانت أمريكا تريد أن تحسم المعركة معنا بواسطة الطيران الاسرائيلى فى الاشهر الاولى من عام ١٩٧٠ ·

ولم نستطع أن نقاوم الطيران الاسرائيلى بصواريخ سام أو سام ٢ ·· فكانت رحلة جمال عبد الناصر الى موسكو فى يناير ١٩٧٠ ، رغم أنه كان مريضا بانفلونزا حادة ·· وكان ناقها من أزمة قلبية فى ٦٩ ··

ويروى انور السادات ·· لماذا قرر جمال عبد الناصر السفر الى موسكو :

كان حينئذ فى استراحة القناطر الخيرية ·· ضربت الطائرات الاسرائيلية مصنع أبو زعبل طلب عبد الناصر من السادات أن يوافيه على عجل · قال له أن اسرائيل بدأت مرحلة جديدة وهى الضرب فى العمق · لا بد من تغيير استراتيجيتنا ··

ان الهدف طبعا هو ضرب النظام من الداخل ·

وقال عبد الناصر للسادات : اطلب السفير السوفيتى فورا ·

وكان السفير السوفيتي في المحلة الكبرى . وأبلغ بطلب الرئيس له . وحضر على الفور . قال له الرئيس عبد الناصر :

« أرجو أن تبلغ الزعماء السوفيت أنني أريد السفر فورا الى الاتحاد السوفيتي . إن معركتنا مع اسرائيل تأخذ الآن شكلا جديدا خطيرا .. هدفه الداخل » ..

وسافر عبد الناصر في الساعة الثامنة من الصباح .

وبعد سفره بساعة واحدة .. بدأت اسرائيل معركة شدوان .. وكانت اسرائيل تستعرض عضلاتها . ألف طائرة فوق « شدوان » .. مائة طائرة فوق « رأس محمد » مائة طائرة فوق « الغردقة » .

ووقف بارليف مختالا وهو يتساءل : أين الطيران المصرى ؟ ..

واتفق جمال عبد الناصر مع السوفيت في رحلته على استخدام صاروخ سام ٣ .

وسافر جمال عبد الناصر مرة ثانية الى موسكو في يونيو ١٩٧٠ أمضى ٢٠ يوما هناك . وأعلن بعد عودته قبول مبادرة روجرز على أساس أن أمريكا تتحدث لاول مرة عن الانسحاب ، بعد أن كانوا يتحدثون عن المفاوضات المباشرة .. وقبلها مشروع روجرز في ٩ ديسمبر ١٩٦٩ .

قبلنا المبادرة .. وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار في ٨ ديسمبر عام ١٩٧٠ .

وجاء شهر سبتمبر :

وبدأت مذبحة الفدائيين في الاردن . وانعقد مؤتمر الملوك والرؤساء في القاهرة . وتم توقيع اتفاق القاهرة مع الملك حسين .

وفى ٢٨ سبتمبر مات جمال عبد الناصر .

انتهت فترة ايقاف النار في نوفمبر ١٩٧٠ .

جمعت مجلس الامن القومي . ومددنا وقف النار ٩٠ يوما أخرى وهنا أذكركم بأننا بدأنا حرب الاستنزاف في فبراير ١٩٧٠ .. وكانت قد أرهقت اسرائيل فعلا . ورفضوا الاتصال بيارنج على أساس أن مصر خرقت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ .

قلت لكم .. مددنا وقف النار ٩٠ يوما . وسافر محمود رياض وزير الخارجية الى نيويورك وأثبت هذا في الامم المتحدة . وحصلنا على قرار من الجمعية العامة ضد أمريكا ، وطلبنا من أوثانت أن يقدم تقريرا عن نتائج اتصالات الامم المتحدة وانتهى الموعد في ٥ فبراير ١٩٧١ .

وكان علينا قبل انتهاء المدة .. أن نتخذ قرارا . هل سنمد وقف النار لثالث مرة ..

ودعوت الى عدة اجتمـاعات للجنة التنفيذية العليا ·· ومجلس الدفاع الوطنى ·· واللجنة المركزية ، قبـــل أن أتوجه الى مجلس الامة فى ٤ فبراير وأعلن موقفنا ··

وكشف أنور السادات الستار عن بعض مناقشات اللجنة العليا ·

وكان الرأى الغالب بين أعضائها أنه يجب أن نطلق النار ·

وكان أنور السادات يرى العكس ··

قال : طوال شهر يناير وأمريكا تثير الرأى العام العالمى أننا خرقنا وقف النار · وكل جهدنا الاعلامى والسياسى قائم على أن الذى يطلق النار هو الذى يخرق السلام ·· وطبعا اسرائيل أعلنت بدهاء سياسى أنها لن تكون البادئة ·· وبهذا الاسلوب الدعائى ، أرادوا أن ينسى العالم حقيقة المشكلة ·· وهى أن هناك عدوانا واحتلالا للارض ·· وركزوا المشكلة فى وقف النار ·

وكان هناك سبب آخر يدعونى الى استمرار وقف النار ··

لقد أخذنا درسا من ضرب نجع حمادى · وعدونا خسيس · كان يريد أن يغرق أرض الصعيد · وعندى فى الصعيد قناطر أسيوط ونجع حمادى واســنا ·· ودفاعى عنهــا ليس كاملا · والحمـد لله أن الصــاروخ الذى ضرب نجع حمادى عمل شرخ فقط فى القناطر أصلح فى عشرة أيام · وأنا متفق مع السوفييت على استكمال الدفاع فى جبهة الصعيد ··

قلت لاعضاء اللجنة العليا : يا جماعة دعونا من الانفعال · يجب أن نؤدى عملا سياسيا ناجحا · لسنا فى عزلة عن العالم · « الاوبك » مجتمع فى طهران لارغام الشركات على رفع أسعار البترول للمرة الثانية بعد قفل قناة السويس ·· وقبلت الشركات مرغمة · وصرخ غرب أوربا الذى يعتمد على البترول اعتمادا شبه كلى ·

لماذا لا نفكر فى هذا الوضع ؟ ··

لماذا لا نستفيد سياسيا من هذا الموقف ، لصالح القضية ؟ ·· ونحن لا بد أن نتحرك ··

وكنت قد تحدثت مع الدكتور محمود فوزى فى جوانب الموقف ·· وكان له تعبير واقعى · احنا واقفين محلك سر · لا بد أن نتقدم خطوة نحو مادة القضية نفسها ·· ولا بد أن يكون موقفنا مؤيدا من القوى الدولية ··

ولهذا كان رأيى الذى أعلنته اللجنة العليا · اننى لن أطلق النار فى ٥ فبراير · ولن أعطى هــذا الامر لانه خطأ · ويجب أن نفوت على أعدائنــا الفرصــة ، ونمد الموقف شــهرا تكون لدينــا خلاله فرصة لشرح قضيتنا للمجتمع الدولى · فالقضية أساسا ليست ناجحة فى مبادرة أعدها الآن ·· ولم أقل لهم تفاصيل المبادرة ··

وعندما أعلنت المبادرة غضب مجلس الحكماء ..
كانوا يتصورون أنهم مجلس وصاية .. ولازم أستأذنهم
قلت لهم : لا .. أنني أتحمل المسئولية الدستورية .
ثم قال الرئيس السادات :
ــ يعنى هذا إن مبادرة روجرز سقطت فى ٤ فبراير .
ويعنى هــذا أننــا ننقــل القضــية من وقف النار .. الى جوهرها وهو الانسحاب ذاته .
ويجب أن نواجه حقائق موقفنا .. قبل الهزيمة وبعدها .
قبل هزيمة يونيو كان فى أيدينا (كروت كثيرة نلعب بها) :
١ ــ رصيد جمال عبد الناصر العربى والعالمى .
٢ ــ مركزنا فى العالم العربى .
٣ ــ قوتنا العسكرية ..
٤ ــ قناة السويس .
وكل هــذا فقدناه يوم الهزيمة .. فى ٥ يونيو . الا جمال عبد الناصر وكان جمال جريحا .
أعلنت المبادرة .. ومددت وقف النــــار الى ٧ مارس . وهدفى أن يتحقق التالى :
* ألا نقف مجلك سير .. لابد أن نتحرك .
* أن نبعد عن العالم فكرة أن القضية أصبحت وقف اطلاق النار أو اطلاق النار .
* أن ننتقل فى اتصالنا السياسى الى صلب القضية .
* أن نأخذ فرصة لاستكمال الاعداد العسكرى .
* أن نحرك أوربا الغربية الى جانبنا .. لقد لعبنا بكارت قناة السويس .. لقد كنا بعيدين عن أوربا الغربية تماما ، بسبب سيطرة اسرائيل لمدة ٢٢ سنة وبدعاية مدروسة تماما ..
ثم يقول الرئيس السادات :
ــ الرأى العام فى الخارج والداخل تجاوب مع المبادرة . ولكن مجلس الحكماء خرج من البرلمان ، وجلسوا فى صالون رئيس الجمهورية بعد أن غادرت المجلس ليقولوا أن البلد اتباعت !
وغاد مجلس الحكماء .. بعد أن رأى المبادرة فى أوربا .. ليعترف بقيمة المبادرة ..

وبدأ الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الامريكى :

ــ لقــد رحبت أمريكا بالمبادرة .. وهــذه كانت خطوة .. والواقع أن أول اتصال تم مع أمريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، برسالة وجهتها

الى الرئيس الامريكى نيكسون • وسبب هذه الرسالة أن نيكسون كان قد أرسل رسالة شخصية فى مناسبة عيد ميلادى الى بيرجس (ممثل المصالح فى القاهرة) الذى قدمها بدوره الى الدكتور محمود فوزى •• وكانت الرسالة تحوى كلاما طيبا فى هذه المناسبة المشجعة •• فاستدعيت بيرجس وشكرت الرئيس نيكسون على رسالته •• وقدمت لبيرجس رسالة الى نيكسون •

وكانت رسالتى تتضمن النقاط التالية :

١ ـ ان كل فعل •• سيكون له رد فعـل عندنا • اذا كان الفعل • كويس •• رد الفعل •• عال • الفعل وحش •• الرد أوحش •

٢ ـ أبلغت نيكسون أننى خسرت معركة وأعترف • ولكننى لم أخسر الحرب ، بدليل أن اليابان قسمت أمـريكا من الباسفيك فى أقل من شهر ، وأبعاد هذه الضربة بالقياس لنا •• أكثر اهانة •

٣ ـ أبلغت نيكسون •• أنه ليس لنا دخل فى لعبة القوى الكبرى • نحن خارج هذه اللعبة • اننى أريد أن أحرر أرضى وابنى بلدى ••

٤ ـ اننى مفتوح العقل والقلب ، لحل سلمى مشرف •

ثم توالت الاتصالات •

ووعدت أمريكا بأنها ستعمل على أن تنجح المبادرة المصرية ••

وقيل لى •• عندك مانع روجرز ييجى ؟ •

قلت : أبدا •• يتفضل •

وكانت المبادرة • كان انهاء وقف النار فى ٧ مارس •

ولذلك رأيت أن أسـافر الى الاتحاد السوفيتى قبل هذا الموعد سافرت فعلا فى رحلة لم يعلن عنها فى أول مارس • واستمرت المباحثات يومين كاملين فى جلسة متصلة • والحق أنها كانت جلسـة مؤلمة ، اختلفنـا اختلافا كاملا والمناقشات كانت فى غاية العنف •

وعدت الي القاهرة •• وجمعت اللجنة العليـا مع مجلس الدفاع • رويت القصة • ولا أرى داعيا لاعلان موضوع الخلاف الآن •• لأننـا كأصدقاء نحن والسوفيت لابد أن نعرف أننا تلقينا من السوفيت أسلحة قيمتها مليار و ٨٠٠ الف جنيه استرلينى •

كان يقينى أن خلافى مع الزعماء السوفيت فى هذه المباحثات ، خلاف مبدئى ولكن مجلس الحكماء لم يعتبره هكذا !

وهناك نقطة خلاف أساسية لا بأس أن أعرضها لكم •

اننى أقول أنه منذ يوم ٢٣ يوليو ، والى أن تقوم الساعة ، لا يجب لأى رئيس مصرى ، أن يسمح لأى سلطة كانت •• بأى قرار أيا كان • هذا حق ومسئولية القيادة السياسية داخل البلد ••

هذا هو مبدأ الخلاف ..

كنت أتناقش مع السوفييت على نوع معين من الاسلحة يشغلوه الروس . وبعد تشغيله كان السوفييت يشترطون أنه لابد من اذن الحكومة السوفيتية قبل استخدامه .

قلت : لا .. أولادي يتعلمون تشغيل هذا السلاح .. أما عن استخدامه فهو قراري أنا .. قرار مصر .. ولن يكون غير ذلك أبدا .. أموت .. ولن أسمح بغير قرار يصدر مني . من القيادة السياسية المصرية .

أما مجلس الحكماء فقد كان له رأى آخر .. قالوا انه لا يعنينا أن نستأذن دولة كبرى .. عليها مسئولياتها العالمية .

وفيما عدا هذا الخلاف .. أسفرت الرحلة عن حصولنا على مزيد من الاسلحة .

وكان من رأي السوفييت ألا نبدأ باطلاق النار بعد ٧ مارس .. وأننا يجب أن نوجه جهدنا للحل السلمي .

قلت لهم : اذا وجد حل سلمي مشرف عادل .. أنا موافق . ولكن اذا كان مفيش فايدة .. نضحى بـ ٢ مليون .. انتم خسرتم في الحرب ٧ ملايين .

وأعود الى الحديث عن موقف الامريكان .

كانت اتصالات الامريكان بعد المبادرة .. تقوم حول اعطائهم فرصة .

وطبعا .. كنت أرحب باعطائهم الفرصة .. لسبب أساسي وهو أن بطاريات الدفاع عن الصعيد لم تكن قد وصلت بعد ..

وعرضوا أن يحضروا روجرز الى القاهرة .. ورحبت كما قلت لكم .. ولكن مجلس الحكماء غضب .. لماذا يحضر روجرز الى مصر ؟! .. وكأننا نعيش في جزيرة منعزلة عن العالم ..

المهم .. جاء روجرز الى مصر ومعه مساعده سيسكو ..

والمعروف أن سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل أمريكا الصهيوني في الامم المتحدة ، اللي عمل الطبخة كلها لصالح اسرائيل .

ما فوتهاش لسيسكو . فقلت له : يا ترى انت لسه الابن البكر لجولد برج ولا ناوى تتغير ؟

وأمضيت مع روجرز ساعتين في حديث متصل . وكان مذهولا من طبيعة الشعب المصري .. قال انه تحدث مع مصريين عديدين . سار في الشوارع . عرف الناس .. الحراسة عليه عادية .. وباختصار قال لي : صورة الشعب المصري الطيب المسالم ، ليست هي الصورة التي عندنا ..

ثم قال : وها قد مضت ساعتان علينا فى الحديث ٠٠ واننى أشعر براحة تامة ٠

وروى لى أن جولدا مائير أرسلت مرة رسالة الى نيكسون ، تقول فيها أنها تتحدى أمريكا ، أن السادات لن يقبل اتفاق سلام ٠٠ وقالت : اذا قبل السادات فهى مستعدة أن تنفذ كل شيء ٠٠

ثم روى الرئيس خلاصة للحوار الذى دار بينه وبين روجرز :

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟

روجرز : لا أطلب شيئا ٠ المطلوب الآن أن تتحرك اسرائيل ٠ وسأرسل لك سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل ٠٠ وسأعلن فى أمريكا أنكم فعلا دعاة سلام ٠

وأعلن هذا روجرز فعلا ٠

السادات : فيه سؤال ٠٠ لماذا لم تسأل عنه ٠٠ لماذا لم تسأل عن الوجود السوفيتى فى مصر ٠٠ هذا محور المشكلة الآن ٠٠ وهذا ما تستغله اسرائيل ضدنا ٠٠ وما أرى أنكم مشغولون به فى أمريكا ٠٠

روجرز : الحقيقة أنه بعد أن تحدثت معك ساعتين ٠٠ وشعرت أننى جالس الى صديق وانسان متفهم ٠٠ خجلت أن أثير هذا الموضوع منعا للاحراج ٠٠

السادات : لا احراج عندى فى أى تصرف لنا ٠٠ الوجود السوفيتى شاغلكم ٠٠ فلماذا لا نناقشه بصراحة ! ٠٠

روجرز : أنا سعيد جدا باثارة هذا الموضوع ٠٠

السادات : لعلمك يوجد هنا على الارض المصرية ، ضباط وجنود من الجيش الاحمر ٠٠ (أنا مارضيتش أقوله جنود سوفيت ٠٠ علشان عارف ان عبارة الجيش الاحمر تغيظهم) وبملابسهم الرسمية ٠٠ وأنتم تعرفون هذا طبعا ٠ وانتم تعرفون أين هم ٠ لان القمر الصناعى يصور لكم كل شيء ٠ اننى أسألك ٠٠ أين هم ؟ ٠٠ هل هم على القنال ٠٠ ؟

روجرز : لا ليسوا على القنال ٠٠

السادات : أنت متأكد ٠٠

روجرز : نعم متأكد ٠٠

السادات : اننى سعيد انك تقول هذا ٠٠ وسعيد أن تعرف أن عندنا كرامة وطنية ، ولا نقبل أن يحارب أحد لنا معركتنا ٠

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتى فى مصر ، الذى تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل ٠ لقد تم الاتفاق مع السوفيت على استخدام صواريخ سام ٣ ٠ وهى صواريخ على مستوى عال ٠ وتحتاج الى تدريب أطقم عليها ٠٠ وجاءت الصواريخ بأطقمها السوفيتية ٠٠ ثم

سافر أبناؤنا الى الاتحاد السوفيتي للتدريب .. وخلال ذلك انتهينا من بناء المواقع ..

وفي مدى ٤٥ يوما تم أمجد عمل عسكرى من أجل الاستعداد للمعركة .

لقد تم بناء ما قيمته مليون جنيه في اليوم الواحد .

وعادت الاطقم المصرية من الاتحاد السوفيتي بعد أن انتهى تدريبها .

عادوا ومعهم بطاريات الصواريخ التي انتشرت في الضفة الغربية للقناة .

ثم قال السادات لروجرز : لم يكن مفروضا أن نترك اسرائيل تعربد، بعد أن ضربتنا بالنابالم الامريكى يا مستر روجرز . ولكن لعلمك .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترليني والدولار .. ونحن في أزمة عملة صعبة . وكنا نتحمل .. والسوفيت يلحون باستمرار لسحب خبرائهم .

ثم ناقش السادات روجرز في وجود الاسطول السوفيتي في البحر الابيض . وكان السادات قد أرسل الى نيكسون رسالة خطية صريحة ، أبلغه فيها أن مصر تعطي وسوف تعطي للاسطول السوفيتي تسهيلات في موانى البحر الابيض .. تقديرا لوقوفهم الى جانبنا في الايام السوداء .

وقال روجرز : نعم .. انني أتذكر هذه الرسالة .. وأتذكر أن نيكسون رد عليك بقوله انه لا يطلب صداقتك على حساب صداقة أصدقائك ..

ومادام القرار في مصلحة بلدك . فليس له أى اعتراض .

وقال السادات لروجرز في ختام المباحثات : والآن .. ماذا تبقى يا مستر روجرز ؟

روجرز : لا شيء .. اسرائيل يجب أن تتحرك .

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول للرئيس السادات ، ان اسرائيل لا تبدى مرونة في ثلاث نقاط :

* عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية في المرحلة الاولى من انسحاب اسرائيل ، تكون بقوات بوليس فقط ..

وحاول سيسكو أن يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية .. ويكفي أن العلم المصرى سيرفع .. وهنا سيصفق الشعب المصرى لانور السادات .. وسيصبح في عينه الزعيم الذى رفع العلم المصرى على شرق القناة .

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : باين عليك اهبل يا سيسكو .. ده أحذق شعب في العالم .

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا .. فقال لسيسكو :

ـ المسألة بسيطة .. موضوع عبور القوات المصرية الى شرق القناة، غير قابل للمناقشة ولكن من الممكن أن نكون مرنين .. أقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضايق ، يكون موازيا لخط اسرائيل .. وأقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة الاشهر الاولى ، متساويين فى السلاح والعتاد ..

ووافق سيسكو . وقال : هذا معقول .

* ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ..

قال : اسرائيل ترفض أن يكون وقف النار لمدة ٦ أشهر فقط . انهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ..

وأجاب الرئيس : هــذا مستحيل . لانه يعنى أننــا عملنا خـط هـدنة .. وكأنها حدود جديدة .. وانتهى الامر . وما الذى يدعو اسرائيل الى الانسحاب بعد ذلك . طالما هناك جنـدى أجنبى على أرضى .. فلا وقف للنار بدون تاريخ . هذا مبدأ لن أحيد عنه .

سيسكو : ولكننا نريد مخرجا ..

السادات : الفترة التى أعلنها هى ٦ أشهر . وأنا أعرف أن اسرائيل ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج فى الشــهر الاخير .. اننى أعـرف أساليبهم الرذلة .. اننى أوافق اذا إنتهت فترة الستة أشهر ، ووجد يارنج أنه يحتاج الى مزيد من الوقت ، فعليه أن يطلب ذلك رسميا ومن مجلس الامن .. بشرط ألا يزيد الحد عن ثلاثة أشهر أخرى .

ووافق سيسكو .

* ثم أثرنا النقطة الثالثة .. قال ان اسرائيل لا تريد ذكر حدود ٤ يونيو فى مرحلة الانسحاب الاولى ، لا من قريب ، ولا من بعيد ..

السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءا من الحل الشامل

سيسكو : هم يريدون حدود آمنة ومطمئنة .

السادات : اسمع .. اننى أوجــدت مخــارج مرنة فى النقطتين السابقتين . ولكن فى هذه النقطة لا حل عندى . لا تنازل عن شبر من الارض .. ولا تأخير ولا اعارة .. ولا أى كلام من هــذا الكلام الفارغ .. حدود ٤ يونيو دون نقص لاى شبر .

سيسكو : عندى حل . ان ورقة روجرز فى ٩ ديسمبر ٦٩ .. نصت رسميا على الحدود الدولية بين مصر واسرائيــل .. ولكى نحل الموقف الآن .. فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطابا بأن الحدود هى الحدود الدولية .

السادات : وما الفائدة . لقد رفضت اسرائيل من قبل ورقة روجرز . من الممكن فقط أن أقبل هذا الخطاب من مجلس الامن .. أو من الاربعة الكبار .. أو من الاتحاد السوفيتى وأمريكا مشتركين .

سيسكو : هذه نقطة لا فصال فيها ..
السادات : هذه مسألة بسيطة ، سوف نبحث لها عن شكل .

ووعد سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة .. وكان ذلك في ابريل ١٩٧١ . واستمرت أمريكا صامتة صمت الاموات، حتى شهر يونيو .. لا كلام ولا اتصال .. ولا أى شيء .
ثم حصلت خطوة ..

تقدم بيرجس ممثل المصالح الامريكية فى مصر ، بورقة الى وزارة الخارجية المصرية فى يونيو . قال انها من بنات أفكاره هو . وطلب الرأى المصرى فيها . وقد اطلع عليها الرئيس أنور السادات ، وأحس أنها ليست لجس النبض من بيرجس . وانها قطعا مرسلة من الحكومة الامريكية لجس النبض . لأن ٩٠٪ مما جاء فى ورقة بيرجس ، استخدام عبارات ، تداولها الرئيس السادات مع سيسكو ولم يكن معهما ثالث . ومن ذلك التعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط الاسرائيلى بعبارة أخرى .

وأجرى الرئيس تعديلات فى ورقة بيرجس فى جزء منها كان لصالح اسرائيل . وفجأة أعلنت وزارة الخارجية الامريكية أن ورقة بيرجس ، هى بنات أفكاره وحده .. ولا دخل لواشنطن بها .
وطبعا هذا كلام ساذج ..
ولكن فهم من هذا بوضوح .. أن أمريكا قررت أن تلحس كل شيء..
وقال لنا الرئيس السادات : ومن هنا .. ابتدأ اللوع واللعب والاسلوب المناور من جديد .
ثم قال السادات :
وفى يوم ٦ يوليو ١٩٧١ ، أخطرت أن مدير قسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجية يحمل رسالة عاجلة من الرئيس الامريكى ..
قلت : يتفضل .. أنا أعرفه .. لقد كان مرافقا لى أثناء زيارتى لامريكا فى عام ١٩٦٦ .. خيرا ؟
قال : ان الرئيس الامريكى قرر أن تأخذ أمريكا موقفا ايجابيا فى حل القضية ، وستحدد ذلك فى ورقة ونعلنها لكم وللعالم .

ثم قال المبعوث الامريكى ان سيسكو سيذهب الى اسرائيل يوم ٢٧ يوليو ، وبعد عودته الى أمريكا ، ستعلن الورقة .. وستأخذ أمريكا دورا ايجابيا .. ولكن الرئيس الامريكى ينتظر من مبعوثه برقية عن استفسارين :
١ ـ المعاهدة المصرية السوفيتية .. هل غيرت طبيعة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟ والسؤال الآن .. هل تقوم القاهرة باستئذان الاتحاد السوفيتى فى أى تصرف .. ان اسرائيل منزعجة . والبنتاجون

منزعج • وكان رد مصر على ذلك : بأن المعاهـدة فى اطار العـلاقات قائمة فعلا •• وليست هناك أى وصاية على مصر فى أى تصرف لها • وهـذا مبدأ أساسى فى السيادة المصرية •

٢ ـ هل يمكن اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا •• بعد المرحلة الاولى من الانسحاب ••

وكان رد السادات : نعم لقد وعدت بهذا ، ولا عدول عندنا عن هذا الموعـد •

ثم قال الرئيس السادات :

ـ حدث هذا فى ٦ يوليو •• ثم سكوت الاموات ٧٠ يوما •• سكوت أموات مع مناورات وتمييع ولعب •• ودعاية واسعة النطاق أن الاتفاق فى خطواته الاخيرة •• والهدف تخدير العالم كله ، لتمويت القضية ••

وفي ١٦ سبتمبر •• أجريت حديثا فى التليفزيون •• وكشفت كل هذا الخداع • والغريب أن السوفيت صـدقوا الخـداع الامريكى •• وتصوروا أننى اتفقت فعلا مع الامريكان ! •

والحق أقول لكم اننى عشت ثلاثة أشهر حالكة السواد •• يوليـو وأغسطس وسبتمبر • وقبل يوليو عمليـة مايو • وفى يوليو وقعت أحداث السودان • قبل مايو •• بعض أعضاء مجلس الحكماء أبلغ السفير السوفيتى أننى بعت البـلد للامريكان •• واننى أصفى الاشـتراكية والناصرية • المؤلم أن السوفيت صدقوا هذا الكلام • واننى أرجع ذلك لطبيعتهم •• الشك بحكم التكوين الطبقى •• والبطء فى اتخاذ القرار • وأقلت على صـبرى فى ٢ مايو • وبدأ الصراع فى مجلس الحـكماء • لمـاذا خرج على صبرى قبل ما ييجى روجرز بيومين ؟

حتتفسر • أنا ما يهمنيش التفسيرات ما دمت مقتنع بالقرار • حللها المحللون طبعا فى موسكو !

وقد حضر باناماريوف المؤتمر القومي فى ٢٣ يوليو • وجلست معه فى مناقشة صريحة فى موضوع الانقـلاب الشيوعي الذى فشل فى السودان •

قلت له : اننا فى مرحلة الوطنية التقدمية المضادة للاستعمار • وأنتم الحليف الطبيعى • ولكن شعوبنا لا تقبل النظام الماركسى • لسنا ضد الفكر ، بدليل أن لدينا ماركسيين فى اللجنة المركزية • ولكن تطورنا ينبع من أرضنا وتقاليدنا وديننا وحضارتنا ••

وكان هذا الكلام بالنسبة لباناماريوف طبعا ، كفرا والحادا •• لان عقليته ستالينية ، وكان سكرتيرا للكومنترن وتقديرى أنه لعب دورا فى تشويش العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى •

وجاء شهر سبتمبر •• وأحسست أننا معلقون فى الهواء •

السوفيت لا يفهمون حقائق الموقف ..
والامريكان .. يناورون ويراوغون لحساب اسرائيل ..
وطلبت السفر الى الاتحاد السوفيتي لمناقشة زعمائه في كل التطورات التي طرأت على الموقف . قلت انني لا أملك أن أفقد أصدقاءنا .. ومن حقي عليهم أن أسألهم : لماذا .. سوء التفاهم؟ .
وأكدت على رغبتي في الزيارة .. واذا كان موقفهم إنتهى بهم الى عدم التفاهم .. فليكن .. ولكن يجب أن نسجل هذا ، ونوضح المواقف.
وتحدد يوم ١١ اكتوبر للزيارة .
وشعرت أمريكا بذلك . واذا بروجرز يعلن في خطابه بالامم المتحدة ٦ نقاط أساسا للتسوية السلمية .
وكانت النقطة الاولى من بيان روجرز مقبولة .. وهي أن الحل الجزئي جزء من الحل النهائي .
ولكن أمريكا لم تحدد موقفها من باقي النقاط . ووضح استمرار المراوغة . وتقدمت أمريكا باقتراح أن ترسل مصر مبعوثا الى أمريكا ، للمباحث غير المباشر مع مبعوث اسرائيل ، عن طريق سيسكو ..
وأرادت أمريكا ألا تظهر بمظهر المراوغة .. فقالت انها تبذل هذا المسعى الجديد لانها تعرف أن سنة ١٩٧١ لابد أن تكون سنة حاسمة .
ورد السادات بأسلوبه المعروف : ياه .. أنتم الذين تقولون هذا ؟ بلاش لعب . وأنا اللي بقول هذا ليل نهار .
وقبل أن يسافر الرئيس السادات الى موسكو في ١٧ اكتوبر ، وافق على الاقتراح الامريكي بارسال مبعوث مصري للقيام بمباحثات غير مباشرة عن طريق موسكو . واختار الدكتور مراد غالب لهذه المهمة ..
وجاء الرد أن واشنطن سعيدة جدا بموافقة الرئيس .
وفي موسكو تناقش الرئيس مع الزعماء السوفيت في نقطتين
الاولى : سوء الفهم من السوفيت الذي لا يرتكز على أي أساس .
الثانية : ان عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم .. لان القضية بعد عام ١٩٧١ ستصبح مثل قضية روديسيا . ١٩٧٢ عام الانتخابات الامريكية . ستحصل اسرائيل في المزايدات الانتخابية على قدر ماتحصل عليه ١٠ مرات . الرئيس الامريكي الجديد يضع سياسة في يونيو ١٩٧٣ . ندخل على عام ١٩٧٤ .. ويكون الامر الواقع قد استمر حقيقة . وقف النار . اسرائيل باقية ولن تتحرك .
واقتنع الزعماء السوفيت بهذا المنطق الواقعي .. بعد جلستي ١٢ و ١٣ اكتوبر ..
وبدأت اتصالات جديدة من أمريكا مع أنور السادات بعد عودته من رحلة الاتحاد السوفيتي ..

ـ هل لا تزال عند رأيك ؟ ..

ـ نعم .. أريد ايضاحا من وزارة الخارجية الامريكية ، عن الدور الذى سيقوم به سيسكو فى المباحثات غير المباشرة .. لقد قلتم فى رسالة الرئيس نيكسون فى ٦ يوليو أن أمريكا ستؤدى دورا ايجابيا .. ولكننى لا أرى ايجابية فى نقاط روجرز الست ..

وجاء الرد .. ان دور سيسكو سيكون Calalisl

ـ وما معنى كاتاليست ؟..

وقال السادات لمحدثه الامريكى : تسمح تشرحها لى بشويش .. لأن الكلمة دى جديدة على .. ولم أصادفها فى اللغة الانجليزية .

ـ معناها العنصر المساعد .. وهى الفلزات التى تساعد على التفاعل فى العمليات الكيماوية .

وبعدها .. قدمت أمريكا ايضاحا جديدا لدور سيسكو .. سيكون عاملا مساعدا وساعى بريد ايجابيا .

وبعدها بيومين قدمت أمريكا تفسيرا آخر .. سيكون سيسكو .. « كاتاليست » وساعى بريد غير سلبى !..

وهنا طلب الرئيس السادات ابلاغ الرئيس نيكسون .. أن أمريكا عادت الى أسلوبها الأول .. وأن مصر لا تقبل ماجاء على لسان روجرز فى نقاطه الست ، بأنه لابد من تنازلات من الجانبين .

وحدد الرئيس السادات ، أنه لن تكون هناك أية مناقشة بين مصر وأمريكا ، قبل أن تعلن اسرائيل ردها بالايجاب على رسالة يارنج اليها .. وبدون هذا لا كلام ..

وقال لنا السادات : وهنا قطعت كل ما بينى وبين أمريكا من الاتصال.

ثم حلل الموقف الامريكى بقوله :

ـ أهداف أمريكا بوضوح .. هى ازالة الوجود السوفيتى فى الشرق الاوسط .. وعزل مصر .. والقضاء على النظام ..

أمريكا تريد اخراج اسرائيل كاسبة فى كل شىء .. ولا تريد أن تمارس أى ضغط على اسرائيل .. واننى أستنتج الى حد القطع أن هناك تعهدات أمريكية سرية منذ عهد جونسون .. ملزمة لأمريكا أن تتخذ هذا الموقف مع اسرائيل وضدنا ..

وأمريكا تتصور أن اسرائيل سوف تحقق لها أهدافها فى المنطقة .

وخلص الرئيس أنور السادات من هذا العرض الطويل الذى استغرق ثلاث ساعات بالنتائج التالية :

ـ لا مناص من المعركة .

ـ أمريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل .. والاتحاد السوفيتى يتصور أننا أيضا نحتج به فى عدم القتال .

ـ اسرائيل .. مغرورة ومعربدة بنشوة النصر .

ـ العالم كله .. لا أحد يهتم بأحد ..

ونحن الآن أمام اختبار .. امتحان من إمتحانات القدر . هل نكون أو لا نكون ؟

وأعلن السادات أنه سيمضى أغلب وقته فى الفترة اللاحقة مع القوات المسلحة . وأعلن عن تأليف غرفة عمليات فى الداخل .. للربط بين الجبهة الداخلية وكل متطلبات المعركة ..

وقال ان ساعة العمل الجاد الخطير قد حانت .. وعلينا أن نتحمل مسئوليتنا أمام التاريخ والأجيال .

● الفصل السابع ●

ازمات مع الســــوفيت

●●● « قصة الأزمات بدأت مع جمال عبد الناصر . وقال أنه قبل مبادرة روجرز ، عندما وجد أن الموقف مع الاتحاد السوفيتي ميئوس منه.. وحتى بعد أن بدأ الجسر الجوى لامداد مصر بالسلاح بعد الهزيمة مباشرة في يونيو ٦٧ .. كان عبد الناصر في قمة العصبية من الأسلوب السوفيتي في التعامل الذى يريد ان يمسك بكل الخيوط في يده .. وسجل ذلك في مباحثاته مع الرئيس تيتو في اغسطس ٦٧ في الاسكندرية .. وتولى السادات المسئولية . وبدات أول أزمة في اول رحلة سرية. وحلت الازمة .. واعقبتها أزمات .. ثم تحسن الموقف تماما اثر رحلة للدكتور عزيز صدقي بعد وساطة الرئيس الأسد .. وقامت الحرب . وبدات مشكلات السلام .. وبدات الأزمات من جديد مع الاتحاد السوفيتي» ●●●

حاربنا في معركة ٦ أكتوبر بسلاح سوفيتي ·· هذا صحيح ··
ولكن قواتنا كانت تستخدم أيضا أسلحة من بلاد أخرى ·· كانت أسلحة مكملة · ولكن الاعتماد الاساسى كان على التسليح الروسى ·· منذ ١٠ يوليو ١٩٦٧ عندما بدأ الجسر الجوى بين موسكو والقاهرة ·· لانشاء أول خط دفاعي غرب القناة ، كان المسئول عن اعداده اللواء أحمد اسماعيل ·

·· ومع ذلك فان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، مرت بمراحل عديدة ، من التفاهم ، وسوء التفاهم ·· حتى فى عهد جمال عبد الناصر ، وبعد أن نشأت روابط قوية عميقة بين البلدين ·

بل قيل على لسان جمال عبد الناصر ·· أنه قرر أن يقبل مشروع روجرز بوقف النار وهو على مائدة المباحثات مع الزعماء السوفيت ·· دون أن يعلن عن ذلك الا بعد عودته ·· لأنه وجد أن الاعتماد الكلى على السوفيت لن يصل الى النتائج المرجوة ·

ولكن خلافات عبد الناصر مع السوفيت ·· ظلت باستمرار فى دوائر الأسرار ·· لم تخرج الى سطور الصحف ·· ولم تكشف عنها أية تصريحات من الجانبين ·· وكان هذا طبيعيا ·· (١)

فبعد الهزيمة ·· كانت عملية اعادة البناء العسكرى معتمدة على السوفيت ··

كما أن الموقف لم يتطور الى الحاجة الى الاسلحة الهجومية ·· والى اتخاذ قرار الحرب ··

---

(١) عندما حضر بودجورني رئيس الاتحاد السوفيتي الى مصر بعد الهزيمة مباشرة في صيف ١٩٦٧ طلب جمال عبد الناصر أن يتولى الاتحاد السوفيتى مسئولية الدفاع الجوى عن مصر بقائد سوفيتي · ووافق بودجورني ، ولكنه عاد في المساء وابلغ عبد الناصر برفض موسكو · سافر انور السادات بعد ذلك الى موسكو بتكليف من جمال عبد الناصر وطلب تعيين قائد سوفيتى لسلاح الطيران ·

كانت وجهة النظر المصرية ، ان هناك ثقة قائمة فى صداقة الاتحاد السوفيتي ، وان مثل هذه الطلبات لا تعتبر تجاوزا على استقلال مصر ، الا ان صيانة الوطن تأتى فى الدرجة الأولى · فقد كانت طائرات اسرائيل تعربد فى سماء مصر بدون رادع ·

ولقد اقام السوفيت جسرا جويا وبحريا بين الاتحاد السوفيتي ومصر لمدنا بالاسلحة · ولكن عبد الناصر كان فى قمة الغضب والعصبية من أسلوبهم فى التعامل · كانوا يستخدمون أسلوبا مبطنا يشعرك بأنهم يريدون الاحتفاظ بكل الخيوط فى أيديهم ·· عبر عبد الناصر عن غضبه في لقائه بالرئيس تيتو بالاسكندرية فى ٩ و ١٠ اغسطس وسجل هذا فى مباحثات عبد الناصر وتيتو ·

« من حديث للرئيس السادات الى مجلة الحوادث »

وكان جمال عبد الناصر ـ فى رأيى ـ يعتقد أنه سوف يصل الى حل سلمى ٠٠ دون اللجوء الى حرب أخرى ٠

وعندما تولى أنور السادات المسئولية ٠٠ لم يسقط من اعتباره أبدا جهود الحل السلمى ٠ وكان يردد دائما ما نستطيع أن نصل اليه بغير حرب ٠٠ اذا كان عادلا ومشرفا ٠٠ فليس ما يدعو أن نصل اليه بالحرب والدماء وتضحيات الارواح ٠ ولكن الاعداد العسكرى للقتال لم يتوقف لحظة واحدة ٠

وتأزمت الامور يوما بعد يوم ٠٠

كانت تقديرات اسرائيل ٠٠ ومعها أمريكا بطبيعة الحال ٠٠ أن أنور السادات لن يملأ فراغ جمال عبد الناصر ٠٠ ولن يصل الى زعامته ٠٠ ولذلك فان احتمالات ضرب النظام من الداخل ٠٠ كانت أيسر سبيلا بالنسبة لهم ٠٠

وكانت تقديرات الاتحاد السوفيتى ، أن أنور السادات ٠٠ لن يتحول بمصر الى دولة تدور فى فلك المعسكر الاشتراكى ٠٠ وكانت شكوكهم أنه يتجه الى اليمين ٠٠ والى الاتفاق مع أمريكا من وراء ظهرهم ٠٠ وشجع تقديرات موسكو ، أن فريقا من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا كان يوحى للسياسة السوفيتية بهذا ٠٠ وقد أراد هذا الفريق أن يعتمد على روابطه بالاتحاد السوفيتى ٠٠ وعلى اقناع موسكو بأنهم دعاة الاشتراكية الحقيقيون ٠٠ وكانوا يتعاونون سياسيا فى الداخل مع اليسار المتطرف المحلى ٠ فى التنظيم السياسى ٠٠ وفى التنظيم الطليعى ٠٠ ولذلك كانت كلمتهم مسموعة ، فى موسكو ٠٠

ولهذا ثارت عقبات وخلافات عديدة بين الاتحاد السوفيتى وأنور السادات وكان الرجل حريصا فى العلاقات مع موسكو على حقيقتين أساسيتين :

١ ـ الانطلاق فى قراراته من القاعدة الوطنية والسيادة المصرية الكاملة ٠

٢ ـ عدم التفريط فى صداقة الاتحاد السوفيتى ، ووضعها فى الاطار الصحيح الذى يحقق التعاون الكامل ٠

وكان على علم كامل ـ قبل توليه رياسة الجمهورية ـ بكل تفصيلات العلاقات مع موسكو ٠٠ فقد أسند اليه جمال عبد الناصر ٠٠ مهمة هذه العلاقات ٠٠

وبدأ التوتر الشديد فى العلاقات ٠٠ عندما أعلن أنور السادات ، بعد احتفال عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ ٠٠ اقالة على صبرى ٠

وكان أنور السادات يعلم أن هذا القرار ، سيفسر تفسيرا خاطئا من زعماء الاتحاد السافيتى ٠٠

ولذلك استدعى أنور السادات السفير السوفيتى .. وقال له : دعنا نتكلم بوضوح .. وأننى لا أعتبر كلامى معه اتاحة لك للتدخل فى الشئون الداخلية .. ولكننى أريد أن أضع النقط على الحروف ، لكى تكون علاقاتنا واضحة .. صلة موسكو بالقاهرة .. هى صلة بين دولة ودولة . وليست بين دولة وأشخاص . ولقد قررت اعفاء على صبرى . وسوف تخرج صحف الغرب ، لتزعم أن هذا الاعفاء ضربة للعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .. لانهم يصورونه أنه رجل الاتحاد السوفيتى هنا .. وهذا من وجهة نظرى غير صحيح ..

لقد قررت اعفاء على صبرى لأسباب داخلية ، لا صلة لها بالعلاقات بين البلدين ، وهى علاقة بين دولتين .. ولذلك أبلغتك ، حتى لا يكون هناك مجال للتأويلات غير الصحيحة ..

وأعلن الرئيس قرار الاعفاء ..

ثم اتجهت ألسنة كثيرة الى السفارة السوفيتية فى القاهرة ، لتقول أن اعفاء على صبرى ، هو هدية قدمها أنور السادات الى أمريكا ، قبيل وصول روجرز الى مصر ..

وقالت هذه الالسنة أيضا .. أن السادات قرر بيع مصر لأمريكا

ولكن أنور السادات لم يأبه لكل هذه الآراء ..

وجاءت أحداث مايو ..

وكشفت التسجيلات التى كان يقوم بها أحمد كامل مدير ادارة المخابرات، بتكليف من سامى شرف عن قضية المؤامرة . ثم أكدت المؤامرة .. اعترافات أحمد كامل التفصيلية التى أدلى بها انقاذا لضميره ..

ولذلك .. فان اليسار المتطرف المحلى .. أو معظمه . وقد رأى نفسه مبعدا تماما من العمل السياسى العلنى والسرى الذى كان مسيطرا على كل مواقع العمل والانتاج .. بعد أن أعلن السادات حل التنظيم السرى .. ثم رأى هذا اليسار من يشاركونه فى مسئوليات الحكم وقد أصبحوا وراء القضبان .. أقول ان اليسار المتطرف المحلى ، اتخذ موقف التحدى . وصور قضية المؤامرة على أنها مجرد تلفيق ، لكى ينفرد أنور السادات بالسلطة .. وبدأت الاتهامات : بيع البلد الى أمريكا . وتصفية الاشتراكية .. وتحولوا جميعا الى ناصريين ملتهبين .. هكذا فجأة .. لقد تصوروا أن « لافتة الناصرية » فيها حماية لهم .. واخفاء للونهم السياسى .

وقد ظهرت آثار هذه التيارات فى الانتخابات التى جرت فى الاتحاد الاشتراكى ، وعضوية مجلس الشعب .. وفى انتخابات النقابات المهنية . وامتدت الى محيط الطلبة فى الجامعات .

وأصدر أنور السادات في ذلك الوقت بيانا حاسما ، يكشف فيه هذه الأوراق ، وفي الوقت نفسه يحذر اليمين المتطرف اذا كان يتصور أن ١٥ مايو يعني ردة الى الوراء ٠

وليس هذا الفصل من الكتاب ، تسجيلا لكل هذه الاحداث ٠٠

ولكنني أعرض هذه العجالة ٠٠ لأصل الى أول خلاف حقيقي بين الاتحاد السوفيتي وأنور السادات ٠٠ حتى وصل الخلاف الى قمته ، عندما أصدر الرئيس قرار الاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت ٠

وقد استغل الخلاف الأول مع الاتحاد السوفيتي من العناصر اليسارية والمدعية للناصرية داخليا ٠٠ وفي كل التجمعات الشيوعية في العالم العربي ، على أنه ارتماء في أحضان أمريكا ٠٠ وهذا يعني أن كل كلام أنور السادات عن الاستعداد للمعركة ٠٠ هو مجرد استعراض سياسي للاستهلاك لا أكثر ٠٠ وقد استغل الخلاف الاخير ٠٠ بعد اخراج الخبراء السوفيت ٠٠ على أنه دليل حاسم على أن أنور السادات لن يحارب ٠٠ فكيف يمكن أن يخرج خبراء الحرب ، اذا كان يريد الحرب ٠٠ ولكن فاتهم أن السادات لم يكن ليحارب مطلقا ، بجنود أو ضباط سوفيت ٠

وفي حديث خاص للرئيس أنور السادات عن قصة الخلاف من أولها الى آخرها ، كما رواها بعد قرار الخبراء السوفيت ٠٠ أوضح السادات الحقائق التالية :

ـ عندما أعلنت مبادرة ٤ مارس ٠٠ استهدفنا تحقيق هدفين ٠٠ أولهما استمالة أوربا الغربية ٠٠ وثانيهما أن تكون أمامنا فرصة لمزيد من الاستعداد العسكري ٠٠ لحماية الصعيد ٠ لقد كان موعد وصول البطاريات المتفق عليه مع الاتحاد السوفيتي في فبراير ٠ ولكنها وصلت في شهر ابريل ٠

كان الموعد المتفق عليه أن تصل من ١٨ الى ٢٢ فبراير ٠ ولكن قيل أن مؤتمر الحزب الشيوعي كان منعقدا في ٣١ مارس ٠٠ ولم يكن الزعماء السوفيت يريدون اثارة متاعب حول مناقشات تسليح مصر في المؤتمر ٠٠ فتأخر وصول بطاريات الدفاع عن قناطر الصعيد ٠

ثم طلب أنور السادات السفر الى الاتحاد السوفيتي ٠٠ وكانت أول رحلة له وهو رئيس للجمهورية ٠٠ وتمت الزيارة السرية في أول مارس ٠

وانعقدت جلستان عنيفتان ، سجل كل مادار فيهما في محضر المباحثات ٠ كان أنور السادات يحس أنه لا يجد ردودا واضحة على ما طلب ٠ كان محور المناقشة ٠٠ أن اسرائيل تملك قاذفات مقاتلة أمريكية تصل الى أعماق مصر ٠٠ لابد أن تحصل مصر على ما يقابلها ٠٠ ولا يمكن أن أسير دائما متأخرا عن اسرائيل ٠٠ والوقت يمضي ٠٠ والخطر يتفاقم ٠ وأمامي مسئولية تاريخية ٠

وطلب أنور السادات ·· طائرة حاملة صواريخ (١) ·

وقالوا أنها من الاسرار العسكرية · واذا عرف الامريكان ·· فانهم سيصعدون الموقف ·

وقال السادات ان اسرائيل تملك السكاى هوك والفانتوم ·· ومصر لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ ·

وافق السوفيت على اعطاء طائرات حاملات صواريخ · بطيارين سوفيت · ولكن بشرط أن استخدامها فى القتال · يكون بالاتفاق مع الحكومة السوفيتية ·

قال السادات : لا ·· القرار قرار مصر · دربوا أولادى عليها · وعندنا طيارون مدربون على نفس النوع من الطائرات من غير صواريخ ·

قالوا : التدريب يحتاج الى أربع سنوات ··

قال السادات : لا ·· التدريب يحتاج الى أربعة أشهر ··

أصروا ··

قال السادات : لا أريدها · ان أمريكا لم تشترط على اسرائيل ، عندما أعطتها الفانتوم ، هذه الشروط ·· بل ان أمريكا أنذرتنا أنها لن تستطيع منع اسرائيل من الضرب فى العمق ··

وانتهت هذه المباحثات بصفقة أسلحة ··

فى آخر أبريل ١٩٧١ : وصلت بطاريات حماية قناطر الصعيد · موقف السوفيتى لا يزال هو الشك فى أن أنور السادات سيكمل معهم المشوار ·

المنشقون من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا · يبلغون السفير السوفيتى أن أنور السادات فى أحسن الحالات ·· سيضرب السوفيت بعد انتهاء المعركة · وهذا ضاعف من شكوك السوفيت ·· وهم بطبيعتهم شكاكون ·

فى أول مايو زيارة روجرز : ثم جاءت أزمة دولة الاتحاد ·· وضح تكتل المجموعة المنشقة ·· قرر السادات تصفية الصراع داخل القيادة تحت شعار ·· «حرية رأى ·· نعم ·· صراع ·· لا » ·· اقالة على صبرى زادت من تضاعف الشكوك لدى السوفيت ·

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق التالى : ان موقفكم مجبر لى · ألجأ اليكم عسكريا ·· تطالبوننى بالسعى لحل سلمى · واذا

---

(١) سافر عبد الناصر الى موسكو بعد ضرب مصنع ابو زعبل · واتفق مع السوفيت على تزويد مصر بصواريخ سام ٣ · وان يزودنا الروس باطقم سوفيتية الى ان يتم تدريب الاطقم المصرية ، وان يرسلوا الصواريخ بمجرد بناء القواعد · كما اتفقوا على ارسال طائرات تصل الى عمق اسرائيل · وارسلوا الصواريخ ولكنهم لم يرسلوا الطائرات · وموضوع الطائرات هو الذى اثاره انور السادات مع السوفيت فى اول رحلة له الى موسكو بعد توليه رياسة الجمهورية · فاشترطوا موافقة الحكومة السوفيتية عند استخدام هذه الطائرات اذا ارسلوها ، ورفض السادات ·

سعيت الى حل سلمى .. تتشككون . فلا سلاح عندى يحسم .. ولا حل سلمى .. اذن ماذا تريدون ؟.. لماذا لا نناقش كل خلاف بوضوح كامل .؟

وفى أواخر مايو .. فوجىء الرئيس أنور السادات ، بطلب من الرئيس بودجورنى أن يحضر الى القاهرة . رحب السادات بحضوره .. واجتمع به فى مكتبه بقصر القبة .

وطلب بودجورنى عقد معاهدة بين مصر والاتحاد السوفيتى . وألح فى هذا الطلب ، على أن تسير العلاقات بين البلدين على أساس واضح سليم .

وقال السادات: انه يريد تفسيرا لهذا الطلب المفاجىء .. لأن عبدالناصر الح على السوفيت فى عقد هذه المعاهدة منذ عامين .. ورفض السوفيت . وجدد الطلب بعد ذلك ورفض السوفيت . والآن تطلبون المعاهدة .. لماذا لا نؤجلها حتى تنتهى الانتخابات وينعقد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو .. وتحضر أنت .. وتعلن المعاهدة فى المؤتمر .. وتلقى أنت كلمة فى المؤتمر» .

ولم يقتنع بودجورنى .. وقال للسادات ان هذا قرار المكتب السياسى واللجنة المركزية .. وألح كثيرا فى أن يتم عقد المعاهدة .

ثم فاجأ السادات بودجورنى ، باستدعائه محمود رياض وزير الخارجية الى مكتبه فى حضوره .. وطلب اليه اعداد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى .. فورا .. لكى توقع الليلة ..

وانتعش بودجورنى فجأة .. وتهلل وجهه بالسعادة . كان فى تقديره أن الرئيس السادات لن يوافق . وكان محرجا لأن مهمته فى مصر كانت تنفيذا لقرار سياسى .

وهنا قال له السادات أن المشكلة فى العلاقات بين البلدين هى الثقة . وهو يرجو ألا تكون هناك شكوك فى العلاقات . وبهذا يمكن أن تسير فى الطريق السليم . وهو قد قبل وجود المعاهدة .. لدعم هذه الثقة ..

وأثار السادات موضوع قاذفات القنابل ، الذى سبق أن رفضه الزعماء السوفيت فى مباحثات مارس ..

وكانت اجابة الرئيس بودجورنى وهو يحرك أصابعه .

ـ عد على أصابعك أربعة أيام . وفى اليوم الخامس ستصل الطائرات وسيتدرب عليها الطيارون المصريون .. وبكل شروطك .

ومرت ٨ أشهر .. ولم يرسل السوفيت شيئا ..

وفى يوليو .. قام الانقلاب الشيوعى فى السودان . ورفض الرئيس أنور السادات طلبا من الاتحاد السوفيتى بالاعتراف بالنظام الجديد . وناقش السفير السوفيتى ، بأن المنطقة العربية لايمكن أن تقبل نظام حكم ماركسى . وقال له السادات أنه سيساعد نميرى على الخروج من هذه الازمة . ولم تتقبل موسكو هذا المنطق . والمعروف أنه عندما قام

الانقلاب الثوري الذي تزعمه نميري ·· كانت موسكو مترددة في الاعتراف به ·· وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين أنور السادات والسفير السوفيتي ·· أقنعه فيه بأن يسرع الاتحاد السوفيتي بالاعتراف ، لانه نظام ثوري يقوم على مبادىء ٢٣ يوليو ··

توترت العلاقات بين مصر وموسكو بسبب موقف عدم الاعتراف بالانقلاب الشيوعي الذي انتهى الى الفشل · وتطور التوتر الى شبه قطيعة · وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم في السودان ·

في ١١ اكتوبر : سافر الرئيس أنور السادات الى الاتحاد السوفيتي بناء على طلبه ·· ذابت الثلوج بعد مناقشات حادة ، عن خطأ السلوك السوفيتي في معالجة الموقف مع السودان ··

ثم جرى الحديث عن بودجورني بارسال قاذفات القنابل بعد ٤ أيام ·· وها قد مضت ٦ أشهر ·· ((ونحن متفقون أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم)) ·· كانت مناقشة عنيفة ·· أثبتت في محضر المحادثات ·

تدخل جريتشكو في المناقشة ·

قال له السادات : يؤسفني أن أسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتي · ولو كنت قائدا للجيش المصرى ·· وضربت المصانع المصرية ·· لما كنت تقول هذا الكلام ··

وتدخل كوسيجين في المناقشة ··

ثم هدأ الجو ··

وأخيرا قال بريجنيف : اسمع يا سيدي (وقرأ من بيان) ·· سيكون عندكم هذه الاسلحة وقيمتها ٥٠٠ مليون روبل (دولار) ·

قال السادات : نحن الآن في اكتوبر ·· ضيعتم الوقت ·· كان من الممكن أن يتم كل هذا من قبل في مارس ··

قالوا : فهمنا ·· وهذه ((اللستة)) ستصلك قبل نهاية ١٩٧١ ·

وأكد أنور السادات في هذه المباحثات ·· كما كان يؤكد في كل اتصالات مع الاتحاد السوفيتي على ثلاث نقاط أساسية :

١ ـ قرار الحرب ·· هو قرار مصرى ·

٢ ـ أن مصر لا تريد جنديا سوفيتيا يحارب من أجلها ·

٣ ـ مصر لا تسعى الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ·

ومضى شهر اكتوبر ، ولم يتم التعاقد ··

ووقع الرئيس أنور السادات تفويضا للبعثة المسافرة لشراء السلاح ·

وأرسل وزير الحربية الى موسكو اخطارا بأن البعثة جاهزة للسفر ·

وجاء شهر ديسمبر ··

لم يجيء أى رد ··

في ٩ ديسمبر بدأت حرب الهند وباكستان ·· ورصدت مصر الامدادات السوفيتية للهند · وفي ١٢ ديسمبر استدعى الرئيس أنور السادات السفير السوفيتي في القاهرة ·· وطلب منه توضيحا لهذا الموقف ·· لماذا لم تصل الاسلحة ؟ ··

وطلب الرئيس أن يسافر الى موسكو للاجتماع بالزعماء السوفيت ·· لتوضيح الموقف ··

جاء الرد في ٢٧ ديسمبر أن الزعماء السوفيت مشغولون ·· وهذا كشف مقابلاتهم مع ضيوف أجانب ·

وفي ٣١ يناير أبلغ الرئيس أنور السادات ، أنهم سيقابلونه في ٤ فبراير ·

وكان أنور السادات في قمة الحرج ··

كان قد أعلن أكثر من مرة أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون العام الحاسم ان سلما أو حربا ··

واقتنع الزعماء السوفيت بذلك ·· ولكنهم عدلوا عن اقتناعهم ···

وكانت أمريكا تناور ·· بأكاذيب أن نيكسون سيتدخل ويحسم الموقف قبل نهاية ١٩٧١ ·

وها هو ذا يرى نفسه ·· فريسة للقوتين ··

القوة التي تعطي السلاح ··

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمي ··

ولكنه استطاع السيطرة أخيرا على أعصابه الغاضبة · وكان يذهب الى ميت أبو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهني ··

ولكن رأيه استقر أخيرا على أن يتحمل ·· لان موقع المسئولية عليه تبعات · واستطاع أن يقنع نفسه ، بأن السوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون في مايو ١٩٧٢ · وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع أمريكا الى تصعيد الموقف ·· ومن ثم يمكن أن يضع عقبة أمام الاجتماع الذي ينتظرونه ، ويريدون له النجاح في اقرار سياسة الوفاق ·

وسافر أنور السادات الى موسكو في ٤ فبراير ··

وسأل بريجنيف في المباحثات سؤالا مباشرا ··

ـ من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الاسلحة ··

وأجاب بريجنيف : أنا ·

فرد السادات : أنت تريد أن تحرجني بهذه الاجابة · حتى لا أناقشك ·

ودارت أحاديث من بريجنيف عن اعداد الجبهة الداخلية للقتال وملاهي شارع الهرم · وأشياء أخرى كثيرة أخذوا منها الدليل ، على أن الموقف المصري غير مهيأ للحرب ·

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات .. أن كل هذه الاجراءات الداخلية ، يمكن أن تتم في أقصر وقت .. ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر . ويستحيل أن يحدد ساعة الصفر .. الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعـــداد العســـكرى . وانتهت المباحثات الى تفاهم ..

ووعد كوسيجين بأنه لن يكون هناك تأخير في وصول الاسلحة ، وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية أن وصول الاسلحة سيكون تحت اشرافه الشخصى ..

وفى ذلك الوقت .. أدرك الرأى العام فى مصر ، أن هناك أزمات بين مصر والسوفييت حول الاسلحة . وكانت أخبار امدادات أمريكا العسكرية لاسرائيل ، تتصـــدر الصـــفحات الاولى فى جميع صـــحف العالم .. وكثر اللغط بين أبناء الشعب . وبدأت حملة على الموقف السوفيتى على ألسنة الناس .. وفى كل مكان ..

وضج الاتحاد السوفيتى بالشكوى ..

وتصرف أنور السادات الســـياسى .. ودافع عن الموقف السوفيتى فى مجلس الامة .. وفى تصريحاته .. ولكنه لم يدافع كذبا . لقـد ذكر ما قدمه الاتحاد السوفيتى لمصر . ولكن لم يذكر الذى لم يقدموه .

وهـــذا يؤكد حرص السادات ، على الاحتفاظ باســـتمرار علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى .. فى ظل المصالح المشتركة ..

وفى أبريل .. طلب الزعماء السوفيت الالتقاء بأنور السادات .

وكان السادات حريصا على توضيح وجهة النظر المصرية ، فى اجتماع نيكسون مع الزعماء السوفيت فى مايو .. فى ظل سياسة التقارب بين المعسكرين . وكانت الخشية .. ألا تعتبر مشكلة الشرق الاوسط ، مشكلة حالة مشتعلة .. بعد أن استمر وقف النار هذه الفترة الطويلة .. وأن يترك الامر فيها لمستقبل المساعى السلمية .. التى أيقنت مصر أنها سائرة الى الفشل ، بسبب التعنت الامريكى الكامل ..

وفى لقاء ابريل حدد الرئيس أنور السادات موقف مصر .

حذر من أن يتفق الروس والأمريكان ، على تحديد ارسال السلاح الى دول النزاع فى الشرق الأوسط . كانت أمريكا نشطة فى هذا الطلب من الاتحاد السوفيتى .. واذا حدث .. فهذا يعنى أننا لن نستكمل قوتنا المســلحة القادرة على الحرب ، فى الوقت الذى أصبحت فيه اسرائيل ترسانة عسكرية حديثة .. وهذا يعنى اجبارنا على الركوع والاستسلام .. وحذر الرئيس السادات من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب . وأوضـــح أنها تسىء الى موقف الاتحاد السوفيتى وسمعته بين البلاد العربية . لانها تعنى مساعدة

اسرائيل على اقرار الامر الواقع . ثم موت القضية .. وأكد الرئيس موقف مصر المبدئى من تطبيق قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وهو أنه لا مناقشة فى الحدود على الاطلاق . ولا تفريط فى شبر من الأرض . مع استعدادنا لتقبل الضمانات الدولية العادلة .

وتفهم الزعماء السوفيت وجهة نظر مصر تماما ..

وأرادوا أن يقوموا بعملية سياسية لتصعيد الموقف شكليا ، أمام أمريكا، قبل رحلة نيكسون ..

تقرر أن يحضر الماريشال جريتشكو الى مصر ومعه ميج ٢٣ .. وطيرها فى سماء مصر .. وأعلن بيانا معدا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، أثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين .. مما يوحى ـ كذبا ـ بأن الطيارين المصريين يستخدمون الميج ٢٣ المتوافر فى القوات المسلحة المصرية ..

كان هذا هو الهدف السياسى ..

ووافق أنور السادات على اعلان بيان جريتشكو .. كورقة سياسية وان كان رأيه أنها ورقة خائبة .. لأنها تصعيد شكلى .. بينما تصعيد أمريكا يتخذ الاسلوب العملى وهو مد اسرائيل فعلا بالمقاتلات والاسلحة الحديثة .. واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو .. مادام لا يعبر عن واقع . ولكن أنور السادات أقنعهم بأنه لا خسارة من هذا البيان .

وطلب الرئيس من وزير الحربية اعطاء نياشين لجريتشكو وكل ضباط البعثة العسكرية التى حضرت معه حتى أصغر ضابط ..

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم بريجنيف خلاصتها :

* مصر تخشى ألا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن أية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الاوسط .
* موقف أمريكا عام ١٩٧٢ سيىء .. وسيزداد سوءا .
* الوقت بعد اجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا .. ولابد من عمل شيء قبل انتخابات الرياسة فى أمريكا .
* مصر تؤيد موقف السوفيت نحو اعادة انتخاب نيكسون . فهو أخف الأضرار بالنسبة لنا .. لأنه من الافضل التفاهم معه بعد اعادة انتخابه .. بدلا من أن نبدأ من نقطة الصفر مع رئيس أمريكى جديد

لا شيء يعزز موقفنا فى الاتصالات السياسية لتحريك القضية .. الا الارتكاز على موقف عسكرى قوى .. وتسليح قادر على الحرب .. وقد أقر الزعيم بريجنيف من قبل هذا التصور .

وقال السادات لجريتشكو : أنه ينتظر تحليلا من الزعماء السوفيت بعد

زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة .. وأنه يحس بخطورة مرور الوقت ..
بعد ١٥ مايو وصل التحليل السوفيتي .

كان تحليلا نظريا فى كل صفاته .. ولم يضع النقط على الحروف بأسلوب عملى .. وخلاصته أن الاستعماريين الامبرياليين الامريكيين .. لا يزالون عند موقفهم .

ورد الرئيس أنور السادات على الزعيم بريجنيف .. برسالة حدد فيها خطة عمل تعبر عن رأى مصر فى ٧ نقاط محددة ..

وطلب الرئيس ردا سريعا لأن الوقت يجرى ..

ومرت ٣ أسابيع ولم يرد الزعماء السوفيت ..

استدعى الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء السفير السوفيتى .. وكان حديثه معه بلغة تفتقر الى الليونة .. وعبر عن أن مصر ترى فى هذا الصمت اهانة غير مقبولة .. واستدعى الدكتور مراد غالب وزير الخارجية السفير السوفيتى أيضا .. وأبلغه احتجاجا على التأخر فى الرد على رسالة الرئيس .

وجاء الرد مع ذلك فى ٨ يوليو .. أى بعد شهر ونصف من رسالة السادات وطلب السفير السوفيتى يوم الخميس أن يقابل الرئيس .

وأجل الرئيس موعد اللقاء الى يوم السبت .

وكان الرئيس متوقعا أن الرد لن يقدم جديدا .. فقد كان واضحا من بيان موسكو أن القوتين اتفقتا على تجميد الموقف .. واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم .. وهذا يعنى دفع مصر الى الاستسلام .

وحضر السفير السوفيتى الى قصر الطاهرة ..

وحضر اللقاء أيضا حافظ اسماعيل مستشار الرئيس .

واستمع الرئيس الى الرد السوفيتى باللغة العربية . صفحتان ونصف صفحة . وكان الرئيس يستمع وعصاه الرفيعة (التى يعتز بها منذ حرب فلسطين) تحت ابطه .. كانت الصفحة الاولى .. شرحا للجهود الشديدة التى بذلها الزعماء السوفيت لاقناع نيكسون بأن يتضمن بيان موسكو اشارة الى قرار مجلس الامن ومهمة يارنج . وأن الحكومة الامريكية ستكون بعد انتخابات الرياسة فى وضع تقدر فيه مصالحها ..

ولم يكن هذا بالشىء الجديد .. لان اشارة أمريكا الى قرار مجلس الامن لا تعنى شيئا . وسبق أن ملأ جولد برج (الصهيونى) ممثل أمريكا فى الامم المتحدة . الدنيا صياحا ، بأن أمريكا ستقف وراء تنفيذ القرار .. ولم يحدث شىء طبعا ..

كما أن مصر تلقت من واشنطن فى تلك الايام بالذات .. رسالة تعرض فيها حلا جزئيا جديدا (كان مرفوضا من السادات) وتؤكد نواياها فى متابعة الجهود السلمية رغم الانتخابات .

ثم تابعت الصفحة الثانية من الرسالة ·· تفنيدا لما يقال من أن الاتحاد السوفيتي يرى من مصلحته بقاء حالة اللاحرب واللاسلم ·· وأن من ينشرون هذه الدعوة هم أعداء الاتحاد السوفيتي ··

ثم سطور على أن المعركة تحتاج الى اعداد شعبي ونفسي ·· والى تهيئة الروح المعنوية للحرب واعداد الدولة لها ··

وكان السطر الأخير من الرسالة يقول « أما عن مطالبكم فهي موضع دراسة » ·· وسيطر أنور السادات على أعصابه في صبر حتى انتهى من سماع الرسالة ··

وأسند يده على عصاه ونظر الى السفير السوفيتي في غضب وسأل :

ـ هل انتهت الرسالة ··؟

السفير : نعم ··

السادات : هل هذه هي كل الرسالة ؟··

السفير : نعم ··

السادات : هذه الرسالة مرفوضة شكلا وموضوعا · وأنا لا أقبل أن يجيء لي رد بعد شهر ونصف ·· وكفى أنني تحملت هذا الاسلوب عاما ونصف عام ··

لم ينفذ برجنيف وعده لي في مارس ١٩٧١ ·

لم ينفذ برجنيف وعده لي في مايو ١٩٧١ ·

لم ينفذ برجنيف وعده في أكتوبر ١٩٧١ ·

وغضبت جماهير الشعب المصري · وتحملت · واتهمتكم الجماهير ودافعت عن مواقفكم لأنني حريص على استمرار الصداقة والتعاون·· ولكنني أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت أنني لن أتحرك على مزاج الاتحاد السوفيتي · أنتم غير جادين معنا لقد اتفقتم مع الامريكان على تجميد الموقف وعدم قيام المعركة · ولكنني لن أقبل وصاية منكم ولا من أمريكا ··

ثم وجه كلمة الى مستشاره حافظ اسماعيل ··

ـ النهارده كام في الشهر ··

حافظ : ٨ يوليو ··

الرئيس : أكتب يا حافظ كلمة سأمليها عليك ·· ابتداء من هذه الليلة كل طرق التعامل مع الاتحاد السوفيتي موقوفة · تنهى خدمات الخبراء السوفيت · المباني العسكرية تعتبر ملكا لمصر · الاسلحة الموجودة بها اما أن تباع لنا صباح ١٧ يوليو أو تسحب ابتداء من ١٧ يوليو ·

وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية ·· لابد أن تجرى مباحثات بين البلدين على أعلى مستوى ·· وفي القاهرة ·

السفير : اسمح لى أن أسأل ياسيادة الرئيس .. هل أرسل هذه القرارات الى موسكو .. على أنها للتفاوض بشأنها ..
الرئيس : لا .. هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة .
ثم قال الرئيس لمستشاره : يا حافظ .. هذه القرارات تبلغ فورا الى وزير الحربية صباح ١٧ يوليو ..
وأنهى الرئيس المقابلة ..

★★★

والحق أن الرئيس أنور السادات لم يتخذ هذه القرارات على أساس **انفعالى** .. لقد ظل يفكر طويلا .. وكان يستمر مستيقظا حتى الرابعة صباحا ، فى شرفة استراحة القناطر .. ثم يستريح قليلا .. ويستيقظ .

ان وجود قوات سوفيتية فى مصر .. سيكون عائقا فعلا عن المعركة .. فليس من المعقول أن نقاتل وعلى أرضنا قوات أجنبية .

ان كل دعاية اسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب جيشا سوفيتيا فى مصر .. ولذلك فهى تسرف فى طلب الاسلحة المتقدمة من أمريكا وتحصل عليها ..

ان قاعدة الانطلاق فى فكر أنور السادات .. نحو هذا القرار .. هى قاعدة السيادة الوطنية .. فنحن متهمون بأننا فى حماية قوات سوفيتية . وفى الوقت نفسه ، فان كل جهود السوفيت قائمة على اقناعنا بالصبر .. وعدم المخاطرة بالحرب .. وانتظار نجاح المساعى من أجل تسوية سلمية .
وكان القرار مفاجأة عالمية كبرى ..

واستغلته صحف الغرب الموالية للصهيونية .. بأن هذا يعنى تماما أن أنور السادات فقد حليفه الوحيد .. وأنه لن يكون قادرا على الحرب . وتوقعت مقالات عديد من كتابهم انهيار حكم السادات من الداخل ، وبعد أن كانت اسرائيل تصرخ ، بأنها سوف تحارب جيشا سوفيتيا فى مصر .. أصبحت تقول .. ان هذا يعنى ان مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما . وانطلقت فى سياسة العربدة ..

ورحب الشعب المصرى بالقرار ترحيبا .. ارتفع الى مستوى ترحيبه بقرار تأميم قناة السويس .
وتصور البعض أن هذا القرار تم بالاتفاق مع أمريكا ..
وهذا غير صحيح ..

بل أن كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ذكر فى أحد لقاءاته مع العرب أنه يتعجب من شخصية أنور السادات الذى لم يساومه على قرار اخراج الخبراء السوفيت قبل أن يتخذه ..

وكان اليسار المتطرف المحلى والعربى مقتنعا بأن هذه الخطوة تمت بالاتفاق مع أمريكا ٠٠ وتضاعف التهجم على أنور السادات ٠

ثم بدأ نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية ، اتخذ أسلوبا ذكيا ، لا يكشف عن خلفياته ٠٠ النقد يقول ٠٠ كان يجب على السادات قبل أن يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذى سيجنيه من أمريكا ٠٠ كانت هذه العناصر اليسارية تردد وجهة نظر كيسنجر !

★★★

وأذكر أن قائد الجيش فى احدى الدول الاشتراكية ٠٠ التقى بمسئول مصرى فى عاصمة بلده بعد اعلان هذا القرار ٠٠ وأدى هذا القائد التحية العسكرية وقال للمسئول المصرى ٠٠ أرجوك أن تبلغ الرئيس السادات أننى أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطنى الشجاع ٠

وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقى بهم ٠٠ وكانوا طبعا يعبرون عن الرأى الرسمى ٠٠ يتبلور فى عدة أسئلة يوجهونها

أيهما أفضل للدفاع عن مصر ٠٠ ضد أى عدوان اسرائيلى محتمل ٠٠ أن تكون على أرضكم قوات سوفيتية ٠٠ أو بدونها ؟٠٠

أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا ٠٠ أن تفيدوا من خبرة الخبراء ٠٠ أو تفقدوها ؟٠٠

انكم تتحدثون عن الحرب ٠٠ ولكنكم لا تريدون الحرب ٠٠ وأنتم تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الاسلحة من السوفيت ٠ ان مالديكم يكفى للقتال اذا كنتم تريدون فعلا القتال ٠٠ ولكن الحقيقة أنكم لا تريدون ٠

اذا كنتم تريدون القتال حقا ٠٠ فيجب أولا أن تتحقق وحدة عربية ٠٠ ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب ٠٠ ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخلية ٠٠ نقل الآثار ٠٠ تجهيز المستشفيات ٠٠ اعداد الدم ٠٠ التدريب على الدفاع المدنى ٠٠ أن تعيش أجهزة أعلامكم جو الاعداد للقتال ٠٠ ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا ٠٠ وتكتفون بالحديث عن الحرب ٠٠

وكان السوفيت ـ من قبل ـ كما ذكرت ـ يعترضون على أن يكون عام ١٩٧٢ هو عام الحسم ، وأذكر أن السفير السوفيتى دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء قبل سفر الرئيس الى موسكو ٠٠ فى رحلته الاخيرة ٠ وجاءنى من يقول أن السفير السوفيتى يرغب فى أن تجلس الى مائدته ٠ وقيل مثل ذلك ليوسف السباعى واحسان عبد القدوس ٠٠ وأحسست بعد المناقشة أن السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت واستشهد فى ذلك بمثل سوفيتى يقول ما معناه ٠٠ عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف

كيف أخرج منها . فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها وتحدد نهاية عام ٧٢ بأنها النقطة الفاصلة ..

وأذكر أننى رددت ضاحكا : مادام فى الحجرة نافذة .. نستطيع أن تخرج منها بدلا من الباب ..

واستمر السوفيت على موقفهم .. وهو علينا أن نتجنب الحرب، ونستمر فى المساعى السلمية حتى بعد أن تحسنت العلاقات .. وسارت فى مجراها الطبيعى ..

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القاهرة .. للاتصال بالتنظيم السياسى ورجال الاعلام ..

وزارنى وفد برياسة اكسندروف نائب وزير الكهرباء . وكل الوفد من رجال الصحافة وأعضاء فى اللجنة المركزية ..

وكان محور النقاش الذى استمر فى مكتبى أكثر من ساعتين بحضور الاستاذ خالد محيى الدين .. أنه من صالحنا أن نترك تماما فكرة الحرب . وأن نكرس كل جهودنا من أجل السلام .. وأخذ يعطينا احصاءات وصورا عن ويلات الحرب وخطورتها ..

وأخيرا .. ضجر الرجل من نقاشنا .. ومن اصرارنا على أن الحرب هى الحل الوحيد .. فقال غاضبا :

ــ أنتم أحرار .. أننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا .. اذا كنتم قادرين على الحرب .. حاربوا .. وسوف تتحملون أنتم التبعات وهذا قراركم ولسنا مسئولين .. ولكنا نحذركم كأصدقاء ..

★★★

أعود الى قرار الرئيس بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت

لقد نفذ القرار فى عشرة أيام . وخرج ١٠ آلاف سوفيتى أو أكثر . وأقامت الوحدات العسكرية المصرية اجتماعات تكريمية لهم قبل رحيلهم .

ولم يعترض السوفيت . ولم يتكاسلوا فى تنفيذ القرار . والحق أن الاتحاد السوفيتى أثبت بتنفيذه للقرار أنه ليس الدولة التى وضعت جنودها فى أرض أخرى ، لأى هدف غير الهدف الذى من أجله طلب أصحاب الأرض وجودهم فيها ..

ولكنهم فى الوقت نفسه .. غضبوا من مفاجأتهم بالقرار ، وكان الرئيس قد أوفد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى الاتحاد السوفيتى، وعرض أن يصدر بيان مشترك بخروج الخبراء وشكرهم على ما أدوه من خدمات .. ولكن السوفيت رفضوا البيان . وفضلوا أن يكون ذلك بقرار من جانب واحد هو جانب مصر .. وتعبيرا عن ألمهم من المفاجأة .

وعاد الدكتور عزيز صدقي من موسكو وقال رئيس الوزراء لرؤساء تحرير الصحف أن السوفيت لم يناقشوا مطلقا في موضوع القرارات ولكن في أسلوب اصدارها ٠ وقد أبلغوا رئيس الوزراء أنهم مستمرون في تنفيذ تعهداتهم ٠٠

وقد قدر السوفيت خطورة آثار القرار على وضعهم في الشرق الاوسط ٠٠ وتم الاتفاق على أن تحصر نتائج هذه العملية في اطارها ٠٠ أما العلاقات الأخرى فهي مستمرة ٠٠

وقال عزيز صدقي : وكان شعور السوفيت في نهاية الزيارة شعورا طيبا ٠ ولكنني لا أعرف ما في القلوب ٠٠

واستمر الموقف راكدا ٠٠

وتطوعت آراء كثيرة بالقول أن مصر خسرت بهذا القرار ، وأنها أصبحت الآن وحدها معلقة في الهواء ٠٠

ولكن الواقع أن السوفيت ٠٠ لم يكونوا يريدون أن يستمر وضع القطيعة ٠٠ وكذلك القاهرة ٠٠ وفك حلقة الجمود ٠ الرئيس حافظ الاسد عندما سافر الى موسكو في رحلة للتعاقد على أسلحة ٠٠ وفتح موضوع العلاقات المصرية مع الزعماء السوفيت ٠٠ **وجد استجابة لبداية مباحثات جديدة مع مصر ٠٠ وحضر حافظ الاسد الى القاهرة وهو في طريق عودته الى دمشق ٠٠ وتم الاتفاق مع الرئيس السادات ٠٠ على أن يسافر الدكتور عزيز صدقي في رحلة مباحثات الى موسكو ٠٠**

وقبل أن يسافر عزيز صدقي الى موسكو في ١٦ أكتوبر ١٩٧٢ ٠٠ كانت قد نشأت تطورات زادت من سوء العلاقات ٠

لقد نما الى علم القاهرة ، أن الاتحاد السوفيتي أعطى تعليمات الى سفرائه في الخارج ـ في أغسطس ١٩٧٢ ـ لكي ينشروا في الاوساط الدبلوماسية أن مصر طلبت قوات سوفيتية لكي تحارب لها ، وأن موسكو رفضت هذا الطلب ٠٠ وهذا هو سبب قرار اخراج الخبراء السوفيت ٠

ثم نشرت تحليلات في بعض الصحف الشيوعية تدور حول اتجاه مصر الى الغرب ٠٠ وأن قرار الخبراء السوفيت سببه أن مصر لاتريد أن تحارب، ولكنها تحاول أن تلقى الاسباب فوق أكتاف الاتحاد السوفيتي ٠٠ وعلمت القاهرة أيضا أن مثل هذه الاقوال بدأت تتسلل الى الداخل ٠٠ والى بعض مواقع الطلبة والعمال ٠٠

ولكن مصر الرسمية قررت أن تحتفظ بتوازنها ٠٠ وألا تفتح معركة أعلامية أو سياسية مع الاتحاد السوفيتي ٠٠ وأكتفي في ذلك بمقالات موضوعية تناقش موضوع العلاقات دون مهاترات ٠ وكان الخط السياسي أن تحتفظ مصر بالخلاف في داخل حدوده دون تجاوز ذلك ٠

وأصدرت اللجنة المركزية بيانا سياسيا ، وزع على مختلف قواعد التنظيم لايضاح الموقف .
وخلاصته .. أننا نحرص على الصداقة الحقيقية .. كما نحرص على المصالح المشتركة للبلدين .. ونحذر من استغلال العدو للموقف . كما أن مصر تريد علاقات صريحة واضحة مع الاتحاد السوفيتي في اطارها الصحيح ، توضح حدود الدعم العسكرى السوفيتي بلا غموض . كماناقش البيان سياسة الوفاق ..

وعاد الدكتور عزيز صدقي من رحلته الثانية الى الاتحاد السوفيتي (١) .

وأعلن في بيان ألقاه في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي أنه بصدد الاتفاق على اطار طبيعي جديد للعلاقات بين البلدين .

وانتشرت اشاعات بين الجماهير .. بأن الخبراء السوفيت سيعودون الى مصر .. وأن أنور السادات تراجع عن سياسته .. ومرت فترة بلبلة داخلية ، ساعدت عليها الحرب النفسية .

وقد حدد الاتحاد الاشتراكي العربي طبيعة المرحلة الجديدة في العلاقات مع الاتحاد السوفيتي .. وأصدر بيانا تنظيميا وقال البيان :

ـ في آخر أغسطس الماضي أصدرت الأمانة العامة بيانا تنظيميا عن العلاقات المصرية السوفيتية ، في ظل قرارات ٨ يوليو التي أصدرتها القيادة السياسية ، والخاصة بانهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت في مصر ، وتحديد الموقف بالنسبة لبعض الممتلكات والاسلحة السوفيتية الموجودة على أرض مصر .. ثم القرار الثالث الخاص باقتراح عقد اجتماع مشترك بين الجانبين المصرى والسوفيتي لاجراء مشاورات تتعلق بالمرحلة الجديدة .

وقد حدد البيان الأوجه الايجابية في الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتي . كما حدد أوجه الاختلافات الهامة في الاستراتيجية والمبادىء بين الصديقين . ثم خلص الى النتائج الموضوعية لأوجه الاختلاف ، ومنها أن الاتحاد السوفيتي لا يرى أن التحرك لحسم قضية الاحتلال عن طريق المعركة أمر حتمي وواجب ، مما ترتب عنه صعوبات عديدة في تزويدنا بما نحتاج اليه من أسلحة هجومية ، ومنها أن التقارب السوفيتي الامريكى ، دخل مرحلة جديدة واستمر التصعيد الامريكي في الدعم العسكرى لاسرائيل .. وخلص البيان الى أن حرصنا على الصداقة المصرية السوفيتية حماية للمصالح

---

(١) قالت صحيفة البرافدا لسان الحزب الشيوعي السوفيتي الرسمية في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٢ :

« ان نتائج زيارة عزيز صدقي بددت كل الافتراءات التي رددتها الدوائر الرجعية حول العلاقات المصرية السوفيتية بهدف وضع اسفين بين البلاد العربية والاتحاد السوفيتي » .

المشتركة للشعبين ، ويدعو الى أسلوب جديد تقوم فيه الصداقة على أساس موضوعي صريح واضح ، يحدد فيه الصديقان طبيعة المصالح المشتركة وحجمها ٠

ومن هذا المنطلق ، بعث الرئيس أنور السادات ، برسالة الى الرفيق برجنيف في ٣١ أغسطس ردا على رسالة الرفيق برجنيف التى تلقاها الرئيس فى ٣١ يوليو التى عرض فيها رؤية الجانب السوفيتي للموقف بعد قرارات ٨ يوليو ٠

وتضمنت رسالة الرئيس أنور السادات ما يلي :

١ ــ مصارحة كاملة للقادة السوفيت بكل أسباب الأزمة ٠

٢ ــ تأكيد واثق ، بأن المعركة ــ والمعركة وحدها ــ هي محركنا الاول في علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتي ٠

٣ ــ شرح واف ، للتصاعد الخطير في حجم ونوع الاسلحة الامريكية لاسرائيل ، مما يقتضي تزويد القوات المسلحة المصرية بالاسلحة الهجومية الرادعة ٠٠ كما سبق أن سجل الرئيس أنور السادات فى مباحثاته السابقة مع الزعماء السوفيت ٠

٤ ــ تنبيه واضح للجانب السوفيتي الى أهمية الاتفاق على أسلوب جديد للعمل ، يضمن مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الامريكية فى المنطقة ، التى تستهدف تصفية القضية العربية نهائيا ، وفرض شروط اسرائيل للاستسلام فى حماية قوة ردع عسكرية تضمن أمريكا تفوقها وتصاعد حجمها ، وكفاءتها بغير حدود ٠٠

وفي ٢٧ سبتمبر سافر الرئيس السورى حافظ الاسد الى الاتحاد السوفيتي ليبحث مع القادة السوفيت موضوع تسليح القوات المسلحة السورية ، والموقف العسكرى المترتب على العدوان الاخير ٠٠ وخلال تلك المباحثات تعرض الجانبان للعلاقات العربية السوفيتية ، والعلاقات المصرية السوفيتية بوجه خاص ٠ والرسائل المتبادلة بين الرئيس السادات والرفيق برجنيف ٠ والرئيس السورى ، كان على بينة كاملة بكل التفاصيل المتصلة بموقف مصر ٠ وعاد الرئيس الاسد من موسكو الى القاهرة فى ١٩ سبتمبر ، وعرض على الرئيس السادات ، كل جوانب مادار فى مباحثاته مع القادة السوفيت ، وخاصة بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية ٠ ومن هنا رأى الرئيس السادات ، أن الظروف الموضوعية تقتضي أعمال القرار الثالث من قرارات ٨ يوليو ، فى ضوء الصورة التى جاء بها الرئيس حافظ الاسد من موسكو ٠ ومن ثم قرر ايفاد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى موسكو فى ٦ أكتوبر لاجراء مباحثات مع الجانب السوفيتي فى اطار النقاط المحددة

الواضحة التي تضمنتها رسالة الرئيس أنور السادات الى الرفيق برجنيف(١) ·
وبذلك سوف تعالج المحادثات :

١ ـ الآثار المترتبة على الدعم العسكرى الامريكى المطلق لاسرائيل ، الذى يمكنها من العدوان بغير رادع على الشعب المصرى فى كل مواقع مجاورة لاسرائيل ·

٢ ـ مدى التزام الاتحاد السوفيتى الصديق ، بالنسبة للتسليح الذى يضعنا على قدم المساواة في القدرة العسكرية مع العدو ، بعد أن استبان بجلاء ، الموقف الامريكى فى الدعم المطلق للعدو ·

٣ ـ مدى قابلية الاتحاد السوفيتى للتحرك السياسى والعسكرى الايجابى ، أمام التحرك الامريكى السريع سياسيا وعسكريا فى مواجهة أى حادث طارئ فى منطقة الشرق الاوسط وخارجها ·

٤ ـ صورة واضحة لضرورات المعركة فى ظل الاعتبارات الاساسية السابقة ، ومدى استجابة الاتحاد السوفيتى لمتطلباتها

٥ ـ التحديد الصريح لطبيعة العلاقات المصرية السوفيتية فى المرحلة الجديدة ، فى جوانبها العسكرية والسياسية ، على أسس حقيقية ·

٦ ـ التأكيد المصرى بأن بلادنا تحارب معركتها بأبنائها وبقرار منها وفى ظل مسئوليتها التاريخية وحدها ·

وهنا يمكن أن تثار هذه الاسئلة :

السؤال الأول :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج تستجيب الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا ·· أو قرار ٨ يوليو الاول الخاص بانهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت ·· يحتمل مناقشة جديدة ؟·

والجواب : لا ·· قطعا وحسما ·· ان قرار ٨ يوليو الذى أنهى مهمة المستشارين العسكريين السوفيت ·· قرار لا رجعة فيه ·

---

(١) ·· قامت مصر ايضا بمبادرة صداقة طيبة من جانبها فى ديسمبر ١٩٧٢ ، كان باقيا ثلاثة اشهر على انتهاء اتفاقية تسهيلات البحر الابيض · كانت تنتهى فى مارس · والاتفاقية لمدة ٥ سنوات ، وقبل ثلاثة اشهر من انتهائها يتفق الطرفان على انهائها او مدها · وقد كلف الرئيس السادات المشير احمد اسماعيل بان يبلغ الملحق العسكرى فى السفارة السوفيتية ، بان مصر قررت من جانبها مد هذه الاتفاقية · ثم سافر المشير احمد اسماعيل الى موسكو ·· وتمت صفقة اسلحة· ومن فبراير ١٩٧٣ بدات العلاقات تاخذ الشكل العادى الطبيعى · وبدات تصل الاسلحة · وجاء مؤتمر نيكسون الثانى مع الزعماء السوفيت فى يونيو ١٩٧٢، وفيه اتفق على الا يحدث ما يعكر السلام فى جميع انحاء العالم · وكان الموقف فى فيتنام قد هدأ · وبقى الشرق الاوسط · وكان هذا يعنى تجميد القضية المصرية نهائيا فى ثلاجة القوى الكبرى ·

« من كلمات الرئيس فى جلسة مغلقة »

السؤال الثاني :

هل يعني اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا ٠ ان قرار ٨ يوليو الثاني الخاص بتولى القوات المسلحة المصرية أمر كافة المنشآت والاجهزة العسكرية التى أقيمت على أرض مصر ٠٠ يحتمل مناقشة جديدة ٠٠

والجواب : لا ٠٠ قطعا وحسما ٠٠ ان قرار ٨ يوليو الثانى ، لارجعة فيه ٠

لماذا ٠٠

ان هذين القرارين يمثلان جانبا من الاستراتيجية الوطنية ، وليسا من قبيل المناورة أو الضغط ٠٠ ولقد نفذا تنفيذا كاملا فى ١٧ يوليو ٠ وأثبت ذلك أن القرار السياسى فى مصر ، لا ينبع الا من الارادة الوطنية فى ظل أى وضع وتحت أى ظروف ، وقضى بذلك على كل الدعاوات المضللة التى دأبت أمريكا واسرائيل على اطلاقها عن السيادة المصرية ٠

وخلص البيان الى أن الهدف من المباحثات ، هو وضع العلاقات المصرية السوفيتية فى اطارها الصحيح ٠

وعاد الدكتور عزيز صدقي من موسكو ٠٠ وألقى بيانا فى اللجنة المركزية صباح ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ عن نتائج مباحثاته (١) ٠ وكان واضحا

---

(١) ٠٠ تضمن بيان الدكتور عزيز صدقى أمام اللجنة المركزية الفقرات التالية ، ولكن هذه الفقرات حذفت عند نشر البيان فى الصحف بطلب من الدكتور عزيز صدقى ٠٠ وهذه الفقرات هى :

ـ (قد يكون فى الصحافة المصرية رجعيون، وقد يكون فى مواقع الحكومة بعض غير المؤمنين بالاشتراكية ، وهذا موجود فى كل بلد واعتقد انه فى البلاد الاشتراكية أيضا) ٠

ـ (لقد شعرنا ان الاتحاد السوفيتى قد ذهب فى معاونتنا الى حد معين ، ثم اصبحنا نعتقد لأنه لا يريد ان يذهب ابعد من ذلك فى مساعدة لنا ، لقد قدم لنا المساعدات التى تمكننا من الدفاع عن انفسنا ، ولكنها لا تكفى كما نتصور لتحرير أرضنا) ٠

ـ (دخل الاتحاد السوفيتي نتيجة للمباحثات التي تمت فى تعهدات جديدة معنا ٠ ويكفى ان اذكر انه قد تم الاتفاق على أن يسافر وفد عسكرى الى الاتحاد السوفيتى فى الفترة من ١٠ الى ١٥ نوفمبر) ٠

وواضح من الحذف أن الاتحاد السوفيتي أثار موقف الصحافة المصرية ٠ وكان يتهم الكتاب الذين ينتقدون موقفه ، بالرجعية والعمل لحساب قوى الاستعمار أو لحساب الصين الشعبية ٠ ولكن رئى أن ذكر هذا البيان يوجه اهانة الى الكتاب المصريين ٠ وواضح من الحذف أيضا أن السوفيت ناقشوا موضوع التطبيق الاشتراكى ، وأن الجهاز القائم على التطبيق لا يؤمن بالاشتراكية ٠٠

والفقرة الثانية التى حذفت تعبر عن الخلاف فى وجهات النظر حول التسليح وكميانه ونوعياته ٠

والفقرة الثالثة كانت تذيع ما أريد ان يبقى سرا ، وهو أن وفدا عسكريا سيسافر الى موسكو للاتفاق على صفقات اسلحة جديدة ٠

أنه نجح فى اعادة الحياة الى مجاريها ، على أسس واضحة • ثم تتابعت بعد ذلك وفود مصريه سياسيه وعسكرية الى العاصمه السوفيتية •• ولكن الاتحاد السوفيتي •• كان عند موقفه الاستراتيجى الاول •• وهو تفضيل المساعى السياسيه السليمه •• على تحريك القضيه بالقتال •

ولكن لم يزر أحد من زعماء الاتحاد السوفيتى القاهرة •• باستثناء كوسيجين بعد قيام حرب أكتوبر •• ثم جروميكو بعد اتفاق الفصل بين القوات (١) ••

---

(١) •• وبدات حرب أكتوبر • وكانت على غير ارادة القوتين الكبيرتين • الاتحاد السوفيتى كان يفضل الحل السلمي • وأمريكا كانت تتصور أن مصر لن تقوى على محاربة اسرائيل وتدعو الى استمرار وقف النار • وفي الساعة الثالثة من مساء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حضر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الى القاهرة • وحضر الى القاهرة فجأة وفى طائرة خاصه لم يعلن عنها الا عند وصولها الى مطار القاهرة ، وزير خارجية يوغوسلافيا ومعه سفيرنا سعد عفره • وكان الاتحاد السوفيتي يلح على وقف اطلاق النار • وكان برجنيف قد اتصل بالرئيس تيتو وطلب اليه أن تقدم يوغوسلافيا الى مجلس الامن على وجه الاستعجال مشروع قرار يوغوسلافي بوقف النار • وأكد برجنيف أن الاتحاد السوفيتي وامريكا متفقان على ذلك ، ولكن الهدف هو أن يقدم من دولة أخرى • وأبلغ تيتو معلومات غير صحيحة عن سوء الموقف العسكرى المصرى •• واستقبل الرئيس السادات الرفيق كوسيجين أكثر من مرة ، الذى كان يجرى اتصالات مباشرة يوميا أكثر من مرة بزعماء الاتحاد السوفيتى فى موسكو ، وكان كيسنجر وزير الخارجية الامريكي فى موسكو أيضا فى ذلك الوقت • كما استقبل الرئيس السادات وزير الخارجية اليوغوسلافي بعد وصوله مباشرة ••

وكان الرئيس قد عرض مشروعا للسلام فى مجلس الشعب فى ذلك الصباح • وكانت وجهة نظر الرئيس السادات أنه لن يوقف النار والقوات المصرية منتصرة ، الا اذا تعهدت القوتان الكبيرتان بالتطبيق الفورى لقرار مجلس الامن وضمنتا الانسحاب الاسرائيلي الكامل • وتدخل رئيس وزراء بريطانيا برسالة خاصة الى الرئيس السادات قدمها اليه السفير البريطانى فى ساعة متأخرة من الليل •

وبدات حكاية الثغرة ، والتدخل العسكرى الامريكى بالاسلحة الحديثة • واتفق على وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر • ولم تحترم اسرائيل الاتفاق • وأعلن الرئيس السادات انه وافق على وقف النار بعد ضمان القوتين الكبيرتين للانسحاب الكامل ، وأنه لن يحارب امريكا • ولم تضمن امريكا وقف النار • وتركت اسرائيل توسع من عبورها بالاسلحة الامريكية الحديثة ، لكى تدعم موقفها فى المباحثات السياسية بعد ذلك • وطلب السادات التدخل العسكرى من كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا ، لتنفيذ وقف النار • وتحركت قوات سوفيتية من البحر الاسود • واعلنت أمريكا حالة الطوارىء الذرية • ثم تم وقف النار فى ٢٦ أكتوبر • وبدات اتصالات السلام • وحضر كيسنجر الى القاهرة • وتكررت رحلاته • من هنا بدات المتاعب من جديد مع الاتحاد السوفيتى لقد تصور مرة اخرى ان مصر ترسى علاقات جديدة مع امريكا على حساب علاقتها بالاتحاد السوفيتى الذى لم يعد له دور ظاهر فى مباحثات السلام • والذى لم يحضر اتفاق الفصل بين القوات • وبدأ الاتحاد السوفيتى سلسلة من الضغوط على مصر ، لا مبرر لها ، الا هذا الوهم الخاطىء ، لان مصر حريصة فعلا على علاقتها بالاتحاد السوفيتى • امتنع الاتحاد السوفيتى عن تعويضنا عن الاسلحة التى خسرناها فى القتال ، رغم ان امريكا عوضت اسرائيل ثم أعطانا بعض الاسلحة • ولكنه امتنع عن تعويض الطائرات • ثم طلب بسداد اقساط الديون والفوائد بالعملة الصعبة فى ظروف لا تسمح لنا بالسداد ، وخاصة انه تنازل عن نصف ثمن الاسلحة السوفيتية لفيتنام بعد اتفاق السلام • ثم بدات السنته تشن =

ووضح أن مصر حصلت على مزيد من الاسلحة · لا كما تريد ·· ولكن وفقا لما استطاعت أن تقنع به الاتحاد السوفيتي ··

ووضح أيضا أن أنور السادات بذل جهودا جبارة فى الحصول على أسلحة من دوله أخرى غربيه ·· وشرقية ··

وسارت هذه الجهود العسكرية كلها فى طى الكتمان ··

وكان الاعداد العسكرى ، والتدريب على أكثر من خطة للعبور ، يجرى ليل نهار وباشراف مستمر من الرئيس أنور السادات ··

= حملة على مصر ضد الانفتاح الاقتصادى ، بزعم انه تصفية للاشتراكية · وحضر جروميكو الى مصر واجتمع به الرئيس أنور السادات ٤ ساعات بغير مترجم ·· واوضح لجروميكو الحقائق التالية :

١ ـ ان علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي ليست كعلاقتها بامريكا لانه تربطنا بالاتحاد السوفيتى معاهدة صداقة · ولاننا نعطى تسهيلات بحرية للاتحاد السوفيتى ، لا نعطيها لامريكا ·

٢ ـ ان الدور الامريكى الآن من اجل السلام ، لا يتناقض أبدا مع الدور السوفيتى لان امريكا هي القادرة على الضغط على اسرائيل · وكانت هذه دائما حجة الاتحاد السوفيتى دفاعا عن أن سياسة الوفاق مع أمريكا ، سوف تخدم الوصول الى حل سلمى ، لان أمريكا قادرة على الضغط على اسرائيل·

٣ ـ تشويه الانفتاح الاقتصادى بانه تصفية للاشتراكية وللقطاع العام لا اساس له من الصحة · لان ثمن مكونات القطاع العام يصل الى بلايين الجنيهات ، ولا يمكن أن يقوض هذا · وهو قاعدة صلبة للانفتاح ·

٤ ـ ان الديون لا يمكن ان تسدد وهذا عرف عالمى ، بعد الحرب مباشرة ، وانها تسدد بعد التعمير · وقد حدث هذا للاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ولكن الازمات الجديدة استمرت ·

وقام الرئيس السادات بضغط سياسى ، فى عدة احاديث صحفية كشف فيها عن الخلاف الجديد مع الاتحاد السوفيتى · ولكنه ترك الباب مفتوحا لاتصالات بين الجانبين ·

وشرحت مصر بالاتصالات السياسية موقف الاتحاد السوفيتى للاحزاب الشيوعية فى مختلف الدول الاشتراكية الصديقة · وأذاع الرئيس فى اجتماع مغلق يوم ١٤ ابريل ١٩٧٤ ان مصر طلبت حضور الجنرال ماشينكوف وهو عسكرى سوفيتى له تقدير خاص فى القاهرة ، وكان كبير الخبراء السوفيت · وطلب الرئيس منه أن يذهب الى الجبهة فى الشرق والغرب ، لكى يكتب تقريرا كاملا عن حقائق الوضع العسكرى ، واحتياجات مصر بعد المعركة وارسل هذا التقرير الى القيادة السوفيتية · وقد جاء فيه أننا فقدنا نصف القاذفات المقاتلة وفقدنا ٨٠ طيارا · ثم أرسل الرئيس السادات ٤ رسائل الى بريجنيف ، وسجل فى آخر رسالة الى الزعيم السوفيتى ان اسرائيل استعوضت كل طائرة بطياريها وان الاتحاد السوفيتى لم يرسل لنا طائرة واحدة · وان هناك عقودا سابقة مبرمة معنا لم تنفذ ·

ورد الاتحاد السوفيتى على الموقف المصرى بحملات فى بعض صحف بيروت ، كلها تلقى اللوم على مصر ، وتعتبر نقدها للاتحاد السوفيتى مفاجأة ·

وامكن بعد ذلك بالاتصالات الدبلوماسية تحسين جو العلاقات والتمهيد لمباحثات يجريها وزير الخارجية المصرية فى موسكو فى ١٥ يوليو ، اعدادا لمؤتمر قمة بين السادات وبريجنيف · وقبل سفر الوفد المصرى بخمسة أيام قرر الاتحاد السوفيتى فجأة تأجيل زيارة الوفد المصرى الى اكتوبر ·

وحتى طبع صفحات هذا الكتاب لم يطرا جديد على الموقف ، على الرغم من أن تقارير سفيرنا الجديد فى موسكو حافظ اسماعيل قبل هذا التأجيل المفاجىء ، كانت كلها تؤكد خلوص النوايا نحو تحسين العلاقات ·

وكانت كل الدعايات حولنا تؤكد أن مصر لن تحارب ·· لانها عاجزة عن القتال ··

وكان البعض يتصور أن مصر لو بدأت عمليـة عبور ·· فان اسرائيل ستدك المدن الـكبرى دكا يحولها الى أنقـاض وتعود مصر مائة سـنة الى الوراء ··

وكانت كل تصريحات القادة الاسرائيليين يوميا ·· ان العبور عملية عسكرية مستحيلة ·· لاستحالة اقتحام خط بارليف أولا ·· ولان مصر اذا وجد لديها السلاح ·· فلن يوجد فى جيشها المقاتل ··

وخلال ذلك كله دعا أنور السادات الى الصبر والصمت ··

ولكنه اضطر الى مواجهة محاولات مستمرة لتحطيم الوحدة الوطنية من الداخل ·· وساعد عليها خلافات مفاجئـة نشأت مع السـودان ·· ثم مع ليبيا ··

وفى ذلك الوقت كانت أكثر تعليقات صحف الغرب تؤكد أن النظام يهتز ·· وانه يتماسك بتصريحات صناعية من الرئيس السادات ·· وان الحكم سيهوى خلال أشهر ··

وقال مراسل الجارديان فى الشرق الاوسـط : اننى أراهن بسـمعتى الصحفية ·· لو استمر نظام السادات ٣ أشهر !!

وكان ذلك خلال مظاهرات الطلبة الثانية فى عام ١٩٧٣ ··

أنا حـــــزين ..

« أنور السادات »

●●● « مظاهرات الطلبة تتسع . بيانات من ستة اعضاء بمجلس نقابة الصحفيين تصف الحكم بالقمع .. بيانات من عدد من الكتاب عن المستقبل الاسود الكئيب .. صحف الحائط مليئة بالعبارات البذيئة .. اشاعات .. صحف بيروت تردد ما يجرى .. حالة تسيب ويأس .. الرئيس يدعو رجال الصحافة والاعلام الى اجتمـاع مغلق ..

هذا الفصـل هو تسجيل لما دار فى هـذا الاجتماع الحاسم يذاع للمرة الاولى » ●●●

سألت الرئيس أنور السادات مرة : كيف اتخذت قرار المعركة ؟

فقال : اننى أشعر بأن ارادة الله هى التى اتخذت قرار المعركة . هذا قدر . لم يصبح أمامنا من حل الا أن نحمل السلاح لنحرر الارض ونرفض الاستسلام . ليس هناك حل وسط .. الشعب رفض الهزيمة .. وهذه هى فلسفة الشعب . علينا أن نتحمل كل العقبات والتضحيات .. أو نختصر الطريق ونسلم ونحل القوات المسلحة ، وبدلا من أن تكلفنا ٩٠٠ مليون جنيه فى السنة . نخفضها الى ٢٠٠ مليون .. ونقبل شروط العدو .. ونعيش الى الابد أذلاء .. وربما لاجئين .

كان هذا يقينه دائما ..

ولكنه كان يحارب فى أكثر من جبهة ..

جبهة الداخل .. التى تكتلت فيها غالبية قوى اليسار المتطرف .. بين الصحفيين والكتاب وامتدت اتصالاتها وتجمعاتها الى فريق من الطلبة .

الجبهة العربية .. وشروخ الموقف .. بعد الازمات مع السودان .. ثم مع ليبيا .. وتشكك دول عربية أخرى فى نوايا الرجل .

هذا فى الوقت الذى كان يقاسى فيه الامرين فى سبيل الحصول على الاسلحة من كل مكان ..

وفى الوقت الذى بذل فيه جهدا دبلوماسيا جبارا على المسرح الدولى غربا وشرقا .. لوضع الدول عند مسئولياتها أمام خطر الازمة .. وتهيئة الرأى العام الدولى لتقبل المعركة عند وقوعها .

ولكن أحدا .. لم يقدر حقائق الموقف .. ولا حقائق نوايا الرجل حق قدرها ..

وحتى الصحف العالمية ، بدأت تنشر النكت .. ومنها ما نشرته النيوزويك نقلا عن ألسنة عربية .. بأن السادات رجل أسمر ، يجيد الخطابة ، ويحكم مصر بعد وفاة عبد الناصر .. وهواياته وقف اطلاق النار !

وقلت ان التحركات المضادة للنظام ، المشككة فى قرارات أنور السادات بدأت تتحرك منذ ١٥ مايو . وبعد تصفية مراكز القوى والغاء التنظيمات السرية .. واحراق أشرطة التجسس .. واغلاق المعتقلات .. واعلان سيادة القانون ..

وظهرت الاتجاهات فى انتخابات النقابات المهنية والاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة . وكان التكتيك هو الآتى :

١ ـ تصوير ١٥ مايو على أنه خطة مدبرة للقضاء على ثورة ٢٣ يوليو !
٢ ـ ان ما حدث فى ١٥ مايو ليس ديمقراطية ·· بل هو صراع سلطة ·· والمطلوب ·· انقاذ الديمقراطية ··
٣ ـ ان أنورالسادات يلجأ الى الحلول الاستسلامية ·· ويخدع الجماهير بنداء الحرب ··
٤ ـ ان أنور السادات يصفي الاشتراكية ··
٥ ـ أين هى حرية الصحافة ··

وبدأت تجمعات الطلبة الاولى ، فى كليات متفرقة · وانتشرت مجلات الحائط · وكان هناك تنسيق متكامل بين القائمين على الحركة فى الكليات المختلفة ·· وكان للقيادات الطلابية التي عرف عنها الاتجاه الماركسى اتصال مستمر بكتاب وصحفيين من نفس اللون السياسى ··

وقد نشرت في (الاخبار) وفى صفحة كاملة ، كل ما دار فى الجامعة فى اليوم الاول ـ للاضطرابات ·· جميع البيانات ·· التى صدرت عن الطلاب ·· خطب قادتهم ·· الرأى المعارض لهـذه الجماعة كما عبر عن نفســه فى بيانات أخرى ··

ورأت القيادات الماركسية للطلبة ، ان هذا النشر يهدم تماما دعواهم بأنه لا توجد حرية صحافة ·· واذا بهم يعلقون لافتات في الصباح التالى على باب جامعة القاهرة ·· وفى الميــدان أمامه حتى باب كلية الهندسة ·· لافتــات كبيرة تقول اننى كلب السلطة !

وعندما سمعت بهذا توجهت الى الجامعة فى الصباح ، ومعى زميلى حامد دنيا الخبير بشئون الطلبة والجامعة ··

ووجدت صحفيا ماركسيا أمام تجمع عند باب كلية الهندسة ·· وصاح هذا الصحفى : هذا هو موسى صبرى ·· اننى أريد أن أكشف لكم من هو ؟

وتضاعف التجمع ·· ورأيت باب الهنـدسة مغلقا ، وعليـه حراس من قيادات الطلبــة ·· وطلبت أن أدخل ، وأن أجتمع بأى عــدد من الطلبــة لمناقشتهم ·· ورفض الحراس ·· وزاد تضــاعف التجمع ·· وبدأت نوايا الاعتداء على ··

وسألتهم : هل هذه هى الحرية ؟ ··

فاتهمونى بالعمــالة للسـلطة ·· وتركت التجمع وانصرفت يحيط بى جمهور مستفز ··

ولا أريد أن أطيــل فى قصــة هذه المظاهرات الاولى ·· والاجتمــاعات والاعتصام فى صالة جامعة القاهرة ·· واكتفى بالقول ان الهدف كان هدم كل تنظيمات الاتحاد ، باعتبارها لا تمثل الطلبة ، وتكوين قيادات جديدة تحت أى اسم فى كل كليات الجامعة ·· للسيطرة الماركسية الكاملة على

الطلبة ·· ثم الانتقال بهذا التكتيك الى محيط العمال ·· وكل ذلك لهدم النظام ·· والسيطرة عليه ·

وطالبت المنشورات بابعادى عن الصحافة ··

وآلمني كل الالم أنها طالبت كذلك بابعاد محمد حسنين هيكل ·· أى أنهم وضعونا فى موضع واحد ·· وهذا ليس بالصحيح ·· اذ كان الهدف هو التحديد السليم للمواقف ·

وكانت القيادات الماركسية منظمة بحيث يحل محلها صف ثان ·· وكان الاسلوب هو المعروف فى كتب التهييج الماركسية ·· ايقاف الاتوبيسات والتحدث الى الناس فيها بأسلوب مثير كاذب عن اعتقالات وقمع وقتلى ·· تكوين مجموعات صغيرة فى الميادين ، تخطب وتثير مناقشات محفوظة ، وتوزع منشورات مكتوبة بخط اليد ··

ثم نقل صورة هذه الاحاديث كاملة فى صحف بيروت ·· بل طبعها بعد ذلك فى كتب أصدرتها دور نشر تصرف عليها منظمات ماركسية محلية وأجنبية ··

وانتهت حركة الطلبة ·· وبدأت محاولة اعتصام فى دار نقابة الصحفيين من فنانين ، وانصاف مثقفين ماركسيين ·· وفشلت ··

المهم ان الهدف كان ضرب النظام من الداخل ·

وواجه أنور السادات الموقف بأسلوب ديمقراطي أيضا ·· ودعا الى اجتماع لكل القيادات السياسية والمهنية والعمالية فى قصر عابدين ·· وكانت بقايا تجمع المظاهرات لا تزال فى الميادين المؤدية الى قصر عابدين ·· وقيل لانور السادات فى ذلك الصباح أنه من الافضل أن يتم الاجتماع فى استراحة القناطر ـ وكان مقيما بها ـ بعيدا عن القاهرة ·· حتى لا يتعرض هذا الاجتماع لخطر الانقضاض عليه من المظاهرات التى لا تزال باقية فى الميادين ··

ورفض أنور السادات رفضا قاطعا ·· وبغضب · وقال : لست أنا الذى أهرب من أى موقف ·· انني لا أعمل فى الظلام ·· وسأواجه الشعب بكل الحقائق ·· وأصر السادات أن يكون الاجتماع فى عابدين ·· وتم الاجتماع فعلا ·· وتحدث أنور السادات ·· وكان غاضبا وصارح الشعب بالاتجاهات المختلفة وراء قيادات هذه الحركة · وأكد طهارة غالبية الطلبة ·· وأشفق فعلا على حيرتهم وتمزقهم بعد الهزيمة ·· مما سهل استغلال مشاعرهم ··

وانتهت هذه المرحلة بقرار من السادات ، بالافراج عن الطلبة المعتقلين بأمر النيابة العامة ·· وحفظ التحقيق ··

ولكن الدولة كانت على علم كامل ·· بالجهات التي اختفت وراء تحركات بعض قيادات الطلبة ··

وتغاضى السادات عن ذلك كله .. فى سبيل الوحدة الوطنية لمواجهة المعركة .

ولكن قولى بأن قيادات حركة الطلاب كانت فى غالبيتها ماركسية .. وكان هدفها هز النظام .. لا يعنى أن عددا كبيرا من الطالبات والطلبة لم يتأثروا بنداءاتهم .. الذى حدث .. ان الطلبة تأثروا فعلا .. وشاركوا فى التجمعات عن اقتناع برىء .. لان الاوضاع العامة فى البلاد فى ظاهرها ، كانت تدعو الى ذلك .. ولم يبذل التنظيم السياسى أى جهد فعال ، فى صفوف الجامعات ، لشرح حقائق الوضع السياسى ، واتاحة الفرصة للمناقشات العامة وتبادل الرأى .. ثم عندما حدثت الاصطدامات بين رجال الامن والطلبة .. كان من الطبيعي أن ينحاز الطالب الى زميله ..

ولكن ما جرى بصفة عامة ، كان نتيجة طبيعية لتمزق الهزيمة .. وللحرب النفسية الطاحنة التى صورت مصر فى موقف العاجز .

ولم تتجاوب الجماهير العريضة مع مظاهرات الطلاب ..

وكان منطق المواطن العادى يردد : « ماذا يريدون ؟ .. وهل أنور السادات هو المسئول عن الهزيمة .. لقد تسلم الرجل تركة ثقيلة .. اعطوه الفرصة لكى يعمل . وهل يتردد السادات فى الحرب ، اذا وجد نفسه قادرا عليها ؟ » ..

وأذكر أننى اجتمعت مع عدد من قيادات الطلبة الماركسيين .. ومن يحملون شعار الناصرية .. ثلاثة اجتماعات استمرت ٢٧ ساعة .. لمناقشة الحقائق معهم .. وناقشنا قضايا الحرية والديمقراطية والحرب و ١٥ مايو والعلاقات مع السوفييت .. والمساعى الدبلوماسية .. والبناء الاشتراكى . الى آخر كل ما كانوا يثيرونه ..

وتأكدت .. واقتنعت .. أن هذه القيادات لا تريد أن تقتنع .. انها مصرة على رأى ، لا تريد أن تتزحزح عنه .. وهو تحدى هذا النظام ، والدعوة الى عدم الثقة بأنور السادات .

ثم جاءت حركة الطلبة الثانية ..

ولكن الظاهرة هنا تغيرت . وقد بدأ التغير فى ارتباط كامل واضح بين قيادات الطلبة الماركسيين والحاملين لشعار الناصرية .. وبين فريق يسارى من أعضاء مجلس النقابة .. ثم اتسعت لتصل الى عدد من الكتاب وعلى رأسهم توفيق الحكيم !

ورأيى مع كل الاحترام لتوفيق الحكيم .. أنه تصور أن النظام يهتز .. وأن هذه الموجة ستكتسح .. ورأى أن يركب الموجة .. اذ رئى له أن يركبها ..

واذا بنا نفاجأ بجمعية عامة لنقابة الصحفيين · تتحول كلها الى مناقشات تتهم النظام بالقمع والارهاب·· وتصدر بيانا كأنه انذار الى رئيس الجمهورية بالمطالبة بحرية الصحافة ·· وتصدر بيانا يطالب بحماية حرية الصحافة الجامعية ·· أى صحافة الحائط ·· وكانت سطور مجلات الحائط فى بعض الكلمات قد تجاوزت كل حدود الآداب العامة !

واذا بنا نفاجأ ببيان كتبه توفيق الحكيم (١) ·· ووقع عليه عدد من الكتاب ، يقول أن المستقبل كئيب ·· وأن حجة قرار المعركة تعلق عليها كل الأخطاء ·· وأن البلاد متجهة الى كارثة ·· وأن شبابنا ملقى به فى رمال الجبهة لينسى علمه !

وكل ذلك ينشر فى بيروت فى نفس اليوم ·· وعلى أوسع نطاق ·· وتحرك عدد كبير من الصحفيين والكتاب لتحدى هذه الأوضاع ·· التى كانت تساندها قيادات صحيفة الاهرام ··

وعقد اجتماع فى منزل الفنان رخا·· حضره يوسف السباعى وعبدالرحمن الشرقاوى ومحمد صبيح ومصطفى بهجت بدوى وحافظ محمود ·· وكاتب هذه السطور ·· وغيرهم وتم الاتفاق على أن يحضر الصحفيون اجتماع الجمعية العامة التالى لنقابة الصحفيين ·· وأن تكون معركة حياة أو موت ، لكشف الاتجاه اليسارى وأهدافه ·· ثم أصدرنا بيانا وطنيا يؤيد موقف الرئيس السادات ، الذى أعاد جميع الصحفيين المفصولين ، والذى أعلن فى اجتماع سابق مع أكثر من مائتى صحفى أنه يريد حرية الصحافة ·· وأن يؤلف مجلس أعلى للصحافة ·· ثم يصدر الصحفيون ميثاق شرف ·· والذى رفض أن يمنع صحفى واحد فى عهده من الامساك بالقلم ·

ثم تدخل سيد مرعى أمين اللجنة المركزية فى نفس الليلة ·· وعرض أن يعقد اجتماع مشترك للقيادات الصحفية مع مجلس النقابة ·· وعقد الاجتماع وانتهينا الى اجراء بيان موحد ·· يناقض كل ماجاء فى بيان مجلس النقابة السابق ··

ونشر البيان فى الصحف ·· وكانت سطوره تأييدا صريحا واضحا لموقف الرئيس السادات وسياسته ·

ولكن أعضاء مجلس النقابة اليساريين ، دعوا الى عقد اجتماع لمجلس النقابة بعد ذلك ، ضمنوا فيه الغالبية العددية ·· وأصدروا بيانا يؤيد مظاهرات الطلبة ، ويتهم النظام باستخدام القمع ·· واستقال عضوان من

---

(١) طلب توفيق الحكيم مقابلة الرئيس فى يوليو ١٩٧٤ ، وقدم الى الرئيس بيانا جديدا موقعا عليه من نفس من وقعوا البيان السابق ، أكدوا فيه خطأ تقديرهم ، وثقتهم الكاملة فى قيادة الرئيس السادات ·

مجلس النقابة احتجاجا هما الفنـان رخا وعثمان لطفى السكرتير العـام المساعد لمؤسسة أخبار اليوم ..

ولم يقدر لحركة الطلبة أن تحقق أى هدف . وبدأت النيابة التحقيق .. وتبين أن الهدف المبيت لدى البعض .. كان اشعال حرائق فى الميادين .. وبث الفوضى .. وقلب النظام .

وظهرت مقالات فى الاهرام والجمهورية .. تؤيد تحركات الطلبة .

ولكن لم ينجح تكتيك انتشار الحركة فى النقابات المهنية الأخرى .. أو فى النقابات العمالية ..

ولا أريد أن أطيل فى سرد هذه الاحداث .. ولكننى أريد أن أصل الى اجتماع مغلق ، دعا اليه الرئيس أنور السادات أكثر من مائتى صحفى .. وعبر فيه عن مشاعره ازاء كل ما جرى .. بقوله : « أنا حزين .. حزين » .. ولم ينشر ما دار فى هذا الاجتماع .. وأعتقد أن المجال مناسب الآن لنشره ، ليتبين القارىء مدى المعاناة التى كان يقاسيها أنور السادات .. وهو يتابع الاستعداد العسكرى الصامت للقتال .. ثم تخرج هذه الاصوات ، لينتشر صداها فى البلاد العربية ، وفى صحافة العالم ، وتتهمه بأنه يسعى الى حلول استسلامية .. انهزامية !

قال أنور السادات فى هذا الاجتمـاع المغلق .. وكانت رنات صـوته تعبر عن ألم مكتوم ..

ـ فى كل المراحل الأساسية ، دعوت رجال الصحافة لكى أوضح لهم كل حقائق الموقف .

حدث هذا عندما انقطعت الاتصالات مع أمريكا .. وعندما صـدر قرار الخبراء السوفيت .. وعندما اتخذنا قرارا فى اللجنـة المركزية والهيئـة البرلمانية بمواصلة السير مع الاتحاد السوفيتى .. كانت الصحافة حاضرة فى كل المواقف ، ولم تكن غائبة أبدا .. وهذا يحدث لأول مرة فى تاريخ عملنا السياسى .. وصحافة الاحزاب تأخذ التعليمات من الاحزاب مباشرة .

بعد الثورة .. هيكل المجتمع تغير .. أصبحت صحافة الشعب كله ..

وبعد هزيمة ٥ يونيو ، كان من الضرورى فى كل المواقف ، المشاركة فى الرأى والتفسير .. لأن معركتنا ليست معركة هيئة بذاتها أو فرد بذاته أو تنظيم بذاته .. المعركة معركة .

وعندما ضربت اسرائيل العمق .. كان الشعب كله معرضا للضرب .. ولو قدر للمخطط الاسرائيلى فى عام ١٩٧٠ أن ينفـذ كما كان مقررا له فى ٦ أشهر .. كانت اسرائيل تريد ضرب كل مرفق من مرافق بلدنا .. وكان الشعب كله سـيتعرض فى مختلف أماكن عمـله .. للضرب .. اذن هى معركة الشعب .. ومن المنطق والمعقـول والضرورى أن يعيش الكل هذه المعركة فى أبعادها كاملة ، مرحلة ، مرحلة ..

اليوم وأنا أجتمع بكم ، أكمل نفس المبدأ الذى سرت عليه ·· حتى نكون جميعا على علم ومتابعين لما يتم ويحدث ·

اليوم يختلف الامر عن المرات السابقة ·· فى أكتوبر ٧١ وما بعدها ·· وفى أكتوبر ٧٢ ·· والاجتماعات الاخرى ·· كنت أضع أمامكم الصورة عن آخر تطورات تتم فى المرحلة ·· اليوم الأمر يختلف أريد الى جانب وضع آخر تطورات هذه المرحلة ·· أريد اضافة شىء آخر ·· لوم وعتاب لماذا ؟· لأن أحداثا وقعت فى بلدنا ·· وأريد أن أتساءل عن دور الصحافة · ومن هنا يأتى لومى وعتابى ، خاصة أنه تربطنى بأكثر الموجودين علاقة زمالة صحفية ، وأعرف ما هو العمل الصحفى ·· وما هى أبعاده ·· بالنسبة للمرحلة الجديدة فى نضالنا أقول ليس أمامنا الا أن نحمل السلاح · ولن نكن أذلاء ·· ولن نتحول فى بلادنا الى لاجئين ·· هذا أمر لا جدال فيه ولا مناقشة · قرار المعركة نهائى ·· التوقيت فقط هو الباقى ··

ومن السخافة ــ وأنا أحدثكم كزميل لكم ــ أن يكتب بعض الكتاب بيانا يعبر عن الحقد والروح الانهزامية ·

كيف نتخلف عن المعركة ؟··

يصدر عن البعض منا ، أن الوضع غامض ·· ايه الغموض اللى فى الوضع ؟··

اننى أعذر غالبية الطلبة ·· القاعدة الاساسية من الطلبة أكثر من ٩٥٪ منهم منتظمون فى الدراسة الى يومنا هذا ·· وأنا أقدر أن شبابنا مبلبل ويعيش فى فراغ · أما أن يقول كتاب وصحفيون ، أن الوضع غامض ·· فهذا هو غير المقبول ، الا اذا كانت نفس الصحفى ملتوية ··

تسليم ·· لا ·

عن نفسى أرفض ·· أنا لا أصلح للتسليم ··

ما هو هذا الغموض ، الا اذا كان الكاتب أو الصحفى يريد أن يفرض نفسه رئيسا للجمهورية · أو قائدا عسكريا ·· ويضع لنا خطة ؟··

من الممكن أن يكون الغموض فى جزئية ·· ولكن ليس فى صلب المعركة ·· أو صلب الهدف الأساسى ·

لقد أوضحت كل شىء أمام مجلس الشعب فى افتتاح المجلس فى ١٥ أكتوبر ·· ثم فى ديسمبر ·· ما معنى الغموض عند صحفى ·· علشان بيتفلسف ويقول الحلول التصفوية والاستسلامية ·· قبل هذه التعابير كنا بخير ·· كانت صحافتنا وأنا شاب فى السجن ، تدعو الى بناء الفرد ·· وتحفزه أن يكون فى ذاته قوة لا تقهر ·· ولكننا أصبحنا الآن نمشى فى التعابير اياها !··

انعكست هذه العملية فى الشهور الاربعة الماضية ·· انعكست على

المجتمع .. وعلى الطلبة الطيبين الطاهرين.. لأن الصحافة لم تقم بدورها، الى جانب وسائل الاعلام أيضا ..

في الأشهر الأربعة الماضية .. أول ما قال ذلك الفريق من الطلبة .. لا توجد الآن ديمقراطية !!.. أسلوب الدولة الآن هو أسلوب القهر ..

بعد الدستور الدائم .. وبعد صدور القوانين المكملة للدستور . وبعد قفل المعتقلات .. وليس فى مصر اليوم معتقل واحد .

بعد هذا كله .. لم أقرأ فى الصحف الا مقالات معدودة على الصوابع.. عن الديمقراطية .. أما الذين يكتبون البيانات لنشرها فى بيروت .. فلم يكلف أحد نفسه .. ليعبر عن الحقيقة .

لقد كنت طالبا .. وكانت الاحزاب تستقطب الطلاب .. ليضاربوا لحساب الاحزاب .. وليستخدموهم كمادة متفجرة لصالح الاحزاب .. ولكن المجتمع الآن تغير .. ولكن يجرى فى محيط الطلبة نفس الشيء .. بدل حزب الوفد ، بقى فيه الماركسيون والباقى اخوان .

اين اذن الحركة الطلابية وأهدافها في بناء مجتمع الثورة ؟..

وهذا لا يسرى على الطلبة فقط . اعذرونى لأننى أتكلم بصراحة مطلقة هذا الكلام فى الصحافة أيضا .

الصحافة لم تتطور بعد الثورة .. حلت على الصحافة موضة جديدة ، هى المناقشات الايديولوجية والمباريات على من يكتب التعابير (التخينة) لكى يكون مثقفا !

ابتدأت حركة الطلبة بشعار أنه لا توجد ديمقراطية فى البلاد .. دولة قمع .. دولة بوليسية ..

هل تقرون هذا .. هل نحن فعلا فى دولة قمع ؟.

ان الذين قبض عليهم من الطلبة ، فى مخطط جنائى ، وفى ظروف استثنائية ، مقبوض عليهم بنص القانون العام ، لا بسلطة الطوارىء .

ان الأشهر الاربعة الماضية ، تميزت بنوع من التسيب السياسى .

فى الجامعة قامت عناصر ضئيلة جدا ، في أكتوبر تحت شعار الارهاب والحلول الانهزامية .. والاستسلام والحكم صفته كذا .. وصفته كذا .. وتدرجت فى التصاعد حتى الشهر الأخير ..

وهنا شيء أساسى يجب أن أوجه فيه اللوم للكتاب والصحفيين .. هو موقف الصحافة ..

كما قلت وأعلنت مرارا ، اننى أطبق فعليا لا شعاريا .. دولة المؤسسات وكما قلت أمام مجلس الشعب .. بعد عبد الناصر شعرنا بفراغ كبير . مؤسساتنا لم تكن لها الفعالية . الشعب يملأ الفراغ بعد موت عبدالناصر، بأسلوب شرعى هو أن نوجد المؤسسات الدستورية والسياسية التى تتحمل التبعات . ولن أتراجع فى قيام دولة المؤسسات ، وتدعيمها كاملة .. ومن

خلال المؤسسات تجرى الممارسة الديمقراطية . فى كل نقابة مجلس ادارة يجتمع ويقول رأيه ويبلغ الرأى للاتحاد الاشتراكى .. تجرى مناقشة .. ممارسة ديمقراطية .. تنتهى الى رأى ..

لا يمكن أن أى هيئة تفرض رأيها على الدولة .. ولا يمكن أن أضع فريقا فوق سيادة القانون .. وفوق الممارسة الديمقراطية ..

وواجب الصحافة تعميق مفهوم ممارسة الديمقراطية ، فى ظل المؤسسات وسيادة القانون .

لقد تجاوزنا مرحلة الطفولة .. مرحلة ضرب وحرق الترام والاوتوبيس فى الشارع .. تجاوزنا الى دولة محترمة ونظام محترم ..

بيقولوا .. ان فيه حلول تصفوية .. طيب .. والذى يقول هذا عليه أن يذهب الى مجلس الشعب .. ويطلب عقد لجان استماع .. يدعى اليها المسئولون .. تجرى المناقشات .. أنا الذى وضعت النص فى لائحة البرلمان ، على جلسات الاستماع عندما كنت رئيسا للمجلس ..

أما أن يجتمع ٥ أو ٦ أشخاص ، ليقولوا أن الموقف خطير والبلد راحت وينشروا بيانات واشاعات .. فهذه ليست ممارسة ديمقراطية .

واننى أتساءل : كيف يمكن أن يتم حل تصفوى كما يقولون من وراء ظهر الشعب ؟..

هذا افتراء ..

هذه كلمات حق يراد بها باطل .

لكل مواطن الحق أى يبدى رأيه ، وأن يشترك فى اعداد قرار مصير بلده .. لكن عن طريق المؤسسات الدستورية وبالاسلوب الديمقراطى وليس بأسلوب الضرب بالطوب .

يقولون دولة قمع ؟.. نسوا تماما سيادة القانون .. نسيها الصحفيون أيضا !..

لقد عانينا كثيرا عندما افتقدنا سيادة القانون ، وأكثر ما عانينا منه هو الأمن الشخصى للانسان .. ان سيادة القانون تضىء أول ما تضىء كرامة الفرد ، وليس لأى سلطة تصرف قبل أى مواطن ، الا بالقانون ، والقانون واضح ومحدد وليس مجهولا .

الموقف الحالى هو اعداد عسكرى بكل ما نملك من امكانيات لانجاز معركة . ولن نحرر الارض بغير معركة .. هذه حقيقة .. ثم عمل دبلوماسى مكثف لخدمة الخط الأول .

والعمل الدبلوماسى فى علم السياسة وعلم الحرب .. يستمر قبل المعركة وأثناءها ، وبعدها ، لا يتوقف ..

عملية التشنيج الدبلوماسى .. هذه جهالة وطفولة سياسية .

حافظ اسماعيل زار موسكو ، ولندن وواشنطون ٠٠ وسيزور براندت ثم فرنسا ٠٠ بجوار هذا تحرك عربي في غرب أوربا ٠٠ في العالم الثالث ٠٠ في أفريقيا بالذات ٠٠ وكل هذا يسير طبقا لخطة موضوعة ٠٠

هذا خط ٠٠ يسير الى جوار الخط الاساسي ، وهو الاعداد العسكري للمعركة ٠ الاجتماعات العسكرية لا نعلن عن بعضها ٠ واصرح لكم اليوم بكل تقدير للمسئولية ، أن قواتكم المسلحة أوشكت أن تضع اللمسات الأخيرة لما ستؤديه ٠٠

وسط هذه الحمى من الاشاعات والبلبلة والتحركات المشبوهة ٠٠ لم نضيع ثانية واحدة ٠ كل شيء ماشي ، وعلى أحدث ما في العصر من تخطيط عسكري ، وما هو متاح لدينا من امكانيات تحت أيدينا ٠٠ لا على أسس أسلحة لم تصل بعد ٠

والمؤسف أن بعض الاصوات تشكك في رحلة حافظ اسماعيل الى واشنطن ولقائه بنيكسون ٠ يقولون أنه ذهب ليعرض الاستسلام !! وهذا غريب جدا ٠

حافظ اسماعيل سافر ومعه خطابات مكتوبة مني ، الى قادة العالم كله ٠٠ انني أضعهم أمام مسئولياتهم ، وأحذر من أن الموقف قد أصبح على وشك الانفجار ٠٠ وهذا لكي أبرىء ذمتي أمام التاريخ ٠٠

ومع ذلك أجد أفرادا في مجلس نقابة الصحفيين ٠٠ معروفة اتجاهاتهم ٠٠ يستخدمون أسلوب الطفولة السياسية ٠٠ خدوا قرارات ٠٠ ابعث انذار للدولة ٠

سبحان الله ٠٠ انني أرفض انذارات من أمريكا وأي دولة كبرى ٠٠ وبيجي أفراد في نقابة الصحفيين يعطوني انذارات !

هذا استثمار للجرح ، بكلام ملتو ٠٠ هذه أقلام لا تحكمها المعركة ، ولكن تحكمها أحقاد وانفعالات ٠ اننا نريد أن نعمل بروح العائلة ٠ مصر كلها يجب أن تكون أسرة واحدة بتقاليد القرية ٠٠ تعرف الحدود ٠٠ وتبدي المصلحة العليا فوق كل شيء ٠٠

بلاش استغلال شعار حرية الصحافة ٠٠ وكأننا مكممين الافواه منذ ١٥ مايو ؟٠٠

هذا شيء مؤسف ومخجل ٠٠ وخاصة ما قيل عن حرية الصحافة الجامعية ٠ وكلكم قرأتم صحف الحائط وما فيها ٠٠ كل انسان تقزز من قراءة مافيها ولكن مجلس نقابة الصحفيين الاجلاء ٠٠ يطالب بحرية الصحافة الجامعية ٠٠ ثم يدعي بعد ذلك أن هذه العبارة دست على قراره !

واجب الصحافة والكتاب يا زملائي في هذه الظروف المصيرية التي نعيشها ٠٠ هو دعوة الأمل ٠٠ ودعوة الصمود ٠٠ دعم الجبهة الداخلية ٠٠

وتقويم كل انحراف .. مش ٦ منحرفين يقودوا نقابة بحالها .. ويصدر القرار باسم صحفيين مصر .. ليذاع في بيروت في نفس اليوم !

وعندما نشر هذا البيان في بيروت حزنت من كل قلبي .. لأنه يشوه صورة مصر !..

مهما حصل في داخلنا .. فيجب ألا ننسى أننا هنا في مصر العظيمة.. كل سياسي عربي يجيء لي مخلوع القلب .. ايه الحكاية .. بيان الطلبة.. بيان نقابة الصحفيين .. بيان الكتاب .

أزعل .. واتجرح .. والا .... لأ ؟

في الداخل أنا عارف انها زوبعة في فنجان . ولن تؤثر في قرار الشعب بالمعركة .. لكن في الخارج .. سمعتنا .. سمعة مصر ..

ويؤسفني أن أقرر أن صحفيين أجانب كتبوا بناء على معلومات كاذبة من صحفيين مصريين أنا أعرفهم بالاسم .. أنه حدثت انقلابات عسكرية بعد خروج الفريق صادق .. ليس عندي شيء أخبئه ..

وليس عندي ما أخشى منه أبدا ..

كل من يعملون في الظلام مشدودون من الخلف .. ويتصورون أنهم يستطيعون الوصول الى شيء ..

ثم انتقل الرئيس في حديثه الى بيان الكتاب الذي كتبه توفيق الحكيم .. وتلاه .. وعلق عليه بسخرية لاذعة .. ثم قال :

البيان يقول أن الشعب يغلي ! وأن الكتاب مسئوليتهم أن يستشفوا الضمائر .. هل استشفوا الضمائر فعلا ؟

الشعب .. قاعدته العريضة .. فاهم وعنده وعي .. ولا يحتاج الى هذا الاستشفاف .. إنني أتألم عندما أقرأ هذا الكلام .. لأنني كاتب أحترم القلم .. وأعز ما أحرص عليه في حياتي .. وأروع ما أحرص عليه هو القلم .. واليوم الذي كنت أكتب فيه مقالا صغيرا في (الجمهورية) أو تعليقا أرضى عنه .. كان أسعد أيام حياتي .. واليوم الذي أستطيع أن أتفرغ فيه لكي أكتب شيئا أرضى عنه ، يساوي عندي كل شيء في الوجود.

المكتوب أمامي في هذا البيان هو جسر للحقد والانهزامية .. ولذلك أنا حزين .. حزين ..

علما أنني نبهت .. اياكم وأن يحتل اليهود جزءا من عقولنا كما احتلوا جزءا من أرضنا ..

لسنا أول شعب واجه هزيمة ..

ولم يطلع حبر أسود بانهزامية بهذا الشكل ، في كل الدول التي لحقت بها هزائم .. مواقف تشرشل معروفة .

والأسوأ من هذا أن البيان يحمل تحريضا لأبنائنا الجامعيين في القوات المسلحة الذين يقفون مستعدين للمعركة في جبهة القتال ..

البيان يقول (الشباب لا يرى أمامه الا المستقبل الكئيب) !

المستقبل أيها الزملاء لا يكون كئيبا الا اذا كانت نفوسنا مريضة كئيبة.

هل قالت هذا روسيا بعد دخول ألمانيا .. وانهاك قواها العسكرية والصناعية والزراعية .. هل قال كتابها أن الغد كئيب ؟

هل يقال فى بيان لكتاب مصريين فى هذه المرحلة « أن شهادة خريج الجامعة أصبحت وسيلة للقذف به فى رمال الجبهة .. وهذا هو الضياع » .

هل هذا هو الصمود ؟.. هل هذا هو الأمل ؟..

الكاتب .. الفنان .. موجه الاجيال .. يرسم هذه الصورة ؟! الشباب الذى فى الجبهة يعرف الحقيقة .. وينتظر ساعة الصفر بقوة وارادة وثبات .. ليحقق غد الانتصار ..

أما فريق من كتاب مصر .. فانه يتحدث عن الغد الكئيب .. وبعد ساعة ينشر هذا فى صحف بيروت لتشويه سمعة مصر ..

أصوات كانت فى الجحور بدأت تقول أن مصر فقدت زعامتها ومكانتها . شبابنا تحركه مجموعة ملتوية معروفة اللون والهدف ..

هل هذا ضمير مصر ؟..

هل ضمير مصر هو اليأس ؟..

القلم مسئولية وشرف .. أين مصر فى كل سطر وفى كل رأى وفى كل تصرف ؟..

هذا هو السؤال . أين ملكات مصر ومقوماتها .. التى صنعت التاريخ بأصالة وصلابة ؟..

لا .. لن أسمح أبدا .. أن يكون القلم سبيلا الى الانهزامية أو اليأس أو بث هذه السموم .

هذا سم وتخريب فى الجبهة الداخلية ..

ولو دفعت اسرائيل ملايين الجنيهات لما استطاعت أن تصل الى أكثر من هذا الذى نشر بأقلام مصرية ..

إننى حزين .. حزين ..

وحزنت بالذات من أجل توفيق الحكيم . انه يشكل جزءا من عاطفتى . لقد قرأت له وأنا فى السجن « عصفور من الشرق » باللغتين العربية والفرنسية . قرأت هذه العبارة « الأمم العظيمة لاتبنيها الا الآلام العظيمة » .

هذا هو توفيق الحكيم .. وليس هو الذى يكتب بيانا عن الغد الكئيب.

كيف لم يفكر فى كلماته السابقة . ان ما ينطبق على الأمم .. ينطبق على الفرد .. لا يوجد فرد له قيمة الا ومارس آلاما عظيمة هى التى بنته .. الملعقة الذهبية لا تصنع الرجال ..

الآلام هي التي تبني الأفراد والامم ··
قلت للدكتور حاتم ·· هات لى الرجل الطيب ده توفيق الحكيم لأنني عاطفيا متأثر به ··
والطريف أن توفيق الحكيم قال لحاتم ·· « أنا كنت بسهل العمليه علشان يفاوض اسرائيل » !·
لا ·· يا أستاذ توفيق ··
هذه فلسفة عمر الخيام التى اخترتها فى أحد مؤلفاتك لتعبر عن ذاتك ··
« اذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر اذا بطش بك ولا تبطش بأحد » ··
هذه الفلسفة لا تصلح مع اسرائيل ··
هذا يعني التسليم لاسرائيل ··
وليس هذا هو استشفاف ضمير الشعب ··
اذا كان من رأيه أن نفاوض اسرائيل ونحن فى موقف الضعف ·· فليكن شجاعا وليكتب ·· يا شعب يا مصرى ·· أنا حاسس أن ضميرك يريد الاستسلام ··
ولكن لماذا نلف وندور ونسود الصفحات ·· ونسود تاريخنا ·· وتاريخ كتابنا فى لحظة حالكة ··
وبكل أسف ·· لقد سجل هذا الموقف على كتاب مصر ·· سجل التاريخ أنه خرج فى المرحلة من كتاب مصر من يصف المستقبل بأنه أسود وكئيب ·· ويدعو الى الهزيمة والاستسلام ··
انني حزين ·· حزين اننا فى الأيام الحاسمة ·· ويسجل هذا كتاب مصر ··
مصر التى كانت قائدة عبر التاريخ وستظل قائدة الى يوم الدين ·
·· كنت فاهم أن فيه حصانة هنا ·· من تراب مصر · من طينها الأصيل ·
طلع ·· لا ·· لما زهق بعض الكتاب ·· نسيوا التزامهم ·
انني حزين ·· حزين ··
المفروض أن يخرج كل كاتب أبدع ما عنده فى هذه الايام ·· من موهبة وفن ·· ليقضي على روح الهزيمة · ليبدد كل ظلام وغيوم ·· ليحول اليأس والقنوط الى آمال مشرقة · رحبة · مضيئة ·
لا ·· أن نقول لشبابنا فى جبهة القتال ·· انكم ذهبتم لتضيعوا علمكم ·
الأمريكى ·· الفرنسى ·· الاوربى ·· يفخر بشهادة العسكرية · يعلقها فى منزله ، ومن لم يدخل الخدمة العسكرية يكون خجلا ، لان كل جيرانه يعرفون أنه هرب من الخدمة ·

هل هذا هو الفكر الحر ؟.. هل هذا هو فكر كتاب مصر ؟..

أين دور المسرح في تخليد معارك بطولاتنا مع التتار .. مع الصليبيين .. أين دور الفن الذي يصل الى وجدان الانسان .. في الحرب العالمية الثانية .. سخرت كل المواهب من أجل الهاب المقاومة الوطنية .. أين نحن من كل هذا ؟..

أيام حرب الاستنزاف وكان العدو يغير علينا يوميا بطلعات تصل الى ٨٠ طلعة في اليوم .. حكيت لكم من قبل في اجتماع عابدين .. عن الجندي المصري الذي انصهر جسده مع المدفع ، من كثرة ما ضرب .. ورفض أن يترك سلاحه حتى احترق معه .

وهذه هي روح مصر ..

الا توجد حرية صحافة في البلد .. لأن البعض لا يستطيع أن ينشر السخافات الايديولوجية التي لا مكان لها عندنا ؟..

لا .. المعركة ليست أيديولوجية ولا كلام ..

المعركة أرض يجب أن تحرر .

ثم طلع علينا من يرتدون القميص الجديد .. قميص عبد الناصر بدلا من قميص عثمان ..

الماركسيون يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. حتى مع القذافي .. ٢٧ صحفيا مصريا ذهبوا للعمل في صحف ليبيا .. كلهم ماركسيون .. وهم يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. والهتافات التي ترددت في بني غازي ، هي نفس الهتافات التي ترددت في جامعة القاهرة .. « لا اله الا الله .. السادات عدو الله » هذه معارك جانبية .. تشغلنا عن الهدف الاول .. هدف التحرير .. ودعونا من التشكيك .. لقد خرج التشكيك عن بعض دور الصحف (كان يقصد الاهرام) .

والتحركات التي بدأت كان هدفها حرق القاهرة ، في جميع الميادين ، في وقت واحد .. ياسر عرفات قال لي أن كل صحفي مصري قابله ، ردد له ما يذاع في راديو لندن وصحف بيروت ..

ويؤسفني أن أقول أن هذا دور سيئ ..

وأنا أذكر طبعا الأقلام التي كتبت بواعز من الضمير الوطني ..

أما الباقون .. فقد اتخذوا موقفا سلبيا .. هو الانتظار .. مين عارف .. يمكن النظام ينقلب .. وآخرون تعاطفوا ــ من تحت لتحت ــ مع هذه التحركات ..

الصورة واضحة ..

الديموقراطية مستمرة •• لا عدول عن سيادة القانون ودولة المؤسسات •• مصيرنا أبيض •• مستقبلنا هو المعركة والانتصـــار •• حاضرنا هو الاصرار والصمود والأمل والارادة ••

وكما قال توفيق الحكيم •• الآلام العظيمة تبنى الآمال العظيمة •
والألم هو المعاناة وليس اليأس •• ولبس السواد ••

ثم قال الرئيس :

لعلنى انفعلت • ولكننى الآن فى قمة الراحة ، لأننى صارحتكم بحقيقــة ما أشعر به كزملاء • وقد انتهى الامر من نفسى تماما ••

وأرجو أن تكونوا واثقين •• أننى رأيت أن أضعكم فى الصـــورة معى كزملاء •• لا كرئيس دولة •• فتحت لــكم كوامن نفسى كما هى ، بدون كلام منمق أو عبارات منتقاة ••

أفرغت الشحنة !

⊙❖⊙

وبعد •• هذا جانب من المعاناة الداخلية التى واجهها أنور السادات •• ومع ذلك كان يعمل ليل نهار مع قيادات الجيش ، للاستعداد للمعركة •• بالامكانيات المتاحة ••

وكان هذا بعض الشوك فى الطريق الى ٦ أكتوبر ••
ولكنه ليس الشوك كله ••
لقد جاءت أشواك أخرى •• من ليبيا ••

الشكوك .. والخوف

من معركة خاسرة

●●● « الحرب النفسية للأعداء اثرت على بعض النفوس . زادت شكوك العالم العربى بأن مصرلن تحارب .. بدأت التساؤلات .. هل نستطيع أن نضمن الانتصار .. هل يمكن أن ندخل معركة « كسبانة » مائة في المائة ؟ .. وكيف نقاوم التفوق التكنولوجى لاسرائيل .. انور السادات يواجه كل هذه التساؤلات فى نفوس الجماهير ، ويعقد اجتماعا خاصا مغلقا لأعضاء مجلس الشعب ، ليؤكد لهم أن الحرب حتمية .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ » ..

في السادس من مارس ١٩٧٣ ، قرر أنور السادات أن يتولى رياسة الوزارة ٠

وكان هذا القرار مفاجأة ٠ وكانت الانباء قد تسربت الى دور الصحف والمواقع السياسية أن أنور السادات يفكر في وزارة جديدة ، تواجه مرحلة القتال ٠ وتردد أنه كلف حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومي بتأليف الوزارة ٠ وفعلا بدأ حافظ اسماعيل في اختيار أسماء الوزارة ٠ ولكن هذا لم يستمر لأكثر من يوم ٠ وتردد أنه طلب من وزير الحربية أحمد اسماعيل أن يرأس الوزارة ٠٠ وقيل أن الرجل اعتذر ، وقال للرئيس أنني أصلح للحرب ٠٠ ولكن ليست لدى صلاحيات رئيس وزراء ٠٠

ثم عرف أن أنور السادات هو الذى سيرأس الوزارة ٠ وقد قوبل هذا القرار من المتصلين بالرئيس ، باعتراض شديد ٠ وقال المخلصون أنهم يفضلون لانور السادات أن يبقى الحكم الاعلى بين السلطات ٠ ولكن توليه رياسة الوزارة ، سيجعل النقد الموجه الى أخطاء الوزارة ، موجها الى شخصه ٠

أما المتربصون بأنور السادات ، فقد أخذوا يشيعون أن الرجل يتولى كل السلطات خطوة ٠٠ خطوة ، لأنه يريد أن يكون الحاكم المطلق !٠٠ ولكن الرجل اختار قدره ، لأنه كان الوحيد الذى يعرف أن قرار القتال يقترب كثيرا ٠ ولابد من ضمان لسير شئون الدولة والحكم والمعركة ٠٠ ولن يتيسر ذلك الا اذا كان هو على رأس الجهاز التنفيذى ٠

وكان الوضع القائم بين الوزارة برياسة الدكتور عزيز صدقي ٠ والاتحاد الاشتراكي بقيادة المهندس سيد مرعي ٠٠ قد وصل الى درجة من السوء في العلاقات بين الجهاز التنفيذى والجهاز السياسى ، بحيث لا يمكن اصلاحها الا بتخلي واحد منهما ٠ وفشلت محاولات التوفيق بين الاثنين ٠٠ وكان كل اجتماع يحضره الاثنان مع الرئيس ، يتحول الى عرض للخلافات بينهما ٠ كان سيد مرعي يقول أن الحكومة تتخذ قرارات ، لا يعلم الاتحاد الاشتراكي عنها شيئا ، ومع ذلك فالمطلوب من الاتحاد الاشتراكي أن يدافع عن هذه القرارات أمام الجماهير ٠ وكان الدكتور عزيز صدقي يرى أن الوزارة جهاز تنفيذي مسئول أمام البرلمان ٠ ومادام يواجه المسئولية الدستورية ، فان اتخاذ القرار هو من شأنه لا من شأن التنظيم السياسى ٠ وعندما كانت الحكومة تتعرض لأية مساءلة محرجة من أعضاء مجلس الشعب ، كان رئيس الوزراء في يقينه ، أن هذه مناورة يختفي وراءها سيد

مرعي ٠ وحتى عند مواجهة أحداث الطلبة ٠٠ كان الطرفان يتصرفان في شبه انفصال كامل ٠٠ وذلك أتاح الفرصة لقيادات الطلبة أن تردد دائما، أنهم لا يعرفون من يصدقون ٠٠ الحكومة ٠٠ أم الاتحاد الاشتراكي ؟ وكان الرئيس أنور السادات يعتز بالاثنين ٠ وعندما تولى رياسة الجمهورية كان يردد باستمرار ٠٠ أن لدينا (اثنين عتاولة) ٠٠ في الصناعة عزيز صدقي ٠٠ وفي الزراعة سيد مرعي ٠٠

ولكن الخلافات بينهما لها جذور طويلة ، قبل وفاة عبد الناصر ٠٠ وبعدها ٠

هذا الوضع أثر على معنويات الجماهير ٠

بل زاد شكوكها ٠٠ في جدية الاستعداد للقتال ٠

وتضاعفت هذه الشكوك بمظاهر عديدة ٠٠ كان أبرزها عندما تعرضت القاهرة لامطار غزيرة ٠٠ وخرجت الصحف بعناوين (القاهرة تغرق في شبر ماء) ٠ فاذا كان هذا هو الاستعداد لمواجهة المطر ٠٠ فكيف يكون الاستعداد لمواجهة حرب يقول الرئيس السادات ليل نهار انها ستصل الى كل مدينة وقرية ومصنع ! ٠٠

وبدأت الاشاعات تروج عن أجهزة الدفاع المدني ٠٠ وكان يقال ان سيارات الاطفاء التي ستخدم في تجارب الغارات ٠٠ هي بعينها التي تستخدم في كل محافظة في هذه الحفلات الاستعراضية ، التي يقصد بها طمأنة الجماهير فقط ! ٠٠ بل ان بعضهم تطوع باعطاء أرقام هذه السيارات التي تنتقل من محافظة الى محافظة !

وتطور الامر فعلا الى شكوك في كل شيء ٠٠ في كل قرار ٠٠ في كل كلمة ٠٠

ومن أجل هذا كان لابد أن يتقدم السادات لتحمل المسئولية كاملة ٠ واختار للمرحلة اسم (المواجهة الشاملة) ٠

وقد عبر أنور السادات في اجتماع مغلق مشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب في ٦ مارس ١٩٧٣ ٠٠ عن دواعية لاتخاذ قراره ٠٠

فقال : لم تتحقق آمالي بالقدر الذي كنت أريده لقيام دولة المؤسسات ٠٠ وسبب ذلك :

★ بعض أوضاع وحساسيات قديمة فرضت نفسها على الظروف الجديدة ٠

★ بعض القوى لم تعرف دورها في الممارسة الجديدة ٠

★ قواعد الممارسة نفسها أصبحت محفوفة بالمخاطر ٠

★ الممارسة فهمت خطأ في سيادة القانون ودولة المؤسسات ٠

ثم قال : الناس تتكلم عن صراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكي ٠ أصبحنا دولة متناقضات لا دولة مؤسسات ٠٠ ولا يمكن أن تنتظر المعركة

لكي نرتب أنفسنا . المعركة ملحة . ولا يمكن تأجيل شيء عن شيء . ونتيجة التضارب والصراعات بدأت تخرج من دولتنا أسباب البلبلة . وانعكست على العالم . شوهنا صورتنا بدون داع . شوهنا سمعة مصر . والموقف لا يحتمل أن نمر في مراحل بلبلة نحن الذين نصنعها ! .. ونتيجة لهذا ، حدث نوع من التسيب في البلد . تشكيك في كل شيء . الدولة ليس بها خطة . الحملات نزلت الى الاشخاص . بدأت قوى لها مصالح تتحرك . وبدأنا نقرأ في المنشورات الماركسية (لابد من العنف أمام السلطة المرتعشة) !

ولخص الرئيس متطلبات الموقف فيما يلي :

١ ـ معركة المواجهة أصبحت حتمية . اذن فلندخلها كما يجب أن ندخلها .

٢ ـ في الموقف الداخلي .. لا سبيل أمامنا لتأخير المعركة . على حساب ترتيب أوضاعنا في الداخل .. ولا سبيل الى تأخير أوضاع الداخل على حساب المعركة .

٣ ـ لابد من توزيع أعباء المعركة توزيعا عادلا على كل انسان . كل من عنده أكثر يجب أن تكون تضحيته أكثر .

٤ ـ لابد أن نقول للعالم ان لنا قضية . يجب أن نحرك الموقف عسكريا بكل ما يقتضيه من تضحيات . يجب أن يعرف العالم أننا نستطيع أن نملي ارادتنا ، ونستطيع أن نتحدى عدونا ، ولكي يشعر العالم بنا لابد أن تدب فينا الحياة أولا . يجب أن أقول للعالم .. أنا حي .

وعرض الرئيس للموقف العربي والدولي بما أوجزه فيما يلي :

الموقف العربي :

★ هناك سلبيات كثيرة للاسف . ولكن الايجابيات بدأت تؤتي فعلا ثمارا للمعركة ، وهذا من نتائج الاتصالات الثنائية .

★ الحملة النفسية للاعداء بالغة العنف . نشأت فجوة تصديق بين الدول العربية . لا أحد يصدق عربيا اننا سندخل معركة .

★ من الخير أن تستمر الاتصالات الثنائية العربية ، في جو من الكتمان لا يعرف عنه العدو شيئا .

★ سوريا تواجه الموقف معنا ..

الموقف السوفيتي :

اتصالات تجرى لوضع علاقاتنا في اطارها الصحيح ، وعلى خطها المستقيم .

مباحثات أجراها حافظ اسماعيل وأحمد اسماعيل مع زعماء الاتحاد السوفيتي .

الموقف الامريكي :

★ علينا أن نقدم تنازلات لكي يمكن أن تتحرك القضية .. تنازلات في أشكال متعددة ومعلنة .

★ أمريكا تقول أنها لاتستطيع ولا تملك الضغط على اسرائيل ·

★ كلمه ايجابيه واحدة فى لقاء نيكسون مع حافظ اسماعيل ، قالها الرئيس الامريكي وهي : كيف يمكن أن نوفق بين السيادة المصرية على الارض المصرية ، ومقتضيات الامن الاسرائيلي ؟ ··

★ ايبان يؤكد التنسيق الامريكي الكامل · ويعلن أن صفقة الفانتوم الجديدة لاسرائيل ، قد نشرت عمدا ، لردع العرب ··

★ موقفنا من كل هذا ، ان اعطاء اسرائيل أى حق على أرضنا ، تحت أى صورة من الصور ، وتحت غلاف السيادة ، مرفوض تماما · وعلى أمريكا أن تتحمل المسئولية بالكامل · وصفقة الفانتوم الجديدة تشكل موقفا من أشد المواقف خطورة ، وستحس به أمريكا بعد ذلك ·

وقال الرئيس ان رسائله الى زعماء العالم ، كانت بهدف أن نطلع العالم كله ان الوضع أصبح متفجرا ، وانه قابل للانفجار فى أية لحظة · ونص كلماتى فى رسائلى :

ـ الموقف على وشك الانفجار ·
ـ على كل أن يتحمل مسئوليته على المستوى العالمى ·
ـ القضية لم تعد تحتمل أكثر مما تحتمل ·

وختم السادات كلماته فى الاجتماع المغلق بقوله : من أجل هذا ، وخلافا لكل ما أتمناه ، وصلت الى قرار أن أتحمل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة · وأطلب من كل واحد منكم أن يتحمل أيضا قدره بنفسه ويده · هناك لحظات فى التاريخ ، يجب أن يتقدم فيها الانسان ليتحمل قدره ، وليفعل القدر ما يريد · وليس عندى ما أقول سوى (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا ، واليك المصير) ·

واختار أنور السادات لمسئولية أمانة اللجنة المركزية ، الدكتور حافظ غانم · وكان قد شارك المستشار حافظ اسماعيل فى جولته السياسية الى زعماء العالم · وقبل أن يعلن اختياره لمسئوليته الجديدة ، كان الرئيس قد طلب منه أن يعد دراسة كاملة ، لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى العربى ، على أساس واحد ، وهو أننا نقترب كثيرا من القتال · وأعد حافظ غانم خطة ، ووافق عليها الرئيس · وكان من أهم معالمها ، الحفاظ على وحدة الجبهة الداخلية ، ودراسة عن حرب المصالح الامريكية فى المنطقة العربية ·

وأراد الرئيس أن يوسع نطاق المشاركة فى المسئولية ، فطالب القيادات ، باجراء حوار فى كل المواقع ، حول متطلبات المعركة ·

ومع ذلك ·· فلم يكن أحد ليتصور أن المعركة تدق الابواب ·

وثارت فى مصر تساؤلات عديدة ، ووضح من اتجاهات الرأى العام ، أكثر من علامة استفهام ·

ثم إتخذ الرئيس قرار المعركة مع حافظ الاسد ٠
وأراد الرئيس أن يرد على كل التساؤلات ، وأن يقضى على كل ما توحى به أية اتجاهات تخشى من نتائج الحرب ٠
وكانت هذه التساؤلات تدور بين الناس حول الافكار التالية :
★ اذا كنا جادين فعلا فى اختيار الحرب ٠٠ فلماذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟ ٠٠
★ هل أعددنا حقا لمعركة عسكرية ، سنكسبها مائة فى المائة ؟ ٠
★ كيف يمكن أن نحارب والواقع العربى فى خلافات مؤلمة ، وأحداث لبنان مع الفدائيين لا تبشر بأى خير ؟ ٠٠
★ اذا كانت اسرائيل تعربد الآن ، وتقتل زعماء المقاومة داخل بيوتهم في بيروت ٠٠ وتسقط طائرة ليبية مدنية عليها ركاب مصريون ٠٠ فلماذا لا نلقنها درسا بضربها في عمقها ٠٠ اذا كنا فعلا قادرين على ذلك ؟ ٠٠
★ هل نقول الحرب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟ ٠٠
★ هل هناك أمل فى استخدام سلاح البترول فى المعركة ؟ ٠٠ مع أن تصريحات المسئولين فى المملكة السعودية تقول ان البترول بطبيعته ليس سلاحا ٠ ولكنه أداة لشراء السلاح من أجل المعركة ؟ ٠٠
وحرص الرئيس أنور السادات على دعوة مجلس الشعب الى جلسة سرية مغلقة ، لاجراء حوار صريح ، في كل ما تجرى به ألسنة الناس ، حتى يضع النقط على الحروف ، وحتى يوجد الايمان الصادق فى قلوب القيادات السياسية ! اننا مقدمون فعلا على معركة ٠٠ وكان القائد يواجه فعلا معادلة صعبة ٠ اذا سكت عن الكلام يحدث هبوط معنوى ٠ واذا تكلم عن المعركة ٠٠ فهو لا يجد آذانا صاغية ، لان عبارة المعركة نفسها ٠٠ أصبحت غير مصدقة ، مع امتناعنا عن اتخاذ أى اجراء انتقامى ضد عربدة اسرائيل ٠
وكان السادات يرد في مجالسه الخاصة « انني أعرف ان بعض الناس يخشى تكرار الهزيمة ٠٠ ولكن ما جرى فى عام ٦٧ لن يحدث أبدا مرة أخرى ٠٠ اننا نستعد بهدوء ٠٠ نبحث في أدق التفاصيل ٠٠ هذا ظرف من أصعب ما يمكن أن يعيشه شعب أو قيادة سياسية ٠٠ وعلينا أن نتحمل ، ونحسب حسابا عميقا وهادئا بدون عصبية ٠٠ ان المعركة هى الفارق بين الحياة والموت ، ولكن يجب الحساب العسكرى والسياسى ٠ العدو يريدنا أن نتآكل من الداخل بدون معركة » ٠٠
كان يتكلم عن ثقة ٠٠
ولكن الشكوك كانت تأكل القلوب ٠
وأعرض هنا ردود الرئيس السادات على كل التساؤلات والشكوك من

المحاضر السرية لهذه الجلسة الهامة ، لكي نقدر الى أي مدى كان الرجل يحاول أن يقنع الجبهة الداخلية ، بجدية خطواته نحو المعركة ٠٠ والى أي مدى كان يقاوم الشكوك التي تسربت الى القلوب ٠

التساؤل الاول :

★ لماذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟

الجـــواب :

★ هناك تدريب فعلا على أعمـال المقاومة ٠ ولـكنني أخشى أن تكونوا متأثرين بأشكال خاصة عن الـكفاح ٠ البعض يتكلم عن فيتنـام ، وان كل مواطن هناك يحمل السلاح ٠٠ والبعض يتكلم عن حروب شعبية ٠ ولكننا نتجاهل أن اسرائيل لن تستطيع النزول الى الكثافة السكانية في شعبنا ٠٠ ولا تنسوا أن في الجبهة ما يقرب من مليون ٠ وقد بدأ التدريب في المدارس ، وأرجو أن يتحصن الطلبة والشباب بمناعة جديدة في فترة الصيف ٠٠

المعركة المقبلة لها مواصفات ، يعرفها العسكريون ويحددها العسكريون ٠

التساؤل الثاني :

★ هل نحن مطمئنون الى كسب المعركة مائة في المائة ؟

الجـــواب :

★ هذا التساؤل يثير أشياء كثيرة ٠ المواجهة الشاملة ٠٠ ما معناها ٠٠ لماذا لا نقول معركة ٠ واذا قلنـا ذلك فان الذهن ينصرف الى أنهـا المعركة العسكرية على قناة السويس فقط ٠٠ ولكنني أقول لكم ان المعركة العسكرية ليست نهاية المطاف ٠٠ نحن في مرحلة صراع ، مثل الصراع الذي حدث أيام الحروب الصليبية ٠ لقد اسـتمر العرب في صراع ٨٠ عاما الى أن كسـبوا الحرب ٠ قد تطول مرحلة الصراع ٠٠ وكنت أتحدث الى بعض الاخوة العرب وأقول لهم ، انه من الجائز ألا نحضر نهاية هذا الصراع ، ولكن علينا أن نسلم لمن بعدنا ، مرحلة كاملة من النضال ٠٠

ماذا نواجه اليوم ؟

أمريكا تعلن أن سياستها الاساسية هي الحفاظ على وقف النار ٠٠

اسرائيل تعلن أنه أنسب وأحسن وضع لنا ٠٠ هو وقف النار ٠٠ وذلك حتى يتسـنى لها تغيير الارض العـربية وفرض الامر الواقـع ٠ انهـا تبني المستعمرات ٠ تنقل اللاجئين من غزة الى الضفة الغربية ٠٠ تجري تخطيطا للارض المحتلة ٠٠ ثم نحن نواجه حملة نفسية تقول لنا : اسرائيل لا قبـل لكم بها ، لانها مؤيدة من أمريكا سياسيا واقتصاديا وعسكريا واعلاميا ٠٠

وفعلا ٠٠ وبعد ٦ سنوات ٠٠ استطاعت هذه الحملة أن تنفـذ الى نفوس العرب ٠٠ لا الشعوب فقط ٠٠ بل الى جميع نفوس الحكام العرب ٠٠ وبدأت تدخل الى نفوس البعض في شعبنا ٠٠

ويقول العضو (١) •• عاوزين معركة كسبانة ١٠٠ ٪ • من يضمن هذا ؟
المسألة ليست هكذا • المسألة اسرائيل – اذا استمر الوضع مجمدا هكذا – لن تحتاج الى اطلاق طلقة واحدة •

سننفجر على أنفسنا من الداخل • واليهود لا يخفون هذا التوقع •• انهم يكتبونه في صحفهم •

وأحب أن أصارحكم • أمريكا تقاوم الآن أى تحرك لكسر وقف النار • والاتحاد السوفيتى أيضا • يطلب ألا نكسر وقف النار ••

الاتحاد السوفيتى يقول لنا : ستخسرون المعركة •

ولكننى أنظر الآن مجردا لمصلحة هذا الوطن • ولمصلحة قضيته • ولمصلحة أجيالنا • اذا انتظرت بدون كسر وقف النار ، سيبقى الامر الواقع •• وروح اليأس والانهزامية تسللت الى شعوبنا •• وابتدأنا نقول •• يا معركة نكسبها •• يا •• لأ ؟! •• طيب •• ماذا يجب أن نفعل ؟ ••

هل أترك العدو يفعل كل شىء •• حتى أنفجر من داخلى ؟ ••

وكل يوم يتلقى العدو من أمريكا كل ما يريد •• ويتلقى الضمانات •

وأنا •• « بالكاد » أحصل على ما أستطيع أن أدخل به المعركة ••

وكون أمريكا ، تحقق لنا حلا سلميا الآن •• هذا أصبح حديث خرافة ••

لماذا ! •• ان ملخص كلام الامريكان لتحريك القضية هو :

★ يجب أن يكون هناك موقف مصرى جديد •• أى تنازل نقدمه لتحريك القضية ••

★ نزع سلاح سيناء بالكامل •

★ الاعتراف باسرائيل ••

لقد انقلبت الآية ••

التنازل مطلوب منا •• والاخطر من هذا أن أمريكا تتحدث بهذا معنا •• ثم تسرب خبر صفقة الفانتوم الى اسرائيل ، حتى نرتدع كما أعلن أبا ايبان • وسياسة أمريكا المعلنة رسميا ، هى حفظ ميزان القوى فى صالح اسرائيل ضد العرب مجتمعين •

أمريكا حاطة السيف على رقبتى ؟ ••

يبقى حل ايه ؟ ••

هذا فرض شروط •

واذا بدأ التنازل فسوف لا ينتهى ••

والاتحاد السوفيتى يطالبنى بأن أختار الحل السلمى ؟

وما أسهل أن أناور ، فى المدة الباقية لى لرياسة الجمهورية ، أعلن عن

---

(١) تقدم بهذا السؤال الاستاذ محمودابو وافية •

مؤتمر قمة عربى فى نوفمبر • ونخرج من المؤتمر كما دخلناه • يفوت ديسمبر • ندخل على عام ٧٤ • الروس متفقين على صفقات سلاح فى ٧٣ وأجزاء منها فى ٧٤ • أحضر اليكم وأطلب منكم أن ننتظر حتى منتصف ٧٤ •

وتنفيذ الصفقات (سيمط) حتى نصل الى آخر ٧٤ •• بعدها ندخل فى ٧٥ وهكذا •• تنتهى مدة رياستى •• وأنا أناور ••

اذا فعلت هذا ، سأكون خائنا • اننى أفكر كمواطن مصرى قبل أن اكون رئيسا •

كمواطن مصرى •• أنا أرفض رفضا كاملا ، أن أنفذ ما يريده الاعداء •

أننى لا أخاف من المواجهة ••

•• والا كنت مضحيا بمصالح شعبى كلها •

استمر وقف النار •• موت كامل لهذه القضية •

واقتناعى أننى أحمل قدرى ••

سأدخل المعركة ••

واذا لم نستطع تحرير الارض تحريرا كاملا ، فليكن كسر وقف النار ، ولن اترك للعدو ساعة واحدة ، يعمل فيها ما يشاء ، لكى يفرض الامر الواقع •

ان أي تخلف منا ، فى مواجهة قدرنا هذا •• اننى أعتبره جبنا وخيانة ••

من الممكن أن أختار الطريق السهل •• طريق المناورات كما قلت لكم ••

ولكن القضية تحتاج الى أن يحمل كل منا قدره •• نواجه قدرنا •• يجب كسر وقف النار •• يجب أن أكبد اسرائيل خسائر ، تعلنها فى قائمة خسائر يومية • ستضرب اسرائيل فى العمق • وسنضرب فى العمق • ان من يريد أن يعيش بكرامة و « رأسه فوق » •• لازم يواجه ويدفع الثمن •

ثم قال الرئيس :

بعد ذلك نسمع من يقول : عاوزين معركة كسبانة ١٠٠ ٪ ••

والله •• على قد قوتى يجب أن أدخل المعركة • العسكريون عندنا على أعلى مستوى ، والسلاح الذى فى يدهم ممتاز للمهمة التى سيؤدونها •• هم يخططون •• بأقصى ما لديهم ••

ونحن سياسيا •• نضع أقصى ما نستطيع ••

بعد ذلك يجب أن نواجه قدرنا ••

اننى أخشى أن يكون كلام •• عاوزين المعركة كسبانة ١٠٠ ٪ هو من أثر الحرب النفسية التى تشككنا فى قواتنا العسكرية •

هذا الكلام الذى يقال تحت الحرص على نجاح المعركة •• يعبر عن وجود خوف وتردد ••

قضيتنا أصيبت بالشلل •• وهى فى سبيلها الى الموت الكامل ••

ولكن أقول لكم .. القضـية ستحيا .. القضـية صراع طويل وليست معركة قناة السويس فقط ..

أمامنا معركة مصالح أمريكا .

أمامنا معركة الطاقة .

أمامنا معركة الحشد العربى .

معركة كبيرة يجب أن نخطط لها ، بشكل شامل ، وأن ننسق وننفذ لكى يتم الصراع .

معركة القناة ليست هى نهاية الصراع .

أية تكاليف .. أية تضحيات .. يجب أن نكون جاهزين لادائها .

ولكن .. لابد من أداء الصراع كاملا ، حتى نأخذ حقنا .

التساؤل الثالث :

ـ كيف نحارب والواقع العربى كله خلافات .. ثم هذه أحداث لبنان مع الفدائيين ؟ ..

الجـــواب :

ـ عن الواقع العـربى .. اننى أكتفى بالقـول أن لنا مع الملك فيصـل اتصالات متكاملة .. والعراق يشترك اشتراكا محدودا . وسوريا معنا . أحمـد اسـماعيل قائد الجيشـين . ولـكن هل ننتظر حتى يتغـير الواقع العربى ؟ ..

قال لى أحد أصدقائنا : لا معركة قبل أن تتم الوحدة العربية .

فقلت له : الواقع العربى لن يتغير الا اذا بدأنا وتحملنا مسـئوليتنا . أقصى ما يمكن أن نأخذه من الواقع العربى ، نحاول أن نأخذه بالاتصالات الثنائية . ولكن لن يتغير الواقع العربى .. والواقع الاسرائيلى .. الا عندما تكون لنا ارادتنا ونكسر وقف النار ..

وطبعا أحداث لبنان تشكل خطورة شديدة ، ليس فقط فى أن يستخدم العدو أرض لبنان ليدخل الى سوريا .. هناك خطورة أبعد .. قد تكون هذه الحوادث مفتعلة ومدبرة فى هذه المرحلة التى شعروا فيها أن مصر وسـوريا جادون فى المواجهة .. وقد حاولنا أن نحتوى الموضوع منذ بدايته ، ولكن الجيش اللبنانى تمادى فى العدوان بهدف تصفية الفدائيين .. أعلنا موقفنا .. سحبت الممثل الشخصى . أرسلت رأيى الى الرئيس فرنجية . الحالة أهدأ الآن . ونحن سائرون ولايجاد أساس لاجتياز هذه المحنة . هناك تخطيط فى المنطقة لايجاد مشاكل بين العرب حتى ننشغل عن معركة المواجهة الاساسية . اننا نبذل كل جهد .. وما يتم وراء الكواليس ، يتم بكل اصرار ، لكى نتفادى هذا الموقف ..

التساؤل الرابع :

ـ كيف نحارب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟

الجــواب :

ـ يقال أن هناك فجوة تكنولوجية بيننا وبين اسرائيل .. هذه حقيقة . ولكنى عندما أعود بالذاكرة الى الحرب العالمية الثانية ، وقد عشتها ضابطا وسياسيا .. كان الالمان متفوقين على الروس بفجوة تزيد كثيرا عن الفجوة مع اسرائيل .

بل بدأ الالمان ، وهم متفوقون على انجلترا وفرنسا وأمريكا التى اتجهت الى الانتاج الاستهلاكى . ولكن هذه الدول الثلاث جمعت قواها وهاجمت بعد ٥ سنوات . فلا يعنينا اذا انتظرنا ٦ سنوات . ولكن الروح الانهزامية هى التى دخلت على نفوس البعض .. فأرادوا أن يصبحوا فلاسفة ..

الفجوة كانت ضخمة بين ألمانيا وروسيا . روسيا لا تزال فى مرحلة البناء . وعندما وصل الالمان الى ١٥ كيلو مترا من موسكو .. لم يقل الروس : يا معركة كسبانة يا بلاش .

ستالين استدعى القادة العسكريين .. وسألهم : ماذا نستطيع أن نفعل ؟ .. وكان الالمان قد أحرقوا كل شيء .. أكثر من ٣٠ ٪ من الصناعة والزراعة الروسية دمرت تماما . وعاد المريشال تيموشنكو الى ستالين بعد يومين وقال له : من الممكن أن نستعيد الموقف . بشرط تسخير كل الموارد للمعركة .

وقد اكتشف ستالين أن جزءا من الانجازات الاقتصادية ، كان مكتوبا فى التقارير فقط ! .. ومع ذلك بدأ يعبىء ما عنده ، وطلب من الحلفاء أن يساعدوه .

لم يتخاذل ستالين .

لم يتردد لحظة واحدة .

بدأ منطلق الحرب لا من أجل تحرير الارض فقط .. ولكن لاعادة بناء روسيا بالتكنولوجيا الحديثة .

ولذلك يجب أن تكون استراتيجيتنا قائمة ، على أن القوة الاساسية للدفاع عن مصر .. يجب أن تصنع فى مصر ، ولا ننتظر الصفقات الممطوطة .. ولا نشرب من صنبور يمكن أن يقفل فى أية لحظة .

وبدأ ستالين ..

خسروا فى ليننجراد مليون شخص ، منهم نصف مليون فى جبانة واحدة .. ولم يستسلموا .

كان الاطفال بلا ملابس . ودرجة البرودة ٢٥ تحت الصفر . لبسوا الاشولة القديمة ، ولم يستسلموا .

اننى أكرر ما أعلنته فى أول مايو ١٩٧١ . فلتكن هزيمة ٦٧ منطلقا لبناء جديد . نحرر أرضنا وفى الوقت نفسه نبنى قوتنا الذاتية التى أنتج بها فى مصر ما يجعلنى قادرا على الدفاع عن نفسى ، بتصنيع مصرى ونحن سائرون فى هذا .

اننا في حصار من الغرب ، وفي تحديد من الشرق ·

مع الشرق ·· وأنا أطالب منذ ١ و ٢ مارس ١٩٧١ (رحلة الاتحاد السوفيتي) بتصنيع حاجيات أساسية في مصر · والقاعدة الصناعية عندنا جاهزة لكي تتطور وتصنعها ··

ولكن لا رد حتى الآن ·

اذن ·· أنا مضطر أن ألجأ الى كل الاساليب والطرق التي تمكنني من تجميع قوة ذاتية تبني في مصر ·

هناك بديهيات للدفاع عنا ، لو كنا نُنتجها محليا ، لما كانت اسرائيل قادرة على الهجوم علينا ·

اننا في مرحلة ، كل دقائق فيها لها قيمة في العمل والتنفيذ ·

التساؤل الخامس :

ـ لماذا لا نضرب اسرائيل في العمق · حتى توقف عربدتها · لماذا لم نرد على ضرب الطائرة الليبية المدنية ؟ ·

الجواب :

ـ بعد أن وقعت كارثة الطائرة الليبية المدنية ، خطب معمر القذافي وقال اننا نرفض أن نرد على هذه العملية · والحقيقة أن معمر طلب أن ٣ طائرات تقلع من مصر أو سوريا ، وتدخل اسرائيل ، وتلقي بقنابلها وتعود ·

ولكن العملية ليست بهذه البساطة · وهنا لا يفلح الانفعال ، لان المسألة ·· مصير شعوب ·

وعندما أقول أنني أجهز الآن لكسر وقف النار ، فلا يعني هذا أننا سنضرب بمدفعية في القناة ·· واسرائيل ترد وانتهى الامر · لا ·· اليوم ، طلقة البندقية ، مثل عبور القناة · العدو سيرد بكل قوته ·

وهذه مسألة محسوبة عسكريا وسياسيا ·· كيف ؟ ·· لقد اعتبرت اسرائيل وأمريكا أن حالة وقف النار هي كسب لها لا رجوع فيه ، وعليهما أن يحافظا عليه بأي ثمن وهذا واضح في خطط الاثنين ·· وليس من المعقول أن أضرب اسرائيل الآن بثلاث طائرات · لاعطيها المبرر ، في وقت غرورها وعربدتها ، أن تشن حربا شاملة · يجب أن أكون جاهزا للمضاعفة والتصعيد· يجب أن أكون جاهزا للرد على الضربة بأعنف منها · ولذلك قلت لعمر : عمليتك دي ·· لا موضع لها الآن ·

التساؤل السادس :

ـ هل سيستخدم سلاح البترول في المعركة ؟ ··

الجواب :

من الخطأ أن نتصور أن المعركة ستكون على قناة السويس فقط ·المعركة جزء من صراع جوانبه متعددة · أحد هذه الجوانب الرئيسية ، مصالح أمريكا ،

الممثلة أساسا في البترول . لا بد أن يكون التخطيط شاملا لضرب المصالح الامريكية خلال الصراع .

ولا أستطيع أن أقول أن هناك خطة جاهزة بالنسبة للبترول . توجد اتصالات . هناك دراسات تتم بمنتهى الدقة . كيفية استخدام سلاح البترول، أولا يجب أن يقتنع به أصحاب البترول .. وهذ اسيظهر فى المرحلة المقبلة .

ولكن هناك شيء أساسى في اعتبارى . ستكون معركتنا بالغة الصعوبة ، بدون ضرب المصالح الامريكية كجزء من الصراع . ويجب أن يكون زمام المبادرة فى يدنا . والتخطيط من أجل هذا . يجرى الآن الاتصالات مستمرة . ولكن الموضوع بالغ الحساسية ، والواقع العربى ، يطالبنا بعدم التصريح عما يجرى أو يدور .. حتى بالتلميح .

وهكذا نجد أن الرجل كان يبذل قصارى جهده ، للقضاء على كل الشكوك ، وايجاد وحدة وطنية فى البلاد ، لكى نواجه القتال والجبهة بعيدة عن الانقسام والتسيب . وكان هذا سر ألمه من حوادث الطلبة ومن منشورات بعض الكتاب والصحفيين .

لقد تجاوزنا مرحلة الحرائق المتعمدة فى عدد من المرافق العامة والتى بدأت بحريق الاوبرا .

وتجاوزنا الفتنة الطائفية بين المسلمين والاقباط .

وتجاوزنا مواقف داخل القوات المسلحة ، مرتبطة بقرار الحرب .. كان من نتيجتها اعفاء الفريق صادق وزير الحربية والقائد العام ..

وتجاوزنا الخلافات مع السوفيت حول الحرب والتسليح .. وكان القرار أن نحارب بما فى أيدينا من أسلحة . وبما يتأكد وصوله من الاسلحة .

وتجاوزنا المعارك الجانبية فى الموقف العربي الذى كانت توحى مظاهره بالفرقة والانقسام .. بل باليأس الكامل عبر الرئيس الحبيب بورقيبة ..

وخلال ذلك كله تجاوزنا الاتهامات بالعجز والصمت والسعى الى الحلول التصفوية ، واسرائيل تعربد بكل غرور وغطرسة ..

وانطلقت القذيفة الاولى فى ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر .

فماذا حدث فى الجبهة الداخلية :

ظهرت الوحدة الوطنية فعلا فى أروع صورة .

انطلق جوهر الوطنية المصرية الاصيل .. وتبدد كل الصدأ فى لحظات .

ولم يصدر قرار باعتقال مواطن واحد .. وهذا لم يحدث فى أية دولة ، فى أى حرب من الحروب .

وقال السادات لممدوح سالم فى حديث خاص :

ــ هذا هو الشعب المصرى الذى أعرفه . هؤلاء فعلا هم أبناء مصر . دول ولاد الطين .. اللى خرجنا منه كلنا .

ولا شك أن سياسة الامن القومي في مصر ، تغيرت جذريا ، ببداية مرحلة ١٥ مايو •

كانت أجهزة الامن من قبل ، تقسم الاتجاهات السياسية الى اثنين فقط : اخوان مسلمين (يمين) •• وماركسيين (يسار) •• وكانت لديها كشوف بأسماء هؤلاء وهؤلاء •• وفي مواجهة أية أحداث ، كان أسلوبها (للامن) هو اعتقال الجميع •

المنطلق الجديد • أو الفلسفة الجديدة بعد ١٥ مايو •• تطور الى أن اقرار (الامن) الحقيقي ، هو في احترام مصرية الجميع •• انماء القطاع الوطني الذي تنحسر أمامه كل الاتجاهات الاخرى •• ثم تحويل هذه الاتجاهات الى المنبع الواحد •• وهو منبع التراب المصري •

ولذلك فقد وفر العمل للجميع •• بغض النظر عن العقيدة السياسية ، ورفعت كل اجراءات حظر السفر الى الخارج • وفتحت مصر أبوابها ، لكل الهاربين من الارهاب ، وأعيدت الجنسية المصرية لكل من طلبها ، وكان شعار أنور السادات في هذا •• أنني يستحيل أن أمنع مصريا من العودة الى بلده ووطنه وأرضه •• وقد بقي على أمين في الخارج ٩ سنوات • وكان يقال له من وسطاء السوء ، أنه سيعتقلك بمجرد نزولك الى مطار القاهرة ، فكتب على أمين الى السادات مباشرة • وتلقى الرد : هذه أرضك ووطنك •• تحضر وقت أن تشاء • وتغادرها وقت أن تشاء • تقابل هذه الصورة •• صورة آخرى لما كان يحدث في الماضي •

المواطن عز الدين عبد القادر (٧٠ سنة الآن) •• كان في العراق خلال أزمة الديمقراطية عام ١٩٥٤ ، وأصدر كتابا طالب فيه بأن تحكم مصر بدستور مباشر ودائم يحقق الديمقراطية •• ومرت سنوات •• وكان يخشى أن يعود الى مصر • ثم تلقى رسالة مطمئنة • فعاد •• فاعتقل في المطار • وقدم الى محكمة عسكرية • وحكم عليه (الدجوى) المشهور بالاشغال الشاقة المؤبدة !

ولم يخرج من السجن الا بقرار من أنور السادات بعد أن أمضى عشر سنوات ! •

فلسفة الامن •• تحولت الى فلسفة أمان ••

ان بعض الاسماء التي كانت مسجلة في الكشوف ، لكي تعتقل في كل مناسبة •• لهم أبناء يقاتلون على الجبهة ••

فكيف أعتقل الاب •• لمجرد الاشتباه في أنه معاد للنظام لانه (اخواني) مثلا ، أو « ماركسي » أو من رجال الاحزاب القديمة ، وابنه أو شقيقه أو ابن عمه يقدم دمه من أجل تحرير الارض ؟ ••

ولماذا أنزع المصرية من الاخواني أو الماركسي ؟ •• حتى لو علا صوته بمجرد صخب أو ضجيج •• لا يؤثر على سير الموكب الكبير •

وكان تقدير أجهزة الامن العــــام ·· ان الشعب سيقبل على حماية جبهة القتال ، لانه وعلى الرغم من حملات التشكيك النفسية التى أصابت كثيرا من القلوب ·· فان الشعور العام كان يطالب بالحرب ، مهما كانت النتائج · أما الاستمرار فى هذا الوضع المائع ·· فهو المذلة والمهانة ·

وكان مطلوبا من أجهزة الامن العام أن تجيب على هذا السؤال :

ـ ماذا يمكن أن يحدث لو ضربت القنابل الاسرائيلية الاعماق ·· لو ركزت غاراتها على حى شعبى مثل حى شبرا فى القاهرة ·· لاحداث ذعر فى البلاد ؟

ودرست أجهزة الامن العام ، احتمال التهجير من الاحياء المزدحمة بالسكان ·· ولكن الى أين ؟ ·· ومتى ؟ ·· وساعة الصفر لا يمكن أن تكشف ؟ ·· بل هى قد تحدد فى أيام معدودة قبل المعركة ··

ورأت أجهزةالامن أن تهجير الاحياء المزدحمة بالسكان هو الذى سيحدث الذعر ··

لقد أعدت كل امكانيات الاغاثة والاسعاف واطفاء الحرائق ورفع الانقاض والنقل الى المستشفيات ·· بالنسبة للاحياء المزدحمة ·· ولكن كان التقدير أن الشعب ، بعد الطلقة الاولى ، على جبهة القتال ، سيتقبل كل التضحيات ·· مهما كانت التضحيات · ان أضرار الحروب لا يمكن تلافيها ·· لان الحرب هى الحرب ··

ومقاومة هذه الاضرار ·· تعتمد أولا على الشعب ، مهما كانت الاستعدادات الفنية والرسمية ·

وقد فرض ممدوح سالم حالة الطوارىء فى الايام الثلاثة الاخيرة ، على كل أجهزة الامن الداخــــلى ·· وكانت الحجة الظاهرة ، أننا نتوقع ضربة من اسرائيل · وتمت عملية مراجعة سريعة لكل اســـتعدادات الدفاع المدنى والشعبى ·· والتطوع للمقاومة ·· واعداد الاكتفاء الذاتى للمدن والمناطق المتوقع ضربها من العدو وخاصة فى مناطق الصعيد عند خزانات المياه ومواقع مولدات الكهرباء ·· وكان المحافظون قد تلقوا فى ٢٦ ابريل خطابا (سرى جدا) من وزير الداخلية يطلب فيه مراجعة جميع خطط اعداد الجبهة الداخلية والاطمئنان الكامل الى كفاءة اجراءات الوقاية والتحصينات وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى التموين والادوية ، وضمان العمل تحت كل الظروف ·

وشعر المسئولون عن الامن القومى بالخطر فعلا يومى الثالث والرابع من أكتوبر · لقد طلبت السفارة السوفيتية الى السوفيت المدنيين الموجودين فى القاهرة أن يغادروها الى الاتحاد السوفيتى على الفور · وأعدت لهم سيارات نقلتهم طوال الليل الى مطار القاهرة ، حيث قدمت طائرات خاصة من الاتحاد السوفيتى لهذا الغرض ·

وحدث هذا فى سوريا أيضا ··

وكان من الممكن للعدو ، أن يستنتج من هذه الظاهرة ، أن الحرب على الابواب •• وخاصة أن ما يجرى أمام أعين المواطنين المصريين فى الاحياء التى يسكنها سوفيت •• انتشر فى كل القاهرة •• وكان حديث الناس ••

ولكن كل شىء مر بسلام ••

وكان من أهم اجراءات اعداد الجبهة الداخلية للقتال :

ـ خطط وقاية المصانع والمنشآت والمرافق العامة •

ـ خطط الوقاية من الاخطار البيولوجية والكيماوية •

ـ خطط للعمل على أجهزة الدفاع المدنى تحت كل الظروف •

ـ اعداد خطط بديلة فى حالة ضرب مرافق الكهرباء والمياه والمجارى والتليفونات والسكك الحديدية ••

ـ تدريب ٤١٩١٦ مواطنا على أعمال الدفاع المدنى والانقاذ والاطفاء ، وتم إعداد فرق للخدمات الهامة بالمحافظات من ٧٧٥٠٦٦ مواطنا •

تحديد ٦٢ مدينة يتولى متطوعون تأمينها والدفاع عنها ، واتخذت كل الاحتياطات ضد عمليات التسلل والتخريب •

⊙❖⊙

وقد نجح فعلا مخطط الدفاع المدنى فى كل المواقع التى قصفها العدو بغارات مكثفة ومتلاحقة ••

ومثال ذلك :

طريق دمياط بورسعيد الساحلى (أكثر من مرة) ـ طريق مصر اسكندرية الزراعى ـ طريق بورسعيد الاسماعيلية ـ خطوط السكة الحديد بين الاسماعيلية والشرقية ، وخط السويس مصر ـ محطة مياه بورسعيد وماسورة المياه الرئيسية بين دمياط وبورسعيد وترعة الاسماعيلية ـ محطة كهرباء بورسعيد ـ محطة بور توفيق ـ بعض أبراج الضغط العالى بالدقهلية ـ خط الكهرباء الرئيسى لمدينة الاسماعيلية ـ خطوط الاتصالات اللاسلكية نتيجة قصف ضواحى المنصورة •

وفى رأس البر ودمياط استخدم العدو مدفعية السفن البحرية فى قصف مواقع مدينة ساحلية •

⊙❖⊙

وارتفعت الجماهير الى مستوى المسئولية •• فى كل المواقع التى ضربها العدو ، ووصلت اليها قواته بعد التسلل من ثغرة الدفرسوار ••

وكانت كل تحركات العدو فى هذه المواقع ، مرصودة من المواطنين •• وكانوا يبلغون بها كل أجهزة الامن والمخابرات العسكرية فى الاسماعيلية •• وساعد ذلك على نجاح القوات المصرية قبل اتفاق فصل القوات فى يناير فى أن تلحق بالعدو أكبر خسائر فى الارواح •

وقد استخدمت القوات الاسرائيلية أبشع الجرائم ، لكي تجبر المواطنين على تقديم معلومات ، أو الابلاغ عن مواقع القوات المصرية ٠٠ وفشل كل ذلك في أن يهبط بمعنويات المواطنين ٠٠ لقد دمروا مثلا جميع المتاجر والمخازن فى فايد ٠٠ استولوا على محصول السمسم ونقلوه الى داخل اسرائيل ٠٠ استولوا على أموال المواطنين بتفتيش الرجال والنساء تحت التهديد بالقتل ٠٠

حرقوا المنازل وسرقوا ما بها ٠ قتلوا طفلة أمام أمها ، ومنعوها من دفنها الا فى اليوم التالى ٠ خطفوا المئات ٠ أطلقوا الرصاص على الفلاحين جزافا وبدون حساب ٠ حدثت كل هذه الجرائم فى قرى فايد والشلوفة وجنيفة وجيب الله وكفريت وفنارة وأبو سلطان وغرب الدفرسوار ٠ وعين غصين والضبعية وأبو حميان وسرابيوم ٠

ومع ذلك فان هذا الارهاب الدموى الاجرامى ، على مدنيين عزل من أى سلاح ٠٠ لم يمنع مواطنا مثلا من ارشاد وحدة مصرية لاقتناص الدبابات فى ٢٨ أكتوبر الى مركز تجمع لدبابات العدو فى أحد المرافق ودمرنا ١٦ دبابة ٠٠ واستشهد أربعة أبطال ٠

وبلغ من حذر العدو وخوفه من المواطنين ــ رغم هذا الارهاب الدموى ــ أنه كان يضيء أنوارا كاشفة حول مواقعه طوال الليــل ٠ وكان يطلق النار كل ربع ساعة فى كل الاتجاهات ، للتخويف ٠ وهكذا حتى يطلع النهار ٠

وعندما وصل موشى ديان فى زيارة للقوات الاسرائيلية فى أبو سلطان ٠٠ ظهر فى أماكن متفرقة ، أكثر من شخص فى ملابس وشكل موشى ديان ٠ وذلك خوفا على حيــاة وزير الدفاع الاسرائيلى ٠ ظهر هؤلاء الشــبهاء فى محطــة أبو سلطان ٠٠ وأمام محطة المياه وفى الوحدة الصحية ٠

وهكذا صــمدت الجبهة الداخلية ، وتوحــدت فى صلابة ٠٠ وكان قلق الجماهير فى الايام الاولى التى أعقبت أنباء تسلل العدو من الدفرسوار ، يعبر عن الألم ، أكثر مما يعبر عن الاهتزاز ٠

لقد نمت ثقة كاملة بين الشعب والقيادة ٠

وعندما أعلن أنور السادات فى أول مؤتمر صحفى عالمى بعد وقف القتال ، عن أن قواتنا قادرة على القضاء على الجيب الاسرائيلى ٠٠ اطمأنت الجماهير تماما ، لانها أصبحت تصدق كل كلمة يقولها القائد ٠



الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسي .. فى احد المواقع الامامية

القذافى .. اللغز المكشوف

●●● « عرض للموقف العربى قبل وبعد المعركة ·
ماذا دار فى لقاء الرئيس السادات وفيصل فى أغسطس ١٩٧٣ · ماذا طلب فيصل ؟ وماذا كان رد السادات ·
كيف كان بومدين يرى الموقف قبل ٦ أكتوبر · ؟
لماذا سافر بومدين الى الاتحاد السوفيتى ؟ ماذا قال له الزعماء السوفيت عن أنور السادات ؟ المعونات العسكرية والبترولية التى حصلت عليها مصر من الجزائر والسعودية ·
ثم عرض شامل صريح لموقف معمر القذافى · ولماذا قال له السادات ·· اننى مستعد أن أبايعك صلاح الدين ·· ولكن بشرط ! ·· ماهو هذا الشرط ؟ » ●●●

الرئيس السادات فى أخطر جولة عربية سريعة ، قام بها قبل حرب أكتوبر . الرئيس يزور السعودية وسوريا وقطر . الرحلة مفاجئة . لا أحد كشف عما دار فى هذه الرحلة حتى الآن التى تمت خلال أغسطس ١٩٧٣ ..

لنتوقف قليلا مع الرئيس السادات فى السعودية . لقاء بالغ الاهمية بين الرئيس السادات والملك فيصل . بل هو أهم لقاء جرى فى المحيط العربى خلال عام ١٩٧٣ . الحديث يدور بين الرئيس والملك ، حول قرار الحرب . كاشف الرئيس السادات ، فى هذا الاجتماع ، ملك السعودية ، برأيه الاخير وهو أنه لا سبيل الى التحرير وتحريك القضية الفلسطينية ، الا بالقتال ، كان الملك فيصل فى أول اللقاء ، مشفقا على المصير اذا لم نكن معدين له الاعداد الصحيح القادر على قهر القوات الصهيونية . أفاض الرئيس أنور السادات ، فى شرح الموقف العسكرى ، والخطة المصرية ، واستعرض كل جوانب الضربة المصرية .

اقتنع الملك فيصل ، وربط اقتناعه بشرط واحد . **قال الملك للرئيس السادات :**

ــ لى مطلب واحد فقط .. وهو أن تستمر المعركة وقتا يسمح ببناء موقف عربى موحد . لا نريد أن نبدأ المعركة ، ثم نطلب وقف النار بعد يوم أو يومين . أكد الرئيس أنور السادات ، أن خطة المعركة قد وضعت لتستمر ، وأنه لن يوافق مطلقا على وقف النار بعد وقت قصير مهما كانت الظروف .

وضع الملك فيصل يده فى يد الرئيس .. وتعاهدا على التعاون الكامل .

قال السادات : اننى لا أطلب منك أى شىء محدد . أطلب منك فقط المساندة وبناء موقف عربى واحد .

وأوفى الملك فيصل بكلمته .

ولم يطلب الرئيس السادات ، من الملك ، اتخاذ أى اجراء . وكل ما صدر عن الملك فيصل من قرارات ، كان بغير أى اتفاق مسبق مع الرئيس السادات . لم يجر أى اتصال بين القاهرة والرياض . بشأن قرار خفض البترول الى أوربا وأمريكا .. ثم قرار الملك بمنع البترول كليا ، عن أمريكا وهولندا . عرفت القاهرة قرارات الملك ، عند اعلانها ، كما عرف بها العالم كله .

قال الرئيس السادات : هذا موقف عظيم ، لن تنساه الامة العربية للملك فيصل .

وقبل القتال ، حصلنا على الاسلحة التى طلبناها من السعودية • كما حصلنا على الذخائر التي طلبناها ، بل ان السعودية تعاقدت لنا على شراء أسلحة ، كنا في حاجة اليها ، وقدم الملك فيصل مليونى طن بترول مجانا • وعندما تخلى معمر القذافي عن امدادنا بالبترول ، اشترت السعودية بترولا مكررا من ايطاليا ، وأهدته لمصر •

ثم قال الرئيس : وباختصار •• لم يتردد الملك فيصل لحظة واحدة ، فى الاستجابة الى أى مطلب طلبناه •• أسلحة •• معونة •• بترول •• أى شىء • هذا عدا القرارات التى كان يصدرها بنفسه ، لدعم المعركة عربيا ودوليا وتفاجأ بها القاهرة •• **موقف عظيم** •

ولم يتكلم الملك فيصل • بل انني سافرت الى السعودية ، باتفاق مسبق ، على موعد للقاء الملك فيصل • ولقيت جلالته • ورفض أن يتكلم بحرف واحد عن موقفه فى حرب أكتوبر • وكلما وجهت اليه سؤالا كانت اجابته الواحدة المكررة : لم نفعل شيئا لقد أدينا الواجب • أداء الواجب لا يستحق الحديث عنه • مصر غالية •• وشعب مصر عزيز علينا ، وعلاقاتنا على طول المدى طيبة وأخوية وكلها مودة • كل ما أرجو أن يتحقق هو الموقف العربى الموحد • الصهيونية والشيوعية تفيدان من الخلافات العربية • وكل ما يعمل على تفتيت الصف العربى ، منحرف ، ينفذ أهداف الصهيونية والشيوعية ، سواء كان يعرف أو لا يعرف • نسأل الله أن يهدينا جميعا الى وحدة الرأى والكلمة ، من أجل بناء الامة العربية •

هذه خلاصة اجابات الملك فيصل على أسئلتى ••

وفشلت كل محاولاتى معه أن يتكلم :

موقف آخر •• سألت عنه الرئيس أنور السادات • هو موقف الرئيس هوارى بومدين •

اننى أعرف أنه كانت بين القاهرة والجزائر ، أزمات وأزمات ، قبل وفاة جمال عبد الناصر • وكان الرئيس بومدين بالغ الاستياء مما يكتبه محمد حسنين هيكل من هجوم ظالم وتشويه لموقف الجزائر • وقد حدث أن كان الدكتور مراد غالب فى الجزائر وهو وزير للخارجية لحضور مؤتمر قمة عربى • وكان واقفا يتحدث مع الرئيس السودانى جعفر نميرى • وكان نميرى فى قمة الغضب أيضا ، مما كانت تنشره « الاهرام » ضد ثورة السودان • ودعا مراد غالب الرئيس نميرى ، أن يمر على القاهرة ، فى طريق عودته الى الخرطوم • وأجاب نميرى : لن أدخل القاهرة ، ومحمد حسنين هيكل يتولى مسئولية فيها ••

فقال مراد غالب : ولماذا تربط موقفك من مصر ، بشخص •• وهنا كان قد جاء الرئيس بومدين •• فأراد مراد غالب أن يستعين به على اقناع الرئيس

نميرى . وأعاد مراد غالب على مسامع الرئيس بومدين ، ما قاله الرئيس نميرى من أنه لن يدخل القاهرة .. بسبب هيكل .

وكانت اجابة الرئيس بومدين : الرئيس نميرى عنده حق مائة مائة . أنا معه فى هذا .

وكان بومدين قد استقبل الدكتور مراد غالب ، وعرض له أسباب سوء العلاقات من وجهة نظر الجزائر . وكان يحتفظ بملف كامل ، بكل ما كتبه هيكل ضد الجزائر . وقال بومدين : هذا تشويه لموقف الجزائر وثورة الجزائر .

واستمرت وجهة نظر الجزائر ، بعد وفاة جمال عبد الناصر ، أن الجزائر مستعدة أن تقدم كل عون عسكرى ومادى .. وكل ما يطلب منها اذا بدأت الحرب فعلا .. أما قبل ذلك ، فلا .

والدافع الى رأى الجزائر ، أنه لم تكن هناك ثقة فعلا فى أننا سندخل الحرب .

وحدث أن التقى الرئيس بومدين بالفريق سعد الشاذلى ، وكان قد سافر الى الجزائر ، بوصفه أمينا مساعدا للجامعة العربية وقال له الرئيس بومدين : حقيقة أن السادات فى موقف صعب . عدم دخول الحرب مصيبة .. ودخولها قد يكون مصيبتين . وصفيت أوجه خلافات كثيرة .. فى لقاء بين السادات وبومدين .

ولكن بقيت وجهة نظر الجزائر ، متشككة فى امكانية دخول مصر الحرب .

... ثم بدأ العبور العظيم ..

وكان الرئيس بومدين يتصل يوميا بالرئيس السادات متابعا بكل اخلاص وحماسة سير المعركة . مستجيبا الى كل ما يمكن أن تطلبه مصر .

وفجأة توقف خط الاتصال ..

وفجأة عرف الرئيس السادات أن بومدين سافر فى رحلة سرية الى موسكو واجتمع بزعماء الاتحاد السوفيتى .. ثم عاد من رحلته على الفور فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى !

وفجأة عرف الرئيس السادات ، أن الرئيس بومدين ، قام بهذه الرحلة السرية التاريخية ، دون أن يخطر أحدا .. واجتمع بقادة الاتحاد السوفيتى ، وقدم ٢٠٠ مليون دولار لشراء أسلحة . مائة مليون لمصر ، ومائة مليون لسوريا . وطلب من موسكو أن تتصل بالقاهرة ودمشق لتحديد ما تحتاجانه من سلاح .. ووافق السوفيت .

وعاد الرئيس بومدين الى الجزائر ، ودعا مجلس الثورة الجزائرى الى اجتماع وعرض عليهم كل ما جرى . وأعلنت الجزائر أنها ستوقف خطة التنمية كاملة .. حتى تنتهى المعركة .

ولكن ماذا جرى بين الرئيس بومدين والاتحاد السوفيتى ..

لقد جرت مناقشة سياسية طويلة ، هاجم فيها الاتحاد السوفيتى ، سياسة الرئيس السادات .. وقالوا كلاما كثيرا ..

وهنا قال الرئيس بومدين : اننى لم أحضر الى موسكو ، لكى أدخل فى مناقشة سياسية .. نرجو أن ننحى السياسة جانبا . مصر وسوريا الآن فى حرب . وقد جئت اليكم أشترى سلاحا للبلدين الشقيقين .. فهل توافقون ..

ووافق الاتحاد السوفيتى ..

وتحدث الرئيس السادات عن موقف الجزائر البطولى . عندما طلبنا المدرعات ، لخطة ضرب الاسرائيليين فى الضفة الغربية بعد الثغرة .. ووصلت الى مصر ، وفى أسرع وقت ١٥٠ دبابة ورجالها وتموينها ومدفعيتها .. ومن قبل .. انضمت قوة طيران جزائرى - طائرات وطيارون - الى قوات الطيران المصرية .

كان التعاون رائعا ..

وكان الموقف بطوليا ..

وعندما أخذ معمر القذافى الموقف الشاذ .. ومنع البترول عنا .. أرسلت الجزائر هدايا البترول .. أرسلت الجزائر هدايا البوتاجاز .. وكانت الجزائر متعاقدة على شراء بوتاجاز لاستهلاكها المحلى .. ولم تكن البواخر قد وصلت بعد .. وأعطى الرئيس بومدين أمره للبواخر أن تتجه الى مصر .

ولم تصدر عن الرئيس بومدين كلمة واحدة عن دوره التاريخى فى حرب أكتوبر .

وكانت قراراته السياسية ، والبترولية ، خلال المعركة وبعدها تعبر عن المسئولية المصيرية الكاملة .. ولم يأبه لصوت المزايدات الكلامية والمواقف المسرحية التى اتخذها معمر القذافى ، فى موضوع اعادة ضخ البترول لامريكا بعد أن تغير الموقف الامريكى .

وقال القذافى حينئذ أنه لن يدنس أرض ليبيا ، بأن يتخذ عليها ، قرار اعادة ضخ البترول لأمريكا ..

وفى اليوم التالى ، كانت بعثة اقتصادية أمريكية تزور ليبيا ، باتفاق رسمى سابق للمناقشة فى دعم الروابط الاقتصادية بين أمريكا وليبيا !!

ولكن لماذا اتخذ معمر القذافى هذا الموقف المؤسف .. قبل حرب أكتوبر .. وخلالها .. وبعدها وحتى الآن ، على الرغم من أن طرابلس اتصلت بالقاهرة ١٨ مرة تليفونيا خلال شهر يوليو الماضى ، عارضة أن يتحدث الرئيس السادات الى القذافى .. وقد اعتذر الرئيس عن ذلك .. وكان آخر حديث تليفونى مع أبو بكر يونس عضو مجلس الثورة الليبى .. وقال

الرئيس السادات : لقد سئمت التعامل مع معمر بهذا الاسلوب • ان مصر غنية • وغنية جدا • وأغنى من بترول ليبيا • يجب أن تعرفوا هذه الحقيقة، وأنني مستعد أن أتجاوز عن حقى الشخصى كأنور السادات • ولكنى لن أفرط فى حق الشعب المصرى •

ان الرئيس السادات يلخص موقف القذافى فى جملة واحدة « معمر يريد أن يفرض نفسه على المسرح العربى •• وبشروطه » •

وقلت للرئيس : اسمح لى ياسيادة الرئيس ••لى رأى آخر •• ان أحلام معمر القذافى الحقيقية ، هى أن يحكم مصر • هذه هى الحقيقة •• لقد تصور قبل أكتوبر ، أننا لن نحارب ، وأن النظام سينهار من الداخل •• وأراد أن يشجع على كل هذا ، باختراع النظرية الثالثة ، والثورة الشعبية •• وكل هذه الشعارات •• تصورا منه أن هذا سيكون له أثره على الداخل فى مصر •• ولكنه بكل أسف لا يعرف مصر •• ولا يعرف شعب مصر ••

ولم يشأ الرئيس السادات أن يعلق على رأيى ••

ولكن ما هى قصة معمر القذافى ؟•• وما هو الدور الذى شاء أن يلعبه فى حرب أكتوبر •• فخسر بعده كل شىء ••

ان قصتى •• وقصة عدد كبير من كتاب مصر ، مع معمر القذافى •• عندما حضر الى مصر فى يوليو ١٩٧٣ •• يمكن أن تلقى الاضواء على قصة القذافى مع حرب أكتوبر •• كان ذلك فى الخامس من يوليو ١٩٧٣ •

وكنا فى دار مؤسسة روز اليوسف ، بدعوة مفاجئة فى نفس اليوم ، لاجراء حوار مع العقيد القذافى ، واشترط العقيد أن يحضر المراسلون الأجانب هذا الحوار ، لكى يضمن نشره على أوسع نطاق عالمى ••

وبدأ الحوار •• وتكلم القذافى عن الوحدة •• وتكلم آخرون عن تحفظاتهم •

ثم قلت للعقيد القذافى : أنت يا سيدى تلوم صحافة مصر • لأنها لاتقيم مهرجانات أعلامية ، لحدث خطير يقترب موعده •• هو الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا •• ومع ذلك فانى أرى في قراراتك وخطبك ما يقطع الطريق تماما على هذه الوحدة ••

لقد أعلنت فى خطاب أخيرا ، أنك لا توافق على استراتيجية المعركة كما وضعها السادات والاسد وأنك تبرىء ذمتك أمام الله والجماهير من هذه الاستراتيجية ••

فاذا كانت الوحدة أساسا من أجل المعركة •• وأنت لا تقر طريقنا الى المعركة •• فكيف يمكن أن تتم الوحدة ؟•• وكيف يتفق هذا الرأى مع دعوتك الى الوحدة ••!؟

كما أنك أعلنت ياسيدى ، أنك لا تقر سياسة مصر التى وصفتها بأنها تهادن الرجعية العربية • وأنت تطالب نظامنا وصحافتنا بالهجوم المستمر

على السعودية والكويت ودول الخليج والمغرب ٠٠ وأنت فى الوقت نفسه تدعو الى قومية المعركة ٠٠ أى الى اشتراك كل الدول العربية فى تبعات المعركة بتصيب ٠٠ ونحن نسعى الى الحشد العربى ٠٠ وتكتيل الجهود ٠٠ واذا كنا نفكر فى استخدام سلاح البترول فى المعركة ٠٠ فلا يمكن أن يتأتى ذلك بغير دعم العلاقات وازالة الخلافات وتجنب المعارك الجانبية ٠٠ هذا خطنا العربى ٠٠ تسخير كل الجهود للحشد العربى من أجل المعركة ٠

وهذا خطك العربى ٠٠ دعوة الى اسقاط النظم فى هذه البلاد الغربية ٠ ودعوة الى تصدير الثورة اليها ٠٠ وقد أعلنت أكثر من مرة أنك مؤمن بتصدير الثورة ٠٠

فكيف يمكن يا سيدى أن تتحقق وحدة بين مصر وليبيا ٠٠ وفى ظل هذا الاختلاف الجذرى فى السياسة العربية ؟٠٠

لقد تجاوزت مصر هذه المرحلة ٠٠ التى تدعو لها أنت الآن ٠٠ ان الارض العربية محتلة ٠٠ والخطر الصهيونى يهدد الجميع ٠٠ ولا يمكن أن نتعارك ٠٠ وأن نسعى الى انقلابات فى الدول العربية ٠٠ ونحن مقدمون على معركة ٠

كما أعلنت يا سيدى ٠ أن مصر يجب أن تهاجم هيلاسلاسى ٠٠ ويجب أن تهاجم أثيوبيا كدولة لها صلات باسرائيل ٠٠

ونحن نقول يا سيدى أننا نسعى الى تضامن عربى أفريقى من أجل المعركة ٠٠ واذا كان لهيلاسلاسى كيان أفريقى ضخم مؤثر ٠٠ فكيف نقطع ما بيننا وبينه ٠٠ والتأييد الافريقى للموقف العربى ، ينمو الآن شيئا فشيئا ٠٠

اذن نحن مختلفان أيضا فى السياسة الافريقية ٠٠ فكيف تتحقق وحدة فى ظل هذا الخلاف ٠٠

ثم أنك يا سيدى أعلنت ما أسميته النظرية الثالثة ٠٠ وأنت متمسك باضافات الى ميثاقنا الوطنى تسجل هذه النظرية ، وتدعونا الى الأخذ بها ٠

ونحن لا نرى جديدا فى هذه النظرية ٠٠ ونحن سائرون على مبادىء ٢٣ يوليو ٠٠ الثورة الأم ٠٠

واذا كنت ترى من مسئوليتك الدعوة الى هذه النظرية بين أبناء الشعب الليبى ٠٠ فلا اعتراض على ذلك ٠٠ أو أنك تريد منا اقتناعنا بما تدعو اليه ٠٠ فهذا أمر لا نقره ٠٠

وهذا أيضا خلاف جذرى يضع عقبات أمام تحقيق الوحدة ٠٠

وأنت يا سيدى تهاجم البيروقراطية والنساء فى مصر ٠٠ وقد دعوت الى ما أسميته الثورة الشعبية فى ليبيا ٠٠ العاملون فى كل موقف عمل يجتمعون ، ويفصلون من يشاءون ، ويرئسون من يشاءون ٠٠ وهذا ماتراه أنت انه حكم الشعب ٠٠

ونحن أيضا يا سيدى تجاوزنا هذه المرحلة ·· ان عندنا مجالس ادارات في المؤسسات واللجان النقابية ، ولجان الاتحاد الاشتراكى ·· وكلها بانتخابات حرة يراعى فيها تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ ·· وعندنا دولة المؤسسات الدستورية ، فى ظل دستور دائم ·

وقلنا ·· اننا لا نعترض على الثورة الشعبية كعمل داخلى فى ليبيا ·· هذه تجربة من حق ليبيا أن تمارسها ، وأن تنتظر نتائجها ·· ولكن ليس من حقك ياسيدى أن تفرض ما تسميه بالثورة الشعبية على مصر ··

وهذه أيضا نقطة خلاف جذرية ·· أثرتها أنت يا سيدى · ونحن نقترب من موعد الاستفتاء على الوحدة الاندماجية ··

فكيف يتفق ذلك ، مع دعوتك للوحدة ؟

وأنت يا سيدى ، أعلنت سقوط حكم القانون ·· وأمرت بسجن عدد كبير من المثقفين فى بلادك دون تحقيق ، ودون محاكمة ·· وقلت أنك جربت الديمقراطية وفشلت تجربة الديمقراطية ··

ولكننا يا سيدى نتمسك بسيادة القانون ·· ونحن نرى أن الديمقراطية وسيادة القانون ، هى حماية المواطن فى حريته وعمله ورزقه وحرماته ·· لقد نبذنا الاجراءات الاستثنائية المهدرة للحريات ·· نبذناها الى الابد ·· وأنت بدأت حكم ليبيا باجراءات استثنائية ··

فكيف يمكن أن تستقيم وحدة بين نقيضين ·· ونحن نتمسك بسيادة القانون ·· وأنت ترى غير ذلك ؟

ولذلك فاننى أقول لكم ، أن الصحافة المصرية التى تصفها بأنها متخلفة، ورجعية ، وأنها فقدت ثوريتها ·· لم تقصر فى الدعوة الى الوحدة ·· ولكن قراراتم وآراءكم ·· هى التى تقف عقبة أمام الوحدة ·· صحافتنا تؤدى دورها الوطنى والقومى · واننى أرجو منك ردا على كلامى هذا ··

واستمع العقيد القذافى طويلا ·· وكان قد جاملنى قبل أن أتكلم بقوله، انه قرأ كتابى ثورة كوبا ، قبل ثورة الفاتح ، وأنه تأثر به ·· وطلب من زملائه أن يقرأوه ··

استمع لى منصتا ·· ولكنه لم يعقب ·· واستمع الى كلمات أخرى من زملاء آخرين ·· ولكننى وقفت مرة ثانية ·· وطلبت من العقيد القذافى ردا على ملاحظاتى ·· كما ألح زملاء آخرون فى أن يستمعوا الى رده ·

فقال على مضض : ان ما قلته صحيح تماما ·· هذه خلافات أساسية بيننا وبين مصر ، وقد جئت الى مصر لأناقش مع الرئيس أنور السادات هذه الخلافات ·

كان ذلك فى يوليو عام ١٩٧٣

وكان العقيد القذافى قد وصل الى مصر فجأة · ومعه أسرته ، وكتبه ،

وسلاحه •• وبدا أنه كان على خلاف مع أعضاء مجلس الثورة فى ليبيا •• وقال للرئيس أنه بين يديه من أجل الوحدة •

وأثار فعلا هذه الموضوعات ، مع الرئيس أنور السادات ، الذى استقبله أكرم استقبال ، ودعاه الى أن يجتمع بكل المؤسسات الدستورية والصحفية فى مصر •• وأن يتعرف الى حقيقة الرأى المصرى ، فى مناقشات حرة ، تعبر فعلا عن جماهير الشعب •• واجتمع القذافى مع أعضاء مجلس الشعب •• ومع التنظيم النسائى فى الاتحاد الاشتراكى العربى •• وعقد اجتماعات فى المؤسسات الصحفية ، واشترط أن يدعى اليها ممثلو الصحافة العالمية ووكالات الانباء •• وكان هدفه من دعوة الصحافة الاجنبية نشر آرائه على أوسع نطاق ••

ولمس القذافى تماما من كل ما سمع ••

•• أن الجماهير المصرية تؤمن بالوحدة ••

•• ان الجماهير المصرية لا تريد تجربة خاسرة •• ولذلك يجب وضع ضمانات نجاح الوحدة •• وأولها أن تكون خطوات مدروسة فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ••

وكان القذافى قد رفع شعار أن ليبيا كانت ترى وهى مقبلة على الوحدة مع مصر أنها سوف تضحى بالثروة •• ولكنها ترى الآن أنها سوف تضحى بالثورة أيضا !

وكان هذا الشعار ، جارحا لكرامة مصر والمصريين •• فليست مصر التى ضحت بعشرات من آلاف الشهداء وبعشرات من الآلاف من ملايين الجنيهات ، على حساب تطورها ، من أجل القضية العربية •• هى التى يقال لها أنها طامعة فى ثروة ليبيا •• وليست مصر الرائدة هى التى تتلقى درسا فى الثورية •

ولذلك حرص الرئيس أنور السادات فى كل مباحثاته مع القذافى ، أو مع أعضاء مجلس الثورة الليبى أن يؤكد على معنى أساسى •• وهو أن ثورة ليبيا •• لشعبها ••

وعرض القذافى خلال تلك الزيارة أن تشاركنا ليبيا فى مشروعات استثمارية ضخمة •• وعقد اجتماع فعلا حضره الدكتور عبد العزيز حجازى •• ثم عاد القذافى فى اليوم التالى ليضع الشروط •• وقد سبق أن أوردتها •• وهى الاعتراف بنظريته الجديدة والدعوة الى الثورة الشعبية فى مصر •• الى آخره ••

ورفضت مصر بطبيعة الحال ••

وعاد القذافى الى ليبيا من الطريق الصحراوى •• بعد أن كانت أعدت له الطائرة الخاصة •

وأذكر أن الرئيس أنور السادات صارحه في لقاءاته بقوله : يا معمر •• اننى أعرف أن طموحك يتعدى حدود ليبيا • وأعرف أنك مقتنع بأنك ستقوم بدور جمال عبد الناصر فى المنطقة العربية •• اننى مستعد أن أعترف بك •• لا كجمال عبد الناصر فقط •• كصلاح الدين •• ولكن بشرط واحد •• هو أن تطرد الغزو الصهيونى من الارض العربيـة كما طرد صـلاح الدين الغزو الصليبى •• هذه هى القضية الآن •• وهـذا هو الهـدف •• أما الخطب الملتهبة •• أما النظريات والايديولوجيات •• فليس مكانها الآن •• أمامنا هدف هو المعركة •• هو طرد قوات اسرائيل من أرضنا •• اذا حققته •• فاننى مستعد أن أنسحب •• وأن أبايعك صلاح الدين العربى ••

وللحقيقة والتاريخ •• فقد بدا فعلا من خطابات معمر القذافى ، وتصرفاته الدعائية ، ومواقفه المفاجئة •• أنه مقتنع بأنه جمـال عبد الناصر •• وأن زعامة ليبيا وحدها ، لن تحقق هذا الطمـوح •• وأصبحت زعامة مصر هى هدفه •• وأطلق على نفسه فى صحف ليبيا لقب « أمين القومية العربية » !

وقد أخطأ التقدير فى هذا •• سواء كانت هذه الفكرة نابعة من منطقه الخاص •• أو نابعة ممن أوحوا له بها ••

وربما كان الخطأ من مصر أولا ••

لقد أسرفنا فى تمجيد القذافى عند نشوب الثورة الليبية •

لقد كانت فعلا مفاجأة سارة بعد الهزيمة •• وكانت دليـلا على امتداد مبادىء ٢٣ يوليو الى قلوب شباب الامة العربية ، ولذلك كان الترحيب بها ضخما ••

كما أن بعض الحكام العرب ، حاول احتواء الثورة الليبية والمباعدة بينها وبين القاهرة •• وقد زاد ذلك من تدليل القاهرة للثورة الليبية ••

ويبدو لى أن شخصية القذافى، وضح جموحها فى اجتماع الملوك والرؤساء قبل وفاة جمال عبد الناصر • فقد كان يريد أن يحارب أمريكا لو تدخلت فى الأردن !

وظهرت بعد ذلك « شطحات » عديدة •• كنا نرجعها الى عدم الخبرة •• وثورة الشباب ، ولكننا كنا نقول دائما بطهارة القصد ••

ولكن يبدو لى أن فكرة الوحدة مع مصر ، تطورت فى عقل معمر القذافى ووجدانه •• على أساس أنه سوف يكون حاكم مصر وزعيمها !

وهو فى هذا قد أخطأ التقدير لشخصية أنور السادات •

كانت حسابات القذافى ، أو من يمدونه برؤى المسـتقبل •• أن أنور السادات لن يدخل معركة ••

وأنه يواجه مشكلات داخلية لن يستطيع التغلب عليها ••

ولا أستطيع هنا أن أتجاهل • أن القذافى كان له اتصال ببعض العناصر فى مظاهرات الطلبة ••

وكانت قصص قد ترددت عن انقلاب فى الجيش المصرى !

كل ذلك أقنع من لا يجيدون حساب شخصية السادات ، أن النظـــام يتهاوى •• ومن هنا جاءت فكرة الثورة الشعبية فى ليبيا •• لا لكى تطبق فى ليبيا •• ولكن لكى تطبق فى مصر أساسا ••

وتصور القذافى أن هذه الفكرة ستستميل الطبقة العاملة فى مصر •

وخلال ذلك كله ، كان القذافى دائبا على الدعوة لزعامته •• مؤتمرات متلاحقة فى ليبيا •• اتصالات بجماعات من شباب أوربا •• نشرات بجميع اللغات توزع فى جميع أنحاء العالم أن القذافى هو النبى الجديد •• وكان القذافى يستخدم فى أجهزة الاعلام الليبية كل العناصر المعادية للنظام فى مصر ، ومعظمهم ماركسيون • رغم تعارض ذلك مع رأيه فى الشـــيوعية والشيوعيين •• ووصفه لهم بأنهم عملاء •• ووجدت بعض أقلام بيروت فى أحلام القذافى ، فرصة للحصول على أمواله •• وصرف القذافى فعلا ملايين الجنيهات ، في شراء أقلام وصحف •• وفى انشاء صحف جديدة فى لبنان تروج لآماله وأحلامه •• وتشوه سمعة النظام المصرى ••

ثم رأى أن الطريقة المثلى •• هى انتزاع الحكم فى مصر •

ومن هنا جاءت فكرة المسيرة الى مصر ، التى أعد لها خمسون ألف شاب ليبى يزحفون الى القاهرة ، ويشعلون النار فى ملاهى شارع الهرم •• وكان المفروض أن تنضم اليهم من الداخل عناصر متمردة •• أو هكذا توقعوا على الأقل • ثم يختلط الحابل بالنابل وتعلن الدولة الواحدة •• ويبعد أنور السادات ، أو يبقى ملكا لا يحكم !

وفشلت فكرة المسيرة ••

وعالجتها مصر بمنتهى الحكمة ••

ويجدر هنا أن أشير الى الجهود العاقلة التى بذلتها مصر ، لتفويت أهداف هذه المسيرة بالحسنى •• وفى الوقت نفسه عدم الاساءة الى العلاقات بين الشعبين المصرى والليبى •• كانت مصر قد تلقت أنباء بالتدبير لهذه المسيرة •• وأهدافها •• وأن هناك أموالا تصرف لاعدادها •

ولكن مصر فضلت الانتظار •• ثم بدأت الاذاعة الليبية الرسمية تؤدى دورها فى تهييج مشاعر الجماهير الليبية ، والدعوة الى المسيرة ، واستغلال اسم عبد الناصر •

فأوفد الرئيس السادات الدكتور حافظ غانم ــ وقد كان فى دمشق ــ الى ليبيا ليعلن شكره الى الشعب الليبى على مشاعره الوحدوية ولكى يتفاهم مع السلطات الليبية على الاسلوب الذى يجعل المسيرة تحقق أغراضها •• دون اخلال بالامن ، أو اتاحة الفرصة لعناصر معادية أو مندسة أن تستغل هذه المسيرة •

والتقى الدكتور غانم عند وصوله مع عدد من أعضاء مجلس الثورة وهم : بشير هوادى ـ أبو بكر حمزة ـ عمر المحيشى ـ الخويلدى الحميدى ـ محمد نجم ـ عبد المنعم الهونى .

وكانت اجابتهم جميعا ، بعد أن نقل اليهم رسالة السادات ، أنهم لا يعرفون شيئا وأنهم سمعوا عنها فى الصحف ، وأنهم لا يملكون السيطرة عليها !!

وأبلغهم بمعلومات القاهرة عن المسيرة .. وأن هناك عناصر معادية للوحدة والقومية العربية تستغل المسيرة ، مادام لارابط لها ولا ضابط وخاصة أن أعضاء مجلس الثورة يقولون أن المسيرة مفتوحة لليبيين وغير الليبيين ..

وكانت اجابتهم : الشعب الليبى واع ، ويعرف كيف يقدر الظروف .. واذا حصلت خسائر فى سبيل الهدف الاسمى وهو الوحدة .. فلا بأس .. وعلى أية حال فانهم غير مسئولين عن المسيرة ..

وانتقل الدكتور غانم الى منزل القذافى ..

القذافى : أنت تعرف أننى مستقيل . ولما حضرت الى مصر كنت مستقيلا .. وأنا غير مسئول .. ولا أعلم شيئا ..

غانم : يجب أن تتحمل مسئولياتك أمام التاريخ ، لانك تريد الوحدة .. وهذا عمل يهدد الوحدة فعلا .. اننا نريد النظام لهذه المسيرة ، ووجودك ووجود سلطة مسئولة يحقق هذا .

القذافى : لا .. أنا مصمم على الاستقالة . والاوضاع فى مصر لا تعجبنى .. أنتم تنشرون صور الملك فيصل وأمراء الخليج وتهادنون الرجعية ..

مصطفى كمال : (عضو البعثة المصرية) : اننا نطبق قومية المعركة .. والأولوية فى كل شىء الآن للمعركة .. لمواجهة أسرائيل .

ثم أحضر القذافى بروازا كبيرا ، مكتوبا بداخله ، قول لجمال عبد الناصر يهاجم فيه الملك فيصل .. وقرأ القول ثلاث مرات .. ثم قال : أن المرأة المصرية تدخن السجائر .. ولا توجد فى ليبيا الا سيدة واحدة تدخن بأمر الطبيب .. أنتم لا تريدون تطبيق الشريعة الاسلامية .

غانم : هذا الكلام ناقشناه ورددنا عليه . وعلى كل ، فمن الممكن أن تصفى دولة واحدة كل هذه القضايا الخلافية .. ولكن المهم الآن ، أن نتجنب الاضرار التى يمكن أن تلحق بالشعبين من مسيرة غير منتظمة .

القذافى : ويجرى ايه ... لو وصلوا القاهرة وكسروا شارع الهرم يبقى كويس .

غانم : ألا ترى أن المحافظة على القاهرة تمثل اعتبارا قوميا ، حتى يظل الشعب المصرى على ايمانه بالوحدة ..

ولم تنته المناقشات مع القذافى الى شيء ·· وطلب الدكتور غانم أن يلتقى بقادة المسيرة ··
القذافى : روح قابلهم فى الشارع ·· أنا لا أعرف شيئا عنهم !
غانم : كيف نتناقش فى الشارع ·
القذافى : نحضر لكم ميكروفونات ·· ونطلع الحوار فى الاذاعة اذا أردتم·
غانم : اننى متمسك بطلبى مقابلة المسئولين عن المسيرة ومناقشتهم
القذافى : اذا كان على اجراءات الامن ·· يبقى وزراء الداخلية يتعاملوا مع بعض ··
غانم : هل تسمح أن وزير الداخلية الليبى يحضر الى القاهرة للتفاهم مع ممدوح سالم ··
الخويلدى : (وزير الداخلية) لا ·· لن أنزل الى القاهرة ·· اذا كان وزير الداخلية المصرى يريد الحضور الى هنا ·· يتفضل
غانم : مرة أخرى أطلب الى الأخ العقيد القذافى أن يتحمل مسئولياته التاريخية ·· ويعود الى عمله ··
القذافى : أنا مستقيل ·· وقيادات الجيش كلها معتصمة ·· ولن أعود ·
غانم : المفروض أن المسيرة تجيء اليك لتأخذك الى مكتبك ·
وزير الداخلية : أنا أمنعكم أن تقولوا هذا الكلام للجماهير ·· لقد جئتم هنا فى مهمة خاصة !
غانم : المسيرات ممنوعة فى مصر الا بتصريح ··
واستمرت المناقشات ٣ ساعات دون جدوى ··

وفى المساء اجتمع الدكتور غانم بـ ٤٨ شابا قيل له أنهم قادة المسيرة·· وتلقى الدعوة الى الاجتماع من عبد الوهاب الزنتانى محافظ بنى غازى باعتباره قائد المسيرة ··
وفى هذا الاجتماع وجه الدكتور غانم كلماته الى الزنتانى قائلا :
ـ اننى أريد أن أجرى معك حوارا طويلا أمام هؤلاء الشباب · أنت تعرف أنك حرضت الطلبة فى مصر على المظاهرات · وكانت لك بهم صلات ·· وقد انسحبت من لجان الوحدة ، وسجلت أنك تنسحب احتجاجا على معاملة السلطات للطلبة ، وكتبت فى محضر اجتماع التنظيمات السياسية كلاما جارحا للكرامة المصرية ·· وقلت أنك تنسحب احتجاجا على القبض على الطلبة الناصريين ·· وجئت الى ليبيا وأنك تقول هنا أنك ممنوع من دخول مصر وهذا غير صحيح ··
وبدأت المناقشات ·· ولاحظ الدكتور غانم أن الحاضرين لا يصفقون لاسم أنور السادات على عكس مايفعلون عندما يرد اسم آخر ··
فصارحهم الدكتور غانم : أريد اجابة واضحة ·· أنتم تقولون أن المسيرة

هي لمبايعة السادات على رأس الدولة الواحدة فكيف اذن لا تصفقون لاسمه .. فهل أنتم ذاهبون الى القاهرة لمبايعة السادات أم لا ..

ورد واحد منهم : والله سأقول لك بصراحة .. اننا لم نصفق لاسم السادات ، لانه يريد منع تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

وبدأت المناقشات تكشف عن أن القذافى حشر عقول هؤلاء الشباب ، بمعلومات خاطئة عن الرئيس السادات .. بل ومعادية له ..

حتى أن أحد قادة المسيرة وقف قائلا بعد أن استمعوا الى شرح الدكتور غانم لموقف الرئيس السادات من الوحدة : والله .. وأنا بدأت أشك فى العقيد القذافى ..

ولكن الغالبية من الشباب ، كانوا فى قمة الانفعال .. وأعلن بعضهمأنه لا يهم لو فنى منهم ألف أو ألفان فى سبيل الوحدة ..

فقال لهم الدكتور غانم : هل أنتم متوجهون الى القاهرة . لمعركة يفنى فيها الآلاف ؟..

وانتهى الاجتماع .. ولم يتقرر شيء ..

وقال الدكتور غانم لقائد المسيرة : أنت مسئول شخصيا عنهذه المسيرة، ما دمت قائدا لها .. لأن هذا سيضر بأهداف الوحدة

وكان رأى القاهرة ، أنها ترحب باستضافة المسيرة .. فى مؤتمرشعبى يعقد فى مرسى مطروح ، ولا يتعداها بأى حال .. ثم يجرى حوار ترفع نتائجه الى القيادات فى البلدين ..

وعرف أن عبد السلام جلود هو الذى كان ينظم المسيرة ..

وتتابعت الآحداث .. وتوقفت المسيرة فعلا عند مطروح . وجاء وفدمنها الى القاهرة للقاء الرئيس السادات .. وذهل هذا الوفد من موقف الرئيس الذى قال لهم .. انه يوافق فعلا على كل شعارات المسيرة .. ولكن المهم أن يوافق القذافى ..

وانتهت القصة ..

⊙❖⊙

لقد أوردت هذا العرض السريع .. لكى أعطى صورة للاجواء التى كان يعمل فيها الرئيس أنور السادات . وهو يقترب يوما بعد يوم من ساعة الصفر .. ومع ذلك . فقد استطاع أن يتجاوز كل هذه العقبات التىكانت موجهة الى نظام الحكم مباشرة سواء فى مؤامرة الفتنة الطائفية .. أو فى أحداث الطلبة ، أو تحركات بعض الصحفيين وبياناتهم .. أو فى موقف معمر القذافى الذى نسى هدف المعركة تماما .. وتركز هدفه فى وحدة يتصور أنها طريقه الى أن يحكم مصر ..

واذا سجل التاريخ الحقيقة ، فانه سيذكر دائما أن صبر السادات ، وأعصابه وقوة احتماله .. استطاعت فعلا أن تتغلب على هذه العقبات ..

واستمرت صحافة القذافى تهاجم مصر وسياستها ..
واستمرت تهاجم السعودية والمغرب ودول الخليج ..
واستمرت توحى أنه لن تكون هناك معركة ..
وجاء ٦ أكتوبر .. مفاجأة قاهرة للجميع ..
واذا بالقذافى يعلن فى خطاب شعبى ، أنه لا يقر استراتيجية هذه المعركة ، ولا يتوقع لها النجاح .. وأنه برىء منها !
وحضر الى القاهرة .. واجتمع بالقيادات العسكرية ، وأطلعوه على كل الحقائق ..
ولكنه عاد الى ليبيا ، ليستمر فى الهجوم بكل وسائل أعلامه .
بل أن التليفزيون الليبى أذاع خلال المعركة ، أن هناك انقلابا فى القوات المسلحة المصرية ..!
ولم ترد صحافة القاهرة .. والتزمت أجهزة الاعلام بعدم الدخول فى أى معركة جانبية .
وسافر القذافى الى فرنسا .. ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس ، أعلن فيه أن مصر قد لحقت بها الهزيمة .. وأنه يأسف أنه لا يوجد الآن رجل شجاع فى العالم العربى ، مثل عبد الناصر الذى اعترف بالهزيمة فى ٦٧ .
وقال أن الملك فيصل ليس الا تاجر زيت !
ولم يتحرك أنور السادات ..
لقد كان ٦ أكتوبر أقوى من كل شىء ..
وفجأة أيضا حضر القذافى الى القاهرة ، لكى يشترك فى تكريم مجلس الشعب ، لأبطال الجيش !
والحق أن موجة من الاحتجاج عمت مشاعر أعضاء مجلس الشعب عندما علموا بأن القذافى سيحضر.. وقد فكر بعضهم فى منعه من حضور الاجتماع، بعد أن أهان الكرامة المصرية والكرامة العربية كلها فى مؤتمر عقده أمام صحافة العالم فى باريس ..
ولكن مصر السمحة المضيفة الكريمة .. هى دائما مصر ..
وأحسن أعضاء مجلس الشعب استقباله .. ولكن نائبة لم تستطع أن تسيطر على أعصابها ، عندما قال القذافى أنه سوف يجتمع بأعضاء المجلس فى جلسة سرية .. للحوار ..
لقد صاحت النائبة فاطمة عنان : لا .. فى جلسة علنية .. كما تكلمت ضدنا فى باريس فى مؤتمر علنى أمام صحافة العالم ..
وأشار اليها الرئيس السادات أن تهدأ ..
وقد قيل للقذافى فى القاهرة فى جلسة خاصة .. أن ما فعله فى باريس، لم يجرؤ اسرائيلى أن يفعله !

وسافر القذافى مع أنور السادات الى السعودية ٠٠ والتقى بالملك فيصل ٠٠ ثم اشــترك فى المؤتمر الاسلامى بلاهور ، حيث اصطدم فى مناقشــة عنيفة مع الرئيس هوارى بومدين ٠٠ ثم اعترض على اجتماع مؤتمر وزراء البترول العربى على أرض ليبيا ٠٠ حيث كان القرار السابق المتفق عليه ، هو وقف الحظر بالنسبة لامريكا ، بعد أن تقدمت خطوات ايجابية فى اقرار السلام ٠٠ وقال القذافى أنه لن يدنس أرض ليبيا باتخاذ هذا القرار على أرضها ٠٠

وصدر القرار ٠٠

وتضاعفت حملات صحف ليبيا على موقف مصر ٠٠

وتضاعفت حمـــلات صحف بيروت الممولة من معمر القـــذافى ٠٠ على موقف مصر ٠٠

ولست أدرى ما هو مصير القذافى وأنا أكتب هذه السطور ٠٠ ولكننى أعرف أن انتصار ٦ أكتوبر ، أقوى من الافتعال ، والمناورات والمزايدات ٠٠

وتعرضت قبل المعركة علاقات مصر والسودان الى فتور كبير ، وكان لمعمر القذافى دور فى تعميق هذا الفتور ٠٠ بل وايجاده ٠٠ ولكن الاتصالات الواعية بين قيادات البلدين على مختلف المســتويات ، تجاوزت كل هذه الخلافات الطارئة ٠٠ وكان موقف الرئيس نميرى ، وشعب السودان ، منذ بدأت المعركة ، موقفا عربيا مشرفا ٠٠ موقف الاخ الشقيق ٠

أما العراق ٠٠ فقد كانت عرضت مشروعات للاتحاد الفيدرالى ٠٠ وجاء صدام حسين الى القاهرة ، والتقى بالرئيس السادات فى قاعدة جوية ٠٠ وتم الاتفاق على تعاون عسـكرى فى نطـاق محدود ٠٠ وأسهمت العراق بخمسة ملايين من الجنيهات ٠٠ واشترك عدد من طائراتها فى المعركة ٠٠ كما اشتركت قوة مدرعات ، فى جبهة الجولان ، أبلت بلاء حسنا ٠٠ ولكن منذ قرار وقف اطلاق النار ، عاد العراق الى موقفه الاول ٠٠

الجزء الثالث

الوثائق العسكرية

●●● « هذا الجزء من الكتاب يتناول الجانب العسكرى من ملحمة أكتوبر ، ويصف المعارك على السنة أبطالها يبدأ هذا الجزء بحديثين هامين مع المشير أحمد اسماعيل اختص بهماالمؤلف عن حياته العسكرية والحروب التي اشترك فيها حتى تسلم مسئولية وزارة الحربية والقيادة العامة ٠ والحديث الثانى عن الاعداد العسكرى لحرب أكتوبر بكل ما فيه من أسرار ، حتى تحددت ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر ٠ ثم يعرض هذا الجزء لعملية العبور واقتحام بارليف ٠٠ ثم معارك خط بارليف على ألسنة الاسرائيليين ونفس هذه المعارك كما خاضها المصريون ٠٠ ويلى ذلك وصف شامل لمعارك الجيش الثانى ٠٠ ومعركة تحرير القنطرة وتدمير اللواء ١٩٠ الاسرائيلى ومعارك الطالية التى انتهت بالثغرة ٠٠ ثم معارك الطيران والدفاع الجوى ٠٠ ثم فصل عن ملحمة السويس ٠٠ والفصل الاخير يتناول حقائق الموقف العسكرى من الدفرسوار حتى مؤتمر جنيف ٠٠ ويتحدث الفريق الجمسى لاول مرة ، ويكشف الستار عن سر الخطة « شامل » التى وضعت لتصفية الثغرة وتدمير القوات الاسرائيلية فى الغرب ٠

القصص العسكرية هنا كلها ، على ألسنة أبطالها ، وفوق أرض المعركة ، ونشرها يتم لاول مرة ، بالحقائق التاريخية التى تكشف عنها كل معركة ●●●

● الفصل الاول ●

البحث عن بدلة عسكرية !

●●● « كيف اختار الرئيس أنور السادات مدير المخابرات العامة اللواء أحمد اسماعيل وزيرا للحربية . ولماذا اختاره ؟ ماذا دار بينهما عن المعركة وامكانية القتال ، وأحمد اسماعيل لا يزال مديرا للمخابرات ؟ ما هى الخطة التى كان يحتفظ بها أحمد اساعيل وهو بعيد عن القوات المسلحة ؟ .. ماذا كان دوره العسكرى قبل هزيمة ٦٧ ، وأثناءها ، وبعدها ؟ .. ما هى الخبرات التى اكتسبها فى الحروب السابقة ، وعرف منها خصائص العدو الاسرائيلى ؟ .. ولماذا كان يبحث عن بدلة عسكرية ، بعد أن كلفه الرئيس بوزارة الحربية .. وطلب منه أن يظل هذا سرا لمدة يومين ؟ » ●●●

مكتب الرئيس أنور السادات برياسة الجمهورية • الفريق أحمد اسماعيل مدير ادارة المخابرات العامة ، يعرض على الرئيس عددا من التقارير الهامة ••

الرئيس يطلب فجأة من مدير المخابرات ، أن ينحى جانبا كل هذه الاوراق ، ثم يوجه اليه سؤالا مباغتا :

ــ ما رأيك يا أحمد فى امكانيات دخولنا معركة عسكرية ناجحة ؟

قال مدير المخابرات :

ــ لست أرى يا سيادة الرئيس فائدة من عملية استنزاف عادية ، صحيح أننا نكبد العدو خسائر ، ولكننا أيضا نتكبد خسائر • وحتى لو كانت خسائر العدو أكبر من خسائرنا ، فهى محدودة ، ولن تكون مؤثرة•

كما أننى أرى أن التفكير فى عملية عسكرية ضخمة لتطهير سيناء كلها ، أمر ليس موضعه الآن ، لانه يتطلب وقتا أطول مما تطالبنا به الاوضاع الراهنة •• كما يتطلب اعدادا أكثر قد لا يتوافر لنا •

وقال الرئيس :

ــ ما رأيك اذن ؟

قال مدير المخابرات :

ــ أعتقد أن المناسب الآن ، الاعداد لعملية عسكرية متوسطة بين الاثنتين• • ليست استنزافا ولو كان واسع النطاق • وليست عملية شاملة لسيناء كلها • هذا تفكيرى • تطهير سيناء على مراحل •

واستمرت المناقشة بين القائد الاعلى ، ومدير المخابرات العامة وقتا طويلا ، وتناولت الجزئيات ، وكان الرئيس السادات يستزيد من هذه المناقشة التى كانت مفاجأة فعلا للواء أحمد اسماعيل •• ولكن موضوعها لم يكن جديدا على تفكيره ••

ان وضع خطة عسكرية لمواجهة العدو ، كانت هى الشغل الشاغل لاحمد اسماعيل حتى بعد أن أعفى من منصبه كرئيس لاركان حرب القوات المسلحة فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٩

لقد قدر جمال عبد الناصر ، موقفا عسكريا لرئيس الاركان ، تقديرا بنى على معلومات غير صحيحة •• فأعفاه من منصبه •

واستمر الرجل بعيدا عن الميدان العسكرى ، ولكن لم يبتعد أبدا بفكره •• ان فترة اعفائه استمرت من ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ، حتى ليلة ١٤ مايو ١٩٧١

عندما استدعاه الرئيس أنور السادات من منزله في الساعة الحادية عشرة والربع مساء ، ليبلغه انه قرر تعيينه مديرا لادارة المخابرات العامه ، وطلب اليه ان يتولى مهام منصبه على الفور !

ولكن احمد اسماعيل لم يفقد صفته العسكرية ، وهواية مهنته خلال العشرين شهرا التى أمضاها فى الاعفاء • لقد تصرف فقط فى ملابسه العسكريه ، وبرث بدله واحدة تدثرى أمام أسرته وأبنائه ولكن كل قراءاته وتاملاته فى هذا الفراغ الذى أكره عليه ـ ظلما ـ كانت عسكرية • قرأ مؤلفات عسكرية جديدة ، واستعاد قراءة أشياء كثيرة •• ولم يترك الخرائط • ولم يترك القلم الذى يسجل به خلاصة قراءاته •• ولكنه سجل به ما هو أهم •• سجل فى أربع صفحات خطة عسكرية لمواجهة العدو فى سيناء وهى التى ناقشه فيها الرئيس السادات ، عندما سأله فجأة عن رأيه فى المعركة ••

وانتهت تلك المناقشة •• وانصرف أحمد اسماعيل الى عمله كمدير لادارة المخابرات •• ولعله نسى المناقشة • ولكن الرئيس السادات •• كان قد سجلها فى ذاكرته بكل تفصيلاتها ••

وفى يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ ، فوجىء مدير المخابرات ، بدعوة عاجلة للقاء الرئيس •• وفى حديقة منزل الرئيس بالجيزة ، وحوالى الرابعة بعد الظهر ، كان يسير الى جوار الرئيس فى جولة المشى اليومية التى اعتادها السادات •

وصارحه الرئيس بأنه يريد أن يختار وزيرا جديدا للحربية ، بدلا من الفريق صادق • كان الرئيس قد انتهى الى قرار واضح ، بأن الفريق صادق غير مقتنع بصلاحية الامكانيات التى تملكها القوات المسلحة ، لخوض معركة ناجحة ، وكانت فكرة القائد الاعلى أن المسئولية التاريخية تطالبنا بالقتال ، فى حدود ما نملك من أسلحة وعتاد • وأن تكون المعركة على قدر هذه الطاقة • واذا انتظرنا امكانيات كاملة لتحرير سيناء كلها •• فسوف يضيع الوقت ، وليس من السهل أن تتوافر لنا •• ومن ثم تنتهى فكرة المعركة • وتدفن قضية التحرير سياسيا ودوليا فى زوايا النسيان •

وسأله السادات :

ـ ما هى الصفات التى تراها واجبة فيمن يتولى منصبى وزير الحربية والقائد العام ••

وعبر أحمد اسماعيل عن رأيه ، ولم يكن يدور بخلده أن الرئيس سوف يفاجئه بقرار تعيينه فى المنصبين !

وقال السادات :

ـ ان هذه الصفات تتوافر فى شخصك • استعد للمعركة وعلى بركة الله !

وذكره الرئيس بالمناقشة السابقة التي جرت منذ أكثر من نصف عام ! وطلب اليه أن يظل الامر سرا عسكريا وحتى يعلنه الرئيس ٠

واحتفظ مدير المخابرات ، بالسر ٠ وكانت مشكلة ، أن الحلة العسكرية التى أبقاها فى المنزل لا تصلح لان يرتديها ٠ كما أن الرتبة العسكرية غير موجودة ٠ وهو اذا « فصل » حلة عسكرية ٠٠ فربما انكشف الامر ٠ ولكنه استطاع أن يعالج هذه المشكلة بأسلوبه الحذر فى الكتمان ، حتى استدعى الى حلف اليمين بعد يومين ! ٠

ومن هنا بدأت المهمة الشاقة ٠٠

الواقع أن المهمة الحقيقية بدأت قبل ذلك بكثير ٠٠

لقد بدأت المهمة الحقيقية ، لاحمد اسماعيل ، فى الاعداد للمعركة منذ أن عين قائدا للجبهة فى أول يوليو ١٩٦٧ ٠ أى بعد الهزيمة المرة بثلاثة أسابيع فقط ٠

كان الموقف على الجبهة رهيبا ٠٠ ومثيرا للذعر !

يقول المشير أحمد اسماعيل ، وهو يسترجع بذاكرته هذه الايام القاسية :

ــ كانت الجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطىء الغربى بلا وحدات تجمعهم ٠ عدد من الدبابات من مختلف الانواع ، بدون قيادات ، مبعثرة هنا وهناك ٠ المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتى متر ٠

كانت أمامى مهام كثيرة فى هذا الوقت :

* اعادة بناء القوات المسلحة ٠
* انشاء دفاعات على الجبهة ٠
* اعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم ٠
* اعادة الضبط والربط ٠
* اعادة تدريب القوات وتنظيم الوحدات ٠

كانت مهمة شاقة فعلا ، ولكننى أشهد أن جميع القيادات عاونتنى بكل اخلاص وكفاءة وحماسة ووفاء ٠

وبدأت الاسلحة تصل تدريجا من الاتحاد السوفيتى ، بعد أن حضر المارشال زخاروف ، وزار الجبهة ، وسجل تقريرا شاملا ، عن موقف القوات المسلحة ، وحاجتها الى الاسلحة والمعدات والتدريب ٠

والغريب أننى منذ اليوم الاول لتولى مسئولية قيادة الجبهة ، اشتبكت فى معركة مع العدو ٠

ــ وكيف ؟ ٠٠

ــ الساعة ٥٠٠ أول يوليو تسلمت القيادة من الفريق صلاح محسن ٠

ــ ماذا تقصد بالساعة ٥٠٠

ـ الثاسعة ٥ صباحا . وفي الساعة الثامنة صباحا ، أي بعد ثلاث ساعات فقط أبلغت بأن قوات للعدو تتحرك من القنطرة في اتجاه بورفؤاد . حركت على الفور قوات الصاعقة لبث الإلغام لتعطيل تقدم العدو . وانفجرت الالغام . ولم يتمكن العدو من التقدم .. ولكنه حاول في اليوم التالى الاستيلاء على بورفؤاد . تصدت قواتنا بالاسلحة الخفيفة . ودمرت عرباته المدرعة المتقدمة وساعدنا على ذلك ضيق الطريق . واضطر العدو أن يعود مذعورا ببعض عرباته المدرعة الى العريش لانه لم يكن ليتوقع هذا الهجوم ، من جيش منسحب . بل أننا تمكنا من الاستيلاء على بعض أسلحته والحق أن هذه كانت أول مواجهة فعلية مع العدو . قوات الصاعقة بالاسلحة الخفيفة تواجه مدرعات .

قلت :

ـ لقد استخدم هذا الاسلوب فى حرب أكتوبر ..

قال :

ـ هذا صحيح .. وربما كانت معركة رأس العش ، هى التى فتحت لنا آفاق هذا التفكير ..

وطورنا الاسلوب حتى نجح فى العبور واقتحام خط بارليف .

ثم يقول المشير أحمد اسماعيل :

ـ الحق أن معركة رأس العش تحتاج الى مؤلف خاص . أن فيها بطولات خارقة . لا أنكر أننا تكبدنا خسائر في الافراد . ولكن رجالنا قاموا بأعمال خارقة فعلا . لقد عبروا القنال وعادوا بجثث القتلى . كما أنهم عاودوا الهجوم على العدو وحصلوا على بعض أسلحته ولا تزال هذه الاسلحة محتفظا بها فى المخابرات الحربية . كانت رأس العش ، أول شعاع أمل ، لانطلاق كبير استمر سنوات .. وحقق ملحمة ٦ أكتوبر . لقد بدأنا نؤمن منطقة بور فؤاد . ولم يستطع العدو منذ ذلك التاريخ أن يعبر شمالا عن منطقة رأس العش . وهذه المنطقة بالذات ، كانت مركز انطلاق قوى لنا على الشاطىء الشرقى فى معارك ٧٣

ويذكر المشير أحمد اسماعيل ، أن أنور السادات زاره فى مركز قيادته بالجبهة فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٧ ، وشاهد كل ما تم من اعداد للبناء العسكرى ، وسأله عن مدى استعداد القوات المسلحة للصمود .. وذلك قبل أن يخطب جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب يوم ٢٣ نوفمبر .. أى بعد ذلك بيومين . لقد تفقد أنور السادات (رئيس مجلس الامة) الجبهة مع قائدها ، واطلع على الخطط الموضوعة للصمود ، واطمأن الى قدرة القوات المصرية على الصمود فى هذه الفترة .. أى القدرة على رد أى اعتداء مفاجىء من العدو فى ذلك الوقت .

وكانت قوات الطيران المصرية قد دخلت معركة عنيفة قبل ذلك فى ١٥ يولية • وكانت قوات البحرية ، قد أغرقت المدمرة الاسرائيلية ايلات •• فى ٢١ أكتوبر •

ـ كيف كانت معركة الطيران ؟ ••

ـ قائد الطيران حينئذ كان الفريق مدكور أبو العز • أطلقنا مدفعية عنيفة على طول الجبهة ، استمرت يومى ١٤ يوليو و ١٥ يوليو ، بعد اشتباكات مع العدو فى الجنوب فى اتجاه السويس والفردان • مهدنا بذلك لطلعة طيران قوية • خرجت فى الجنوب • فتحول العدو بقواته الى الجنوب •• وانطلق الطيران المصرى الى الشمال ، وكان العدو بغير غطاء •• ولقن القوات الاسرائيلية درسا لن ينسى •

ويضحك المشير أحمد اسماعيل :

ـ كانت هذه أول مرة يذوق فيها العدو ضرب الطيران المصرى • وتكبد خسائر فادحة •

واتصل جمال عبد الناصر بقائد الجبهة ليقول له ، ان اسرائيل تطلب وقف اطلاق النار ، لاول مرة فى تاريخها ، من الامم المتحدة « لقد كان معى أوثانت سكرتير عام الامم المتحدة على التليفون منذ لحظات ليبلغنى بالطلب الاسرائيلى » ••

واستراحت نفس قائد الجبهة ، على الرغم من الجهد المضنى الذى بذله فى ذلك اليوم •• لم يترك خندق القيادة من الخامسة صباحا حتى الثامنة من المساء •

ثم كان تدمير المدمرة ايلات بعد ذلك •• فى ٢١ أكتوبر ٦٧

لقد تم تدميرها بمجرد ظهورها بالصواريخ البحرية التى استخدمت لاول مرة ، والتى أعادت اسرائيل بعدها ، أسلوب تسليح بحريتها •• وكانت ضربة ايلات بهذه الصواريخ حديث العالم كله ••

لقد استخدمنا نفس الاسلوب الاسرائيلى • تم تدميرها • ثم أبلغنا الامم المتحدة أن مدمرة مجهولة تقترب من مياهنا الاقليمية •• واذا دخلتها ، فاننا سنضربها • وبعد نصف ساعة أبلغنا الامم المتحدة ، أنها دخلت مياهنا ودمرناها •

قلت للمشير أحمد اسماعيل :

ـ هذه هى معلوماتى الصحفية عن قصة تدمير ايلات ••

اجاب المشير :

ـ ليس لى دخل بهذه المعلومات الصحفية • الذى أصرح به كقائد للجبهة حينئذ أننا دمرنا ايلات بعد أن اقتحمت المياه الاقليمية ، وتحدت تحذيرنا • هذه العلامات الثلاث ••

معركة رأس العش ·· ضربة الطيران المصري ·· تدمير ايلات ·· كانت منطلقا للامل في معركة فاصلة مع العدو ·· حتما سيجيء يومها ·

⊙❖⊙

واستمر أحمد اسماعيل يعمل بهذا الايمان · أنشأ الجيشين الثاني والثالث · تولى قيادتهمـــا · ثم اقتصر على قيادة الجيش الثاني · وتولى عبد القادر حسن قيادة الجيش الثالث · ثم انتقل رئيسا لهيئة العمليات في القوات المسلحة · وأشرف على تخطيط عمليات الاستنزاف الرئيسية ·· فوجيء العدو بأول قصف عنيف للمدفعية على طول الجبهة فى ٨ مارس ١٩٦٨ · وبدأت حرب الاستنزاف · وكان انتقام العدو بضرب الزيتية والسويس · ثم عين رئيسا لاركان القوات المسلحة فى ٩ مارس ١٩٦٩ بعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ·

وهنا يقول : كان عبد المنعم رياض قائدا عسكريا ممتازا ·

وفى ١٢ سبتمبر أعفى من منصبه ·

ولعل الرئيس جمال عبد الناصر قد شعر أن قرار الاعفاء لم يكن فى موضعه ·· ففاجأ أحمد اسماعيل ، في منتصف فترة اعفائه بتقرير معاش وزير له ··

وسألت المشير أحمد اسماعيل : أرجو أن تجيبنى بكل صراحة ·· هل كنت مقتنعا وأنت قائد للجبهة أننا سنحارب اسرائيل فعلا ، ان معلوماتى الصحفية ، أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يعيد بناء القوات المسلحة فعلا ، ولكنه لم يكن مقتنعا بأن حربا أخرى سوف تحرر الارض ·· وكان يخطط لان الحل السياسى هو السبيل الوحيد ··

واجاب الرجل :

ــ اننى رجل عسكرى لا دخل لى بالسياسة · ولكننى أقول أن ايمانى الذى لم يتزعزع يوما ، بعد هزيمة ٦٧ ، هو أنه لا سبيل لتحرير الارض الا بالحرب · وبوحى هذا الايمان كنت أعمل بكل جهدى وطاقتى ·

بل اننى فكرت وأنا معزول ، أن أرسل الخطة العسكرية التى وضعتها الى الرئيس جمال عبد الناصر · ولكننى خشيت أن يتصور أحد ، أننى استخدم هذا الاسلوب للتقرب ، بهدف أن أعود الى القوات المسلحة ·· فآثرت الصمت ، حرصا على كرامتى ··

وسألت : وأين كان موقعك فى حرب ٦٧ ؟

وبدا لى كأن المشير لا يريد أن يتكلم ·

من الصعب على المتحدث اليه ، أن يكشف من قســمات وجهه حقيقة انطباعاته ·· ان فى قسماته طبيعة صخرية · ولكنه يبدو انسانا آخر عندما يضحك ولكن بقدر ·· ويبتسم ·· ولكن فى حدود !

ولم أستطع أن أعرف أى نوع من الذكريات أثرت فى وجدانه ·

ولكن كلماته كشفت عن طبيعة هذه الذكريات ·· دون أن تتغير قسماته بأى تعبير وهو يروى المأساة ·

قال المشير أحمد اسماعيل :

كنت حينئذ رئيسا لاركان القوات البرية ·· وكان يقودها الفريق أول عبد المحسن مرتجي ·· لقد تألفت قيادة القوات البرية في ١٧ مايو ١٩٦٧، لقيادة جبهة القتال في سيناء · ولكنها أعطيت اختصاصات غير كاملة كقيادة ·· لقد كنا ٢٠ ضابطا فقط ، والمفروض أن تتكون القيادة السايمة من ١٥٠ ضابطا على الاقل ، وكانت المهام المحددة لنا ، هى السيطرة على القوات ، ونقل صورة كاملة للقيادة العليا فى القاهرة التى كان يتولاها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول محمد فوزى ··

وتحركنا الى جبل « الميثان » في سيناء يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧

قلت : أى قبل الحرب بسبعة أيام فقط ··

قال : نعم ·· بسبعة أيام فقط ·· وبدأنا عملنا ، وقد استدعينا بعد ذلك لكى نكون فى مطار تمادة فى الساعة التاسعة من صباح ٥ يونيو ، لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر · وفوجئنا بضرب المطار وتدميره من العدو ونحن فيه ·· فعدنا على الفور الى أماكن تمركزنا · وكانت هـــذه أول معلومات عن بدء المعركة ·

قلت : اذن لم يكن هناك أى أخطار لكم كقيادة لجبهة القتال ، أن تتوقعوا هجوما من العدو فى الخامس من يونيو ··

قال : لم يحدث ··

قلت : سمعت أنه كانت هناك خطة دفاعية معدة للقوات المسلحة ·· ثم وضعت فى الايام الاخيرة قبل ٥ يونيو خطة هجومية ··

قال : الصـــحيح هو العـــكس ·· كانت لدينـــا خطـــة هجوميـــة ·· ثم استبدلت فى الايام الاخيرة بخطة دفاعية ·· ومضى وقت كنا لا نعرف فيه ·· هل سنهاجم أم سندافع ·· وقيل لنا أن نترك أمر هذا ، ليتقرر ونحن فى الجبهة ، طبقا لتطورات الظروف !!

قلت : وماذا جرى بعد مفاجأتكم بضرب المطار ··

قال : بدأنا نمارس اختصاصـــنا ·· ولكننا اكتشفنا أن الاوامر كانت تصدر مباشرة من القيادة العليا فى القاهرة الى التشكيلات العسكرية فى الميدان ، دون أن تمر علينا ، ودون أن نعرف عنها شيئا !! وأذكر قبل ٥ يونيو أننى طلبت من الفريق أول عبد المحسن مرتجى أن يتوجه الى القيادة

العليا في القاهرة ، ليحدد الموقف العسكري ٠٠ هل سنهاجم ٠٠ أم سندافع ! وكان علينا بطبيعة الحال أن ندافع بعد أن بدأ العدو الضربة الاولى ٠٠ لقد بدأت المعركة في اتجاه رفح والعريش وكان من الطبيعي أن يحقق العدو كسبا ، لانه هو البادىء بالهجوم ٠ ولكن كان من الممكن ايقاف التقدم بعد ذلك ٠ كان لدينا من القوات ما يكفي للقتال ٠٠ ولا أقول للانتصار ٠٠ ولكننا فوجئنا بقرار الانسحاب بعد ٢٤ ساعة !

قلت : من أبلغكم بقرار الانسحاب ٠٠

قال : لم يبلغنا أحد ٠ لقد عرفناه بالصدفة من قائد الشرطة العسكرية الذي كان ينظم مرور قوات الانسحاب ، وفي اليوم الثاني للانسحاب ٠٠ أي في ٧ يونيو !

لقد كان تصور القيادة العليا للمعركة ، تصورا خاطئا ، بسبب تضارب المعلومات ، وأصدرت الامر مباشرة لقائد الجيش الفريق صلاح محسن بالانسحاب في خلال ٢٤ ساعة دون علمنا !

وكان الانسحاب قاسيا ٠ فالقوات كثيرة العدد والعتاد ، وخاصة أعداد الدبابات وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية في منطقة المضايق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو كانت مخاطرة ومجازفة غير محسوبة ٠ ولا شك أن عدم وضع التخطيط المناسب للانسحاب ، أثر من ناحية حجم الخسائر وجسامتها ٠

قلت : ولعل هذا أبسط ما يقال عن هزيمة ٦٧ ٠٠

ولم يعلق المشير أحمد اسماعيل ٠٠ ولكنه انتقل سريعا الى عملية بناء القوات المسلحة من جديد ، كما شرحها من قبل !

⊙❖⊙

القصة فعلا قاسية ٠٠

ان قصة هزيمة ٦٧ قاسية فعلا على مقاتل ، بدأ مواجهة العدو منذ عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين وعلى عسكري ، تدرج في المناصب العسكرية من أولها الى أرفعها ٠٠ وعلى قائد لم يصل الى مسئولياته بغير أسلوب الدراسة العلمية العسكرية ٠

ان شهادة تخرجه في كلية أركان الحرب ، تقول عنه ، أنه أحد أحسن طالبين ٠ ونص الشهادة يعوض عن أي تعبير ٠٠

كما تعترف شهادة تخرجه في الاكاديمية العسكرية في عام ١٩٦٥ بتفوقه الرائع ٠

أي هذه الأكاديمية [illegible] مدرسة عسكرية على مستوى عال في تاريخ مصر ، والدراسة فيها على مستوى جيش ، ومجموعة جيوش . وعلى المستوى الاستراتيجي ، وأساتذتها خبراء سوفييت على أرقى درجة عسكرية . وقد أنشئت الأكاديمية في مصر ، على نمط مثيلتها في الاتحاد السوفيتي والدراسة فيهما واحدة .

نعم كان قاسيا على مثل هذا القائد العسكرى الجاد ، أن يواجه عبث ما جرى في يونيو ٦٧ .. وهو الذى مارس مواجهة العدو منذ قتال ١٩٤٨!

لقد بدأت حرب ٤٨ وهو طالب في كلية أركان حرب ، فأوقفت الدراسة، واستدعى الجميع ، طلبة ومدرسون الى أرض فلسطين ، وليلة وصوله اشترك الرائد أحمد اسماعيل في صد هجوم العدو في اتجاه العريش . وقاد سرية في قطاع غزة ..

وكان العدو يقاتل بالعصابات وكنا نقاتل بقوات جيش منظم ..
وماذا كان أول انطباع للضابط الشاب ، عند أول مواجهة للعدو ؟؟

قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ كان لدى العدو أسلحة حديثة .. وكان ماهرا في استخدام السلاح .
كان أسلوبه هو الخداع .. يوهم بالهجوم من ناحية ، ويهاجم من ناحية أخرى .. أو يوهم بهجوم كبير .. ليغطى هجوما آخر .

⊙❖⊙

وبعد ٨ سنوات وفي عام ١٩٥٦ . كان العقيد أحمد اسماعيل قائدا للواء الثالث مشاة في القنطرة شرق . وكانت مهمة اللواء الدفاع عن بورسعيد، وكان قد أعد خطة لمقاومة أي انزال من العدو في بورسعيد . كما تصور خطة العدو .

وفي منتصف الليل . يوم ٢٩ أكتوبر أيقظه المرحوم اللواء على عامر ، قائد الجبهة الشرقية ، ليخطره بأن قوات العدو نزلت في ممر متلا ، وعليه أن يتحرك باللواء الى منتصف سيناء ودخل أحمد اسماعيل بلوائه الى «بير روض سالم » على الطريق الاوسط وكانت المهمة ستر تحرك الوحـــدات المصرية المدرعة في سيناء .

وبدأ القتـــال .

ودخلت قوات العدو في الحسنة ..

وصدر في الليل أمر بالانسحاب الى الغرب .. وبعد أن ثبتت نية القوات البريطانية في الاسقاط على بورسعيد ..

وكان عليه أن يقوم بستر عملية الانسحاب ..

ودخلت الى بورسعيد أول كتيبة مصرية انسحبت .. واتخذت مواقعها قبل الانزال مباشرة . وكانت هي الكتيبة الرابعة مشاة .

وأدى بقية اللواء مهمته فى الدفاع عن بورسعيد .. وقد تسلم المدينة بعد تحريرها ، ورفع العلم المصرى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦

ـ ما هو اذن الانطباع الجديد للمشير أحمد اسماعيل بعد هذه المواجهة الثانية مع العدو .. عن أسلوب العدو فى القتال ؟ ..

قال المشير احمد اسماعيل :

ـ القتال هذه المرة كان بين قوات مسلحة نظامية . وقد لاحظت أن العدو يستخدم المدفعية بمهارة ، ليغطى الضرب من الجو . كما أنه نهاز للفرصة اذا سنحت ، وبأسرع ما يمكن . يجيد اكتشاف نقط الضعف . يتهرب من القتال مواجهة . يلجأ الى تحسس الاجناب . لا يقاتل وهو مكشوف ، يعتمد على المدرعات اعتمادا أساسيا في قتاله ، ويحرص على تفوق طيرانه. يختار طريقا للهجوم ، يعرف أنك أسقطته من تقديرك ، لانه لا يصلح لسير المدرعات مثلا ، ولكنه يتقدم منه . الضابط اليهودى ذكى ومكير . يحاول فى خططه الابتعاد عن مواقع القوة في قواتنا . يضع خطته على أســـاس توفير كل ضمانات النجاح .

ويضيف المشير أحمد اسماعيل :

ـ كما لاحظت أن العدو يجيد استخدام العنصر النفسى فى تخويف من يقاتله . انه يدرب بعض الافراد المتخصصين فى نوعيات قتالية محدودة ، تدريبا ممتـــازا ، وذلك لكى يســـتخدمهم فى الضربة الاولى .. وطبيعى أن يتحقق له النجاح .. ولكنه يهدف الى الايهام بأن كل قواته فى الخلف بمثل هذه الكفاءة القتالية .. وهذا طبعا يثير عدم الثقة والزعزعة ..

مثلا .. يجيد اعداد دبابات ممتازة .. ويتقدم بها .

وفى العمليات الفدائية .. انه يختار عددا محدودا من الممتازين ، ليقوموا بعملية .. وتنجح العملية .. فيوهم من يقاتله أن كل قواته على هـــــذا المستوى .. وقد لاحظت بعد ذلك ، فى عمليات الاستنزاف بعد ٦٧ أن العدو يختار أحسن طياريه فى طلعات الاستنزاف .

ولكن العدو ينكشف بعد ذلك ، اذا دخل فى عمليات تحتاج الى مواجهة واسعة ..

وانتهت حرب ٥٦ .. وجاءت حرب اليمن .. ولكن أحمد اسماعيل لم ينتقل من سيناء أيضا ! كان قائدا لجبهة سيناء أثناء حرب اليمن وكانت

فرقته (الثانية مشاة) هي المسئولة عن تأمين سيناء . وسحبت منه قوات مدربة تدريبا عاليا .

وتدرجت به المناصب العسكرية بعد ذلك .. رئيس أركان القوات البرية في ١٩٦٥ . ثم قائدا للمنطقة الشرقية .. ورئيسا لاركان القوات المسلحة، الى أن فوجىء بقرار الاعفاء من الرئيس جمال عبد الناصر في ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ..

ثم فوجىء بقرار اعادته من الرئيس أنور السادات مديرا للمخابرات العامة في ١٤ مايو ١٩٧١

ثم فوجىء بقرار اختياره وزيرا للحربية في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ .. وكانت المشكلة الاولى أن يبحث في كتمان عن بدلة عسكرية .. حتى يحتفظ بالسر الى موعد حلف اليمين .

وحلف اليمين بعد يومين .. وبدأ يواجه مسئوليات الاعـــداد لحرب أكتوبر ..

٤٨ ساعة فى برج العرب

●●● « فى هــذا الفصل يروى المشــير أحمد اسماعيل للمؤلف تفصيلات الاحداث يوما بيوم ، منذ أن تولى وزارة الحربية ، حتى ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر .. ما هى المهام التى واجهها فى القوات المسلحة ؟ .. ماذا كانت العقبات ؟ .. كيف وضعت الخطة ؟ .. ماذا دار فى اجتماع برج العرب الذى استمر يومين فى ضيافة الرئيس أنور السادات ؟ .. وماذا دار فى الاجتماع مع الرئيس حافظ الإسد ؟ .. سر اجتماع أغسطس فى الاسكندرية الذى حضرته القيادات السورية . ماذا كانت نتائج رحلات أحمد اسماعيل الى موسكو ؟ .. وما هى الاسلحة التى ركز على طلبها . كيف أمضى القائد العام أيام ما قبل المعركة ؟ » ●●●

قال لى المشير أحمد اسماعيل :

فى السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٢ .. وكنا فى رمضان استدعانى الرئيس أنور السادات ظهرا الى منزله فى الجيزة . استقبلنى فى الحديقة ، وكان ذلك فى الوقت الذى يخصصه للمشى . ذكرنى بما سبق أن قلته له بأننا يمكن أن نقوم بعمليات عسكرية ذات أثر فعال ضد اسرائيل . ناقشنى مرة أخرى فى هذا الرأى ، وبتفصيل أكثر من المرة السابقة . طلب منى أن أقترح عليه من يمكن أن يتولى هذه المهمة فى هذه الظروف . رشحت للرئيس أسماء من عسكريين حاليين وعسكريين سابقين . لاحظت أن الرئيس يعرف هذه الشخصيات معرفة وثيقة بكل مزاياها ، وبمختلف جوانبها . استمر نقاشنا حول هذا الاختيار أكثر من ساعة ونحن نجوب الحديقة سيرا هادئا .. كانت خلاصة المناقشات هى تحديد الصفات الواجب توافرها فيمن يتولى هذه المسئولية ..

وفجأة ألمح لى الرئيس .. انه يرغب فى أن أتولى أنا هذه المهمة .. لانه يرى توافر هذه الصفات فى شخصى ..

والحق أننى لم أتردد فى القبول . قلت للرئيس : اذا كان الامر تكليفا فاننى فى خدمة مصر وفى خدمة الرئيس فى أى مكان تضعنى فيه ..

ثم بدأ الرئيس يعطينى توجيهاته بالنسبة لما يجب أن يفعل من الآن . شرح لى تصوره السياسى والعسكرى . كان يرى ان العمل السياسى يجب أن يكون فى خدمة العمل العسكرى . وأن العمل العسكرى يجب أن يكون فى خدمة العمل السياسى . طرح لى جوانب سياسية عديدة على المسرح العربى والمسرح العالمى ، كانت خافية على . شعرت أنه يتخذ قراراته بحسابات بالغة الدقة ، تقدر كل الاحتمالات المتوقعة ..

وسألت المشير :

وماذا كانت خلاصة آراء الرئيس ؟

المشير :

ـ كان الرئيس يرى ان الحل بالطرق السلمية أصبح مستحيلا .. واستبعد الرئيس أن يحدث هذا تماما .. وكان يقينه أنه لا مفر من القتال ، وان اسرائيل لن تتزحزح شبرا واحدا ، بغير أن تكره على ذلك بالحرب . وطلب منى الرئيس أن أبدأ عملى على الفور ، بهدف أن تكون القوات المسلحة المصرية جاهزة للقتال .

ثم قال الرئيس : ولكن أحتفظ بكل ما قلناه سرا حتى تحلف اليمين بعد يومين ..

وترك المشير أحمد اسماعيل منزل الرئيس فى الجيزة قبيل الافطار بفترة وجيزة · وتوجه الى منزله ، ولكن ذهنه كان ينشط بالتفكير المتصل فى هذه المسئولية الخطيرة : تولى قيادة القوات المسلحة · والاستعداد للحرب ·

وهو يقول :

ـ وكانت عندى بعض معلومات عن التطورات الموجودة فى القوات المسلحة ، بحكم منصبى فى المخابرات العامة الذى توليته منذ ١٤ مايو · ولكنها طبعا لم تكن كافية · وبدأت أفكر فيما يجب أن يكون عليه التخطيط المقبل للقوات المسلحة · لم أشأ أن أضيع دقيقة واحدة · وكان السؤال الذى يجب أن أجيب عليه هو : كيف يمكن أن نعد القوات المسلحة ـ فى ظروفها الراهنة ـ الى أن تكون جاهزة للقتال فى أقرب وقت ممكن ؟ ..

والسؤال الثانى : كيف يكون هذا الاعداد بحيث نضمن الانتصار على العدو ؟ ..

وتم حلف اليمين بعد يومين .. وتوجه القائد الجديد الى مكتبه بوزارة الحربية ..

قال المشير :

ـ كانت أمامى مهام رئيسية عديدة ..

أولى هذه المهام ، هى دعم وايجاد ثقة الجنود والضباط والقادة فى أنفسهم وفى سلاحهم ·

كانت هذه خطوة أولى واجبه ·

★ ثم كان على أن أدرس بدقة كاملة ، وتفصيل دقيق ، كل المشكلات والصعاب القائمة أمام القوات المسلحة وكيفية التغلب عليها (أقصد المشاكل الخاصة بالقتال) ·

★ ثم تطوير القوات المسلحة ، بالتسليح والتنظيم ، بما يتناسب مع العمليات المقبلة ..

★ واعداد برنامج تدريب شاق متواصل ، على أرض تشابه أرض القتال ·

.. ثم مهمة أساسية جدا ..

★ وهى تجهيز مسرح العمليات ، تحت ستار تحسين الدفاعات للتعمية على العدو ، وفى نفس الوقت اعداد مسرح العمليات للهجوم ·

ويستطرد المشير أحمد اسماعيل قائلا :

ـ ومع ذلك كله الارتفاع المستمر بمعنويات الجنود والضباط الذين ظلوا فى الخنادق ست سنوات متصلة ·

وسالت المشير :

ـ لقد بدأت المهام الرئيسية بالحديث عن دعم وايجاد الثقة فى المقاتل وفي سلاحه •• هل كانت الصورة مزعجة بالنسبة للثقة فى القتال وفى السلاح ••

وأجاب المشير :

ـ أرجو أن تحتفظ بهذا السؤال لنفسك • ليس من طبعى أن أتحدث عن سلبيات أى قائد قبلى تولى المسئولية • هذه شيمتى • واننى أقول دائما ان التطوير الذى حدث فى القوات المسلحة حتى حققت انتصارات أكتوبر ، لم يكن أبدا وليد عملى •• ولكنه استمرار لتطوير بدأ منذ سنوات •• وأنا قلت ان الفريق أول محمد فوزى أسهم فى هذا التطوير ••

قلت :

ـ ولكن توليك وزارة الحربية والقيادة العامة ، عقب اعفاء الفريق صادق من المنصبين ؟ ••

قال : ليس من مهمتى أن أتحدث فى هذا الموضوع • وقد أعلن الرئيس أنور السادات أنه كان قد أمر الفريق صادق بمهــام معينة ولم ينفــذها • وليس من حقى أن أتحدث فى هذا الموضوع ••

⊙❖⊙

واذا قطعت الاسترسال فى هــذا الحــديث ، فاننى أســجل أن الموقف العسكرى عند اعفاء الفريق صادق كان يستدعي فعلا ، عملا ايجابيا سريعا وحاسما •

كانت وجهة نظر الفريق صــادق ، ان السلاح الســوفيتى الذى نملكه متخلف عن السلاح الامريكى الذى يملكه الاسرائيليون • وان الموجود لدينا من هذا السلاح لا يكفى لضمان نجاح معركة عسكرية وان الامر يحتاج الى وقت طويل ، والى أسلحة جديدة متطورة ، لــكى نعود مستعدين لمواجهـة القوات الاسرائيلية • وكان الفريق صــادق يتحدث بذلك الى القــادة فى القوات المسلحة • وكان يرى ان الاتحاد السوفيتى يمسك عن اعطائنا حاجتنا من السلاح ، وهو يعلم أننا مضطرون للقتال لتحرير الارض ، حتى ندخل فى معركة عسكرية نتيجتها ضربة عسكرية قاصمة •• وبعدها يحدث خراب داخلى ، يكون أرضا مهددة للشيوعية •• كان هذا هو اقتنــاعه •• وكان مخلصــا فى هذا الاقتنــاع مع نفسه ، ولكنه خلط فى هــذا بين المسئولية العسكرية والمسئولية السياسية • وشجعه على هذه الآراء أصوات من خارج القوات المسلحة كان الفريق صادق يثق فى تفكيرها السياسى ، وصــــدق تصورها للتيارات العالمية • وقــد أشاع رأى الفريق صــادق بين القوات المسلحة ، جوا من عدم الثقة فى امكانية كسب معركة بالاسلحة القائمة ••

وكان الضباط الذين يخالفون هذا الرأى ، يشك فى تأثرهم بالدعاية السوفيتية ·· مما أوجد موقفا خطيرا ، كان يجب مواجهته بحسم وبسرعة·
وقد فوجيء الرئيس أنور السادات ، بأن الفريق صادق لم ينفذ مهام قتالية أمر بها القائد الاعلى ، للاستعداد للمعركة ··
وانتهى الامر ، بقرار اعفاء الفريق صادق ·
وقبل اصدار هذا القرار ، كان الرئيس قد تلقى تقريرا بما يثور بين عدد من القيادات من مناقشات حول امكانية أو عدم امكانية القتال ··
وكان من الممكن أن يتطور الامر الى تسيب لا تتحمله القوات المسلحة ، والقيادة العليا ، تعد للقتال ··
وكان الفريق صادق قد أجرى بعض التنقلات فى المواقع العسكرية بمنطق فهمه السياسى ·· وهنا كان التأخير فى تغيير القائد العام يشكل خطورة ·
وقد استدعى الرئيس أنور السادات ، الفريق الشاذلى رئيس أركان الحرب حينئذ ، وأبلغه بالقرار ·· وأبلغه باختياره لوزير الحربية الجديد ·

⊙✣⊙

وقد انطلقت اشاعات عديدة حول قرار اعفاء الفريق صادق ، وخاصة أنه صدر بعد عودة الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء من رحلته الثانية الى موسكو ·· وأمكن وضع قاعدة جديدة لعلاقات حسنة مع الاتحاد السوفيتى ·· ورددت الاشاعات ان الفريق صادق أبعد عن الجيش بناء على طلب الاتحاد السوفيتى ··
وهذا غير صحيح بطبيعة الحال جملة وتفصيلا ·· على الرغم من أن أقوال الفريق صادق فى زيارته للقوات ، كانت تزعج الروس وتثير غضبهم ··
ولكن الرئيس أنور السادات لم يكترث لهذه الاشاعات ··
وقال لى حينئذ : لقد كنت واثقا تماما ، ان اعفاء الفريق صادق ، سيستغل ضدنا ·· وانه سيقال انه تم بناء على طلب الاتحاد السوفيتى ·· ولكننى لم أهتم أبدا بما يمكن أن يقال · ان اهتمامى فى المقام الاول ، هو بموجب اتخاذ القرار فى توقيته المناسب ، وبدون أدنى تأخير ·· أما الاشاعات فلا يمكن أن تتحكم فى سياسة الدولة ·

⊙✣⊙

أعود الى جلستى مع المشير أحمد اسماعيل ··
أكمل المشير استطراده فى الحديث قائلا :
ـ وكان لابد أولا من اكمال كل نواحى النقص التكنولوجية ·· فعدونا متقدم ·· وأمريكا تمده بأحدث الاجهزة التكنولوجية فى مختلف الاسلحة ·
وقد كان تفكيرى فى التخطيط الجاد للعمليات ، على ثلاثة أسس :
أولا : دراسة كل امكانيات العدو دراسة تفصيلية كاملة ·

ثانيا : التخطيط للعمليات بما يتناسب مع قدرات وإمكانيات القوات المسلحة ·

ثالثا : التنسيق المخلص الجاد الصادق مع القوات السورية ·

وبالنسبة لهذا الاساس الثالث ، أحب أن أسجل ، أن هذا كان قراري منذ اللحظة الاولى التي توليت فيها المسئولية · يجب أن يكون التنسيق جادا وصادقا مع القوات السورية ، حتى نرغم العدو على القتال في جبهتين في وقت واحد لتشتيت جهوده · فالحقيقة التي يجب أن تعرف الآن ان التنسيق بين مصر وسوريا في حرب ٦٧ ، لم يكن صادقا من الطرفين · كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية وكانت مصر تخفى عن سوريا خططها الحقيقية · كان الشك متبادلا ولا يمكن أن يدخل جيشان في معركة واحدة ، بغير مكاشفة كاملة بكل الاسرار والخطط ·· والتنسيق الكامل ، لكل تحرك من الجانبين ·· وأحب أن أسجل ، ان تعاون القوات السورية معي · كان تعاونا مشرفا وصادقا ، ولذلك كان التخطيط للمعركة موفقا ، ومدروسا دراسة كافية من الجانبين ·

ثم قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ وبدأت السفينة تسير ··

أمكن تذليل الصعوبات يوما بعد يوم ··

الدولة لم تبخل علينا بكل ما طلبناه من اعتمادات مالية ضخمة ··

وكان الرئيس أنور السادات معنا في كل أفكارنا ، خطوة بخطوة ·· كنت أعرض عليه تطورات موقفنا أولا بأول ، وكان تشجيعه المستمر ، وايمانه بالقوات المسلحة وايمانه بالمعركة ·· وقودا ملهبا لمضاعفة العمل بثقة وحماسة ·

وأسجل أنني وجدت تعاونا كاملا من جميع أجهزة القوات المسلحة ربما لانه كان لي شرف أنني درست في كلية أركان الحرب لغالبية القادة الموجودين ·· ربما لزمالتي الموفقة للكثيرين من القادة ·· ربما لانني كنت قائدا للجبهة والجميع خدم معي وزاملوني في أيام الصعاب ·· مهما كانت الاسباب ·· فقد أسعدني هذا التعاون الايجابي الكامل ·· وشعرت بأنني لست غريبا بين أسرتي التي اضطرتني الظروف لتركها فترة غير قصيرة ··

وكان الجميع متلهفين على المعركة · ولكن كان ينقصهم الاجابة على السؤالين ·· من أين نبدأ ·· وكيف نتحرك ··

قلت :

ـ ولكن كيف أمكن تحقيق المهمة الاولى · وهي اعادة الثقة بالنفس · واعادة الثقة بالسلاح ؟ ··

قال المشير :

ـ نحقق ذلك بالزيارات لجميع الوحدات . والتأكيد الواثق الحقيقى بأن المعركة آتية لا ريب فيها . وبالتقدير الواقعى مع مختلف القادة ، للموقف عسكريا واستراتيجيا وتعبويا .

لقد وضعنا خطة عامة يجب أن نقوم بتنفيذها ، لتحقيق الاهداف السياسية والاستراتيجية التى وضعها السيد الرئيس فى تكليفه الشفهى لى أولا .. ثم فى تكليفه الكتابى بوثيقة تاريخية ..

قلت : أين هذه الوثيقة ؟ ..

قال : انها من الاسرار . ولم يحن الوقت بعد لاذاعتها ..

قلت : ألا يمكن أن أنشر جزءا منها ..

قال : مستحيل الآن .. ونعود الى موضوعنا ، دعم الثقة بالنفس والسلاح ، كان تخطيطى انه لابد لكل من يقوم بعمل ما ، أن يكون مقتنعا به ، وأن يكون فى طاقته الشخصية وقدرات سلاحه لقد عملت تقديرا عاما للموقف . خرجت بخطة فى ذهنى . اتفق القادة الكبار عليها . القادة الاصغر فالاصغر على التوالى ، على كل منهم أن ينفذ جزءا من الخطة فى موقعه واختصاصه . بدأت أعقد الاجتماعات . تجرى المناقشات الحرة الصريحة . ما هى المهام التى يمكن أن يحققها كل منهم بالامكانيات التى فى يده ؟ .. ما هو تقديره الشخصى للموقف ؟ .. ما هى التعديلات التى يقترحها لامكانية التنفيذ ؟ .. ماذا ينقصه من سلاح ؟ .. ما هى الوسيلة لتعويض هذا النقص ؟ ..

وكثيرا ما كنت أقف على شاطىء القناة ، وأستطلع مع القائد موقع العدو، بما لدينا من معلومات .. ونناقش فى أدق التفصيلات هذا الموقع ، كيف يمكن الاستيلاء عليه . من الامام ؟ أو من الخلف ؟ أو من الاجناب ؟ .. ماذا يلزمه للاستيلاء عليه ؟ .. ماذا ينقصه .. هل هناك فكرة أخرى ؟ .. ما هى الاحتمالات المتوقعة من العدو . الى آخر كل ذلك ، بحيث نصل الى اقتناع موحد ، بامكانية التنفيذ ، بالقوات الموجودة ، وبالسلاح الذى فى يدنا .

وبعد أن اقتنع القادة أنهم قادرون بواسطة الاسلحة والقوات التى لديهم .. بدأ التخطيط التفصيلى للخطط يأخذ الطابع الرئيسى للعمل فى كل أجهزة القوات المسلحة . وبدأت تهيئة مسرح العمليات .. بكل ما يحتاج اليه التنفيذ .. وسرى الاطمئنان بين الجميع ، على قدرتهم على تحقيق الهدف الكبير .

قلت : ماذا كانت الخطوة الهامة فى تهيئة مسرح العمليات ؟ ..

قال المشير : لا أستطيع أن أذيع كل الاسرار . ولكن يكفى أن أقول أننا أنشأنا سدا عاليا ثانيا من المصاطب الترابية . خرجت قواتنا من الخنادق .

استطعنا أن نرى العدو وأن نراقبه • وخططنا لاستخدام هذه المصاطب الاهرامية ، فى أغراض عسكرية عديدة ، لم يفطن اليها العدو أبدا حتى بدأنا القتال •

قلت : سمعت أن وجود الخبراء السوفيت ، كان يعنى أنهم يشتركون فى وضع الخطط العسكرية ••

قال : طبعا وجود خبراء كان يعنى أن يقدموا أفكارهم •• وآراءهم ولكن الخطة المصرية وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت وعلى أساس معرفتنا الكاملة بكل شبر فى أرضنا •• فى سيناء وكانت تعدل جزئيا وفقا لظروف الواقع • لقد خدمت فى سيناء خمسة عشر عاما • أعرفها شبرا شبرا •• لا أتصور شيئا ، لاننى عشته على الطبيعة فى مختلف مواقعى العسكرية • وكذلك عدد كبير من زملائى فى القوات المسلحة • الخطة العسكرية التى نفذت ، شىء مختلف تماما ، عن الافكار التخطيطية التى كنا نسمعها من الخبراء السوفيت • كانت هناك أفكار أن نعبر من موضع واحد ، ونكون رأس كوبرى واحد • وكانت هناك أفكار أن يكون هبوطنا فى الممرات •• أفكار عديدة •• ولكنها ليست خططا •

قلت : ولكن كيف تغلب على المصاعب الاخرى •• التسليح مثلا •• وهذا شىء هام ؟

قال : كان تفكيرى •• الذى كان الرئيس السادات مقتنعا به كل الاقتناع •• قبل أن يكلفنى بمسئولية الحرب ، هو أن يكون تخطيطنا للمعركة ، على قدر الاسلحة التى معنا اذا أمكننا أن نحصل على مزيد من السلاح ، فليكن ذلك لتحقيق هدف أكثر نجاحا وأكثر اتساعا • ولكن المهم أولا •• أن نعرف ما هو السلاح الذى نحتاجه ؟ •• ان العدو متفوق علينا فى أنواع الطائرات ولديه قوات مدرعة مدربة • ولذلك كان تركيزى فى رحلتى الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٧٣ ، هو الحصول على نوعين رئيسيين من السلاح • هما الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات • وكان مهما جدا بالنسبة لنا ، سرعة التوريد ، حتى يمكن تدريب الافراد على هذه الاسلحة • الحق أننا كنا فى سباق رهيب مع الزمن • كان يجب الاعداد الكامل ، قبل الموعد المحدد للمعركة • والوقت يجرى • سباق رهيب بين تجهيز الاطقم التى ستدرب •• ثم التدريب •• ثم وصول المعدات فى الوقت المناسب •• واختيار مواقعها •• وتوزيعها •• وأحمد الله أن وفقنى فى رحلة مارس الى عقد صفقة كبيرة قيمتها مليار روبل •

قلت : الاستماع الآن يبدو سهلا •• ولكنكم قطعا واجهتم صعابا فنية عديدة فى الاعداد والتنفيذ ••

قال : الصعوبات الفنية كانت يومية •• وكنا نواجهها بتفكير هادىء •

ولا شك أن رجالنا الذين درسوا الالكترونيات .. ومهندسينا .. قاموا بأعمال خلاقة رائعة فى تطوير الاسلحة التى كنا نحصل عليها .. لقد أضيفت تحسينات وتطويرات عديدة .. وكنا نحصل على هذه التطويرات الجزئية من أسواق أخرى فى أوروبا فهى مباحة للبيع لاستخدامات أخرى . ولكن العقل المصرى تفتق عن استخدامها مع الاسلحة التى لدينا .

قلت : سمعت ان القوات المسلحة انتهت من تجارب العبور فى مايو ١٩٧٣ ..

قال المشير : هذا صحيح .. ولكن حتى هذا التاريخ ، كان ينقصنا أسلحة معينة لم تكن قد وصلت بعد ..

قلت : الغريب أن بعض الاسلحة وصلت قبل يوم الهجوم بيومين .. أى فى ٤ أكتوبر ..

قال المشير : بل هناك أسلحة وصلت فى ٥ أكتوبر .. وفى ٦ أكتوبر .. لقد كنت أتابع وصول الاسلحة يوميا ، وكنت أخطر ساعة بساعة بكمياتها ونوعياتها وقرارات توزيعها فى مختلف المواقع ..

قلت : ولكن متى تحدد فعلا أمر القتال من القائد الاعلى أنور السادات .

قال المشير : لقد تأكدت من السيد الرئيس أن المعركة تقترب جدا من موعدها ، فى لقاء تم فى استراحة برج العرب فى أبريل ١٩٧٣ . لقد دعانى السيد الرئيس للسفر الى برج العرب ، وتمضية يومين معه .. وقال لى : علشان تستريح شوية . ولكننا أمضينا اليومين كاملين فى دراسات تفصيلية لكل ما يتصل بالمعركة عسكريا وسياسيا . وكانت مع الرئيس خريطة مجسمة لكل أرض القتال ، لم تكن تفارقه فى تلك الايام ، فى أى مكان ذهب اليه للعمل أو الراحة .. وكان الرئيس فى معنويات مرتفعة سعيدة . ففى ذلك الوقت بدأ وصول شحنات صفقة الاسلحة من الاتحاد السوفيتى ، وتناقشنا خلال اليومين ، فيما أمكن تذليله من صعاب وفيما علينا أن نواجهه من صعاب ، وكيفية تذليلها .. وعرضت على السيد الرئيس تفصيلات عديدة ، خاصة بكل نواحى الخطة .. وشرح لى الرئيس الموقف السياسى عالميا وعربيا ، وشعوره بأن العمل السياسى يمهد فعلا الرأى العام العالمى لتقبل المعركة .. كما تناقشنا فى جوانب اشتراك سوريا فى المعركة ..

قلت : هل حدد الرئيس ساعة الصفر فى هذا الاجتماع الذى استمر يومين ؟

قال المشير : لا .. لم تتحدد ساعة الصفر . ولكن حديثه معى كان يعنى أن المعركة تقترب كثيرا .. وأن كل الظروف السياسية والعسكرية ، تؤكد أنه لن يكون هناك تأجيل أو عدول .

قلت : أذكر أنني تحدثت الى الرئيس فى ذلك الوقت ٠٠ وكنت قد شممت أخبار احتمال قرب المعركة ٠٠ وخشيت أن يكون واقعا تحت أى ضغط من الاصوات المزايدة ٠٠ ولكن الرئيس أكد لى أن المعركة لابد أن تقع قبل نهاية ١٩٧٣ ٠٠ وأننا اذا لم ندخلها قبل نهاية ذلك العام ٠٠ فلن ندخلها بعد ذلك ٠

قال المشير : كانت التقديرات الاولى فعلا أن تكون قبل نهاية ١٩٧٣ لانه كانت لدينا معلومات تفصيلية عن عقود التسليح التي حصلت عليها اسرائيل ٠ وعن الاسلحة ونوعياتها التي سوف تصلها فى عام ١٩٧٤ ٠٠ وكنا نرتب القتال ، على أساس ما تملكه فعلا من أسلحة ٠٠ وما تملكه اسرائيل ٠٠ وكان التأجيل الى ما بعد ١٩٧٣ يمكن أن يعرضنا لمفاجآت ، لا نستطيع مواجهتها بالاسلوب المناسب ٠٠ أو تكبدنا جهدا أكبر ، وتكاليف أكثر ٠٠ نحن فى حاجة اليها ٠

قلت : وكيف تم الاتفاق النهائى على اشتراك سوريا فى المعركة ؟

قال المشير : كان ذلك فى برج العرب أيضا ٠ لقد حضر الرئيس حافظ الاسد فى رحلة سرية خلال شهر يوليو ١٩٧٣ ٠ واستدعانى السيد الرئيس وتم الاجتماع استمر ٤ ساعات ، جرت فيه مناقشة تفصيلية ٠٠ لموقف العدو ٠٠ وموقف القوات السورية ٠٠ وموقف القوات المصرية ٠٠ وضمانات الانتصار فى القتال ٠٠ والوقت المناسب للمعركة ، وكان الرئيس حافظ الاسد مقتنعا تماما ، بحتمية المعركة ، وكنا نتحدث بمفهوم واحد واقتناع واحد ٠ وكنت قبل ذلك قد زرت سوريا أكثر من مرة فى رحلات سرية ، واصطحبت معى بعض قادة الافرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وزرت الجبهة ، واجتمعت بالقيادة السورية ، وتدارسنا الخطط المشتركة ٠٠ وقد كانت القوات السورية تبذل أقصى جهد مستطاع ، وعن اقتناع ، فى الاعداد للقتال ، وكان عملهم العسكرى رائعا ٠٠

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى ، وأصدر الى الرئيسان التوجيهات بالسير قدما فى الاعداد النهائى للمعركة ٠٠

ثم يكمل المشير احمد اسماعيل قصة التوقيت للمعركة قائلا :

ــ صدر قرار جمهورى مصرى سورى بتشكيل المجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية السورية برياستي ، وصدق على هذا القرار على أساس أن المعركة واحدة والمصير واحد ٠٠ وتمت الاتصالات ٠ واجتمع هذا المجلس سرا فى الاسكندرية خلال شهر أغسطس ٧٣ ، وفى هذا الاجتماع تقرر التحديد التقريبى للمعركة خلال شهرين ٠

قلت : ولكن تحديد ساعة الصفر يوم عيد الغفران ٠٠ قيل عنه فى

اسرائيل أنه سهل استدعاء الاحتياطي لان الاسرائيليين فى هذا العيد يبقون فى بيوتهم أو يذهبون الى المعابد ..

قال : لم يكن عيد الغفران هو العامل الرئيسي فى تحديد ساعة الصفر . فى خلال سبتمبر وأكتوبر كانت هناك أعياد أخرى . وقد بحثنا كل أعياد اليهود على مدار سنة كاملة .. والذى حدث أن مجلس الوزراء الاسرائيلى لم يتمكن من الاجتماع فى وقت مناسب فى ذلك اليوم .

ولكن التحديد تحكمت فيه عوامل كثيرة .. منها أن يكون قبل حلول الشتاء فى سوريا حيث يظهر الثلج . أن يكون بعد وصول أنواع معينة من الاسلحه . ضوء القمر . المد والجزر فى مياه القناة . ظروف سوريا . الى آخر مثل هذه العوامل التى درست بعناية شديدة . وأخيرا قررنا ساعة الصفر بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر . ولم يكن يعرف هذا الموعد الا الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد وأنا . وطبعا علم به القادة المتصلون اتصـــالا كاملا بالحرب ، مثل رئيس الاركان ورئيس العمليات . تم التحديد فى أوائل سبتمبر ، وبدأ العد التنازلى ابتداء من ٥ سبتمبر ولمدة ٣٠ يوما ..

قلت : ما معنى العد التنازلى ..

قال المشـــير : معناه أنه لا يمكن ايقـاف العملية . وكان كل يوم يعنى تنفيذ جزء من الاستعداد . وقبل ساعة الصفر بعشرة أيام مثلا تحركت البحرية المصرية الى المواقع المحددة لها فى الخطة .

قلت : ما الذى كان يتم يوميا من اجراءات ..

قال : تنفيذ كل جزئية . ولكن الوحدات المقاتلة لم تكن لتعلم شيئا . لقد بدأنا منذ أول أكتوبر بتنفيذ مشروع استراتيجي تعبوى على مستوى القوات المسلحة كاملة .. وفى يوم ٣ أكتوبر زرت سوريا سرا ، للتأكيد على اللمسات النهائية للمعركة ، وقابلت القادة هناك ، وقابلت الرئيس الاسد الذى بارك بدء المعركة ..

قلت : ومتى عقد آخر اجتماع عسكرى شامل للقيادة المصرية ؟

قال المشير : عقد اجتماع استمر ١٠ ساعات كاملة ، هو اجتماع القـائد الاعلى بالمجلس الاعلى للقوات المسلحة ، وهو اجتماع يحضره قادة الاسلحة وقادة الجيوش فقط . قمت بتقديم الخطة العامة ، وشرحت المشكلات وكيف ذللناها ، وكان شرحى للخطة على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم قام كل قائد وشرح ما يقوم بتنفيذه ، وما يجب أن يستكمل فى هذه الســـاعات الاخيرة . وناقش القائد الاعلى كل القادة فيما عرضوه ، والحق أن كل قائد منهم كان يتحدث بثقة كاملة واقتناع تام ، وفى نهاية الاجتماع قال الرئيس السادات :

ـ أحمد الله أننا وصلنا الى هذه اللحظة ، لنضع اللمسات الاخيرة على العمل ، ونقول للعالم اننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته فى نفسه وفيكم • وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملا باحساسه بمسئولياته تجاه وطنه وسأتحمل معكم المسئولية كاملة • تاريخيا وماديا ومعنويا • وفى نفس الوقت أثق ثقة كاملة فيكم ، وأنكم ستنتصرون بكل ثقة واطمئنان وحرية •

ورد القائد العام على الرئيس بقوله :

ـ باسم القادة • وباسم القوات المسلحة ، نعدكم ، ونعاهد شعبنا أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ، ولتثقوا سيادتكم فى أن كل القادة متفائلون ، وفى مقدورهم تحقيق مهامهم • وأننا نشترك فى المسئولية ، فجميعنا مسئولون عن بلدنا معكم •

قلت للمشير : ومتى بدأت القوات تعرف ساعة الصفر ••

قال : جاء هذا بأسلوب تدريجى •• بحيث يعرف القـــادة والقوات التوقيت المناسب لتحقيق مهمتهم • ففى ٦ اكتوبر •• وعندما صدرت الاوامر للطيارين بالاقلاع مثلا •• كانوا يتساءلون •• هل سنقلع لنضرب •• أو أنها المناورة التدريبية •• وصدرت لهم الاوامر بالضرب فى اللحظة الاخيرة فى الوقت المناسب •

قلت : ولكن خطة الخداع كانت ستتعرض للفشـــل •• قبل المعركة بيومين ••

قال المشير : متى ؟ ••

قلت : عندما بدأت السفارة السوفيتية ترحل العائلات السوفيتية على طائرات منذ الفجر (١) •

قال : هذا صحيح •• وعرفت اسرائيل طبعا •• ولكن بصيرتهم عميت •• ولم يستنتجوا أن هذا دليل على اقتراب ساعة الصفر •• بل ان السرية

---

(١) صرح الرئيس انور السادات فى حديث له مع عبد الرحمن الشرقاوى بما يلى :

ان قرار الحرب اتخذ بدون علم القوتين الكبيرتين بل على الرغم منهما •• فنحن نذكر أن الاتحاد السوفيتى كان يعتنق الحل السلمى ولا يرى غيره حلا •• وان امريكا كانت لا تبالى وكانت سياستها تقوم على ترك الامور كما هى عليه •• ونحن نعلم أن اسرائيل كانت قد جعلت خط بارليف هو خط حدودها الآمنة • هكذا كان الامر قبل ٦ اكتوبر ١٩٧٣ •

وقال الرئيس :

× × كان المجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية السورية يعلم بالطبع ـ وهو يدرس الاحتمالات والتواريخ ـ أن هناك ثلاثة تواريخ مرشحة أخرها اكتوبر سنة ١٩٧٣ • أما اليوم بالتحديد ، والساعة بالتحديد ، فقد كان سرا •
=

تعرضت لان تكشف من تصرف محلي في مطـار القاهرة يوم الخامس من أكتوبر ..

قلت : أى قبل المعركة بيوم واحد ..

قال : نعم .. يوم ٥ أكتوبر .. اتخذ وزير الطيران المدني قرارا بوقف رحلات الطيران في مطار القاهرة . وكان هذا تصرفا شخصيا من الوزير ، لم يطلب منه . ولكن الذى حدث أن السيد الرئيس كان قد نبهه الى المحافظة على الطائرات المدنية في مطار القاهرة ، عندما تجيء ساعة الصفر . وقـد استنتج الوزير مما كان يجرى حوله .. وخاصـة من ترحيل العـائلات الروسـية .. أن شيئا قريبا سـيحدث . فأمر بوقف رحلات الطيران .. وأذيع هذا طبعا في جميع مطارات العـالم .. وكان يمكن أن يؤدى هذا التصرف الى كارثة .. ولكنني طلبت منه على الفور أن يعلن الغاء قراره واعادة الطيران مع الاعتذار بأن الوقف كان لاسباب فنية أمكن اصلاحها .. ولكن ما جرى زاد فى الخداع بالنسبة للعدو .

قلت : وكيف أمضيت أيام ما قبل أكتوبر ؟

قال المشـير : منـذ أول أكتوبر وأنا فى مركز العمليات ، أتابع كل ما يجرى .. الصـدى اليومى للعدو .. تحركات العدو .. وكنت أحس أنه لا يوجد أى صدى .. وكان عملنا يجرى بهدوء .. حتى حانت سـاعة الصـفر .

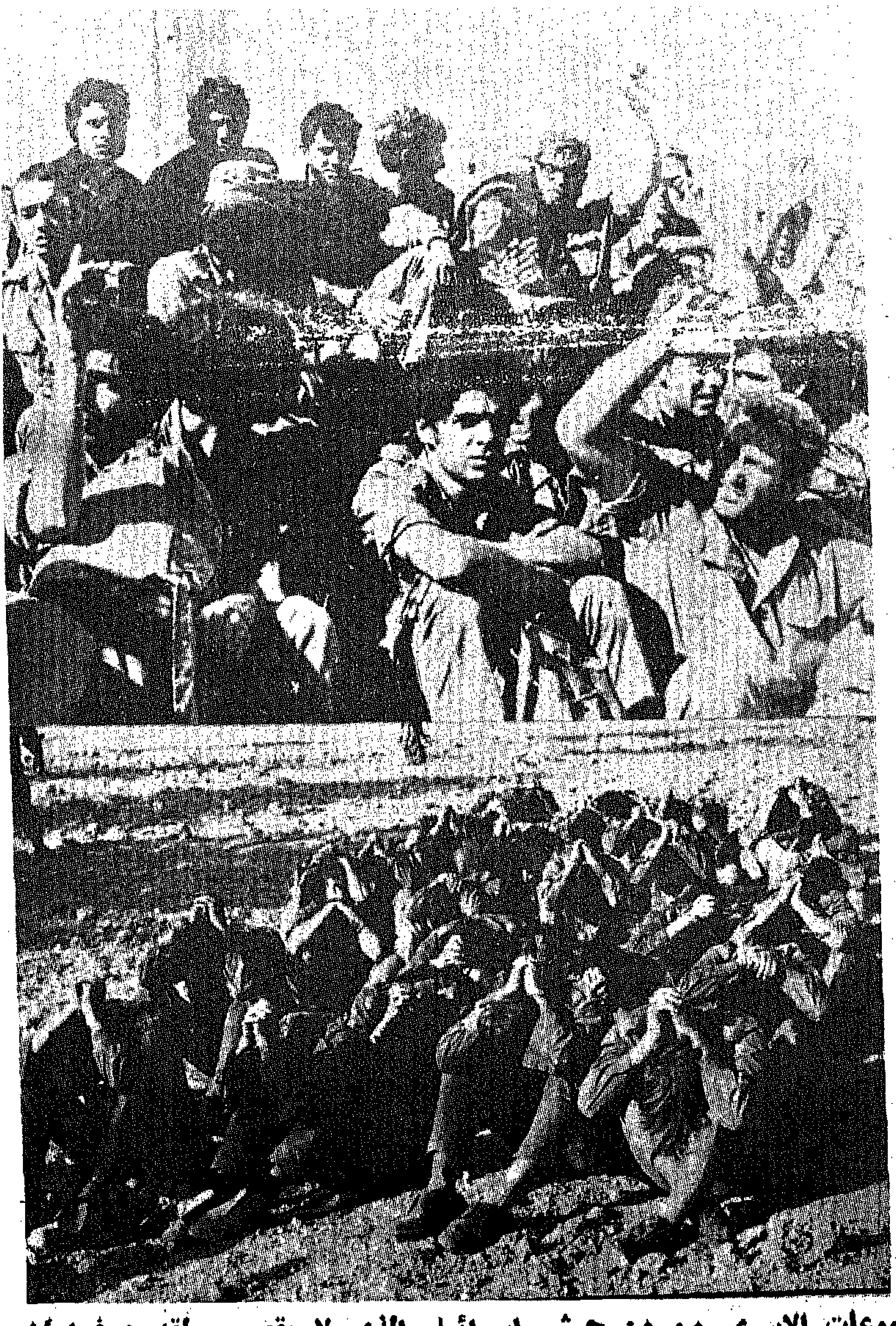
= لم يكن فى مصر فى ذلك الوقت خبراء سوفيت . لم يكن هناك ما يستوجبه التشاور مع السوفيت . فلهم نظرتهم التى ترى الحل السلمى هو الحل الوحيد . ولنا نظرتنا التى لا تعتمـد غير حرب التحرير الكبرى طريقا للتحـرير . كانت مصر تدرك رأى القـادة السوفيت بوضوح ، فلماذا تتصـل بهم اذن وتستطلع رأيهم فى أمر تعرف مسبقا رأيهم فيـه !

واتفقت مع الرئيس الاسد الا يتسرب خبر موعـد المعركة ، الذى تم تحديده فى اواخر اغسطس ١٩٧٣ . ولم يتسرب الخبر بالفعل .

وفى يوم ٣ أكتـوبر استدعيت السـفير السوفيتى بالقاهرة (كان هذا يوم الاربعاء والموعد المحدد للمعركة هو السبت ٦ اكتوبر) وطلبت منه أن يستطلع رأى القادة السوفيت فيما عسى أن يكون عليه الموقف السـوفيتى عندما تقوم مصر بتحرك عسكرى .. واننى قد قررت هذا بالفعل .

وطبعا لم اصرح للسفير السوفيتى بموعد الحرب . كل ما فى الامر هو استطلاع موقف السوفيت عند التحرك .

وفى يوم ٤ اكتوبر استدعى الرئيس الاسد السفير السوفيتى ليخبره أيضا بقرار الحرب . واذا بأول رد فعل بعد مقابلتى ، هو مجىء الطائرات السوفيتية لتنقل الرعايا السوفيت المقيمين فى مصر فى سرية تامة .. وكان هذا يوم الجمعة ٥ أكتوبر !



مجموعات الاسرى .. من جيش اسرائيل الذى لا يقهر . لقد عرفوا أن المقاتل المصرى هو القادر على قهرهم ..

٦ عقبات أمام العبور

●●● « وعن عقبات ومصاعب العبور كان حديثى مع الفريق سعد الدين الشاذلى بعد المعركة بأيام . بدأ حديثه قائلا : كانت هناك ٦ عقبات ضخمة أمام تحقيق العبور . أمكن التغلب على كل هذه العقبات فى مايو ١٩٧٣ » ●●●

قلت للفريق الشاذلى : أريد أن أبدأ القصة من أولها (١) ..

قال : ان عبور قناة السويس بواسطة جيش كبير بل بواسطة جيشين فى وقت واحد بكامل أسلحتهم وعتادهم وفى وجه مقاومة من العدو على الضفة الشرقية يعتبر مشكلة ضخمة بل كانت تبدو أحيانا كأنها عملية مستحيلة . ان عبور الموانع المائية بواسطة الجيوش كان دائما من العمليات الصعبة ولكنها لم تكن أبدا من العمليات المستحيلة فكم من جيوش عبرت موانع مائية فى الماضى البعيد والماضى القريب دون أن يشد ذلك انتباه العالم . لقد فقدت الموانع المائية قيمتها بعد تطور أسلحة القتال وادخال المركبات والدبابات البرمائية والدبابات التى تستطيع الغوص فى الماء والسير على قاع المانع المائى ضمن تنظيم القوات البرية . أما قناة السويس

---

(١) قال تقرير لجنة الكونجرس الامريكية العسكرية التى زارت ميادين القتال ، فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ للتعرف على حرب ٦ أكتوبر عن المعركة المصرية فى نواح متفرقة ، اقتطف منه هذه الفقرات :

« بالاضافة الى عملية العبور التى تعد فى حد ذاتها مظهرا أكيدا لتحسن القدرة القتالية المصرية ، فان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال ، والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لمدة طويلة من الزمن واخفائها عن أعين الاسرائيليين ، هى التى تعتبر من وجهة نظر اللجنة موضع اهتمام كبير . ولم يدخل العسكريون المصريون فى تفاصيل كثيرة مع اللجنة اثناء مناقشاتهم فى وسائل الاخفاء التى لجأوا اليها فى استعداداتهم العسكرية ، لكنه كان من الواضح أن الحماس هو الذى كان يحركهم طوال هذه المدة .

وقد تنبهت المصادر الاسرائيلية الى وجود تحركات عسكرية مصرية كبيرة على الضفة الغربية من القناة . الا أن الاسرائيليين افترضوا أنها مجرد مناورات تدريبية عادية . وهكذا استطاع المصريون تحريك عدد يقرب من ٧٠ الى ٨٠ ألفا من قواتهم المسلحة بالاضافة الى اعداد هائلة من الدبابات والمعدات على ضفة القناة .

ومن العوامل التى ساعدت المصريين على نجاح عمليتهم ، تلك السواتر الرملية التى بنوها على امتداد ضفة القناة الغربية ، والتى لم تسمح للمصريين بمراقبة التحركات الاسرائيلية ونقاط نيرانهم فحسب ، بل استخدمت كسواتر لتغطية تحركات المعدات والافراد المصريين . وقد تخللت هذه السواتر فتحات منخفضة استخدمت كنقاط للعبور وللاطلاق النارى .

وعند بدء عملية ٦ أكتوبر من جانب المصريين ذكر الاسرائيليون أن المصريين قاموا باسقاط العديد من قوات الكوماندوز بالباراشوت وراء الخطوط الاسرائيلية على الضفة الشرقية ، واعترف الاسرائيليون بحيرتهم فى تفسير هذا الاجراء ، حيث أن هذا الانزال لم يستتبعه أى ربط مع اية قوات مصرية أخرى ، ولم تبذل أى جهود لتغطيته ، الا أن العسكريين المصريين عندما ناقشناهم فى هذا الامر أشاروا بأن هذا الانزال كان جزءا من خطة التعمية =

فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الانهار والقنوات للاسباب التالية :

١ ـ انحدار الشاطيء من الناحيتين وتدبيشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائي أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة • وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية •

٢ ـ قيام العدو بانشاء ساتر ترابي على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ ـ ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أي مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر •

٣ ـ انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقي للضرب على أي قوات تحاول العبور • وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة بحيث تتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفى أى جزء منها •

= المصاحبة لعملية العبور ، مستهدفا مواجهة الاسرائيليين « من كل الاتجاهات » لارباك خطوطهم ، وبهذا على حد قول المصريين ـ يمكن شل استراتيجية الاسرائيليين وعدم تمكينهم من معرفة من اى الاتجاهات ستاتى الضربه الاكبر •

ودرجة الاستعداد العسكرية المصرية على امتداد جبهة القناة لا توصف فمن القاهرة حتى قناة السويس ، شاهدت اللجنة مواقع لا حصرلها من الصواريخ والدبابات والمعدات وغيرها من الآليات العسكرية • لم يكن هناك كيلومتر واحد بين القاهرة والقناة لم تتم تقويته وتحصينه • كذلك شاهدت اللجنة كميات كبيرة من المعدات المذكورة مبعثرة فى اماكن من الصحراء المجاورة لخط القتال • وقد حفرت اعداد هائلة من الخنادق فى الرمال شاهدتها اللجنة بوضوح •

ويعتقد المصريون ان الوقت فى صالحهم حيث انهم يرون اسرائيل تواجه موقفا صعبا فى استمرارها الابقاء على قواتها المسلحه فى حالة استعداد خاصة أن الغالبية العظمى من تلك القوات قد استدعيت من الاحتياطى الذين يمارسون اعمالهم الانتاجية المدنية المؤثرة على الحياة الاقتصادية فى الدولة •

ان الاحساس بالفخر العربى بالانجاز الذى تم فى السادس من اكتوبر كبير ، ظاهرة لا يمكن تجاهلها لاى زائر لمصر فى الوقت الحالى • وقد انتبهت اللجنة الى ان القادة المصريين مدركون تاما الهزائم السابقة وللنظرة التى كان الراى العام العالمى ينظر بها الى العسكرية المصرية • وقد كرر الرئيس السادات اكثر من مرة فكرة الاحساس « بالاهانة والتحقير » الذى عانى منه الجيش المصرى منذ حرب الايام الستة • ويشعر القادة العرب بأن قواتهم المسلحة قد استعادت ثقتها بنفسها بعد نجاحها فى هجومها فى السادس من أكتوبر ، ويشيرون الى ان الروح العالية التى تمتع بها الجنود والالتزام بالطاعة الذى ساد فى هذه الحرب بعكس الحال فى الماضى ويبدو أن القادة العرب ما كان من الممكن لهم أن يذهبوا الى اى مؤتمر للسلام دون أن يشعروا بأن قواتهم المسلحة قد استعادت شرفها فى ساحة القتال •

ويشعر المصريون بفخر شديد لنجاحهم فى الحصول على الكثير من المعدات الحربية الامريكية التى سلبوها من الاسرائيليين ، وخلال زيارة اللجنة للقاهرة كانت بعض الدبابات والمعدات =

٤ ـ وجود خزانات للمواد الملتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد الملتهبه على مسافات متقاربه بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق سطح المياه ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى جحيم ملتهبه تحرق كل شيء فوق سطح الماء بل وتشوي الاسماك في عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذي يبعد عنها بمسافه ٢٠٠ متر • ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملتهبة الى سطح الماء •

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائي بل انه مانع فريد ليس له شبيه في العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع • وكان من واجب القيادة العامة للقوات المسلحة وأجهزتها الفنية أن تحل جميع هذه المشاكل وقد تم تجزئة مشكلة العبور الكبرى الى عدد من المشاكل الصغيرة • وبعد الكثير من المحاولات والتجارب نجحنا فى حل جميع هذه المشاكل •

وقد صرح قادة اسرائيل أكثر من مرة أننا لن نستطيع أن نعبر وأن قواتنا ستدمر تدميرا كاملا قبل أن تصل الى الشاطيء الشرقي للقناة اذا نحن تجاسرنا وحاولنا العبور •

قلت : لكن •• كيف بدأ العبور ؟ وكيف تغلبتم على كل هذه المشاكل ؟

قال : كانت المشكلة الاولى التي يجب أن نتغلب عليها هي كيف نتغلب على النيران الملتهبة التى سوف تغطى سطح القناة عند بدء العبور • وقد اتجه التفكير أول الامر الى اطفائها وتم عمل تجارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة فاتضح لنا أن عملية الاطفاء تحتاج الى مجهودات

= الامريكية المستولى عليها تعرض فى بعض الميادين والحدائق حتى يراها المصريون وقيل لنا ان معرضا للغنائم الحربية سوف يفتتح للجمهور قريبا •

وقد ادعى الاسرائيليون ان التخطيط السوفيتى للعمليات المصرية لم يقتصر فقط على الاعداد العسكرى بل لقد ذهبوا أبعد من ذلك باشتراك بعض العسكريين السوفيت فى الحرب • وقد نفى المصريون ذلك تماما ولم تر اللجنة اى دليل يثبت تواجد قوات سوفيتية او افراد منهم خلال زيارتها •

وعند مناقشة تنفيذ البند رقم ٢ من اتفاقية وقف اطلاق النار ، والذى يعتبر أكثر بنود الاتفاقية حساسية فى مباحثات الكيلو ١٠١ ـ اشار الفريق اول احمد اسماعيل وزير الحربية المصرى الى أن القوات الاسرائيلية كانت تتقدم فى الثانى والعشرين من أكتوبر على الضفة الغربية للقناة متجهة جنوبا حتى منتصف البحيرات المرة • وأكد الوزير المصرى أن لديه صورا تؤكد تقدم القوات الاسرائيلية الى الامام فى يومى ٢٤ و ٢٥ من أكتوبر حتى مدينة السويس حتى صدرت اليها تعليمات التوقف •

ولم تحصل اللجنة على أية معلومات من المصريين فيما يتعلق بالامدادات السوفيتية بالعتاد العسكري لمصر بعد ٦ أكتوبر •

ضخمة وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة اذا لم يتم تزويدها بكميات اضافية من المواد الملتهبة · ومن هنا اتجه تفكيرنا الى ضرورة ابطال استخدام هذه المواد قبل العبور واذا حدث أن أخفقنا فى ابطال استخدامها فى بعض الحالات فانه يجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات اضافية من المواد الملتهبة ، وذلك لاقلال فترة تعرض قواتنا للحريق الى أقل وقت ممكن · بدأنا العمل وصدرت أوامر القيادة العامة بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع واتضح أنه يضع هذه المواد فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الارض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة الى سطح المياه · ومن الواضح أنه لو أمكن اغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور فان السوائل الملتهبة لن تصل الى سطح الماء ولن يحدث الحريق · وكانت خطة القيادة تتضمن أن يقوم بعض الافراد المتسللين لاغلاق هذه المواسير بالاسمنت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها في حالة الفشل في اغلاق المواسير الموصلة الى المياه ، وزيادة في الحيطة تمت دراسة اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم وتم انتخاب قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار وبذلك نتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء ·· وقد تمت العملية بنجاح تام ولم ينجح العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة وتم الاستيلاء على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها بل وتم أسر الضابط المهندس الاسرائيلى الذى قام بتصميمها وقد أدلى فى أقواله بأنه حضر الى القناة فى اليوم السابق للقتال لكى يختبر هذه المستودعات ·

⊙❖⊙

وكانت المشكلة الثانية هى كيفية ازالة الساتر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعديات والكبارى على القناة · ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية اذا علمنا أن ثغرة واحدة فى الساتر الترابى بعرض حوالى ٧ أمتار تعنى ازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الاتربة ؟ كانت احتياجاتنا تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول القناة فى كل جانب ، أى ازالة حوالى ٩٠٫٠٠٠ متر مكعب من الاتربة من الساتر الترابى شرق القناة· فاذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا فى غرب القناة ، لاتضح لنا أن المشكلة أصبحت مضاعفة وأنه يتحتم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة فى الساتر الترابى الغربى · اتجه تفكيرنا أول الامر الى أن نفتح هذه الثغرات بواسطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هى السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ الى أن اقترح أحد الضباط

المهندسين الشبان نظرية التجريف وهي اســـتخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في ازالة هذه الرمال • قمنا بعمل التجـــارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظريه التفجير وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماتينات الى أن أصبح في مقدورنا أن نفتح الثغرة الواحـــدة في مدة تتراوح بين ٣ ـ ٥ ساعات •

ـ لم يكن فتح الثغرة في الساتر الترابي هو نهاية المشكلة بل كان من الضروري تهذيب أجناب القناة بالنسف والتســـوية حتى يمكن تثبيت الكباري أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية

ـ واذا جاز لنا أن نقدم كشف حســـاب عما قمنا به فاننا نقول أن المهندسين العسكريين قاموا بشق ٦٠ ثغرة في الساتر الترابي وأقاموا عشرة كباري وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ ـ ٩ ساعات وقد تم التنفيذ طبقا لما كان مخططا تماما فيما عـدا القطاع الجنوبي من القناة حيث كانت الارض غير صالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير في اقامة الكباري والمعديات عما كان مخططا • وان هذه الاعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائما مثار فخر للمهندسين المصريين في جميع أنحاء العالم •

كانت المشكلة الثالثة هي كيف نستطيع أن نقوم بهذه الاعمال الهندسية الضخمة تحت نيران العدو المسيطرة في الضفة الشرقية ؟ وكانت الاجابة هي ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتامين المهندسين وهو ما يطلق عليه التعبير العسكري تأمين رؤوس الكباري •

وكانت المشكلة الرابعة هي كيف تستطيع المشاة أن تعبر القناة وتؤمن رؤوس الكباري الى أن تتدفق الدبابات والمدافع والاسلحة الثقيلة عبر المعديات والكباري التي أقامها المهندسون ؟ وكيف تصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ ـ ٢٤ ساعة الى أن يكتمل عبور الدبابات والاسلحة الثقيلة • وقامت القيادة العامة بحل هذه المشكلة على الاسس التالية :

١ ـ المشاة التي تكلف بالعبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعيين والمياه وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة وكان اجمالى ما يحمله كل جندى حوالى ٢٥ كيلوجراما وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود الى حوالى ٣٥ كيلوجراما •

٢ ـ ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشـــاة مالا يستطيع حمله ويجرونه بأيديهم عبر الساتر الترابي وعند تحركهم شرق القناة •

٣ ـ تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ولا سيما الصواريخ الخفيفة

التي يمكن حملها بواسطة الافراد وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة مدرعاته ٠

٤ ـ تسليح المشاة بالاسلحة المضادة للطائرات وخاصة الصواريخ الخفيفة التي يمكن حملها بواسطة الافراد وذلك لصد هجمات العدو الجويه ضد قواتنا أثناء وبعد العبور ٠

٥ ـ تجهيز المشاة بسلالم لمساعدتهم في تسلق الساتر الترابي وجر أسلحتهم وذخائرهم المحملة في عربات الجر ٠

٦ ـ تنظيم عبور المشاة في قوارب تنظيما تفصيليا بحيث يعلم كل جندي مكانه في القارب ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور ٠ الخ ٠

٧ ـ التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط الا بعد استكمال عملية العبور واكمال حصارها ٠

وكانت المشكلة الخامسة هي كيف يمكن للمشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم نقم بتدمير واسكات الرشاشات والمدافع التي تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها ـ وقد قامت المدفعية بحل هذه المشكلة على أحسن وجه ٠ وكان نتيجة لنيرانها المؤثرة ، أن تمكنت مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا ٠

◎❖◎

وكانت المشكلة السادسة هي كيف يتم اعادة تنظيم قواتنا على الشاطىء الشرقي وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة الى وحدات المشاة التي سبق عبورها ٠٠ وكيف يتم كل ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تميز هذه الدبابات والاسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها ٠ ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة اذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبورها لتنضم الى وحدات المشاة التي عبرت لتزيد من قدرتها على التمسك بالارض وصد هجمات العدو المتكررة ٠٠ وقد قامت ادارة الاشارة وادارة الشرطة العسكرية بواجبها على الوجه الاكمل فقد أمكن مد كوابل الاشارة عبر القناة منذ اللحظات الاولى للعبور وتم تحديد الطرق والمدقات التي تسلكها الدبابات والعربات وتم تمييزها بالالوان المختلفة بحيث كان يعلم السائق أنه يتبع اللون الاحمر مثلا في رأس الكوبري بينما يتبع سائق آخر اللون الاخضر وهكذا ٠ وقد تم تنفيذ كل ذلك أثناء المعركة بكفاءة تامة ٠٠

قلت : سمعت أن غارات طيران العدو المكثفة ، قد فشلت في اصابة الكباري ٠٠

قال : كنت احب أن توجه هذا السؤال للسيد قائد الدفاع الجوي فهو أعلم مني بالاجابة عليه ، ولكني أضيف : ان عملية العبور لم تكن

تنجح لولا الدفاع الجوى والصواريخ التى كانت تغطى المنطقة .. ان مظلة الدفاع الجوى كانت هى الواقية لكل ما بذله المشاة والمدفعية ، والمهندسون من جهد .. لقد كانت هجمات العدو الجوية شديدة متتابعة .. وذلك بالاضافة الى ما قامت به القوات الجوية من ضرب تجمعات العدو التى فى العمق والتى كانت خارج مدى الصواريخ المضادة للطائرات .

قلت : ولكن غارات العدو لم تصب الكبارى ؟

قال : لقد أصابت طبعا بعض الكبارى .. ولكننا كنا نقوم باصلاحها فور اصابتها حيث أنه كما تعلم أن الكبارى العسكرية مصنوعة من قطع متصلة ببعضها البعض فاذا أصيبت احداها بالتلف أمكن تغييرها بقطعة أخرى .. وعملية اصلاح الكوبرى كانت تستغرق من نصف ساعة الى ساعة فى بعض الحالات ..

قلت : لقد روى لى شاهد عيان ، أن معظم قنابل طائرات العدو .. كانت تقع بعيدا فى الماء ..

قال : هذا صحيح .. أن بعضها كان يقع على بعد كيلومتر كامل ..

قلت : ولماذا .. رغم قدرتهم الجوية ؟

قال : كنا نتبع معهم أساليب ايجابية وسلبية فى نفس الوقت وعلى سبيل المثال كنا نقوم بتحريك أماكن الكبارى باستمرار من مكان لآخر . وحيث أن الطيار عندما يكلف بضرب كوبرى فان قيادته تحدد له مكان هذا الكوبرى بناء على استطلاع سابق فانه اذا ذهب الى هذا المكان ولم يجده فمعنى ذلك أنه فشل فى تحقيق مهمته ونجحنا نحن فى خداعه ولو افترضنا أنه استطاع أن يصل الى الكوبرى قبل أن نقوم بتغيير مكانه فاننا نقوم بتوليد ستارة كثيفة من الدخان تجعل الرؤية متعذرة بالنسبة اليه وبالتالى لا يستطيع اصابة الهدف . كل هـــذه اجراءات سلبية . أما الاجراءات الاجابية فهى حراسة هذه الكبارى بالاسلحة المضادة للطائرات واستقبال الطائرة المغيرة بستارة كثيفة من نيران الاسلحة الصــغيرة والصواريخ . وقد تم اسقاط العديد من الطائرات المغيرة .

قلت : لقد سبق أن صرح موشى ديان أن عملية عبور القوات المسلحة المصرية مقضى عليها فى يوم واحد ، وهو قد غامر فى هذا التصريح بسمعته العسكرية فعلى أى أساس بنى هذا التصريح .

قال : لقد أعلن موشى ديان ذلك عن حساب وقد كان هذا الحســاب يعتمد فيما أعتقد على التقديرات الآتية :

١ ـ ضرورة فشل المصريين فى العبور نتيجة النيران الكاسحة التى يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتهبة التى كان

يأمل أن تغطى القناة • وبذلك فليس هناك أى أمل فى وصولنا الى الشاطىء الشرقى •

٢ ـ عدم قدرة المهندسين على ازالة الساتر الترابى وانشــاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى وأنه بفرض نجاح المصريين فى اقتحام جزء من القناة فاننا سوف نحتاج الى حوالى ٢٤ ساعة لانشاء هذه الكبارى وبالتالى فان الدبابات والاسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم • وكان هذا الوقت يكفى لجلب احتياطات مدرعة من العمق تقوم بتصفية القوات التى نجحت فى انشــاء رؤوس كبارى فى الشرق •

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لامكانيات قواتنا المسلحة فى العبور خاصة فى النقط الرئيسية التالية :

١ ـ قدرة المشاة المترجلة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التى على ارتفاع منخفض والتشبث بالارض وحدها ودون أى أســلحة ثقيلة لمدة طويلة •

٢ ـ كفاءة سلاح المهندسين وقدرته فى اقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع فى مدة تتراوح بين ٦ ـ ٩ ساعات •

٣ ـ التنظيم الجيد للعبور والذى وصل الى أن كل ضابط وجندى فى القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له كان يعلم جيدا دوره بالتفصيل والوقت الذى ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة الى الحد الذى جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الالوف من البشر فى وقت واحد •

٤ ـ المفاجأة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتائجها بوضوح فى الايام الاولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العــدو تتسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الاقل •

٥ ـ العقيدة والاصرار اللذان يقاتل بهما جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ ظلما بالتراب • كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى الاسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع • هل وضع ديان فى حسابه الاثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الالوف وهى تعبر القناة وتصيح فى وقت واحد الله أكبر الله أكبر ؟؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته •

قلت : ومعارك المدرعات التى جرت بعد ذلك •• ووصفت بأنها أكبر معارك التاريخ ؟

قال : كانت معارك ضخمة فعلا ٠٠ واشتركت فيها أعداد كبيرة من الدبابات من الجانبين ٠ قد تدهش اذا عرفت أن اسرائيل بدأت القتال ولديها أكثر من ١٧٠٠ دبابة وهو عدد يفوق ما تملكه انجلترا بل ومعظم بلاد العالم ٠ ومن النادر فعلا أن تقع معارك بمثل هذه الاعداد ٠٠ وعلى مساحات واسعة ٠٠ وفى يوم واحد اشتركت ١٠٠٠ دبابة من الطرفين فى معارك ضارية على طول القناة ٠

ثم أضاف : قبل أن ننهى هذا الحديث أود أن أؤكد لك أن نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود وليس سلاح المهندسين فقط ٠ ولقد كانت توجيهات الرئيس المؤمن أنور السادات ومشاركته الدائمة فى مناقشة المشاكل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب كل الاحتمالات ٠ كما كان السيد الوزير الفريق أول أحمد اسماعيل والقائد العام للقوات المسلحة على قمة جهاز القيادة يوجه ويناقش ويستمع ويتخذ القرارات ٠ وكان كل ضابط وجندى يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار لمصر ولقواتها المسلحة ٠

الساعات الاخيرة لخط بارليف

●●● « الكتاب الذى أصدرته صحيفة « السنداى تايمز » البريطانية عن حرب اكتوبر ، يتضمن فصلا ممتعا ..

انه تفريغ لشريط تسجيل ، كان دائرا منذ أن بدأ الهجوم المصرى على أحد حصون خط بارليف ، حتى انتهى الامر بهرب الاسرائيليين من هذا الحصن .

كان أحد الجنود يحتفظ بآلة تسجيل .. واستمر يديرها من الدقيقة الاولى .. حتى الاخيرة طوال يومين . ولا أعتقد أن كل ما نشر ، وقيل أنه منقول تماما عن شريط التسجيل ، هو الصحيح .. ولا شك أن عمليات مونتاج عديدة ، أجريت فى تفريغ الشريط .. ولا اشك أيضا أن حقائق كثيرة عن الهجوم المصرى . اغفلها النشر .. ومع ذلك ، فان ما نشر من هذا التسجيل كفيل بالاقتناع ، بأن الهجوم المصرى كان كاسحا .. وأن الاسرائيليين عجزوا عن حماية هذا الحصن او الدفاع عنه ..

ربما قدم هذا الشريط نصف الحقيقة .. ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا الا أن يعترفوا بالانتصار المصرى .
ولا يمكن أن أتجاهل أن الاسرائيليين قدموا الى الصحفى الذى كتب هذا الفصل ، صورة ذكية، توافر فيها الجانب الانسانى الذى يجعلك تصدق كل شيء . فهناك الجندى اليائس . وهناك الذى يفكر فى زوجته .. وهناك الشجاع المغوار الذى لا يهمه الا القتال ..
وقد رأيت أن أقدم هذا الفصل ، كما هو ، وكما نشر دون اى حذف أو تعديل في عبارة واحدة .
ثم قدمت بعده تعليقا من أحد كبار العسكريين المصريين الذين قادوا المعركة وهو اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى حينئذ ، الذى يقع هذا الحصن فى قطاعه أمام الاسماعيلية .
وبعد ذلك نشرت قصة سقوط هذا الحصن ، على لسان قائد القوة المصرية التى هاجمته حتى استولت عليه .. وذلك فى لقاء طويل معه .. وبعد أن شاهدت الحصن على الطبيعة » ●●●

« قصة الساعات الأخيرة لخط بارليف »

بقلم : بول ايدى

جريدة السنداى تايمز : ٣ فبراير ١٩٧٤

ليس من المعتاد أن يحصل المرء على صـــورة واقعية للحرب كما رآها جندى لطلقات الرصاص في الخط الامامي ٠٠ فمثل هذا الجندى يكون عادة مهتما بمسألة البقاء على قيد الحياة بصورة تجعله غير قادر على تحليل تربته ٠٠ أما بالنسبة للمخبر الصحفي فانه اذا ذهب الى هناك فانه يكون مشغولا للغاية في محاولة استنتاج ما يحدث وسط الاضطراب الذى تثيره المعركة ٠٠ غير أن « آفي يافي » وهو جندى احتياطي يبلغ من العمر ٣٣ عاما حصل خلال الحرب العربية الاسرائيلية على تسجيل فريد للحرب ٠٠ ذلك أن « آفي » الذى يعمل فى الحياة المدنية مهندس صوت أخذ معه جهاز تسجيل للترفيه عن زملائه الجنود فى حصنهم على خط بارليف الذى كان يحرس قناة السويس ٠

وعندما شن المصريون هجومهم عبر قناة السويس ، أدار « آفى » جهازه الذى استطاع أن يسجل على امتداد الستين ساعة الرهيبة التالية مسار ووقائع الحرب كما جرت بالضبط ٠٠ كان الحصن الذى ـ يرابط فيه « آفى » ـ قد قصف بالمدفعية الثقيلة وبالطائرات وحاصرته القوات المصرية ٠٠ ومع ذلك فان هذه الوحدة الاسرائيلية الصغيرة نجت بأعجوبة وأخذت معها جهاز تسجيل آخر مسجلا عليه لحظات الهروب المثيرة ٠٠ وكانت نتيجة ذلك وثيقة غير عادية تنقل لنا ـ بصورة أكبر مما يمكن الحصول عليه من روايات الجنرالات ـ الفوضى والرعب اللذين يصاحبان الحرب الحديثة ٠٠ وقد قام « بول ايدى » باعادة صياغة التسجيلات وقضى ساعات كثيرة مع « آفى » لملء الثغرات كى يقدم صورة مسلسلة لما حدث ٠٠

كان « آ فى يافى » قد خرج لتوه من تحت الدش وكان يقوم بنشر ملابسه على الاسلاك الشائكة لكى تجف عندما بدأت القذائف فى الانطلاق ٠٠ وكانت طائرة الميج تزمجر فوق رأسه وبدأت قنابل الدخان تنطلق من جانبى القناة لتنطلق سحب الدخان الاخضر الداكن ٠٠ ولقد كان ممكنا من خلال ستار الدخان مشاهدة قوارب الكوماندوز وهى تنطلق الى المياه من الضفة الغربية ٠٠ وعاد « آفى » بسرعة الى خندق القيادة حيث يحتفظ

بمعدات الراديو الخاصة به « وجهاز تسجيله » وكانت احدى وحدات الهجوم الرئيسية للجيش المصرى تتقدم على صفحة المياه فى اتجاه الحصن ٠

وقد كانت وحدة « آفى » التى يقع حصنها فى القطاع الاوسط أمام الاسماعيلية تقريبا تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غيرعادى على الضفة المصرية ، ولكن جنود الملاحظة فى المواقع الامامية التابعة لحصن « آفى » لم يشهدوا الا حوالى ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر دلائل خطيرة على قرب حدوث متاعب ٠٠ فقد انسحب جنود الملاحظة المصريون من مواقعهم وأسدل ستار من الصمت المريب على الضفة الغربية ٠ وفى حوالى الظهر ، تلقى رئيس « آفى » الذى كان يعرف بين رجاله باسم ميرك (اسمه الحقيقى مائير) من مقر قيادة الجيش أمرا باخلاء حصنين أصغر حجما يقعان ناحية الجنوب ٠٠ وقد تم نقل هؤلاء الرجال فى حاملة جنود مدرعة وصلت الى الحصن قبل الساعة الثانية مباشرة ، الامر الذى رفع عدد جنود الحصن الى ٣٢ ٠٠ وبعـــد ذلك بدقائق بدأت القذائف الاولى في الانفجار ٠٠ وعندما بدأ الهجوم المصرى فتح « آفى » ميكروفونين وأدار جهاز التسجيل ٠٠

وفى أول الامر كانت هناك سلسلة طويلة من التقارير من الرجال الذين يرابطون في مراكز المحطة الامامية الى ميرك فى خندق القيادة ٠

« المصريون ينزلون قوارب كوماندوز فى المياه المواجهة لنا مباشرة ٠ انهم يعبرون الآن ٠٠ القوارب مليئة بجموع المشاة ٠٠ انهم يهبطون الآن بصواريخ مضادة للدبابات على الضفة الشرقية ٠٠ عدد قليل من دباباتنا يندفع نحو المصريين ٠٠ مدفعية العدو تطلق نيرانها ٠٠ القذائف تسقط قريبة منا ٠٠ تقترب أكثر ٠٠ النيران تقترب ٠٠ حاملات الجنود المدرعة تعبر ٠٠ الكثير من الجنود يقفز على الضفة وينطلق بسرعة حاملا الصواريخ ٠٠ ست طائرات هليوكبتر مليئة بالكوماندوز تحلق فوق رؤوسنا » ٠

⊙❖⊙

كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين فى الحصن فى حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم ، لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على طائرات الهيلوكبتر ، ولكن هذه الطائرات أسقطت بعد عودتها فارغة ، بطلقات المدافع الاوتوماتيكية ٠

⊙❖⊙

« دبابة ت ـ ٥٤ تواجهنا ٠٠ تطلق نيرانها نحونا ٠٠ يعبر الآن مزيد من القوارب ، موجة بعد أخرى ٠٠ الجنود ينتشرون فى منطقتنا ٠٠ انهم يرفعون علم الكوماندوز على ضفتنا ٠٠ يقيم المصريون الآن جسرا ٠٠ تقوم رافعة آلية بانزال عوامات ٠٠ قافلة ضخمة ٠٠ أعداد كثيرة من المدرعات

.. دبابات .. عربات نصف مجنزرة .. عربات محملة بالصواريخ صفوف من عربات الجيب وبطاريات المدفعية » .

⊙❖⊙

كانت توجد مدرعات مصرية كثيرة تنتظر عبور الجسر العائم ، لدرجة أن زحمة مواصلات ضخمة قد حدثت على الضفة الغربية .. وكان جنود الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متسائلين ، لماذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلى ؟! فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام. وبعد ذلك أطلقت مدافع هاون مصرية مختفية فى غابة عبر القناة طلقات من نيرانها وأصبحت ساحة التدريب بالحصن مليئة بالفجوات والحفر .. وقد رد الاسرائيليون بكافة أنواع الاسـلحة .. المدافع الاوتوماتيكية والبازوكا ومدافع الهاون عيار ٨١ مم ..

وأطلق الاسرائيليون نيرانهم على الجسر المصرى وجنود الكوماندوز الذين يعبرون القناة وبطاريات المدفعية على الجانب الآخر وطبقا لما ذكره جنود الملاحظة فى المواقع الامامية فانهم وجهوا ضربات قوية .. قوية للغاية .. وبعد ساعتين من القتال ، أطلق المصريون قذائف انفجرت فى الحصن وملأته بدخان أصفر خانق .. وشعر الجنود بالرعب ولكن طبيب الحصن (الذى كان فى حياته المدنية يعمل طبيبا متمرنا حديث العهد فى أحد المستشفيات) أكد لهم أنه ليس غازا ساما ، وإنما مجرد ستار من الدخان .. والآن وبعد أن أصبح المصريون يحاصرونهم من كل ناحية بدأ الرجال يستعدون للدفاع عن حصنهم وللقتال بالايدى .

غير أن الهجوم على الحصن لم يقع .. وأصبحت القذائف الآن تنفجر فى أماكن أعمق داخل صحراء سيناء خلف الحصن .. وكان الكوماندوز المصريون والدبابات والعربات نصف جنزير واللوريات المحملة بالصواريخ تنطلق بسرعة عبر الحصن دون أن تطلق طلقة واحدة .. وفى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر ، أى بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من بدء الهجوم توقف القصف من الضفة الغربية .. وعندما بدأ الغسق فى القاء ظلاله .. أدرك الاسرائيليون أنهم أصبحوا خلف خطوط العدو وأنهم معزولون تماما ..

وفى خندق القيادة كان « آفى وميرك » يستمعان للراديو ، بينما كانت القوات المدرعة الاسرائيلية الضئيلة فى المنطقة تحاول وقف الهجوم المصرى .. على مسافة ميل من الحصن على طريق يسير بحذاء القناة توجد وحدة دبابات اسرائيلية وفى مكان ما بالمنطقة وحدة مدفعية متنقلة . وكان قائد المدفعية يريد ضم قواته للدبابات للقيام بهجوم مشترك على رأس الجسر المصرى عبر القناة .. غير أنه قبل أن يحدث ذلك كان العدو يهاجم وقد

تسلح المصريون بالصواريخ القاذفة المضادة للدبابات من طراز ساجر وأرسل قائد المدفعية تحذيرا سريعا الى الدبابات :

« حذار أن تصابوا .. أريد توفير كل قوتكم للقيام بهجوم مضاد » .

وتفتح المدفعية نيرانها على الدبابات المصرية ولكنها أيضا تعرضت للهجوم بالصواريخ .. وقد استطاع يهوشيا الشهير باسم شوكي وهو نائب ميرك .. استطاع أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وهى دائرة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجيء لمساعدة الحصن .. وقال انها في حالة فوضى شاملة .. واتصل قائد الدبابات بالحصن يسأل ميرك عما اذا كان يريد شرذمة من المشاة المدرعة ..

ميرك : مشاة مدرعة ؟ هل أنت واثق ؟

غير أنه بعد فترة توقف بسيطة غير قائد الدبابات رأيه ..

قائد الدبابات : آسف .. المشاة المدرعة لا تستطيع أن تفعل أى شيء هناك . اذ يوجد ضباب لا يمكن تصوره . لا أستطيع أن أرى أى شيء .

وأبلغ الحصن أن دباباته ومدفعيته المتحركة قد انسحبت لكي تعيد تجميع نفسها .. وانضم ميرك الى شوكي في الموقع المتقدم حيث كانا يستطيعان رؤية الدبابات على الطريق على مسافة ميل .

ميرك : هل هى دبابات مصرية تلك التى تبدو هناك ؟

شوكي : نعم .. ولكنها لا تطلق نيرانها علينا في الوقت الحاضر (ويصفق بصوت مسموع على الخط) .

ميرك : شوكي .. ابحث عن قطعة خشب بسرعة .. والمسها ..

وعن طريق الراديو علم الحصن أن المصريين أسقطوا قوات مظلات من طائرات نقل على مسافة عشرة أميال داخل سيناء .. وفيما وراء الحصن وعلى ضوء القمر كانت المعركة مستمرة مع زحف الليل .

ومع تحول ليلة السبت الى صباح الاحد ، تعرض الحصن للهجوم مرة واحدة .. وانفجرت القذائف وأصيب أحد جنـــود الملاحظة يعرف باسم « مارشيانو » فى العنق بشظية .. لم يكن الجرح خطيرا وقد وصل الى خندق القيادة دون مساعدة من أحد لكى يتلقى العلاج من الطبيب .. غير أنه جاءت أنباء عبر الراديو بأن الحصن التالى الذى يقع على مسافة خمسة أميال الى الشمال قد أصيب ضابط القيادة فيه اصابة خطيرة وقتل رجلان .. وظل الحصن يوجه نداءات الاغاثة لاخلاء الجرحى .. وكان مقر القيادة الاسرائيلى الرئيسى فى « طاسا » يعانى أيضا من المتاعب .. فقد قصفت طائرات الميج المعسكر وقتل من جراء ذلك عدد من الجنود وسكرتيرة القائد .. وشنت عملية انقاذ لنجدة الحصن الشمالى ولكن الكوماندوز المصريين الذين نقلوا بالهيليوكبتر أوقعوا النجدة فى كمين وأرغموه على التراجع ..

وفي تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعي ضد المصريين ·· وتدخل قائد المدفعية المتحركة ·· في راديو « آفي » لكي يسأل عما اذا كانت القذائف تصيب أهدافها ··

شوكي : القصف سلبي ·· المدى ٢٠٠ ياردة ناحية الجنوب ·

ثم اتصل مقر القيادة ··

مقر القيادة : ما هو الجديد لديكم ؟

شوكي (بصوت هادىء لا ارتعاش فيه) لا شيء معينا هنا · توجد نيران حولنا وشاهدنا قاربا آخر يعبر القناة ·· وباستثناء ذلك يوجد مصريون من حولنا ·

مقر القيادة : هل طلبتم مدفعية ؟

شوكي : نعم طلبنا ذلك ·

وكان تماسك شوكي وتقليله من شأن الامور أكثر مما يستطيع الطبيب أن يتحمله ·

الطبيب : انها جهنم دموية ·· لا تتركوا شوكي يبعث بالتقارير عن الوضع ·· فكل شيء على ما يرام بالنسبة له حتى عندما يعبرون — أي المصريين — القناة ·

آفي : (الى مقر القيادة) هناك اعداد كبيرة من المصريين من حولنا ·

ميرك : (الى مقر القيادة) لا أعرف ما يحدث عندكم ·· فمدافعكم تضرب بعيدة عن الهدف ·· أنتم تضربون منطقة جرداء ·· لا أستطيع الرؤية ولكن الضرب بعيد عن الهدف ··

وحاول مقر القيادة مع وحدة المدفعية أن يصحح المدى ولكن بدون نجاح كبير ·· مازال ميرك لا يستطيع رؤية أية اصابات ويقوم بابلاغهم بذلك ·· وكان الحصن الشمالي لا يزال يطلب النجدة ··

آفي : (وهو يقدم زمزمية مياه للطبيب) تناول بعض الماء ·· تناولت ثلاث رشفات لتعويض ما فقدته من العرق ·· وسوف أقتفي أثرك ·· يا لله ·· كل هذه الحرب ·· من اخترعها ؟

الطبيب : جنون ! القتال ! التعرض للقتل ··

آفي : وماذا نحصل من كل هذه العملية ؟ فبدلا من الحصول على أجازة سوف يتعين أن نبقى هنا حتى نهاية جولتنا ··

جندي القسم الطبي : بعد الحرب سوف يتركونك تعود الى منزلك ·

آفي : (ساخرا) بعد انتهاء هذه العملية سيكون حصننا في الخطوط الخلفية ·· هذا واضح ·· سوف نجلس هنا سيكون أولادنا في القاهرة ·· مضبوط ؟

جندى القسم الطبي : انك تسخر الآن ولكن جيشنا سيكون خلال أيام قليلة عبر القناة .

آفى : انني لم أمر بمثل هذا الموقف من قبل (آفى محارب قديم اشترك فى حرب الايام الستة) لقد كان الموقف دائما أن العدو على مسافة كيلومتر، أو على مسافة ٢٠٠ متر أو أمامى مباشرة .. ولكن أن يكون العدو من حولك من جميع الجهات !! بالمناسبة سوف نتمكن قريبا من الاتصال بمنازلنا .. فى أى يوم نحن ؟ الاحد ؟ (قبل الحرب أتم الاسرائيليون اقامة شبكة تليفونية فى معظم خطوط الجبهة تسمح للجنود بالاتصال بأسرهم بطريقة دورية) .

آفى : نستطيع أن نتصل بمنازلنا من الساعة الثالثة حتى الرابعة صباحا .. انني أتشوق لطلب منزلى .. اننى أريد مكالمة واحدة مع منزلى .. سوف تبعث هذه المكالمة الدفء فى أسرتى وسط هذا الجو من التوتر .. انهم لا يعرفون ما يجرى هنا ..

جندى القسم الطبى : انهم أكثر قلقا مما نحن عليه .

آفى : انى لست قلقا بصورة كبيرة على نفسى قدر قلقى على أسرتى .

وعلى مسافة بضع مئات من الياردات من الحصن أصيبت دبابة اسرائيلية تقف بمفردها بقذيفة .. واتصل قائد الدبابة بالحصن .

قائد الدبابة : لقد أصبت .. سوف أهبط لتقدير الاصابة لقد تلقينا أن قوات المظلات المصرية موجودة فى هذه المنطقة .. انظر الى اليسار قليلا من دباباتهم .. يوجد مظليون هناك الآن .

آفى : حسنا .. مظليون مصريون .. هذا أمر جديد .

جندى القسم الطبى : وأين قوات المظلات التابعة لنا ؟

⊙✣⊙

لم تستطع الدبابة التى كانت على اتصال بالحصن التحرك وقد أحاط بها المصريون .. استسلم ثلاثة من طاقم الدبابة .

وفى نفس الوقت جرت محاولة ثانية لنجدة الحصن الشمالى قامت بها وحدة اسرائيلية للعربات المدرعة نصف جنزير .

وحدة النصف جنزير (من خلال الراديو) : توجد ثلاث دبابات معادية عند مدخل الحصن الشمالى .. لقد أصبناها وهى تحترق الآن كلها .

قائد المدفعية الثقيلة : خذوا حذركم .. انهم يطلقون الصواريخ عليكم غيروا مواقعكم .. وراقبوا الموقف طول الوقت ..

وقد أرغمت الوحدة نصف جنزير على الانسحاب فى النهاية لاعادة التزود بالوقود ، والحصول على مزيد من الذخيرة .. ويواصل الحصن الشمالى فى طلب النجدة .. وأخذت حالة القائد الجريح فى التدهور . ولكن مقر

القيادة لا يزال غير قادر على تزويد الحصون الا بمساندة المدفعية ·· وكانوا لا يزالون يواجهون المشاكل ··

مقر القيادة : هالو ·· أبلغونا كيف تسير نيران مدفعيتنا ؟ هل تحتاج الى تصحيح ؟

ميبرك : لا أرى أية اصابات (موجها حديثة الى آفى) لعلهم لا يطلقون مدافعهم على الاطلاق ··

مقر القيادة : ماذا تقول ؟ هل توجهونهم (رجال المدفعية) الى أهدافهم ؟

ميبرك : نوجههم ؟ هـــذا ليس عملنا على الاطلاق ·· اننى لا أرى أية اصابات ·· ينبغى عليكم أن تصوبوا الى مسافة أبعد ناحية الغرب ·· أليس كذلك ؟

آفى : (يوجه حديثه عن طريق تليفون الحصن الى شوكى الذى يقف فى أحد المواقع الامامية) : من الذى يطلق النار الآن ؟

شوكى : المصريون ·

آفى : على من ؟

شوكى : علينا على ما أعتقد ·· لقد توقفوا لتوهم ·

ميبرك : اعطنى شوكى ·· شوكى هل تسمع صوت مدرعات ··

شوكى : هكذا يقول مارشيانو ·

⊙❖⊙

وكان يمكن سماع ضوضاء عنيفة تزداد ارتفاعا ·· انها صوت زمجرة آلات قادمة من المدرعات المصرية خلف الحصن ·· وكانت الجبهة كلها قد استيقظت ··

⊙❖⊙

آفى : (متحدثا من خلال ميكرفون جهاز التسجيل الخاص به) الساعة الخامسة الا الثلث صباح الاحد ·· سوف تكون هناك بالتأكيد معركة خطيرة فى الصباح ·· التوتر يسود الجو ··

ويعلق آفى صور زوجته وأولاده الثلاثة فوق الراديو ·· ويبحث الطبيب فى محفظته عن صور ابنته ·

آفى : هل تعرف أنها تبدو شبهك ·

الطبيب : يقولون أنها أكثر شبها بزوجتى ·

آفى : ما نوع الافلام التى تستخدمها ؟

الطبيب : كوداك ·

آفى : الألوان جيدة ·

ويستطيع الرجال فى الحصن أن يسمعوا من خلال الراديو وحدتين من الدبابات الاسرائيلية كانتا قد وصلتا الى الطريق الذى يبعد مسافة ميل

ولكنهما الآن تواجهان المتاعب . ويتصل القائد بمقر القيادة عن طريق الراديو .

قائد الدبابات : المشاة المصريون يحوطوننا من جميع الجهات .. أرسلوا تعزيزات وساعدوا على تخليصنا .

⊙❖⊙

وفي هذه اللحظة انفجرت القنابل فوق الحصن وحوله . وقد أصابت احداها خندق القائد اصابة مباشرة .. وينهار السقف المقام بالحديد المموج وانهارت الارض والاحجار على الرجال الذين بالداخل وملأت الجو بالتراب الخانق ..

آفي : الآن تبدأ المعركة .

الطبيب : أيقظ كل شخص في الخندق .

مارشيانو : (عن طريق التليفون من موقع أمامى) أستطيع أن أرى طائراتنا تحلق فوقنا .

لقد بعث مقر القيادة بالقاذفات المقاتلة من طراز فانتوم لمساندة وحدات الدبابات والحصن . وبعث قائد الدبابات بتحذير متأخر الى الحصن .

⊙❖⊙

قائد الدبابات : خذوا حذركم .. لقد بعثنا بالطائرات الى هذه المنطقة .

ميبرك : لحظة .. لحظة .. يوجد الى الشمال منا هدف .. يوجد بيننا وبين المعبر المصرى على مسافة تتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ متر مشاة مصريون يرابطون فى خنادق معدة جيدا .

قائد الدبابات : أرى سحابة صفراء ضخمة على شكل عش غراب فوق موقعكم .. هل هناك خطر ؟

آفي : (يعيد تكرار حديث قائد الدبابات على مسمع من ميبرك) توجد سحابتان ضخمتان لونهما أصفر على شكل عش غراب فوق موقعنا هل هناك خطر ؟

ميبرك : لا .. انها ستار من الدخان ..

قائد الدبابات : هل تستطيع رؤية الجسر عبر القناة ؟

ميبرك : لا .. مازال هناك بعض الضباب (دخان أصفر) .

قائد الدبابات : حاول وابحث عنه .. وخذ حذرك .

موقع أمامى : المصريون يطلقون نيرانا كثيفة مضادة للطائرات ناحية الطائرات التى كانت تقصفنا .

جندى : الدلائل تشير الى أنها طائراتنا .. أليس كذلك ؟

مارشيانو : (من موقعه الامامى) : طائراتنا تمطر المصريين بالصواريخ

آفي : رائع .. انك حبيبى يا مارشيانو .

ميبرك : آفى .. أبلغ المدفعية أننا لا نرى أية اصابات تلحق بالمشـــاة .. وينقل آفى الرسالة ولكن الرد لم يكن مشجعا .

قائد المدفعية : مقر القيادة يقول على التليفون أن عليكم أن تنتظروا .. اذ أنهم في الحسبان ..

ميبرك : (بنفاد صبر) : أريد أن أعرف لماذا لا أحصل على نيران ضـــد المشاة المصريين .. أريد أن أرى اصابة واحدة ..

وظلوا ينتظرون نيران المدفعية بلا جدوى غير أنه على حين غرة زمجرت فوقهم طائرتا فانتوم آخريان وألقتا بقنابلهما على المصريين الذين يرابطون فى خنادق غرب الحصن على ضفة القناة .. ويقع جزء من حمولة القنابل على القيادة وتغمر موجة ضخمة من المياه الحصن ويهرع الرجال فى المواقع الامامية الى الخنادق وملابسهم مبللة بالمياه .. ولكنهم يتصايحون بسرور .

وعند هذه المرحلة أصبح الحصن ذا أهمية تكتيكية حيوية للاسرائيليين .. فقد كان آخر وحدة رصد متبقية لضربات المدفعية والقصف الجوى على مرمى البصر من رؤوس الكبارى المصرية عبر القناة .. ولم تكن وحدة ميبرك تتوقع أن يتم انقاذها على عجل .. فقد كان من الواضح أنها ذات قيمة كبيرة للقائد الجديد للقطاع الاوسط فى سيناء ميجور جنرال (اريك) شارون الذى كان قد وصل فى هذه اللحظة الى مقر القيادة فى « طاسا » لمحاولة تفهم الامور ..

◉❖◉

ومن مركز قيادته المتقدم أمسك بتليفونه الميدانى وطلب ميبرك للحصول على بعض المعلومات من مصادرها الاصلية .

ميبرك : (يقدم تقريرا لشارون) لدى قوة هنا .. ليست فقط قوتى وانما جميع أصناف العاملين وأناس حوصروا هنا .. لا يوجد جرحى بيننا حمدا لله باستثناء اصابات بالشظايا .. ولكنها ليست خطيرة ..

شارون : هل أصيب موقعك ؟

ميبرك : ليس اصابة مباشرة حتى هـــذه اللحظة .. ولكنهم ينظمون أنفسهم من حولنا وهناك وحدتان من المشاة خلفنا . ونستطيع أن نرى ناقلات جنود مدرعة تصل وربما دبابات أيضا .

شارون : قل لى .. هل توجد حركة كبيرة على طريق القناة .

ميبرك : ليست كبيرة .. قبل ذلك كانوا يتحركون عليه .. ووصل عدد من ناقلات الجنود المدرعة حتى موقعنا .. وقد بدأنا فى ضربهم ومن ثم فقد ابتعدوا .. تركوا جنودا .. مجموعات قليلة منهم .. وحتى هذه اللحظة ، لا أستطيع أن أفهم منطق بعثرة الجنود على طول الطريق .. لقد

عادت ناقلات الجنود ناحية الشمال الغربى الى المنطقة التى توجد بها كافة دباباتهم ٠٠ الدبابات التى تلقت ضربات من سلاحنا الجوى قبل ذلك ٠٠

شارون هل كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة ؟

ميرك : كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة ٠

شارون : من أى منطقة أنت ؟

ميرك : من هالاميد ـ هيه (وهى كوبوتز بالقرب من القدس حيث كان يعيش ميرك) ٠

شارون : ورجالك هل هم أيضا من القدس ؟

ميرك : نعم من القدس ٠

شارون : هل اشتعلت النيران في دبابات العدو أم ماذا ؟

ميرك : (برضا واضح) نعم ٠ لقد اشتعلت فيها النيران ٠٠ لا أعرف كم عددها ٠٠

شارون : عندما لا يكون المصريون يهاجمونكم هل يقومون بعمل شيء آخر ؟

ميرك : لا شيء على قدر ما أستطيع أن أرى والوضع الآن هو أن الدبابات وناقلات الجنود قد اقتربت حتى مسافة ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر منا ٠٠ ولديهم مشاة في الخنادق ٠ وعندما يرفعون رؤوسهم نطلق النار عليهم كما أننا نوجه اليهم ضربات بمدافع الهاون عيار ٨١ مم ٠

شارون : هل لديك ذخيرة كافية ؟

ميرك : ذخيرة ؟ ٠٠ نعم ٠٠ لكننا نحاول ألا نبددها وقد بدأت أبخل بذخيرة المدفع ٨١ مم ٠

شارون : هل توجد فى مواجهتكم ناحية الشمال وبالقرب من نقطة العبور أى قوات للعدو ؟

ميرك : لقد ذهبت الى موقع أمامى منذ حوالى خمس دقائق ولم تكن هناك أية قوات فى ذلك الوقت ٠٠ لحظة واحدة ٠٠ سوف أرى اذا كان نائبى يستطيع أن يرى أى شيء ٠٠ شوكى ٠٠ شوكى ٠ تكلم (ويتم وصل شوكى فى الموقع الأمامى بشارون) ٠

شارون : السلام عليكم ٠٠ قل لى ٠٠

شوكى : السلام والبركة ٠

شارون : كم عدد الدبابات التى تراها هناك ؟

شوكى : حوالى أربعين الى ٤٥ دبابة ٠

شارون : فى أى تشكيل ؟ متجمعة ؟

شوكى : بعضها متجمع والآخر يقف فى صفوف ٠٠

شارون : هل احترقت أية دبابات ؟

شوكى : لم تحترق وانما أصيبت دون أن تحترق ؛ لقد هبط كل الرجال منها •• وهم حولنا الآن •• هناك خنادق •• وهم على قمتها •• فى تلك المنطقة ••

وأخذ شارون يستجوب شوكى حول مكان العدو بالضبط •• ولكن يحدث بعض الاضطراب ويتدخل ميرك ••

ميرك : أريد • أرجو أن تفهمنى •• انهم يسيطرون على منطقة مستوية •• هل تسمعنى انها منطقة مستوية طولها بضع مئات من الأمتار وعرضها بضع مئات من الامتار وهم يتخذون مواقع تواجه الاتجاه الذى يبدو أن مدرعاتنا تسد الطريق عليهم منه •• يوجد عدد كبير من المشاة خلف الدبابات ومع عربات نقل الامدادات •• وكل ما يحتلونه منطقة يبلغ طولها حوالى الكيلو متر •

شارون : أيها الرفاق •• لقد وصلنا لتونا الى هنا •• واننى أخطط لبذل كل جهد لتخليصكم •• سوف نتصل بكم فيما بعد لابلاغكم بما يمكن أن تفعلوه ••

وسأل شارون عن وسائل النقل فى الحصن وقال أنه سيتصل بالمدفعية لتزويدهم بمزيد من التعليمات حول رصد الأهداف •

شارون : سوف أشرح لكم فيما بعد الطريقة التى آمل بها أن أخرجكم من هذا الوضع •• وما أريده منكم فى هذه الأثناء هو أن توفروا ذخيرتكم وأن تأخذوا حذركم فى المواقع العالية عندما يطلقون النار عليكم •• فهذه الأماكن هى التى يمكن أن تقع لكم فيها خسائر كبيرة •• وسوف نبذل كل ما فى وسعنا لتخليصكم وكل شىء سيكون على مايرام •• لا تقلقوا واصمدوا ••

⊙❖⊙

وعقب انتهاء محادثة شارون التليفونية ، عاد المصريون الى قصف الحصن •• وكان من الواضح أنه سيكون أعنف هجوم ••

⊙❖⊙

ميرك : شوكى •• اقفز الى الموقع رقم ٣ واتصل بى عندما تصل الى هناك • جندى الاشارة شلومو (مساعد آفى) سيذهب معك •• انتظر لحظة •• أريد أحدا فى الموقع الأمامى الشمالى •• فمن المحتمل أنهم سيهاجموننا من ناحية الشمال •• أعطنى الموقع رقم ٤ ••

آفى : انك على اتصال به الآن •

⊙❖⊙

ميرك : هالو •• آفى •• انهم لا يردون ••

آفى : (من خلال مكبر الصوت : الموقع رقم ٤ ارفع التليفون ١٤٦

ميرك : على التليفون من هناك ، دوبيك ؟ ـ اسم الشهرة لجندى ملاحظة

اسمه موردخاى ايكباروم ـ فليباركك الرب · كيف حالك ـ صوت انفجار قوى ـ ماذا أصاب هذا الانفجار فى الخندق ؟·· ولكن عليك من آن لآخر أن ترفع رأسك وتنظر الى الخارج لأنهم قد يأتون من ناحية الشمال ·· هل تفهم ؟·· ويجب أن أعرف ما يجرى ·· وسوف ترى بسرعة ·· لا أعرف من أين يوجهون الينا الضربات ··

وبدأت قذائف ثقيلة من هاونات عيار ١٦٠ مم فى التساقط على الحصن ·

⊙❖⊙

آفى : يقدم تقريرا لميرك ـ يقولون أن القذائف تسقط عند بوابة الحصن ··

ميرك : موجها حديثه الى موقع البوابة ـ خذوا حذركم طول الوقت ·· انبطحوا أرضا ، ولكن عليكم أن ترفعوا رؤوسكم فى أقرب فرصة بعد القصف وتراقبوا البوابة ·· أوكى ؟

وتنفجر قذيفتان فوق خندق القيادة مباشرة ·

آفى : شوكى لا يرد ··

ميرك : يخطف السماعة ـ شوكى ـ شوكى ـ لا رد ·· يوجه حديثه الى آفى ـ لعله ذهب الى الموقع رقم ٣ ·

⊙❖⊙

جندى فى الموقع رقم ٤ انه فى طريقه الى هناك ·· ربما تعطل فى الطريق بسبب القذائف

⊙❖⊙

ويتصاعد القصف وتسقط الآن كل قذيفة تقريبا على هدف ، وأخذت الممرات ـ التى تصل الخنادق ببعضها ـ فى الانهيار وتحطم هوائى الراديو ، وقطعت بعض خطوط التليفونات بين خندق القيادة والمواقع الأمامية ·· وخرج « آفى » و « شالومى » جنديا الاشارة معرضين نفسيهما للنيران ، لكى يستبدلان ·· وأخذت القذائف تنهمر ··

ميرك : أعطنى مقر القيادة ·· هلو ·· بنجال ـ عامل التليفون بمقر القيادة ـ اصغ الى ·· انهم يقصفوننا بشدة قصفا مدفعيا ربما بالدبابات أيضا ·· القذائف تسقط على مباشرة ·· لا أعرف أين تسقط ·· أعتقد أن الدبابات تطلق النار علينا من مربض الدبابات (على الجانب الآخر من القناة) ولكن مدفعيتهم هى التى توجه لى أعنف الضربات ·

مقر القيادة : هل المدفعية على الجانب التابع لنا ؟

ميرك : ليست متأكدا ·· لا أستطيع أن أحدد ولكن هناك قذيفة تسقط كل دقيقة (موجها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى ·· أين شوكى ؟

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق التابع للموقع رقم ٤

ميبرك : هل أنت متأكد ؟ حسن ٠٠ هل تواصل ملاحظة ذلك الجانب ؟ أوكى ٠

⊙❖⊙

ويسقط مزيد من القذائف وقنابل الهاون محققة اصابات مباشرة ٠

جندى المرور فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخنـــدق ٠ الممر المؤدى للموقعين رقم ٢ ورقم ٣ مسدود ٠

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الممرات المؤدية الى ٢ و ٣ سدت ٠

ميبرك : موجها كلامه اليهما معا : ستبقيان فى الموقع رقم ٤ أوكى ؟

⊙❖⊙

ويدخل جندى برتبة سيرجانت ، يدعى باروخ خندق القيـادة مترنحا ينزف دما من رأسه ٠٠ لقد مزقت احدى الشـظايا خوذته ، وما زالت فى جانب من رأسه ٠٠ وقد قطعت أذنه وكانت تنزف ٠

باروخ : ساعدونى يا أولاد ٠٠ ساعدونى ٠٠ ويهب جنـدى الشـئون الطبية والطبيب لمساعدته ويتم انتزاع الشظية وتعطى له حقنة مسكنة ٠٠ ويستغرق باروخ فى النوم فى سرير الطبيب ٠و يستمر القصف ٠٠

آفى : يجب أن نشرح للقيادة أن الأمور تزداد خطورة ٠

جندى : أبلغهم بأن لدينا اصابات ٠

ميبرك : وماذا اذا كانت هناك اصابات ؟

جندى : يجب أن يسرعوا ٠

ميبرك : (الى مقر القيادة) : انهم يقصفوننا ٠٠ لا أعرف من أين ٠

آفى : لا تجعل الأمور تبدو بسيطة بهذا الشكل أمامهم ٠٠

ميبرك : وماذا يتعين على أن أفعله ؟ لقد قلت أنهم يقصفوننا ٠ ثم ماذا ؟

آفى : بالغ فى الأمر بعض الشىء ٠٠ وبث بعض الحرارة فى الموقف ٠٠

ميبرك : لقد بالغت فى الامر (الى مقر القيادة) يجب أن أعرف من أين يقصفوننا ٠٠ انهم يطلقون قذائفهم علينا ٠٠ وهذا هو كل ما لدى (موجها حديثه الى آفى) أعطنى شوكى الخندق رقم ٤ ٠٠

آفى : أعتقد أن الخط قطع ٠

شلومو : (من خلال مكبر صوت) شوكى ٠٠ ارفع سماعة التليفون ٠٠

شوكى : (من خلال مكبر صوت) : تحدث الى عن طريق مكبر الصوت٠

شلومو : (من خلال لكبر صوت (ان لديك تليفونا ٠٠ حاول أن تلتقط سماعته ٠

ميبرك : « الى آفى » أعطنى مقر القيـــادة من جديد ٠ « ويقطع المكالمة الحديث مع الخندق رقم ٤ » شوكى أين أنت ؟ أريدك فى الموقع رقم ٤ » ٠

شوكى : من المستحيل الخروج ٠٠ فكل شىء ينفجر فى الخارج ٠٠

ميبرك : ولكن لابد أن يقفز أحد الى هناك لكى يرى ما يحدث فى الشمال .. أوكى ؟ (موجها حديثه الى آفى) والآن أعطنى مقر القيادة .

آفى : مقر القيادة لا يرد .. اننى أحاول طوال الوقت .. انهم يعتقدون أن لديهم الوقت الذى فى العالم كله .. أولئك الرجال الذين فى مقر القيادة .

مقر القيادة : هالو .. هالو .

آفى : أيوه .. لحظة .. يا للعنة .. لقد قطع الاتصال مرة أخرى . مقر القيادة : أيوه .. هالو .

آفى : هالو .. هالو (القذائف تنفجر كل بضع ثوان وأصبح من المستحيل سماع شيء .. ويصيح) ميبرك .. تكلم .

ميبرك : (الى مقر القيادة) هل تسمعنى .. اننا نتعرض للقصف الشديد ..

يقع انفجار ضخم آخر .

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الخندق رقم ٤ عزل تماما . لقد حوصرت هنا .. هل أستطيع العودة .. يجب أن يذهب أحد بالقرب من البوابة .

ميبرك : (الى مقر القيادة) والآن اصغ لحظة .. بيبجال .. بيبجال .

مقر القيادة : سوف تحصل عليها حالا .

ميبرك : ماذا ؟

مقر القيادة : المدفعية .

ميبرك : على ماذا ؟ سأقول لك على ماذا يجب أن يطلقوا نيران المدفعية .. على مربض الدبابات ..

وفجأة تسمع أصوات المدافع الأتوماتيكية .

⊙❖⊙

جندى (بالحاح) انهم يطلقون نيرانهم .. انهم يطلقون نيرانهم من جهة الشمال .

آفى : شوكى .. ماذا يجرى ؟

شوكى : ماذا يحدث ؟ انهم يواصلون القصف .. لقد غادرت الخندق .. اننى فى الموقع رقم ٤ فى هذه اللحظة مدفون تماما وأحاول الخروج .. ربما ينجح شيء ..

ميبرك : شوكى .. قل لى هل ترى أى شيء من ناحية الشمال ؟.. وما هذا القصف ؟

شوكى : انها هادئة الآن ..

⊙❖⊙

ويهز الحصن انفجار ضخم .

ميرك : ما هذا ؟
شوكى : انه السقف يسقط فوقى ..
ميرك : أين أصابت القذيفة ؟

شوكى : لا أستطيع الرؤية الآن .. أعتقد أنها فى وسـط الحصن .. ولقد أصيب أيضا الممر فى الموقع رقم ٤ .. وقد انهار كل شيء على السقف فوقى ..

ويطلب شوكى ايفاد أحد لتطهير المدخل الى الخندق رقم ٤ ولكنه يستطيع الخروج قبل أن يتم ذلك ..

◎❖◎

شلومو : الموقع رقم ١ يقول انهم يسـمعون صوت مدرعات ولـكنهم لا يعرفون من أين تتقدم .. وهناك عربات نصف جنزير ، على طريق القناة المواجه لنا ..

ميرك : اعطنى مقر القيادة .. مقر القيـادة .. اصغ .. الحصن مرة أخرى .. نستطيع أن نرى أضواء على طريق القنـاة .. ونحن نتعرض للقصف بشدة ..

مقر القيادة : بدلا من الكلام حدد لى أهدافا .

ميرك : (وسط مزيد من الانفجارات) .. سأحدد لكم أهدافا .. بادىء ذى بدء طريق القناة .. الطريق كله .. تسير عليه عربات نصف جنزير .. والسؤال هو هل هى تابعة لنا أم لهم ؟.. لا أعرف ولا أسـتطيع أن أرى فى الظلام .. اضربوا طريق القناة بأسره على طول المنطقة المواجهـة لحصنى .. ثانى شيء .. أعتقد أن لديكم مدفعيـة كثيرة .. فاذا كان فى امكانهم . ابدأوا الضرب فورا . هل تسمعوننى ؟ لانهم يمحوننا هنا تماما .. عن طريق القصف .. مواقعنا الرئيسية .. لا نستطيع أن نصل اليها لأنها قد سدت .. ولذا أريد الآتى : اقضوا على نقطة التجمع (ج) ـ اشارة الى خريطة رمزية ـ وبعـد ذلك أريد نيرانا بالقـرب من الكنيسـة فى الاسماعيلية .. يوجد موقع مدفعية هناك .. ثم على مربض الدبابات .. وكذلك ناحية الشمال .. على مسافة ٢٠٠ متر الى الشـمال الشرقى .. والسؤال الآن هل تستطيعون ..

◎❖◎

ويحدث انفجار رهيب .

◎❖◎

ميرك : أوه .. كل الخنادق تنهار .. توجد أعداد من الهليوكبتر هنـا .. أريد نيرانا سريعة الآن أبلغونى متى يمكنكم بدء القصف ..
جندى : هل من المستحيل عليهم ارسال تعزيزات ؟

ميبرك : الى أين ؟ هنا ؟ اننا لا نحتاج لتعزيزات اننا نحتاج للاخلاء .. فما مبرز الاحتفاظ بالحصن هنا ؟

◎❖◎

جندى : ألا يستطيعون ارسال أى نوع من المركبات الى هنا لأخذنا ؟

ميبرك : سوف نقتل فى الخارج .. واذا بعثوا دبابات فانها ستعطب خلال القصف .

◎❖◎

ويرن جرس تليفون فى الخندق .. كان احد رجال المدفعية فى الموقع رقم ١ .

◎❖◎

شارلى : انني شارلى .. ماذا هناك ؟

ميبرك : شارلى .. هل تسمعنى ؟ أريدك أن تطلق ضوءا ساطعا فى اتجاه الطريق الى الشرق أطلق الضوء فورا ..

ويقع انفجار هائل آخر .

شوكى : (يتحدث تليفونيا من أنقاض الخندق رقم ٤) .. لقد أصبنا الآن اصابة كبيرة .. اننا مدفونون تماما تحت الرمال .

ميبرك : هل ترى أى شىء من طريق القناة ؟

شوكى : لا .. لا أرى شيئا ..

ميبرك : نعم بالتأكيد . أبلغونى أنهم سيضربون الشمال وكذلك مربض الدبابات ، ونقطة التجمع (ج) ولكن ذلك سيستغرق بعض الوقت (مزيد من الانفجارات) أين أصابت الآن ؟

شوكى : لقد سقطت على رقم ٤ .. سقطت عليه مباشرة .. ووقع السقف كله فوقنا .. ارجو أن نكون على ما يرام .. هل أنت على مايرام ؟

ميبرك : (وصوته يختنق من التراب) لا نستطيع رؤية أى شىء .. هل تسمع .. اننا نختنق هنا .. لقد كسر جهاز التهوية ..

كانت الصدمة التى وقعت من جراء القذيفة الاخيرة قد كسرت جهاز ضخ التهوية فى خندق القيادة .. وأرسل جندى شاب ، على شفا الفزع . لتشغيل الجهاز باليد وكان الطبيب يغمس قطعا من القماش فى المياه ويعطيها للجنود ليضعوها فى أفواههم ..

غير أنه لم يكن هناك مزيد من القذائف .. فقد توقف القصف فجأة كما بدأ .. وبقى بعض الرجال فى مواقعهم متيقظين وعاد البعض الآخر الى خندق القيادة للراحة .. وبدأ فى تسجيل رسالة خاصة الى زوجته ..

◎❖◎

آفى : داس هل تسمعيننى .. أشعر أننى أريد الحديث اليك .

ويقطع التسجيل بيأس فانه يخشى أنها قد لاتسمع الشريط على الاطلاق .

وفي الساعة العاشرة والربع ، من صباح اليوم التالي – الاثنين – كان الطبيب ومساعده الطبي مشغولين .. وكان السير جانب باروخ الذي جرح في اليوم السابق يتجول الآن حاملا حقيبة الحقن .. وكان الجنود الذين يشعرون بآلام في الظهر يحضرون الى خندق القيادة .. انهم لم يتبولوا منذ يومين وقد صدرت اليهم أوامر بأن يشربوا كميات كبيرة من المياه ..

ودارت مناقشة خفيفة بين آفي والطبيب حول الوقت الذي ستصل فيه القوة الجوية الاسرائيلية .. قال الطبيب الساعة العاشرة و ٢٠ دقيقة وقال آفي العاشرة والنصف ..

ميرك : (فجأة) : ناقلات الجنود المدرعة تتحرك نحونا ..

الطبيب : (من خلال مكبرات الصوت) عودوا الى مواقعكم .. عودوا الى مواقعكم ..

ميرك : انهم يتقدمون نحونا .. هل تفهمون ؟

شوكي : ماذا جرى لمدفعنا الهاون والبازوكا ؟

ميرك : هاون .. أي هاون .. أي بازوكا ؟

دعهم يضربون بالمدفعية .. (موجها حديثه الى آفي) أبلغ المدفعية أنهم يتقدمون نحونا ويدخلون الموقعين (أ) و (ب) ..

آفي يبلغ مقر القيادة ..

مقر القيادة : لحظة واحدة ..

آفي : يا لهذه اللحظة الواحدة التي يرددونها ..

ميرك : (بنفاد صبر الى مقر القيادة) ثماني ناقلات جنود مدرعة تطلق النيران علينا .. (زئير طائرة .. قنبلة تنفجر .. اضطراب صيحات الفرح) ..

الطبيب : رائع .

ميرك : طائرة .. الطائرات تتقدم .

مقر القيادة : هل ناقلات الجنود مازالت تهاجمكم ؟

ميرك : (مؤكدا) نعم .. ولكن الطائرة تقصف .. وتنفجر قنبلة بالقرب من الحصن .

⊙✤⊙

وينتهي الابتهاج فجأة عندما بدأ الاسرائيليون يدركون أن الطائرة ليست تابعة لهم ..

⊙✤⊙

الطبيب : لم يطلق المصريون النار على الطائرة اطلاقا ..

ميرك : لم يطلقوا النار لأنها طائرتهم .

وأصبح المصريون على مسافة ٢٠٠ ياردة من مدخل المحصن ٩٠ وخرج ٨٠ جنديا من ناقلات الجنــــود وشرعوا فى التقدم •• وفتحت المدافع الاتوماتيكية الاسرائيلية فى الموقعين رقم ١ و ٢ نيرانها •• وفى خندق القيادة يسحب الرجال أسلحتهم ويستعدون للقتال بالايدى ••

⊙❖⊙

المساعد الطبى : آفى •• هل هذا مدفعك الاوزى الرشاش ••
آفى : لا أعرف ••
الطبيب : انه مدفعى •
ويرن جرس التليفون ••
مقر القيادة : ما هى مشكلتكم ؟

ميرك : ما هى مشكلتنا ••؟ ان عشر ناقلات لجنود مدرعة تواجهنـا •• الجنود ينتشرون ويتقدمون نحونا وفضلا عن ذلك فان سلاحهم الجوى كان يلقى بقنابله علينا •• وأنتم تسألون ما هى مشكلتنا ؟
مقر القيادة : أيها الابطال •• استمروا فى ضربهم بأعنف ما تستطيعون
ميرك : اننا نطلق النار عليهم •• ولكن أين مدفعيتكم ؟
مقر القيادة : سوف تأتى المدفعية حالا •• يستغرق الامر بعض الوقت للحصول عليها ••
ميرك : ولكن ابدأوا فورا لاننى أطلبها منذ فترة طويلة •
مقر القيادة : أوكى •• لقد بعثت بها بالفعل ••
ميرك : أيوه •• أيوه •• فى الحال ••

⊙❖⊙

مقر القيادة : هل حققنا أية اصابات ؟
ميرك : انكم حتى لم تطلقوا النار ••
مقر القيادة : يا لجهنم •• أصغ •• سوف تكون هناك بعض المدفعية حالا •• اننــا مقصرون قليلا •• اصبروا يا رجال وســيكون كل شىء على ما يرام ••
ميرك : (بسخرية) مؤكد •• مؤكد •• سنتحلى بالصبر ••
مقر القيادة : هل أنتم من القدس ؟ برافو (وبعد دقائق) ما هو الموقف الآن ؟ •• على ما يرام ؟
ميرك : يا الهى •• ما هو الذى يجب أن يكون على ما يرام ؟ ان ناقلات الجنود المدرعة التى كانت على الطريق ، دارت الى الخلف وأنزلت رجالا وتركت علامات تشير الى الاتجاه الذى يجب الهجوم منه •• ويبدو أنهم يدبرون لهجوم آخر فى المساء أو الليل •• والآن ذهبوا فى اتجاه الشمال

•• وهناك شيء آخر أريد أن أعرفه : ماذا تفعلون بالجسر الجديد الذى أقامه العدو ؟ انهم يرسلون قوات عبر القناة بلا توقف ••

مقر القيادة : أين الجسر ؟ هل هو بعد النصب (نصب تذكارى للجندى البريطاني المجهول على الضفة الغربية بالقرب من الاسماعيلية) •

ميرك : لقد أبلغتكم أين يوجد •• بجانب النصب بالضبط ••

مقر القيادة : سأقول للفرقة •• وسيهتمون به •• (ويهدأ القتال ويذهب أحد الجنود الى بقايا غرفة طعام الحصن بحثا عن سجائر •• ويقوم آخرون بترتيب خندق القيادة وتنظيف أرضيته •

مقر القيادة : انتبه الحصن •• سوف نطلق كميات ضخمة من المدفعية فى اتجاهكم •• سوف ترون اصابات كثيرة •• ابلغونا بالاصابات •• اذا لم تكن على ما يرام فنصحح الضرب •• اننا نطلق النيران الآن (توقف) هالو يا حصن •• هل رصدتم أية اصابات ؟

ميرك : لم نر أى شيء ••

مقر القيادة : لم تروا أية اصابات ؟

ميرك : لا ••

مقر القيادة : ابق على الخط ••

الطبيب (ساخرا) : ياله من عمل هذا الذى يقوم به رجال المدفعية •• انه مرعب ••

وفى النهاية يصل الضرب المدفعى الموعود ، منذ فترة طويلة ويسقط على الهدف ، حيث كان المشاة المصريون يرابطون فى الخنادق خلف الحصن •• وبعد انتظار طويل ، استحق الاسرائيليون المديح لدقتهم • ولم يستمر القصف طويلا •• كان الحصن الشمالى فى متاعب ضـــخمة • ان جميع الحصون متصلة سويا بالراديو ، وكان الرجال فى خندق القيادة يسمعون صرخات طلب النجدة ••

◎❖◎

الحصن الشمالى : انهم يواصلون قصفنا •• نحتاج الى مدفعية نرجوكم ارسال طائرات •• تلك الدبابات ليست تابعة لنـــا •• انتباه •• اننا محاطون بالمعنى الحرفى للكلمة بعشرات الدبابات وهناك الجنـــود الذين يتقدمون نحونا •• لابد أن نحصل على طائرات لتدميرهم •

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) •• كبداية •• نقدم الآن تعزيزا بالمدفعية وسوف نستمر فى القصف طول الوقت •

(يواصل الحصن الشمالى الصمود) •

آفى : ما يقلقنى هو القميص الذى تركته بالخارج يوم السبت سوف آخذه معى فى نهاية الحرب لأقدمه هدية •

آفي : توقف عن مسالة « آمل » هذه ٠
الطبيب : وهو كذلك ٠٠ انني أثق فى قواتنا الجوية ٠٠ سوف يرسلون طائرات ومقاتلات وسوف يدمرون المنطقة كلها ٠٠ وبعد ذلك سوف يقومون بعملية انزال لقوات المظلات ٠٠ وسيكون هذا نهاية المطاف٠
بضعة جنود من قوات المظلات سوف يقومون بالعمل ٠
جندى : ماذا عن الحصن الشمالى ؟
آفي : لم يسقط بعد ٠٠ اننى آسف لحالهم ٠٠ فانهم يتعرضون لضغط مريع ٠٠
الحصن الشمالى : (لمقر القيادة) انهم يطلقون نيران المدفعية علينا ٠٠ نطلب مساندة جوية ... المدفعية على مسافة ٧٠٠ متر الى الجنوب ٠ انها مركزة ــ ٧٠٠ متر الى الجنوب ٠٠ اطلقوا النيران ٠٠ اطلقوا النيران ٠٠
مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) اننا نقوم بارسال المدفعية لكم ٠
الحصن الشمالى : أطلقوا النيران ٠٠ اطلقوا النيران ٠

ويبدأ مارشيانو فى الغناء لكسر التوتر الذى يسود خندق القيادة ويغنى بصوت أجش « انتظر قليلا ٠٠ وبرهة أخرى قصيرة » وينضم اليه الطبيب ٠٠

⊙❖⊙

الحصن الشمالى : توجد قوة ضخمة من هاونات العدو الى الجنوب الغربى منى ٠٠ والآن توجد قوة ناحية الشرق ٠٠ أنهم يتقدمون من الجنوب ٠٠ أحضروا الطائرات ٠٠
تفوق طاغ علينا ٠٠ هذا طلب اغاثة عاجلة ٠٠
وبدأ أحد الجنود الشبان فى خندق القيادة فى الانهيار تحت ضغط الموقف ٠٠ ويشرع مارشيانو فى الغناء من جديد ٠٠
آفي : هذا هو الحل يا أولاد ٠٠ دعونا نغنى لنحتفظ بروحنا المعنوية ٠٠ انظر أيها الجندى ٠٠ اننى أيضا متزوج وعندى ثلاثة أطفال ٠٠
الطبيب : كل فرد هنا عنده أولاد ٠٠ انظر ٠٠ سأريك صور ابنتى ٠٠
الحصن الشمالى : حشود ضخمة للغاية لقوات العدو ناحية الجنوب ٠ دبابات ناقلات جنود مدرعة ومشاة ٠٠ ابعثوا بالمدفعية ٠٠ ارسلوا طائرات ٠٠ بسرعة ٠٠ حالا ٠٠ أطلب اهتماما سريعا وفوريا لطلبنا ٠٠ الرجال هنا يتعرضون لضغط كبير ٠٠ لسنا قوة كبيرة هنا ٠٠
الطبيب : ان الامر كما اعتقدنا ٠٠ الموقف سيىء فى الشمال ٠٠
جندى : انهم يواصلون طلب النجدة ٠٠
ويغنى مارشيانو « هافا ناجيلا » دعونا نحتفل وندخل البهجة للقلوب ٠٠ ولكن العلاج هذه المرة لا ينجح ٠٠

الطبيب : (الى الجنود) .. لماذا تشعرون بالقلق ؟ .. اننا لم نفقد أحدا بعد .. لم نفقد أليس كذلك ؟ بلى ! ولم يكتسحوا الحصن .. أليس كذلك ؟ بلى .. وعلينا أن نحافظ على روحنا المعنوية عالية ..

الحصن الشمالى : توجد حشود ضخمة على مسافة كيلو متر ونصف الى الجنوب .. مزقوها .. دمروها بشدة ..

وفى تلك اللحظة يهتز خندق القيادة بفعل انفجارات ضخمة وبدأت المعركه من جديد .. ويسمع الرجال عبر مكبرات الصوت قائد حصن آخر على مسافة خمسة أميال الى الجنوب وهو يعلن أن موقعه يتعرض للهجوم من جانب المشاة والدبابات المصرية .. انهم لا يستطيعون الصمود أكثر من ذلك فان الحصن الشمالى كان يتعرض للهجوم الى جانب الدبابات المزودة بقاذفات اللهب .. ويسمع الرجال أصوات صراخ أثناء استخدام هذه الاسلحة الرهيبة ضد الخنادق .. ثم يخيم السكون .. ويستمر مقر القيادة فى توجيه ندائه للحصن الشمالى بلا مجيب ..

وعندما يخيم ظلام ليلة الاثنين كان يمكن مشاهدة المصريين وهم يحتشدون على الطريق الواقع خلف الحصن ، استعدادا لهجوم جديد .. واستطاع رجال ميبرك أن يروا الدبابات المزودة بقاذفات اللهب وتوقعوا مصيرهم .. وفى الساعة الثامنة انطلقت احدى ناقلات الجنود المدرعة للعدو ناحية الحصن .. ويضع جنديان عربيان مصابيح على جانبى البوابة ثم تنسحب الناقلة ..

ميبرك : أيها الاولاد .. سوف نغادر الحصن الليلة ! ولكن علينا أن نطلب تصريحا رسميا .. فعلى أية حال هذا ليس ماخورا ..

مقر القيادة . (بعد أن قدم ميبرك طلبه) : سوف تسير الامور على ما يرام اذا بقيتم ..

ميبرك : لا أريد أى وعود جديدة .. أريد ردا فى غضون عشر دقائق .

⊙❖⊙

ويحصل على الرد من ميجور جنرال شارون شخصيا ..

⊙❖⊙

شارون : ليس أمامكم فرصة كبيرة .. ونحن لا نستطيع أن نحضر لمساعدتكم ..

ميبرك : سوف نغادر على أية حال ..

شارون : حسنا اذا كنت تعتقد أن ذلك سينجح ، نفذه .. اعتنوا بأنفسكم .. وحظا سعيدا ..

ويستعد الرجال الذين قضوا الستين ساعة الاخيرة بدون نوم .. ويملأون زمزمياتهم بالمياه ويرتدون جاكتات واقية ثقيلة .. ويجمعون

أسلحتهم .. مدفع أوزى وقنبلتان يدويتان لكل فرد .. ومدفع بازوكا وستة مدافع أوتوماتيكية بالاضافة الى ذخيرة وطلقات اضاءة ..

ميرك : هدفنا الرجوع سالمين بأدنى قدر من الخسـائر .. والشيء الرئيسى هو الاستمرار في التحرك الى الامام وعدم التأخير ، فاذا أطلق علينا النار ، حاولوا القتال ، ارهقوا العدو وتحركوا الى الامام بسرعة ..

⊙❖⊙

وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء وبينما كان القمر قد بدأ في المغيب تسلل الرجـال الثلاثة والثلاثون من الحصن وشرعوا في المسير وسط الظلام الدامس .. وفى الخارج انقسموا الى قسمين .. ميرك وآفى يتقدمان أحدهما وشوكى وشـلومى يتقدمان الآخر .. ويسيران منفصلين ولكن في نفس الاتجـاه العام : ثلاثة كيلومترات الى الجنوب بمحاذاة ضفة القناة ثم الاستدارة ناحية الشرق وعبور طريق القناة وبعد ذلك السير ١٣ كيلومترا ناحية الشمال الشرقى عبر الكثبان الرملية ..

⊙❖⊙

وفى الساعة الخامسة والنصف يبزغ الفجر ويدرك ميرك أن جماعته ضلت الطريق .. ويغير الاتجاه ناحية الشمس الآخـذة فى الشروق . ويخلعون جاكتاتهم الثقيلة ويدفنونها فى الرمال .. وفجأة تقترب منهم الدبابات بسرعة فائقة من جميع الجهات .. وقد أحصوا ٣٠ دبابة نصفها اسرائيلى . لقد حوصروا وسط قوتين متعارضتين فيما يبدو فى معركة كبيرة من معارك الدبابات .

⊙❖⊙

ويسرعون الى الاختباء في مكان داخل الكثبـان الرملية بينما كانت القذائف تنفجر من حولهم من جميع الجهـات وطائرات الميج والفانتوم تتصارع فى السماء فوق رؤوسهم .. ويتم اسقاط طائرتى ميج ويهبط قائداهما بالمظلات فى الصحراء القريبة .. وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهما أسرى ولكنهم يقررون عـدم تعقيد الامور .. ومع شروق الشمس يرصدون المجموعة الاخرى من الرجال على مسافة كيلومتر .. انها مجموعة شوكى وينضمون لبعضهما البعض ويتبادلون التجـارب التى مرت بهم أثناء الليل ..

ويكتشف آفى أن أحد الجنود قد أنقذ ، رغم التعليمات الصارمة جهاز تسجيل صغير يعمل بالبطارية من الحصن .. ويشعر بالضيق من الجندى لعدم اطاعته الاوامر وحمله ثقلا اضافيا ولكنه يستغل الفرصـة ويفتح الجهاز لتسجيل المناقشة . وبعد مناقشة قصيرة يتابعون السير ويطلق

المصريون عليهم طلقاتهم ويتعرضون لنيران الدبابات ثم ترسل القيادة اليهم دبابة لانقاذهم ..

أما بقية القصة فهي عملية الانقاذ التقليدية المعروفة .. ولكن المصريين يرصدون الدبابة بعد أن صعدوا عليها ويوجهون اليها كل أنواع الاسلحة بما فيها الطائرات ولكنها لا تصيبها ويصـــل الرجال فى النهاية الى مقر القيادة في « كاسا » ســـالمين .. ويستقبلونهم هناك استقبال الابطال ويسمحون لهم بالاتصال بعائلاتهم ثم يمنحون أجازة أسبوع وكانوا على مسافة ٧٠٠ ميل من وطنهم ولاتوجد أية وسيلة للمواصلات يمكن الاستغناء عنها .. ولم يكن أمامهم من خيار سوى العمل على ايقاف السيارات في الطريق ولم يكن لدى آفي القوة لذلك .. ويرى آفى طائرة هليوكبتر تابعة للميجور جنرال شمويل جونين الذى كان القائد المســـئول عن الجبهة الجنوبية ويرجوه السماح له بالسفر معه .

جونين : أوه .. انك أحد الرجال الذين أنقذناهم من الحصن .

آفى : لا : اننى أحد الرجال الذين أنقذوا أنفسهم ..

وبعد انقضاء أجازاتهم قضى رجال ميرك بقية الحرب في أريحا ينتظرون هجوما من جانب الاردنيين وهو هجوم لم يقع على الاطلاق .. وعندما تم وقف اطلاق النار في ٢٢ أكتوبر كان الحصن الذى قضـــوا فيه ٦٠ ساعة مروعة ، وبالتالى جهاز التسجيل الآخر الخاص بآفى تحت سيطرة المصريين المحكمة ..

البطولة .. فى الانســـحاب !

●●● « ماذا يقول .. اللواء ســـعد مأمون قائد الجيش الثانى فى ذلك الوقت .. عن قصة سقوط هذا الحصن ، كما نشرها كاتب السنداى تايمز ؟ .. ان تعليق اللواء سعد مأمون يكشف شيئا هاما . ان هذه القصة تعترف لأول مرة بأن الجنرال « ايريل شارون » كان يتولى قيادة قوات العدو على المحــور الاوسط فى اتجاه الاسماعيلية منذ اللحظة الاولى من الحرب (جنوب وشمال الاسماعيلية) . وان سقوط خط بارليف فى هذا المحور تم على يد الجنرال شارون نفسه » ●●●

تعليق اللواء سعد مامون

قال اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى خلال المعركة :

من المحتمل أن تكون هذه القصة حقيقية وقد تكون خيالية أو مزيجا بين الاثنين بهدف محاولة اثبات أن هناك قوة اسرائيلية تعدادها لم يزد عن ٣٣ فردا صمدوا ثم انسحبوا بالكامل من أحد المواقع الحصينة لخط بارليف فى منطقة الاسماعيلية فى قطاع الجيش الثانى ·

ومن الواضح أن مزج جزء من الحقيقة بالكثير من الدعاية الخبيثة وسردها بطريقة انسانية بسيطة هى الطريقة المثلى الآن لتشويق القارىء ، فمن من القراء يسمع عن تسجيل حى حقيقى لما دار خلال الستين ساعة الاولى لحرب أكتوبر من أحد الحصون الامامية لخط بارليف فى جهاز تسجيل يصف أحداث الستين ساعة الاولى من الحرب ويسجل أصوات المدافع والطائرات والدبابات كما يسجل ما دار من أحاديث بين الرجال ويصف مشـــاعرهم علاوة على ما سجله من نقاش وحوار دار بين الجنرال أريل شارون من مركز قيادته فى سيناء فى الايام الاولى للحرب وبين قائد هذا الحصن ·· من يمكن ألا تشده هذه القصة · ويقرأها ويصدق كل ما فيها ·· ومن خلال القصة المشوقة ، لا مانع من دس السم فى العسل !

ومع هذا سأفترض أن القصة وحوارها صحيحان ١٠٠٪ ، ان كل سطر من سطورها يروى فخرا للمقاتل المصرى وعلى النقيض فان الفخر الاسرائيلى فى هذه القصة هو كيفية انسحاب قوة اسرائيلية من حصن من حصون بارليف · وجدير بالذكر بل جدير بالفخر أن أذكر هنا جزءا من حديث ايجال آلون الذى ظهر فى جريدة « الاخبار » يوم الخميس ٢٥ ابريل ١٩٧٤ والذى قال فيه «أن أمر الانسحاب قد انتهى من القاموس العسكرى المصرى» وشتان بين حالين فمقارنة بسيطة بين قوة هذا الحصن والقوة المصرية التى دافعت وصمدت أكثر من ١٢٠ يوما فى كبريت ولم تستسلم قط للعدو تبين الفرق بين المقاتل المصرى والمقاتل الاسرائيلى ·

وسأحاول فى السطور التالية أن ألقى بعض الضوء على ما جاء فى هذه القصة :

١ ـ من الواضح أن هناك ارتباكا فى التفكير الاسرائيلى ، هل من الافضل لهم أن يعترفوا بأنهم فوجئوا ، أم الافضل أن يؤكدوا أن الشواهد كانت تدل على أن شيئا ما سيحدث على جبهة قناة السويس ، وأنهم كانوا يعلمون وتوقعوا الحرب على الاقل وطبقا لتقديراتهم كانوا متأكدين من أن الحرب واقعة لا محالة وبصفة خاصة خلال الـ ٢٤ ساعة الاخيرة قبل السادس من أكتوبر ٠

وظاهر من القصة أن القادة المحليين بل القيادة فى سيناء كانت تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ومع هذا شل التفكير الاسرائيلى فى اتخاذ الاجراءات المناسبة لمجابهة الموقف حتى آخر دقيقة ٠

٢ ـ يتصور الاسرائيليون أن الموجات الاولى التى اقتحمت القناة هى من الكوماندوز المصريين ٠٠ ظهر كل ذلك فى سياق القصة وفى جميع حلقاتها ٠٠ متصورين أن من قام بهذه الاعمال البطولية أمام القوات المقتحمة لابد أن يتصف بصفات خاصة ٠٠ لهذا فهم كوماندوز ، والواقع أن الكوماندوز قامت أجزاء منها بالعبور فى الموجات الاولى وكان لها أهداف خاصة ٠٠ أما كل ما ذكر فى هذه القصة عن الكوماندوز الذين تقدموا صفوف المشاة ، فانهم فى الواقع أفراد عاديون من المشاة كانت لهم أهدافهم ٠٠ وما البطولات التى قاموا بها الا بطولات من أفراد عاديين أسوة بعشرات الآلاف من المقاتلين الآخرين ٠٠ ولكنه اعتراف ضمنى بأن قواتنا المسلحة كلها فى حرب أكتوبر ما هى الا كوماندوز وعملت بروح الكوماندوز ٠

٣ ـ ما هو رد الفعل من القوات الاسرائيلية فى حصون خط بارليف ضد الهجوم المصرى ؟ ٠٠

طبقا لما جاء بهذه القصة ٠٠ ارتباك واضح فى كل شىء ٠٠ شلل فى التفكير ٠٠ سلبية فى الاجراءات على كافة المستويات ٠٠ القاء اللوم كل على الآخر ٠٠ فقدان الثقة فى القيادة ٠٠ ضعف غريب فى التدريب الاسرائيلى وكفاءة أسلحتهم ٠٠ هل هذا التعليق أو التحليل من عندى ؟ ٠٠ أبدا انه من سياق القصة ٠٠ ماذا قيل فيها ؟ ٠٠ يكفى اعادة ذكر بعض منه :

ـ كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين فى الحصن فى حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على الطائرات الهليوكوبتر ٠

ـ كان جنود الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متسائلين: لماذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلى ، فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام ٠٠

ـ واستطاع نائب ميرك (قائد الحصن) أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجيء لمساعدة الحصن •• وقال انها فى حالة فوضى شاملة ••

ـ وفى تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعى ضد المصريين •• ومع هذا كان القصف سلبيا بعيدا عن الاهداف المحددة •

٤ ـ ظهر للعدو فى هذه المرة أنه أمام حرب حقيقية (جهنم دموية) كما ظهر تماما أن الاسرائيلى اذا لم يحارب فى ظروف مواتية وفى تفوق عظيم على خصمه ، ينهار تماما ويكون كل هدفه هو الانسحاب من هذا الموقف •• وليس أدل على ذلك مما ذكر على لسان بطل القصة من أنه لم يمر بمثل هذا الموقف من قبل •• لقد كان الموقف دائما أن العدو على مسافة كيلومتر وعلى مسافة ٢٠٠ متر وأمامه مباشرة •• ولكن أن يكون العدو من حوله من جميع الجهات فهذا شيء آخر •

ـ كما أن هناك شيئا آخر وضح تماما باعترافهم وهو أن المصريين كان لهم ـ طبقا للتخطيط ـ أهداف معينة لا يحيدون عنها •• فمثلا كل هدفهم فى هذا القطاع هو الوصول بأسرع ما يمكن بقواتهم الى خلف العدو •• خلف خط بارليف •• وحصار المواقع التى لا تشكل تهديدا مباشرة للخطة •• على أن تصفى الحصون المتبقية فى توقيتات تالية •• ولم تحد القوات المصرية عن أهدافها أبدا ••

٦ ـ اتضح أن الجنرال اريل شارون كان يتولى قيادة قوات العدو على المحور الاوسط فى اتجاه الاسماعيلية (جنوبها وشمالها) منذ اللحظة الاولى من الحرب •• هذا الجنرال الذى حاولت اسرائيل اظهاره بأنه أحد عباقرة الحرب ••

ومع هذا فان الشيء الوحيد المؤكد وبصفة خاصة خلال المراحل الاولى من الحرب أن أعظم نجاح للقوات المسلحة المصرية كان فى هذا القطاع (جنوب وشمال الاسماعيلية) وتكسرت جميع موجات الهجوم المضاد والمحاولات الاسرائيلية لتدمير قواتنا فى هذا الاتجاه والتى بلغت ما لا يقل عن ٣٦ محاولة باءت جميعها بالفشل •• أى أن سقوط خط بارليف جنوب وشمال الاسماعيلية كان على يد الجنرال شارون نفسه ••

والغريب فى الامر أن كل هدف الجنرال شارون كان هو تخليص القوة من المأزق الذى كانت فيه وليس تدمير القوات المصرية التى تقوم بالهجوم على خط بارليف •

٧ ـ ظهرت كفاءة المقاتل المصرى فى القتال ضد مدرعات ومجنزرات العدو • فلقد باءت جميع محاولات العدو الاسرائيلى فى فك الحصار حول

هذا الحصن حتى فيما يدعي أنه ماهر فيه وهو القتال بالمدرعات والوحدات المجنزرة • فواضح من القصـــــة أن الوحدة نصف جنزير اضطرت الى الانسحاب في النهايه • كما يواصل الحصن الشمالى (فى منطقة الفردان) في طلب النجدة •

٨ ـ كان العدو دائما يفتخر بمدفعيته وفي جميع سطور القصة كان العتاب بل السب لا ينقطع عن ضعف مدفعيته فى اصابة المصريين •

ولقد جاء اليوم الذي يعترف فيه العدو ـ بل يعترف العالم أجمع ـ بكفاءة المقاتل المصرى فى العمل ضد مدرعات العدو •• ففى كل معركة سواء كانت بين المشاة أو المدرعات المصرية ومدرعات العدو لم تذكر القصة معركة واحدة نجحت فيها المدرعات الاسرائيلية • ومع أن هذا الحصن كان له أهمية كبيرة لدى القيادة الاسرائيلية ، فان الاسرائيليين لم يتمسكوا به •• أسوة بباقي حصون خط بارليف •

٩ ـ وعندما نتوغل في الجزء الاخير من القصة تثبت لنا كفاءة نيران مدفعيتنا ودباباتنا • لقد وصفت القصة مدى دقة قصف حصون العدو والحالة النفسية التى كان عليها جنود العـــدو • وكيف تهدمت المواقع والحصون على من فيها • ولقد كان الاختباء خلف وتحت التحصينات هو كل ما يهم الاسرائيليين فى هذا الحصن • ولم يكن القتال والدفاع عن الحصن نفسه ، بل كان اهتمام بعض الجنود في أن يبالغ القائد فى وصف سوء الموقف حتى تضطر القيادة الى العمل بسرعة لانقاذ القوة • لقد كان العدو يعيش فى ضباب • لا معلومات •• لا تقدير حسن للموقف •• كل شيء غامض •• لاثقة للمرؤوسين فى الرؤســـاء •• بل لاثقة للمرؤوسين فى أنفسهم •• ماذا كانت عليه الروح المعنوية للعدو حقيقية ؟ •• هل كانوا يريدون القتال ؟ •• أبدا ••

ولنكرر مرة أخرى بعض ماجاء على لسان أبطال القصة :

ـ اننا لا نحتاج الى تعزيزات •• اننا نحتاج للاخلاء •• فما هو المبرر للاحتفاظ بالحصن هنا ؟ •

ـ سوف نقتل فى الخارج •• واذا بعثوا دبابات فستعطب خلال القصف

ويشمل الحوار وصفا يبين كيف أطبقت قواتنا المسلحة المصرية بالدبابات والمشاة الميكانيكية والمشاة على حصون خط بارليف • والوصف بلسانهم يدل على مدى أحكام الحصار المصرى على أحد حصون خط بارليف الاخرى وهو موقع الفردان شمال الاسماعيلية •

لقد كان كل هدف القيادة الاسرائيلية هو بث الطمأنينة فى قواتها فى خط بارليف وأن يتحلوا بالصبر بوعدهم بمساعدات سواء من الطائرات أو من المدفعية •• ولكن دون جدوى •

١٠ ـ وأخيرا نقرأ أن القوة الاسرائيلية نجحت فى الانسحاب ٠٠ بطولة فى الانسحاب ! ٠٠ ولذلك فقد استقبلت عند عودتها فى مركز القيـــادة استقبال الابطال !

ولكننا نريد أن نتساءل هنا ٠٠ هل تمكنت القوة ـ عددها ٣٢ أو ٣٣ فردا ـ جميعها من الانسحاب ٠٠ أم أنه نصف هذا العدد أو ربعه ٠٠ أو لعله بطل القصة فقط ؟ ٠٠ الله أعلم !

وعندما نقرأ وصفهم لكيفية سقوط حصون بارليف الواحد تلو الآخر فى يد قواتنا المسلحة ٠٠ نفهم من سياق القصة أن الذى سقط هو حصون الفردان شمال الاسماعيلية وحصون الدفرسوار جنوب الاسماعيلية وأن البطولة انحصرت فى كيفية هروب أبطال هذه القصة من يد القوات المسلحة المصرية ٠٠ وياله من فخر !

ويثور السؤال ٠٠ متى بدأ التفكير الجدى فى الهرب من الحصن ؟ ٠٠ والجواب عندى أن الهرب بدأ عندما أحست قوات الحصن أن الدور قد جاء عليها وأن القوات المصرية قد قررت بشـــكل لا لبس فيه ـ طبقـــا للتخطيط ـ الهجوم على هذا الموقع الحصين ورتبت أمورها ٠٠

وكان الواجب القتالى يقتضى الدفاع عن الحصن لآخر طلقة ولآخر رجل ٠٠ هذا ما يتعلمه العسكريون ـ ألف باء العسكرية ٠٠ ولكن لا ٠٠ لقد أصبحت البطولة الاسرائيلية فى الانسحاب ٠

ومن المخجل أن الجنرال شارون كان يريد من هذه القوة البقاء فى مواقعها والقتال ، وأن الموقف سوف يسير على ما يرام اذا ما بقيت فى مكانها ٠٠ ولكن كان الحاح قائد الحصن على الانسحاب وضغطه على قيادته سببا فى موافقته على الانسحاب ٠ ولكن هل كان الجنرال شارون مقتنعا حقيقة بقراره للقوة ببقائها فى موقعها للقتال ؟ ٠٠ الجواب بالنفى ، ويتضح ذلك من رد شارون على قائد الحصن عند طلبه الانسحاب واصراره عليه٠٠ قال شارون : (ليس أمامكم فرصة كبيرة ٠٠ ونحن لا نستطيع أن نحضر لمساعدتكم ٠٠ واعتنوا بأنفسكم) ٠٠ الى آخر ما قاله ، وجاء فى القصة على السنتهم ٠٠

١١ ـ ثم ملاحظة واحدة ٠٠ لقد جاء على لسان بطل القصـــة أن طائرات الفانتوم والميج كانت تتصارع فى السماء بينما معركة دبابات من الطرفين كانت تدور رحاها أمامهم وزعم أنه تم اسقاط طائرتين من طائرات الميج وهبط قائدها بالمظلات فى الصحراء القريبة وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهما أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الامور ! ٠٠ يا لها من ايجابية فى العمل ٠٠ وشجاعة فى القتال ! ٠٠

١٢ ـ وفي النهاية أريد أن أؤكد حقيقة واقعية بصفتي قائدا للجيش الثاني الميداني في ذلك الوقت ·· وهو أننا اقتحمنا هذا الموقع وكان به الاسرائيليون بين قتلى وجرحى وأسرى · وان كان قد هرب جزء منهم ـ ولعل هذا أيضا غير صحيح ـ فقد لا يزيد ذلك عن أصابع اليد الواحدة · وكان اجمالي قتلى العدو لهذا الموقع هو ٢٣ قتيلا وتم أسر خمسة اسرائيليين ـ أي أن الذين هربوا لم يزيدوا عن خمسة ·

ومرة أخرى أكرر ·· انه حتى ولو كانت هذه القصة حقيقية ١٠٠٪ فانها فخر للمقاتل المصري سواء بين ثنايا القصة أو في مدلولها العام ·

امامى ٢٥٠ قتيـــلا ياشـــارون !

لم تكن صرخات الاسرائيليين في هذا الحصن ‥ هي صرخات الفزع الوحيدة وطلب النجدة اليائسة التي سمعها ايريل شارون قائد القطاع الاوسط الاسرائيلي ، الذي وصل الى مقر قيادته فجر يوم الاحد ٧ اكتوبر كما تعترف التسجيلات ‥ لقد تلقى شارون صرخات باكية أخرى على مدى أيام القتال الشرس ‥ التقطتها أجهزة الاستماع المصرية ‥ وهذه واحدة منها ، كانت الصرخة في اشارة تليفونية في الساعة السادسة من صباح الاربعاء ١٠ اكتوبر ٠ كان المتحدث هو قائد طائرة هيلوكبتر جاء لنقل جرحى وقتلى معركة مشهورة لن ينساها الاسرائيليون ، وقعت بعد ١٧ كيلو مترا شرق الحصن الذى نشرنا تسـجيلاته ٠ اسـمها معركة « المثلثات المائة » ‥ وهى باســم تبة ارتفاعها مائة متر ، قررت القوة المصرية فى القطاع الاوسط أن تستولى عليها لتسيطر على المنطقة كلها وهى متقدمة الى الشرق ٠

وكان قائد الهليوكبتر الاسرائيلى يبكى وهو يتحدث الى شارون ‥ والتسـجيل موجود فى ادارة المخـابرات العسكرية المصرية ‥ وبصـوته المختلط بالدموع كان يقول : « الموقف خطير ‥ أمامى ٢٥٠ قتيلا غـير الجرحى ‥ أرسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا »‥

وأقفل التليفون ‥

ولا أريد أن أستطرد الان فى رواية تفصيلات هذه المعركة المشهورة التى يعرفها شارون جيدا ‥

ولكننى أبدأ القصة من أولها ‥لاروى على لسان أبطالها ، قصة هذا الحصن الذى سجلوا بأصواتهم أحداث انهيـــاره ، وان زعموا فى نهاية المطاف أنهم جميعا (٣٣) تمكنوا من الهرب حتى وصلوا الى مقر القيادة فى الطاسة فجر الثلاثاء ٩ اكتوبر ٠

لقد قرأ العقيد المصرى قائد اللواء مشاة ، الذى كان على عاتقه مجهود ضخم فى الخطـة الموضوعة للهجوم على المحور الاوســـط فى سيناء أمام الاسماعيلية ‥ قرأ القصة كما نشرتها السنداى تايمز ٠ وابتسم بهدوء

وقال بصوت خفيض : الحمد لله أنهم يعترفون ، ولكن لعلهم حتى الان لا يعرفون ..

لقد استمالني هذا الرجل بوجهه الجاد .. وكلماته المحددة .. وعباراته المختصرة وبساطة تعبيره ، وهو يروى بكل ثقة ، حقائق ما جرى .. وبعضا مما سجله في يوميات المعركة .. ونحن نتجول معا .. يصاحبنا بعض الابطال ، على أرض المعركة .

ـ هذا هو الحصن الذى يتحدثون عنه .. لقد أصبح حطاما . ونتوغل فى الصحراء .. هذا موقع القيادة . لقد رأينا ألا ندمره للذكرى . بناء رهيب في بطن الجبل . ثلاثون حجرة .

ولكنني لا أريد أن أسبق الاحداث في الوصف ..

نعم الأحداث مثيرة .. مثيرة جدا . لا تحتاج من الصحفي الى جهد في التعبير لانها تتحدث عن نفسها ..

كان أمام هذا اللواء على الضفة الشرقية ٥ نقاط حصينة ..

٣ نقاط متقاربة ومتصلة (التى تحدث عنها تسجيل السنداى تايمز) ويسميها العسكريون المصريون (نمرة ٦) .. لانها تقع أمام المعبر السادس . ثم نقطتان عند كوبرى الفردان .

وأمام اللواء أيضا .. ومن مهامه الاستيلاء عليه ، مركز قيادة القطاع الاوسط ، فى (تبة الشجرة) على المحور الاوسط .. وعلى عمق ٨ كيلو مترات .

والخطة المصرية موضوعة على أساس التقديرات التالية :

العدو له احتياطي قريب خلف نقاط بارليف الحصينة عمقا فى الشرق وهو مكون من كتيبة دبابات ، وسرية مشاة ميكانيكية عند تبة الشجرة .

ثم له احتياطي قوى ، وهو اللواء ١٤ مدرع فى الطاسة (١١٠ دبابات) ويسمى احتياطى تعبوى . وهو يشكل جزءا من مجموعة عمليات شارون .

الهدف المصرى أولا ، هو تدمير هذه الاحتياطيات في الساعات الاولى للقتال ، وقبل أن تعبر الدبابات المصرية .. أى بالأسلحة الخفيفة وقوات المشاة الحاملة للاسلحة المضادة للدبابات .

هدف طموح ..

ولكى يتحقق ، لا داعى لتضييع أى جهد فى ضرب نقاط بارليف أولا . يكفى محاصرتها وشغلها بالمدفعية .. لاننا اذا منعنا الاحتياطي من أن يتقدم للدفاع عنها ، أصبحت مشلولة تماما .. وهى فى قبضة يدنا . وهذا يفسر دهشة الاسرائيليين في هذه الحصون (نمرة ٦) من أن القوات المصرية ، تحاصرهم ، ولا تتقدم للقضاء عليهم .. كما أن قوات أخرى تتركهم وتتقدم الى الشرق ، وتعطى (نمرة ٦) ظهرها !

وكان المقدر أن يتم تدمير الاحتياطيات في أربعة أيام ..

أما بالنسبة للنقطتين الحصينتين عند كوبري الفردان ، فقد كان من المقرر تصفيتهما منذ الساعات الاولى للقتال ، نظرا لخطورة سيطرة العدو على كوبرى الفردان .. واذا استطاعت امدادات من العدو أن تصل الى هاتين النقطتين .. فقد كان من الممكن المرور الى كوبرى الفردان .. ثم الى الاسماعيلية .

وكان المفروض أن تتم مرحلة التدمير الاولى بعد ساعتين من العبور . لتأكل الاحتياطى القريب من تبة الشجرة .. (٣٦ دبابة وسرية مشاة ميكانيكية) ثم تأتى المرحلة التالية ..

التقدم الى الشرق ، لتدمير اللواء ١٤٠ مدرع .. عند قيادة شارون في الطاسة وهو رابض على بعد ٣٠ كيلو مترا .. وبقوات المشاة ، دون استخدام الدبابات ..

ألم أقل انها خطة طموح ..

ولكنى اترك الشرح العسكرى للقائد العقيد المصرى .. وهو يمثل المقاتل المصرى فعلا :

ـ في الساعة الثانية . ساعة الصفر . وبعد طلعة الطيران . ثم جهنم المدفعية المصرية .. دفعت بقوات أمامية ، وهى سرايا مشاة ، متفادية النقاط القوية .. وقامت على الفور بالاستيلاء على خط القتال الثانى الذى كان يجهزه العدو وراء النقاط بحوالى كيلو متر ونصف متر ..

وفى نفس الوقت كانت سرايا برمائية تعبر بحيرة التمساح .. وتتقدم لحصار النقاط الثلاث (نمرة ٦) ..

وعند بدء الحصار ، وكنت لا أزال في مركز القيادة المتقدم (غرب القناة) فوق المصطبة الترابية .. رأيت قوات العدو في النقطة رقم ١ ، وفى النقطة رقم ٢ .. تنسحبان ، وتنضمان الى النقطة رقم ٣ .. تماما كما ذكرت تسجيلات الاسرائيليين .

ولكننا ضربناهم بقصف المدفعية . أصيب عدد منهم . بعضهم هرب شرقا . وانضم الباقون الى الحصن الثالث . كان هذا المشهد واضحا أمامى وأنا أرقبه بالتلسكوب . وخلال هذا .. كانت قوات اللواء الرئيسية ، تعبر باعداد هائلة وتقوم بالاستيلاء على مواقع مختلفة في الضفة الشرقية ومنها ما هو مكلف بحصار النقاط .. ومنها ما هو مكلف بالتقدم لتدمير احتياطيات العدو ..

وعند الساعة الرابعة .. وطبقا للخطة .. انتقل القائد وعبر الى الضفة الشرقية .. وأعاد بسرعة تجميع قواته .. وبدأت القوات تتقدم شرقا دفع العدو احتياطيه القريب ..

على الفور تم تدمير ١٣ دبابة وانسحبت ٢٠ دبابة الى الشرق فى العمق واستمرت القوة المصرية تتقدم شرقا ٠٠

واختار العقيد المصرى موقع قيادة شرق (مجموعة نقاط نمرة ٦) ٠٠ وأدار المعركة ٠٠

لقد جمع العدو احتياطيه مرة أخرى ٠٠ وقام بهجوم مضاد حوالى السادسة من المساء ٠٠ وفشل الهجوم ٠٠ وانسحب العدو للمرة الثانية شرقا ٠٠

فى هذا الوقت ٠٠ كان الحصار قد استكمل تماما حول نقاط (نمرة ٦) وتقدمت كتيبة لمهاجمة موقع الفردان ٠٠ النقطة الاولى تم حصارها ٠ والنقطة الثانية بدأ الهجوم عليها ٠

العقيد المصرى يتابع تقدم قوات المشاة الى الشرق ٠ تصل القوات الى عمق ٦ كيلو مترات ٠ يأمر بالتجهيز الهندسى ٠ حفر الخنادق ٠ تمهيد الخنادق بشكائر الرمال ٠ فتح الاسلحة الخفيفة (م٠د) المضادة للدبابات على الخطوط التى سيتم منها تدمير العدو ٠٠ تم التجهيز ٠ بلغت الساعة العاشرة من المساء ٠ كان المتوقع أن يبدأ هجوم العدو باحتياطيه قبل ذلك ٠

ولكن العدو لم يقم بالهجمة المضادة ! ٠

والسؤال : لماذا ؟ ٠٠

والجواب : عم الارتباك قوات العدو لم يستطع أن يقدر الموقف تقديرا سليما ٠ عملية العبور على نطاق واسع ، لم يتبين أهدافها تماما ٠ اسقاط قوات خاصة فى الاعماق أثارت بلبلة تقديراته ٠

ـ ومتى قام بالهجوم المضاد ؟ ٠٠

ـ فى الساعة الثانية من الصباح ٠ وهذا التأخير أعطى فرصة لمزيد من التجهيز والاستعداد عندنا ٠ كشفت لنا أجهزة الرؤية الليلية أن مدرع اللواء المدرع الاسرائيلى بدأت فى الوصول لكى تحدد أوضاع قواتنا انني أعرف هدف استطلاعهم دائما ، وهو اختيار النقطة الضعيفة لكى يركزوا عليها الضرب ٠

أجرينا عمليات خداعية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد أوضاع قواتنا بدقة ٠ دفعنا عددا من الكمائن أمام الخط الذى يحتله لواء العدو ٠ أفراد مشاة عاديين يحملون أسلحة مضادة للدبابات قصيرة وطويلة المدى ٠ هذه الكمائن مهمتها أن تترك العدو يتقدم ، ثم تهاجمه من كل اتجاه ٠٠ دمرت كل عناصر العدو المتقدمة وكانت ١٠ دبابات ٠

فى هذا الوقت كانت كبارى العبور قد احتلت مواقعها طبقا للخطة الموضوعة ٠

الساعة الرابعة صباحا ٠٠ كنت جاهزا تماما ٠٠

بدأ العدو في الخامسة والنصف هجوم عناصره الرئيسية التي كانت تقف على بعد ٥ كيلو مترات منا ·· أي خارج مرمى أسلحتنا (٣ كيلومترات)
واستطعنا أن ندمر حوالى ٣٠ دبابة للعدو ·· وانسحب باقي لواء العدو شرقا الى منطقة (الطاسة) ليعيد تجميع نفسه ··
استمرت هذه المعركة حتى العاشرة والنصف من صباح ٧ اكتوبر واستخدم فيها العدو كل حيله · الهجوم من الجنب · ثم الانتقال الى الجنب الاخر لشغلنا ، حتى يتيح لنفسه فرصة أن يضربنا فى الوسط · ولكن لعبته كانت مكشوفة ومعروفة مقدما ·
وتوقعت أن يعيد العدو الهجوم في نفس اليوم ··
لا وقت للضياع أو الراحة في هذه الساعات الفاصلة ··
أعدت تنظيم مواقعي مرة أخرى ، استعدادا للضربة المضادة القادمة ، التي بدأها العدو في الساعة الرابعة بعد الظهر (٧ أكتوبر) بالعناصر المتبقية من لوائه وكانت حوالى ٣٦ دبابة ··
استمرت المعركة حتى السابعة من المساء ·· واضطر العدو أن ينسحب بعد أن فقد جزءا كبيرا من عناصره ··
الى هنا ·· كنا قد انهينا الجزء الاكبر من مهمتنا الرئيسية ، وهى تدمير الاحتياطي القريب من العدو والاحتياطي التعبوى لمجموعة عمليات شارون · ولا أبالغ اذا سجلت أن هذا تم طبقا للتوقيت الذى وضعناه فى خطتنا تماما ·· وتدربنا عليه مئات المرات قبل ٦ أكتوبر ·
قواتنا لا تزال تحكم الحصار على نقاط (نمرة ٦) ·· ولا تزال تهاجم نقطة الفردان بهدف تدميرها ··
وكان علينا فى الصباح (٨ اكتوبر) أن نبدأ تنفيذ المهمة الثانية · تطوير الهجوم شرقا · للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى الطريق الاوسط انا الان على بعد ٦ كيلو مترات من شاطيء القناة (خلفنا) · علينا أن نتقدم ٩ كيلو مترات ·
ولكننى تلقيت أن العدو قام بوضع لواء اخر ، حركه من بير سبع ، هو اللواء ١٩٠ مدرع (الذى عرف بعد ذلك أن قائده هو عساف ياجورى) ·· فى اتجاه محور الفردان ·
نقطة الفردان الحصينة لم تقع بعد · كان يريد الوصول اليها · ومن ثم يسيطر على كوبرى الفردون ومنه يدخل الى الاسماعيلية ·
لقد أفشلنا هجومه المضاد بلوائه رقم ١٤ على المحور الاوسط ·· واكتشف نقطة ضعف عند الفردان ·· الذى يقع على جانبنا الايسر ·· فأسرعت بتأمين جانبى الايسر بعدد من الدبابات ·
وانتهت قصة اللواء ١٩٠ كما هو معروف · نقطة الضعف التى تصورها العدو خالية من المدرعات ·· كانت قد امتلأت ، بعد عبور الدبابات ··

وأبيد اللواء عن اخره بعد أن دخل في مصيدة الموت فعلا • ووقع قائده أسيرا ••

وكانت أخبارا سارة لنا ••

وقررت في المساء مع هيئة القيادة تنفيذ تطوير هجومنا الى الشرق للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى تبة الشجرة •• وفى الوقت نفسه أصدرت الامر بتصفية النقطة الحصينة (نمرة ٦) •• وهذا يفسر صيحات الاسرائيلى داخل هذا الحصن المسجلة باعترافهم (المصريون يستعدون للهجوم) ••

وفي هذه الليلة تمت فعلا تصفية هذا الحصن ، وتم الاستيلاء عليه تماما •• ولم تقابل الكتيبة المكلفة بهذه المهمة بقيادة العقيد شفيق أيه صعوبة تذكر • العدو كان مرهقا للغاية كما تدل على ذلك اعترافاتهم • بعضهم هرب خلال عملية الحصار • وكل من بقي فى الحصن قضى عليه ٢٣ قتلوا و٥ أسروا •• ومن قبل كنا دمرنا دبابة في اليوم الاول وأسرنا ٣ أفراد منها •

ويروى القائد قصة ، تفسر عجز الاسرائيليين فى هذا الحصن عن فهم ما كان يدور فى اللحظات السابقة للعبور •

عندما كان العقيد المصرى فى مقر قيادته في الغرب قبيل ساعة الصفر بحوالى عشر دقائق • ظهرت أمامه على الضفة الشرقية ، وعند التحصينات (نمرة ٦) مجنزرة اسرائيلية ، هى التى كانت تقوم بنقل الجنود الاسرائيليين من الموقعين الاول والثانى الى الموقع الثالث ••

لم يكن العبور قد بدأ •

وتلهف رجال المدفعية المصرية لتدمير هذه المجنزرة •• ولكن العقيد المصرى أصدر أمرا بعدم التعرض لها اطلاقا • ان ضربها كان يعنى تنبيه الاسرائيليين الى أن هناك حربا وشيكة • وكان هذا سيقتضى من الاسرائيليين أن يحركوا احتياطى الدبابات القريب خلف الحصون(حو ٨٠٠ متر) •• ليظهر على الشاطىء •• وكان من الممكن أن يضرب الجنود المصريين عند عبورهم •

وكان عدم ضرب هذه المجنزرة أو التعرض لها •• تأكيدا للتعمية ••

ان الاسرائيليين يشاهدون حركة غير عادية فى الضفة الغربية •• ولكنهم لا يعرفون لها تفسيرا • تلقوا الامر بالتجمع فى حصن واحد ، من باب الاحتياطى لمفاجأة يشكون فى فهم طبيعتها • لم يتعرض أحد لهم ، وهم يتجمعون ••

وفجأة انطلقت المدفعية المصرية لحماية العبور •• وهنا انهالت عليهم القذائف ••

ومن قبل المدفعية كانت طليعة الطيران .. التى مرت فوق الحصون ، ولم يفهم الاسرائيليون شيئا ..

وخلاف ضربات المدفعية كانت هذه المجنزرة .. قد دمرت تماما .. ولكن قوات المشاة المصرية كانت قد عبرت .. وكانت قد دمرت الاحتياطى القريب من دبابات العدو .. وكانت قد بدأت أحكام حصارها حول حصن (نمرة ٦) .. وبدأت تدميره .. وقوات العقيـــد المصرى تتقدم شرقا للاستيلاء على مقر قيادة العدو !

بدأ تقدمنا للاستيلاء على مركز القيادة فى العاشرة من مساء ٨ أكتوبر . وتم تنفيذ المهمة .

كان هجوما واثقا وعنيفا . وكان العدو لا يزال فى مراحل فزعه .. كل هجماته المضادة ضدنا فشلت . لواء ال ١٩٠ تدمر وأسر قائده . ومع ذلك فقد دهشنا لان كل هيئة القيادة الاسرائيلية قد هربت وتركت الموقع ، ولم تدافع عنه !

لقد رأيناهم يركبون دبابتين فوق الاسطح مثل قطارات الصعيد .. وتجرى الدبابتان بأقصى سرعة .. وبكل أسف لم نتمكن من اللحاق بهما .. فقد كان موقع القيادة كله بين يدينا .

هذا الموقع منحوت فى قلب التبة على ارتفاع ٧٤ مترا .. وهو ضخم ، مبنى بالخرسانة والحديد . دوران بهما ثلاثون غرفة !. والارتفاع يعطيـه السيطرة ، ولكن أعصابهم فقدت كل سيطرة ! .. وله طريقان مسفلتان يصعدان اليه .

كانت الغنيمة دسمة فعلا ..

أكلة شهية جدا ..

قبل أن ندخل الى الموقع .. أمامنا ٤ دبابات سليمة لا تزال دائرة ! .. ثم سيارة جيب أمريكية رشيقة سليمة ، ودائرة أيضا .. انها تخص القائد .. وقد انتقلت ملكيتها الى القائد المصرى العقيد المصرى ولا يزال يستخدمها حتى الآن !

ثم ندخل الى المواقع ..

ــ جميع تجهيزات ومعدات مركز القيادة موجودة فى أماكنها . وكان من الممكن أن ينسفوها قبل الهرب .. ولكن الذعر تملكهم فتركوا كل شىء

ــ حتى الصناديق الملأى بالخرائط والوثائق التى تبين جميع مواقع العدو فى سيناء .. تركوها دون أن يحرقوا خريطة واحدة ! (نقلت على الفور الى المخابرات الحربية المصرية) ..

ــ أجهزة المراقبة البصرية .. ومنها تلسكوبات تستكشف حتى بعد ٣٠ كيلومترا .

ـ مقطورة كبيرة ملأى بقطع غيار الدبابات والمجنزرات .
ـ مقطورة كبيرة بها كل معدات اللحام .
ـ جميع مهماتهم الشخصية .. محافظ .. نظارات .. ساعات .. أجهزة تسجيل . ملابس ..
التليفونات (١٠ خطوط) ، والاجهزة اللاسلكية (٥) .
ـ الغرف الثلاثون التي يتكون منها المبنى .. كاملة بالاسرة والدواليب والملابس على الشماعات !
ـ المطبخ الحديث بكل معداته . أجهزة التكييف . مكتب القائد . ومكاتب معاونية .
ألم أقل انها غنيمة دسمة وأكلة شهية ؟ ..
ولذلك لم ندمرها ..
تركناها للذكرى . وزارها الرئيس أنور السادات يوم ٥ يونيو .. سنة ١٩٧٤
ولم يكن لدى العقيد المصرى وقت للفرحة .. وان كان المشهد مفرحا ، وخاصة أن زينات الاحتفال بعيد الغفران كانت لا تزال فى موضعها .. وأطباق الفاكهة وزجاجات الويسكى التى لم يهنأوا بها .. منذ يومين !
كان عليه أن يستعد لمحاولة مؤكدة من العدو أن يسترد هذا الكنز الثمين .
غارات طيران العدو لم تتوقف ..
الضرب بالمدفعية كان مركزا بشدة ..
وبدأ الهجوم المضاد بالمدرعات فى الساعة الخامسة والنصف من فجر ٩ أكتوبر .
وكان الهجوم بكتيبة دبابات (٣٦) من اتجاه المحور الاوسط ، تدمر منها ١٠ دبابات وانسحب العدو شرقا !
أصبح الانسحاب عادة يومية !

⊙❖⊙

وبدأنا نستعد للمهمة الاخيرة للواء .
التقدم شرقا لتدمير باقى عناصر العدو . التمركز فى خط المهمة النهائى، وفقا للخطة ، وهو على مسافة ١٦ كيلومترا .
هناك نقطة التقاطع رقم ٢ ـ وكتيب أبو كثيرة ـ ونقطة المثلثات ١٠٠ ، هذه النقاط التى تحكم خط المهمة الاخيرة .
وبدأنا نتقدم فى الساعة التاسعة من مساء ٩ أكتوبر .
لم نصادف مقاومة تذكر .
وصلت القوات فى الساعة الثالثة من صباح ١٠ أكتوبر .

كانت مفاجأة للعدو ٠
كان يتصور أننا سنتمركز فى مركز القيادة الحصين الذى استولينا عليه ، ولم تتوقف غاراته الجوية لضربنا فيه ٠
وبدأ العدو يستكشف مواقعنا الجديدة ٠ بنفس الاسلوب ٠٠ محاولة العثور على نقطة الضعف ، ليقتحم منها ٠٠
ولكن وضح أن من كانوا يقومون بالاستكشاف ٠ كانوا يعانون من الارتباك ٠ ولذلك تجنبوا الاشــتباك الفعلى ٠ ودمرنا عددا من دباباتهم ومجنزراتهم قبل أن تهرب !
ولعلهم عادوا من الاستكشاف بفكرة أن الضعف فى جانبنا الايسر ٠٠
فعند الظهر (١٠ أكتوبر) ٠٠ هاجم العدو من اليسار حوالى ٣٦ دبابة ٠٠ ٠٠ وفشل الهجوم ٠٠

ان نقطة المثلثات ١٠٠ (وارتفاعها ١٠٠ متر) تسيطر على المنطقة الجديدة التى وصلنا اليها ٠٠ كما أن هذا الجنب يطل على محور الفـردان الذى تم تدمير اللواء ١٩٠ فيه ٠٠ واحتلال العدو له واجــلاؤنا عنه ٠ كان يعتبر بالنسبة له كسبا كبيرا من ناحيتين :
الوصول الى موقع مسيطر يستطيع أن يوجه منه هجمات مضادة ناجحة ٠
محاولة الوصول مرة أخرى الى محور الفردان ٠

١١ أكتوبر :

كرر العدو هجماته طول النهار ٠٠ على نفس المكان ٠٠ وفشل ٠٠ فى الساعة ١١ مســاء ٠ اجتمعت هيئة القيادة ٠ العقيــد المصرى ٠ رئيس العمليات ٠ قادة الوحدات المشاة وقائد كتائب الدبابات ٠٠ تمت دراسة الموقف ٠ قدروا أن العدو سيهاجم عند أول ضوء ٠ وسيكون الهجوم انتقاميا كبيرا ٠ تم توزيع القوات طوال الليل ، فى مواقع مستعدة لمواجهة الهجوم ٠

١٢ أكتوبر :

ـ المقاتل محرم فى الخـط الامامى يبلغ العقيـد المصرى فى السـاعـة ٥ صباحا ، أن العدو بدأ ينقل وحدات كوماندوز بالهليوكبتر ، ويقوم بانزالها أمام الموقع المصرى بمسافة ٣ كيلو مترات ٠ وفى الوقت نفسه قام بتجميع ٥٥ دبابة على مسافة ٥ كيلو مترات ٠ الهليوكبتر أنزل ١٩ عربة مجنزرة ، على كل عربة ٢٠ مقاتلا ٠

ـ العقيد المصرى يطلب من القيــادة المعاونة بمجهود جوى لتدمير هــذه الدبابات ٠

ـ سرب من طــائرات الميج ١٧ والسـوخوى ، يظهر ٠ يقصف تجمـع الدبابات بشراسة ٠ الغارة تستمر ١٥ دقيقة ٠ خسائر العدو جسيمة ٠٠ تم تدمير حوالى ٢٥ دبابة ٠٠

ـ العدو يقرر ضربة يائسة • هاجم الموقع المصرى بـ ١٩ عربة مجنزرة ، ووحدة كوماندوز ومعها ١٠ دبابات فقط •

الملاحظ أن هذه وحدات جديدة ، استدعيت ولا تعرف تماما ، ماذا ألم بوحدات العدو السابقة • ولذلك فهى أكثر ثباتا •

ـ كانت معركة فاصلة • الكتيبة المشاة بقيادة المقاتل محرم • كتيبة الدبابات بقيادة المقاتل عادل • مدفعية اللواء بقيادة المقاتل الحماحمى • التصدى • تم تنسيق رائع • تدمرت قوات العدو عن آخرها • القتلى ٢٥٠ •• غير الجرحى ! •• قتل قائد الكوماندوز وضابط ملازم •

ـ جاءت طائرة هليوكبتر لنقل القتلى ••

ـ قائد الطائرة تحدث باكيا فى التليفون الى شارون • التقطنا الحديث بصوته الباكى (الموقف خطير يا شارون • أمامى ٢٥٠ قتيلا غير الجرحى • ارسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا) •• وأقفل التليفون !

⊙❖⊙

ومنذ تلك الليلة •• لم يهاجم العدو هذا الموقع ، حتى تم وقف النار • وبقى جنودنا يروون الذكريات •

لا أحد ينسى هجوم العدو المضاد عند الفجر فى التاسع من أكتوبر • كان أحد جنود اقتناص الدبابات نائما بجوار زميله فى الخندق ، بعد جهد شاق • أيقظه زميله ـ اصحى يا واد •• اصحى •• فيه ٥ دبابات للعدو جايين ••

واستيقظ الجندى •• وتقدم الى الدبابات الخمس ، ودمرها بخمسة صواريخ •• صاروخا •• وراء صاروخ •

⊙❖⊙

وبعد •• هكذا يبدو أن معركة سقوط حصن (نمرة ٦) •• كانت أصغر المعارك ، اذا قورنت بكل ما جرى فى هذا القطاع ••

ومع ذلك •• فان الذعر الذى أثبته الاسرائيليون على أنفسهم فى شريط مسجل ، يصورها وكأنها أخطر المعارك •

ترى •• ماذا كانت ستقول آلات تسجيلهم • لو كانت دائرة طوال هذه الايام ؟

ومع ذلك •• فتكفى مكالمة قائد الهليوكبتر التليفونية •• مع شارون • اننا نحتفظ بتسجيلها •



موكب آخر من الاسرى .. والالم والمرارة وخنوع الانكسار

قائد اللواء الاسرائيلي دمرته القوات المصرية عن آخره فى دقائق ..

قائــد .. لا ينــام !

● ● ● « كيف جرت المعركة الجبارة على طول قطاع الجيش الثانى فى مواجهة تمتد الى ١٠٠ كيلو متر ؟ .. كيف أدار اللواء سعد مأمون قائد هذا الجيش حينئذ ، هذه المعركة الضخمة ؟ .. كيف تلقى الاخبار السيئة .. وكيف تلقى الاخبار السارة ؟ .. لماذا استمر بلا نوم .. حتى وقع فى مقر قيادته يوم ١٤ أكتوبر ولم يشعر بنفسه الا وهو على سرير مستشفى وحوله الأطباء » ● ● ●

● **الوقت الساعة ١١ من مساء ٦ أكتوبر :**

اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى موقع قيادته على جبهة القتال ..

اللواء سعد مأمون يتصل بالعميد فؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ١٨ المكلفة بتطهير مدينة القنطرة شرق . الرد ان قائد الفرقة غير موجود . قائد الجيش الثانى يتابع الاتصال مرة أخرى .. ثم مرات . الرد أيضا غير موجود ! .. عاود سعد مأمون الاتصال برئيس أركان الفرقة وقادة اللواءات .. اطمأن على الموقف بشكل عام . ولكنه شعر بقلق كبير .. ان تغيب فؤاد عزيز غالى عن قيادته يعنى أن هناك مشكلة ما . لابد من أن تكون مشكلة كبيرة . دار فى مخيلته ما دار .

عند منتصف الليل تماما ، اتصل العميد فؤاد غالى بقائد الجيش .

سعد مأمون : يا فؤاد قطعا عندك موقف عسير .

فؤاد غالى : فعلا يا أفندم .. ولكننا تغلبنا عليه .

سعد مأمون : لماذا لم تتصل بى على الفور ..

فؤاد غالى : ان من عادتى عندما أواجه موقفا مفاجئا ، الا أثقل على قائدى .. ولذلك لم أرد يا أفندم حتى أنتهى من مواجهة الموقف على أحسن وجه .

سعد مأمون : هذاخطأ .

فؤاد غالى : ولكننى كنت متابعا لكل اتصالاتك يا أفندم ، وسامع قراراتك ومشورتك .. وكنت أعمل بها .. وبغيرها من واقع ما أراه على الطبيعة .. وكل هدفى ألا أزعجك .. فأنا أعرف مسئولياتك مع مواجهة ممتدة ١٠٠ كيلو متر .

سعد مأمون : أكرر ان هذا خطأ . لاننى عندما لا أسمع صوت أحد قادتى لمدة ساعة وهو موقف حرج لابد أن أقلق . لو ضـــاع منك نصف رأس الشاطىء لا أقلق ، لاننا نتصدى معا لاى موقف . ولكن عـدم ردك أقلقنى جدا . لا تفعل هذا مرة أخرى . هذه آخر مرة .

فؤاد غالى : حاضر يا أفندم .

. . . .

● **الوقت الساعة ١٠ من صباح ٨ أكتوبر :**

العميد فؤاد غالى يتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ..

ــ اننى فى مأزق . لواء مدرع للعدو فى طريقه الى مهـاجمتى من الجنب الايسر . أرجو حمايتى بالطيران والمدفعية ..

سعد مأمون : سأفترض أننى لم أسمع • سأقفل الخط ، وأرد عليك بعد ساعة !

فؤاد غالى (ضاحكا) : لا •• فى عرضك ! ••

سعد مأمون : هل عرفت الآن معني عدم ردك على لمدة ساعة •

فؤاد غالى : عرفت • ولن تحدث مرة أخرى • أرجوك • اطلب الحماية السريعة ••

سعد مأمون : حرمت ! ••

فؤاد غالى : تبت !

وضحك قائد الجيش وقائد الفرقة •• وتم على الفور اتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف تقدم اللواء المدرع الاسرائيلى ••

• • • • • • • •

ان التكوين العسكرى للقواد ، شيء مذهل حقا !

وسط الدماء والقصف والنيران ، والمواقف الحرجة •• هناك أيضا (الهزار) •• وتبادل النكت !

وسط الاخبار المزعجة التى تعنى الحياة أو الموت •• هناك دائما الابتسامة !

ولكن قائد الجيش الثانى يتلقى أخبارا سعيدة كثيرة •• رغم أن العدو قام بـ ٣٦ هجمة مضادة ضد فرق الجيش الثانى حتى مساء ١٣ أكتوبر • ومنها ٧ هجمات بقوات للعدو من ١٠٠ الى ١٥٠ مدرعة باعتراف اسرائيل بعد ذلك •

• • • • • • • •

أول خبر مفرح تلقاه كان من العميد عبد رب النبى حافظ قائد الفرقة ١٦ كان ذلك بعد حوالى نصف ساعة من بدء الهجوم •

ــ أفندم • عبرنا بالبرمائيات من بحيرة التمساح ، فى المكان المحدد ، طبقا للخطة الجديدة المصدق عليها فى أول أكتوبر • عبرت جميع البرمائيات ما عدا ٢ فقط غرقتا فى المـاء • عبرت بكل القوات مع سيطرة كاملة على القوات طبقا للمخطط •

★ ثم توالت بلاغات قواد الفرق فى اليوم الاول بنفس المعنى • ولكنها لم تكن نزهة •

قال لى اللواء سعد مأمون :

● أول خبر مقلق تلقيته كان عن نجاح العدو فى شمال جزيرة البلاح • فى الوصول من الخلف الى الساتر الترابى الذى نفذنا منه • تقدم العدو بـ ١٠ دبابات رغم الخسائر الفادحة التى تكبدها •• استطاع أن يطلق النار على معدات العبور المحدودة التى لدينا ــ دمر نصف كوبرى • دمر حوالى ٤٥ ٪ من المعديات • كان ذلك بعد الغروب مباشرة يوم ٦ أكتوبر •

واجهنا الموقف الخطير ، بتعاون كامل بين كافة الاسلحة ، وأمكننا تدمير قوات العدو وتراجع • ولو أن ذلك عطل عملية العبور فى توقيتها المحدد فى هذا القطاع بالنسبة للدبابات •

★ وفى الساعة السابعة والنصف من مساء ٦ أكتوبر ، أى بعد ٥ ساعات و ٣٠ دقيقة من بدء المعركة كان المتحدث الى قائد الجيش الثانى ، هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

ـ استطلاعى يقول ان هناك حوالى من ٣٠ الى ٤٠ دبابة للعدو تتقدم فى اتجاه لواء العقيد المصرى • المتوقع أن يصطدموا بالمصرى بعد حوالى ١٥ دقيقة ••

سعد مأمون : كنت أتصل الآن منذ دقيقة واحدة فقط برئيس أركان الفرقة • أول دبابة فى القوات المسلحة المصرية تعبر الآن على الكوبرى ، فى قطاع العقيد المصرى ، ووراءها كل كتيبة الدبابات • أدخلها فورا فى قطاع العقيد المصرى بصرف النظر عن عدم تبعية هذه الكتيبة له ••

••• كان الخبر مذهلا •

••• حسن أبو سعده لم يكن يتوقع أن الدبابات ستعبر فى هذا التوقيت •

••• كان قلقا من استمرار مواجهة دبابات العدو بالمشاة فقط ••

••• ولذلك علا صوته مجلجلا وهو يقول للواء سعد مأمون :

ـ مش معقول يا أفندم •• هذا الكوبرى بالذات أمامه أكبر ساتر ترابى للعدو ارتفاعه ٣٢ مترا • دى أعلى حتة •

سعد مأمون : حظك كده يا أبو على •• يا دناصور (هكذا كان يلقبه) • أعلى حتة فتحت فى أسرع وقت • الدبابات الآن تعبر • مبروك •

ـ أنا مش مصدق نفسى !

ـ وفقك الله • اطمئن • كل شىء يسير فى طريقه المرسوم •

وتقدمت كتيبة الدبابات المصرية الى اتجاه العقيد المصرى •• وفوجىء العدو الذى كان يتصور أنه لا يمكن لدبابة مصرية أن تعبر القناة فى أقل من ٢٤ ساعة • فوجىء العدو بحوالى ٣٠ دبابة تدخل المعركة معه مدعمة لاعمال المشاة • وتدمر هجمات العدو ، وارتفعت الثقة بين القوات المصرية الى قمتها ••

• • • • • • • •

ان اللواء سعد مأمون الذى يشغل منصب مساعد وزير الحربية ، قائد من نوع فريد يبدو لك أنه قصير القامة ، ولكنه اذا تكلم ارتفعت قامته عنك •• لو خلع رداءه العسكرى وارتدى حلة مدنية كنت تقسم أنه محام يترافع ، أو أديب يروى لك قصة • شىء واحد يربط كلماته بالروح العسكرية أنها

متدفقة سريعة مثل طلقات الرصاص دهاؤه يسبق ذكاءه • صريح عندما يريد ، وحذر عندما يريد • يعرف كيف يتحدث الى العسكرى والسياسى والوزير والصحفى ، كل بلقبه • يخفي كل الاسرار ويهيأ لك أنه يعطيك كل الاسرار !

خلال عام ١٩٦٧ ، كان مديرا للعمليات الحربية فى اليمن •

ثم استدعي بعد الهزيمة ، وكلف في يوليو ١٩٦٧ باعادة انشاء القوات المدرعة المصرية ، فأشرف على تدريب أطقم المستجدين ، وأرسلهم الى الجبهة في سرعة لافتة للنظر • نفذ المهمة فى ثلاثة أشهر فقط !

ثم تولى قيادة الفرقة ٢١ مدرعة فى نوفمبر ١٩٦٧ •

ثم أصبح رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة من سبتمبر ١٩٦٩ واستمر حتى مايو ١٩٧١ • وكان ذلك خلال مرحلة الاستنزاف التى اشترك فيها بكل عملياتها •

ثم تولى منصب مساعد رئيس أركان حرب القوات المسلحة من مايو ١٩٧١ حتى ديسمبر من نفس العام •

وابتداء من أول يناير ١٩٧٢ عين قائدا للجيش الثانى الميدانى •

• • • • • • • •

سألته : هل كانت حرب الاستنزاف مفيدة ؟ •• هل كانت توازى الخسائر التى تكبدناها ؟ •• وماذا أثمرت ؟ •• العدو لم ينسحب • ثم جدد قواه • فماذا استفدنا ؟ •

قال : لا شك أن الاستنزاف كان مرحلة ناجحة للغاية ، فى تكبيد العدو أكبر الخسائر ، واقناعه أن الحرب لم تنته ، وانه لا سلام الا اذا أقدم العدو على الانسحاب • ودليل ذلك أن أمريكا واسرائيل كانتا متلهفتين على وقف النار ، وأنتج ذلك مبادرة روجرز •

قلت : ولكننا تكبدنا خسائر ••

قال : هذا صحيح • ولكن خسائرهم فى الاستنزاف أزعجتهم تماما ، بعد أن كانوا مطمئنين الى أننا لن نرفع رأسنا بعد الهزيمة •• وقد حطمنا المشروع الاول لخط بارليف •

قلت : كان جمال عبد الناصر متحفظا فى اعلان ذلك •• وأذكر أنه أعلن أنه أبلغ بذلك الى الفريق محمد فوزى •

قال : لقد حطمناه فعلا •• ولكنه لم يكن بالقوة والتحصين ، كما أعيد بعد وقف الاستنزاف وحتى ٦ أكتوبر ، وصرفوا عليه مئات الملايين •• لقد تمكن العدو من بناء خط بارليف بكل حصونه التى عرفناها ، فى فترة وقف النار •

وهو يقول ان حرب الاستنزاف بدأت بقناصة يعبرون من الضفة الغربية •• وضرب بنيران المدفعية •• ثم تطورت الى عبور كتائب كاملة تهاجم النقطة الحصينة • والهجوم على لسان بورتوفيق وقتل كل من فيه وهذا معروف •

كان السؤال دائما : هل من الافضل أن أدمر كل شيء يقيمه العدو ؟ •• أو أن أتركه يكمل ما يريد اقامته •• حتى أدمره فى الهجوم الشامل ؟ ••

وكان الاستنزاف هو الحل • فلم تكن قواتنا قادرة على هجوم شامل فى ذلك الوقت •• كما كنا نؤكد للعدو كل يوم أننا لن نقبل الاستسلام •• ولا شك أن عمليات العبور أثناء الاستنزاف أعطتنا خبرة •• وثقة بالنفس • لاول مرة كان جنودنا يعبرون ويقتلون أفرادا للعدو ويعودون بأسرى ••

لقد كانت فرحتنا لا تقدر بأول جندى مصرى عبر فى حرب الاستنزاف • لقد كوفىء بوسام عسكرى •

• • • • • • • •

وبدأت المهمة الكبرى لقائد الجيش الثانى فى أول يناير ١٩٧٢ •

مهمة الاعداد للقتـــال ، على الرغم من أن الاجواء العامة فى ذلك الوقت كانت توحى بأن أقدامنا على المعركة يحتمل الشكوك فيه •• وعلى الرغم من أن وزير الحربية والقائد العام فى ذلك الوقت (الفريق صادق) كان يصارح القادة وفى اجتماعات عامة بأنه لا يمكن أن يدخل المعركة ، اذا لم يستكمل التسليح الحديث القادر على المعركة •

ولكن اللواء سعد مأمون لم يتأثر بهذا المنطق •• وكان له منطق آخر •

منطق يقول : لا شيء مؤكد مائة فى المائة • ولكننى سأفترض بنسبة ١ ٪ فقط احتمال دخول المعركة • اذن يجب أن أستعد بكل ما أملك • ليست السياسة عملى • اننى قائد عسكرى وأمامي مهمة • حتى لو كان احتمـال القتال ١ ٪ •• يجب أن أستعد ، ولا أنتظر المفاجأة وأنا غير مسـتعد لأن أشتغل بالفلسفة السياسية •• وهذه ليست عملى •

وبدأ قائد الجيش الثانى مهمته منذ اللحظة الاولى فى أول يناير ١٩٧٢ • الاعداد • والتدريب •

يقول : أعددنا خطة • بدأنا اعداد مسرح العمليات • لكن كل شيء كان يتعثر • كان ينقصنى الشيء الكثير • تحسين منطقة الهجوم هندسيا اعداد طرق • اعداد منازل كثيرة للكبارى والمعديات والدبابات • ثم كانت فكرة انشاء المصاطب الترابية على طول امتداد الجبهة • وكل هذا يحتاج الى ملايين الجنيهات •• ولكن الاهم هو اقتناع قيادتى •• واعطاء دفعة قوية الى العمل •

وهنا يسجل اللواء سعد مأمون ، ان صاحب فكرة المصاطب الترابية التى كان لها فضل فى نجاح ستر خطتنا العسكرية ، ثم نجاح العبور هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

لم يجد حسن أبو سعده أحدا يقتنع بفكرته • ثم أقام هو بنفسه وعلى مسئوليته ساترا ترابيا ولكن بأسلوب بدائي •• وكان يصرخ : يا ناس •• لازم أشوف العدو •• أنا مكشوف أمامه • أنا في الخندق ، وهو يرى كل شيء • ولكن قائد الجيش الثاني ـ قبل سعد مأمون ـ لم يقتنع بالفكرة أبدا ! •• وقال لحسن أبو سعده : انت رجل خيالى •• يعنى عاوزنا نعمل أهرامات على طول الجبهة •

أبو سعده : وماله ••

القائد : لا داعى لهذا الخيال ••

وعندما تولى سعد مأمون قيادة الجيش الثانى اقتنع بالفكرة تماما •• ودعا الى اجتماعات فنية حضرها مهندسون متخصصون لتطويرها ، واستخدامها فى أغراض عسكرية عديدة لم يفطن اليها العدو ••

وتولى الفريق أحمد اسماعيل وزارة الحربية والقيادة العامة •• وزار وحدات الجبهة •

ووافق على الفكرة المجنونة •• وعممت فى الجيشين الثانى والثالث !! •

وبدأ العمل •• وتكلف ملايين الجنيهات •• ولكنها كانت فى موضعها ، وأقيمت فى نطاق جبهة الجيش الثانى ٥٦ مصطبة ترابية ••

• • • • • • • • •

أعطى الفريق أحمد اسماعيل دفعة قوية للاستعداد العسكرى •

تعددت الاجتماعات لدراسة كل احتمال •

كان الاحتمال البالغ الاهمية الذى استغرق دراسة مستفيضة متصلة • ما هو العمل لو ضربت اسرائيل فى العمق ؟ •• لو اختارت أن تدمر القاهرة مثلا أو الاسكندرية أو أى مدينة كبيرة ؟ ••

المعروف لدينا أن اسرائيل تملك هذه اليد الطويلة •

والواقع يقول ان القوات المسلحة المصرية لم تحصل على هذه اليد الطويلة ••

ولذلك كان تقدير اسرائيل أن مصر لن تجازف بدخول الحرب •• ولعل هذا هو السبب فى أنهم تجاهلوا كل التقارير التى تلقوها عن الاستعداد العسكرى المصرى للحرب •• درست القيادات المصرية الجديدة هذا الوضع • ووضع فى التخطيط احتمال قيام العدو بضرب العمق • دخل ذلك فى الحسابات والتقديرات العسكرية • وكانت هناك مخاطر ومحاذير أخرى أدخلت فى الدراسة أيضا • ولكن موازنة القرار المصرى كله •• وموازنة الخطة كلها •• انتهت بأن مثل هذا الخطر لا يمنع الحرب •

• • • • • • • •

والسؤال : هل حصلنا على طائرات حديثة تصل الى عمق اسرائيل ؟

الجواب : لا ٠٠

السؤال : كيف اذن جازفنا ٠٠

الجواب : لقد درسنا كل شيء ٠ والدليل أن اسرائيل لم تجازف بالضرب في العمق ٠

السؤال : هل كان هناك ضمان سياسي بأن اسرائيل لن تضرب في العمق ؟ ٠

الجواب : بالقطع لا ٠٠

السؤال : اذن ماذا كان الضمان ٠٠

الجواب : هذا سر عسكري على الاقل حتى الآن ٠٠

السؤال : اسرائيل تقول ان لدينا صواريخ عابرة ٠

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه ٠٠

السؤال : الرئيس أعلن عن الصاروخ الظافر ٠

الجواب : هذا صحيح ٠٠

السؤال : اذن هذا شيء آخر غير الذى تحدثت عنه اسرائيل ٠

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه ٠٠ وأرجو الرجوع الى تصريحات السيد الرئيس السادات ٠٠ العمق بالعمق ٠٠

السؤال : اذن لماذا بنى الفريق صادق رأيه فى تعذر الحرب ، على أن اسرائيل سوف تضرب فى العمق ٠٠

الجواب : لقد وضع هذا طبعا فى الحسابات ٠٠ وانتهينا الى أنه لا يمنع الحرب ٠ والدليل مرة أخرى أن اسرائيل لم تجازف بالضرب فى العمق ٠٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

واعتمدت خطتنا العسكرية أيضا ، على معرفتنا الكاملة بكل الاسلحة التى فى حوذة العدو ٠ وأسلوب استخدامه لها ٠٠ واستفدنا فى ذلك من طلعات الاستطلاع خلال حرب الاستنزاف ٠٠ ومن مراقبة العدو من الشاطىء الآخر ٠٠ ومن الاشتباك خلال الاستنزاف ٠ ومن مناورات العدو بالطيران وتجاربه معنا فى الكمائن ، فان الاصطدام الجوى لم يتوقف أبدا حتى بعد وقف النار ٠ كنا ندخل فى كمائن العدو ، لكى نعرف أسرارها ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

● ومن معلوماتى الصحفية ٠٠

●● أننا كنا نعرف الكثير عن خصائص تسليح العدو ٠٠ ولكن العدو هو الذى فوجىء ببعض أسلحتنا ٠ لقد فوجىء العدو بكفاءة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات ٠ كما فوجىء بكفاءة استخدامنا للصواريخ المضادة للدبابات ٠ وهذه فقرة من مؤلفهم العسكرى عن حرب الغفران ٠٠

الذى كتبه مقاتلون اسرائيليون ومراسلون عسكريون .. تقول على لسان أحد المقاتلين الاسرائيليين فى سيناء واسمه باروخ :

ـ بالقرب من البحيرة المرة الصغرى ، وغير بعيد عن المكان الذى تتصل منه البحيرة بالقناة ، توقفت دبابة باروخ ، وبدأت فى فتح نيرانها . كان الهدف على الارض المواجهة لها ، هو المشاة المصريين ، وليس الدبابات .. وأحس باروخ بالدهشة أكثر مما أحس بالارتياح .

وسأل قائده : (هل يحاولون القيام بعملية انتحارية أم ماذا ؟ .. لقد علمونا فى مدرسة المدرعات أن مشكلتنا الاولى هى دبابة العدو ..

وان مشكلتنا الثانية هى المدافع المضادة للدبابات وبعد ذلك فقط ، يمكن أن نلتفت الى المشاة) .

ويمضى الكتاب الاسرائيلى واصفا :

●● وكلما فرغت أشرطة الرصاص فى المدافع الرشاشة ، انطرح الجنود المصريون خلف كثبان الرمال . وقد عجزت الكتيبة الاسرائيلية عن احتواء الهجوم ، فقد كان العدو يجىء بأعداد كبيرة . وألقى باروخ أغلفة القذائف الفارغة خارج الدبابات ، وعند ذلك رأى النار تخرج من مدفعه . وفى نفس اللحظة . شعر بحروق رهيبة فى ذراعيه . واستطاع أن يقفز على الارض .

ويقول باروخ :

ـ كانت دبابتى تشتعل وقد تفحم ما فيها . وقد ألقيت نظرة حولى فرأيت كرات من النار تتراقص فى الهواء وتندفع نحو المدرعات . ولقد أدركت فيما بعد أن هذه هى الصواريخ . لقد سمعت الحديث عنها ، ولكنها بكل تأكيد لم تكن واردة فى قائمة الاشياء التى نوليها الاولوية فى اهتمامنا .. وقضينا طوال النهار نختبىء من كرات النار التى كانت تنطلق فى الصحراء .

وأضاف باروخ :

« لقد كنا فى غاية الارهاق ، فاختبأنا خلف أحد كثبان الرمال ، ورحت طوال الوقت أفكر فى هذه الصواريخ . كنت أجهل اسمها ، ولكنى كنت أعرف أنها عندما تدخل المدرعة فانها ترفع درجة الحرارة الى ألف درجة مئوية . وهذه هى فعالية هذه الصواريخ . ان بقية الدبابات لم يكن لديها الوقت ولا الحظ الذى أتيح لنا ، والى ما وراء الكثبان رأينا النار مشتعلة فيها كان الذين بداخلها هم زملاءنا » .

ولكن هذه الاسلحة لم تكن لتصل بسهولة .

ويمكن الآن أن نذيع سرا كبيرا . ان الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات التى كان لها فضل التصدى لمدرعات العدو مع باقى الاسلحة المضادة للدبابات

قبل أن تعبر الدبابة المصرية الى الشرق ٠٠ لم تكن لدينا بالاعداد الكافية كما تصور العدو بعد المعركة ٠ بل لعلها كانت بأعداد محدودة ٠٠ وجزء منها وصل في الايام الاخيرة ٠

⊙❖⊙

ولكن وجود أطقم مدربة عليها ٠ ومستعدة لاستعمالها بمجرد وصولها ٠٠ خفف العبء كثيرا ٠٠ ولو كانت لدينا الاعداد التى كنا نريدها فعلا من هذه الصواريخ ، لكنا حققنا نتائج ايجابية أكثر فى معارك المدرعات الرهيبة التى وقعت في الايام الاخيرة قبل وقف النار ٠٠

ولم يكن السوفيت على ثقة أبدا ، من أننا سنستطيع العبور ٠٠

والخطط التى شاركونا في وضعها قبل الحرب ، كانت تدريبية أكثر منها خططا كاملة لعبور أو لمعركة شاملة ٠

والخطة المصرية الشاملة التي وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت ، وعدلت عشرات المرات طبقا لآراء القادة المحليين فى مواقعهم ٠ وطبقا لتقديرهم الشخصى ٠٠ لا يعرف عنها السوفيت شيئا ٠ بل كان لا يمكن أن يتخيلوها بعد خروجهم ، طبقا لخبراتهم السابقة معنا خلال وجودهم ، وأثناء التدريبات المحددة التى حضروها ٠٠ فانهم ــ أي ــ الخبراء السوفيت ، كانوا يلاحظون عدم ثقة المقاتل المصرى ببعض السلاح السوفيتى ، واقتناعه بأن الاسرائيليين يملكون أسلحة أحدث وأكثر فاعلية ٠

وقد حدث أن حضر كبير الخبراء السوفيت الجنرال لاشنكوف الى مصر ، لدراسة مطلبنا من بعض الاسلحة فى أبريل ١٩٧٣ ٠٠ وزار بعض مواقع الجيش الثاني فى الجبهة ٠ ولعله كان مثل كل السوفيت مقتنعا بأننا لن نحارب ، وأننا نطالب بأسلحة ، لكي نتعلل برفض السوفيت مدنا بما نريد ٠٠

وقد أخطر اللواء سعد مأمون ، من القائد العام ، أن يستقبل الجنرال لاشنكوف ٠٠

وبدأ الجنرال السوفيتي مناقشة طويلة مع قائد الجيش الثانى ، كان يريد منها أن يستشف مدى اقتناعه بالحرب ، وبقدرة قواته على القتال ٠٠ ودار بينهما حوار هام يحسن تسجيله :

ــ كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك ؟

ــ ممتازة ٠٠ ممتازة جدا ٠٠

ــ وما تقديرك للكفاءة الفنية للاسلحة ؟ ٠٠

مائة فى المائة ٠٠

ثم نظر الجنرال السوفيتى الى المصاطب الترابية المرتفعة ، التى أنشئت بعد خروج الخبراء السوفيت ٠٠ وسأل عن الهدف من اقامتها ٠٠ وشرح له

سعد مأمون ، فكرتها بصفة عامة دون أن يتحدث عن تفصيلات المهام التى تستخدم فيها هذه المصاطب ..

ثم وجه الجنرال السوفيتى بصره الى الضفة الشرقية .. حيث تقوم السواتر الترابية للعدو .. وسأله قائد الجيش الثانى :

ـ ما هو تصورك .. كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هذا الساتر المرتفع ٢٠ مترا ؟ ..

وقال سعد مأمون انه يقدر أن الدبابات تستطيع أن تعبر فى ٣ ساعات (وهذا طبعا غير صحيح فى تقدير خططنا ٨ ساعات) .. وقال أنه سيفجر هذا الساتر بالديناميت والمتفجرات (وهذا غير صحيح ، لان المتفجرات فشلت فى التجارب وابتكرنا استخدام الماء المندفع) ..

فقال الجنرال السوفيتى :

ـ أنتم تفكرون فى الحرب بأساليب عام ١٩١٤ ، قبل أن تخترع الدبابات .. هل تتصور يا جنرال ان المقاتل الفرد فى الحرب الحديثة يمكن أن يتصدى لدبابة ؟ ..

ان دبابات اسرائيل أمامكم .. فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟

وعلق اللواء سعد مأمون بمنتهى الخبث :

ـ وماذا نستطيع أن نفعل .. هل لديكم فى الاتحاد السوفيتى شىء نقاوم به هذه السواتر الترابية .. لقد وصلتم الى القمر .. ولابد أن لديكم شيئا حديثا يمكن أن يفيدنا ..

الجنرال لاشنكوف : آسف .. اسف جدا .. آننا لم نواجه مثل هذا المانع من قبل ..

اللواء سعد مأمون : أرجو الله أن يعطينى العمر يا جنرال .. وأتمكن من العبور بأساليب ١٩١٤ ، وتحضر لزيارتنا بعد القتال وأستمع الى رأيك فى حرب ١٤ أمام حرب ٧٣ ..

. . . .

وقد حدث . انتهت الحرب . وجاء الجنرال السوفيتى لاشنكوف وزار الجبهة ، وقال له اللواء سعد مأمون :

ـ هل تذكر حديثنا يا جنرال ؟

وقال لاشنكوف : نعم .. أذكر حديثنا جيدا . لا يمكن أن أنساه . انه عمل بارع بلا مناقشة ..

ثم انتقل بسرعة الى حديث آخر ..

. . . .

خطة المعركة وضعت حسابا دقيقا لكل الاحتمالات ..

احتمال هام كان يحذر منه القائد الاعلى أنور السادات فى كل الاجتماعات العسكرية .. وهو الحذر من خديعة للعدو بالنسبة لبعض القطاعات مثل بورسعيد أو بور فؤاد . وكان السادات يتصور الخديعة فى أن العدو يهاجم فى اتجاه رئيسى ، فننشغل بهذا الهجوم .. ويكون العدو فى نفس الوقت قد أعد شيئا آخر لكى يستولى على بورفؤاد وبورسعيد على سبيل المثال ..

احتمال آخر ..

أن يبدأ العبور .. فيتقدم العدو على الفور بكل دباباته الى حافة الشاطىء الشرقى ، ويضرب قواتنا العابرة فى أضعف أوقاتها وهى فى الماء . وللعدو موقع ضرب نار لدباباته لكل ١٥٠ مترا على امتداد الشاطىء وبطول ١٧٢ كيلو مترا ! .. ثم كان يستطيع أن يحدث خسائر فى منطقة الهجوم ، حتى عمق الموقع الاول غرب القناة ..

وقد حوسب الجنرال جونين قائد الجبهة الاسرائيلية ، بعد الحرب ، على أنه لم يفعل ذلك ، ولكن الخطة المصرية وضعت فى اعتبارها هذا الاحتمال .. وكان معدا لكل دبابة للعدو ثلاثة مدافع تضرب فى وقت واحد .. لتحقيق التدمير ..

. . . .

وكانت الخطة المصرية تضع ثقلا كبيرا على ضرورة احتلال القنطرة وكان الرئيس السادات يردد للقادة العسكريين : القنطرة لازم تسقط . انها ثانى مدن سيناء . والعدو يحصنها بأقوى ما عنده . والاستيلاء عليها سيكون له أهمية خاصة ، سواء بالنسبة لمصر انتصارا ، أو لاسرائيل هزيمة

وقد عدل اللواء سعد مأمون خطة الاستيلاء على القنطرة أكثر من مرة . وأعطى لها قوات أكثر وعناية أكبر ..

. . . .

. . . .

ولكن السؤال .. بعد كل ذلك .

هل انتصرنا فى معارك أكتوبر لاننا كما يزعم الاسرائيليون فى مؤلفاتهم، وفيما أدلوا به للجنة الكونجرس الامريكية ، نملك أسلحة أكثر ، وبكثافة تصل نسبتها الى ما يملكه الاسرائيليون ٣ الى ١ أو ٤ الى واحد ؟ ..

ثار هذا السؤال وأنا أسترجع مع اللواء سعد مأمون ، حوارا ضاحكا أجراه معه الرئيس ذات يوم وهو يزور مواقع القتال.. سأله الرئيس عن قواته وأسلحته . وأجاب سعد مأمون . فعلق الرئيس ضاحكا :

ـ أنت عندك قوات أكثر من مونتجمرى .. اللى اجتاح بها شمال أفريقيا .

عارف يا سعد لو مانجحتش .. !!

ويقول سعد مأمون ردا على سؤالى :

ـ لاشك أننا متميزون عن العدو فى الكثافة البشرية . العدو يعرف هذا . وقد قاوم ذلك ، بحصوله على نوعيات غالية الثمن جدا من الاسلحة . وبحرصه على تأمين قواته . اننا لم نشاهد جنديا اسرائيليا واحدا يسير على قدميه . وكان علينا أن نستفيد من التفوق العددى . وكان هذا له أثره فى دعم الثقة فى جنودنا . كنت أقول لهم . احنا أكثر وأشجع ولازم نكسب . ولكن كثافة الاسلحة لا تقاس بعددها . كثافة الاسلحة تقاس بكمية النيران التى تقدمها هذه الاسلحة . وفى الطائرات تقاس بمدى طيرانها ، ووزن حمولتها . وفى هذا لا يستطيع العدو أن يزعم أننى كنت أملك أكثر مما يملك . هناك نقط قوة وضعف عندنا . الامر كذلك بالنسبة له . وكسب المعركة يتوقف على اجـــادة استثمار كل منا لنقط قوته والاستفادة من نقط ضعف الآخر .

. . . .

ولنعد الى الايام الحاسمة قبل ساعة الصفر ..

ان مهمة الجيش الثانى قاسية . انه يمثل القطاع الرئيسى .. تتبعه ثلاث فرق . الفرقة ١٦ بقيادة العميد عبد رب النبى حافظ . الفرقة الثانية بقيادة العميد حسن أبو سعده . الفرقة ١٨ بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى .

ثم قوات أخرى .. ولا تزال الاسرار العسكرية تحول دون الكشف عنها الجبهة متسعة من بورفؤاد شرقا الى منتصف البحيرات المرة .

آخر مؤتمر عقده اللواء سعد مأمون للقادة كان فى صباح ٣ أكتوبر فى مركز القيادة المتقدم . لم يخطرهم بساعة الصفر . ولكن تقرر اجراء آخر تحركات للهجوم تحت ستر المشروع التدريبى ولكن القادة أحسوا أنها مسألة يومين أو ثلاثة . كان المهم مراقبة جميع تصرفات العدو على الشاطىء الآخر ، بكل اليقظة . ان هذه المراقبة يمكن أن تكشف اذا كان العدو قد عرف شيئا . اللواء سعد مأمون يخطر لو أن جنديا اسرائيليا فى نقطة ملاحظة خلع خوذته . ان هذا يعنى أن العدو غير متأهب لقتال مفاجىء . اذا خرج جندى من مخبأ . الى أين ؟ .. ومتى عاد ؟ .. كان القائد فى هذه الساعات يقوم بتحليل أى تحرك للعـــــدو مهما كان تافها . عربة مجنزرة . دبابة . سيارة جيب . أى شىء يمكن أن يوحى بأشياء .

ووضح أن خطة الخداع المصرية ناجحة مائة فى المائة ..

. . . .

والغريب أن اللواء سعد مأمون أذاع فى هذا اليوم ـ ٣ أكتوبر ـ نداء مكتوبا ، الى جميع الضباط والجنود . طبعت منه عشرة آلاف نسخة . قرىء بالميكروفونات فى جميع الوحدات ، النداء يطالب الجنود بالاستشهاد

في سبيل كرامة الوطن • يحثهم على القتال الشجاع • النداء يقول ان المعركة قريبة جدا •

ولا شك أن أجهزة التصنت الاسرائيلية التقطت هذا النداء الذى أذيع على أوسع نطاق •

ولا شك أيضا أنهم تصوروا أنها تمثيلية مصرية ! ••

لقد كان القرار الاسرائيلي كما اتضح بعد ذلك ، من التحقيقات الرسمية في تل أبيب ، أن مصر لن تقدم على الحرب !

وكان ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي في فندق « بلازا » بنيويورك • أعطى نفسه أجازة يوم عيد الغفران • طلب من الفندق ألا يتصل به أحد بالتليفون • وحاول موظف القنصلية الاسرائيلية الذى تلقى تقريرا عاجلا بأن القتال قد بدأ أن يتصل بأبا ايبان لابلاغ رسالة من الوزير الاسرائيلي جاليلي الى الدكتور كيسنجر • لم يرد أبا ايبان • دقوا على بابه ربع ساعة كاملة حتى استيقظ • ارتبك الوزير عندما قرأ الرسالة • لقد ترك اسرائيل في ٢٥ سبتمبر ولم يكن هناك ما يوحى بأى بادرة حرب • كما أن المخابرات الاسرائيلية أخطرت المخابرات الامريكية يوم ٢٤ أكتوبر بكل تطورات الموقف ، وأكدت أن الحرب لن تقع في المستقبل القريب (من كتاب عيد الغفران بقلم « كتاب اسرائيليين ») •

• • • • • • • •

حتى هذا النداء المعلن الى الجنود •• لم يفطن الاسرائيليون الى حقيقته •

وهذا النداء قرأه الرئيس أنور السادات ، عندما قدمه اليه اللواء سعد مأمون في جلسة المجلس الاعلى للقوات المسلحة في أول أكتوبر التى استمرت ١٠ ساعات • وفى هذا الاجتماع التاريخى دار حوار هام مع الرئيس •

قال الرئيس لسعد مأمون : أراك تتحدث بثقة • هل أنت متأكد من نجاح مهمتك •

سعد مأمون : متأكد يا أفندم • انني أعطى تمام • انني مسئول عن دخول الحرب وقادر على تنفيذ المهمة •

الرئيس : بتتكلم بثقة مطلقة ليه ؟

سعد مأمون : لسببين يا فندم • الاول •• احنا تعبنا جدا جدا في اعداد القوات ووضع الخطط والتدريب ، من أكبر قائد الى أصغر جندى • وأتصور أن النتيجة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا •

والسبب الثانى أننى متأكد من أن معنويات ضباطى وجنودى عالية جدا • وهم واثقون أن مهمتهم هى الدفاع عن كرامة مصر • وبعد عبورهم سيكون العدو أمامهم والبحر خلفهم • وكرامة مصر هى مسئوليتهم • أهم من الموت •• أقوى من أى خوف •

وقدم سعد مأمون للقائد الاعلى نداء القتال الذى أعده ·

٥ أكتوبر :

الفريق أحمد اسماعيل القائد العام يتصل بقائد الجيش الثانى ـ « عدت من سوريا · وكل شىء تمام » ·· على بركة الله · تأكد يا أفندم أن كل شىء هنا تمام ·

٦ ـ أكتوبر :

كل القوات علمت بساعة الصفر · الاستعداد الاخير ·

ساعة الصفر :

خرج سعد مأمون فوق الارض ، لكى يشاهد على الطبيعة ، ما سيجرى : مشهد التاريخ المثير · النار · اللهب · العبور العظيم ، نداء الله أكبر يهز الفضاء ·

وبدأت العجلة ·

· · · · · · · ·

سر عسكرى أذيعه لاول مرة · كان من الممكن أن يتغير كل شىء قبل ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر بسبع دقائق فقط ·

دبابة مصرية فى أحد القطاعات ، أطلقت النار بغير تعليمات على دبابة للعدو على الشاطىء الآخر واصابتها ·

مفاجأة !

ان هذا يمكن أن ينبه العدو في آخر الدقائق الى بداية معركة شاملة ·

ان هذا كان يمكن أن يدفع العدو الى تحريك دباباته على الفور الى حافة الشاطىء ·

ان هذا كان يمكن أن يدفع دبابة مصرية أخرى ، أن تطلق النيران لمجرد الحماس ·· أو للشعور خطأ أن المعركة قد بدأت ·

ان هذا يمكن أن يحدث فى الحروب ·

ان الاعصاب يمكن أن تتوتر عند بعض المقاتلين · ان الاصابع يمكن أن يفلت زمامها على الزناد ·

وهنا تصرف اللواء سعد مأمون أمام هذه المفاجأة ·· بكل برود الاعصاب لم يعلق بشىء ·

لم يرسل أى اشارة ليسأل ·· من أطلق النار · ولماذا ··

ان مجرد السؤال سيحدث ارتباكا · وسيشغل كل مسئول فى موقعه عن مهامه الخطيرة فى هذه الدقائق الحاسمة ··

ومرت الدقائق السبع ··

وجاء ساعة الصفر ··

وبدأت المعركة ··

وانتهت المعركة .. ولم يسال اللواء سعد مأمون حتى الآن من أطلق النـــار ..

ـ هذا شيء يمكن أن يحدث في الحروب . المهم كيف يعالج !

. . . .

ماذا كان الهدف من حرب ٦ أكتوبر ؟ ..

لماذا لم نتقدم في مواقعنا الى خطوة أخرى .. وكان الانتصار معنا ؟..

واذا كان الهدف محددا من قبل .. فلماذا طورنا الهجوم يوم ١٤ أكتوبر ؟ .. لماذا ليس قبله .. ولماذا ليس بعده ..

. . . .

أسئلة لا تزال تتردد ..

ـ الهدف من حرب أكتوبر سياسيا . هدم نظرية الامن الاسرائيلية التي تعتمد على الحدود الآمنة واثبات فشلها .

ـ والهدف عسكريا .. هزيمة التجمع الرئيسى للعدو فى سـيناء . والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الاراضي المحتلة بالقوة المسلحة ، لعرض الحل السياسى العادل للمشكلة .

لماذا طورنا الهجوم عسكريا يوم ١٤ أكتوبر ؟ .. (١)

ما يمكن أن أقوله من تحرياتى الصحفية في الاوســاط العسكرية والسياسية ، أن قرار تطوير الهجوم ، فرضته طبيعة القتال فى سوريا في هذا الوقت بالذات ، وعلاوة على اكتســاب مزيد من الارض لصــالح المعركة .

. . . .

اشتد الضغط على القوات السورية .

تجاوزت القوات الاسرائيلية خطوط ١٩٦٧ .

كان لا بد من جذب القوات المقاتلة فى الجولان .. الى سيناء لتخفيف الضغط المركز على سوريا ، واعطاء القوات السورية فرصة لاعادة تنظيم هجوم مضاد .

وحقق قرار تطوير الهجوم هذا الهدف .

وكانت معارك التطوير قاسية .. وتطورت وأصبحت دموية رهيبة . وصفها موشى ديان فى مساء ١٤ أكتوبر بقوله : « ان اسرائيل تخوض الآن حربا صعبة . معارك الدبابات فيها قاسية . ومعارك الجو مريرة .

---

(١) راجع الفصل الحادى عشر عن حقــائق الثغرة كما يرويها الفريق الجمسى .

انها حرب ثقيلة بأيامها وثقيلة بدمائها » ٠

. . . .

ويجب أن نعترف بأننا تكبدنا خسائر كبيرة في المدرعات في هذه المعارك ٠٠ ولكننا كبدنا العدو خسائر أفدح ٠ كان القتال رهيبا حقا دمويا حقا ٠ والمواجهة بين المدرعات قريبة جدا ، لم تشهدها حروب من قبل ٠

. . . .

وحدثت مفاجأة مؤسفة صباح يوم ١٤ أكتوبر ٠ يوم تطوير الهجوم ٠ لقد سقط اللواء سعد مأمون في مقر قيادته وفقد وعيه تماما ٠

أصابت قلبه أزمة مفاجئة ٠٠ كان الجميع يتوقعونها الا هو ٠ بل انه في الساعة ١١ من مساء ١٣ أكتوبر ، اتصل به القائد العام المشير أحمد اسماعيل وقال له : حتى الآن لم تنم يا سعد ٠ وده مش كويس ٠ يجب أن تستريح ٠

وقال سعد : حاضر يا أفندم ٠٠ لكن مش قادر أنام ٠٠ مهام التطوير شاقة جدا ٠

القائد العام : يجب أن تستريح ، حتى تستطيع أن تعمل ٠

كان اللواء سعد مأمون في يقظة غريبة منذ ٥ أكتوبر ٠

لم ينم ليلا أو نهارا ٠ مجموع ساعات نومه في ثمانية أيام ، حتى سقط مغمى عليه ، لم يزد على ثلاث ساعات !

لقد سلبته أجواء المعركة ، الشعور الطبيعي بالحاجة الى النوم ٠

وكان ذهنه صافيا ٠ وكان خفيف الحركة ٠ كان يتابع المعركة على الطبيعة ، ويتفقد المواقع في أقصى الشرق كل يوم ٠ مرة ومرتين وثلاث مرات ابتداء من الثامن من أكتوبر ٠ وفي اليوم الاخير قبل اصابة قلبه (١٣ أكتوبر) كان في قطاع الفرقة ١٦ مع العميد عبد رب النبي ٠٠ ووصل حتى ٥٠٠ متر من الحد الامامي للقتال ولم يشعر أنه مجهد ٠ في اليوم الاسبق كان في قطاع الفرقة ١٦ ، والفرقة ١٨ ٠ ولم يشعر أحد بأي تغير في قسماته ٠ وهذا خدعه ٠ اعتاد أن يدخن ٣ سجائر يوميا فكان يدخن ٦٠ سيجارة ٠ كان يشرب فنجانين من القهوة ٠٠ أصبحتا ٢٠ فنجانا ٠

وفي صباح ١٤ أكتوبر لاحظ أركان حربه أن الارهاق يغطي وجهه ٠٠ سأله : أنت شاعر بحاجة يا أفندم ٠

ولم يجب القائد ٠

سقط فجأة !

ولم يشعر بشيء الا بعد ثلاثة أيام وهو في المستشفى ٠

قلت : لقد أخذ عليك هذا العيب ٠٠ انك لم تكن تنام ٠ والقائد يجب

أن يستريح ٠
وأجاب : وقيل أن الجنرال مونتجمرى ، دخل الى حجرته لينام بمجرد بدء الهجوم وقال لاركان حربه ٠٠ أيقظنى عندما ينتهى الهجوم ٠

قلت : أنا لا أصدق أن مونتجمرى فعل هذا ٠٠ ولكننى لا أتصور أنك تبقى ٨ أيام بلا نوم ٠

قال : قد يكون هذا خطأ ٠٠ ولكننى لم أستطع النوم فعلا أمام الشعور بالمسئولية من يوم ٦ أكتوبر ٠ كنت أشعر أن العدو سيركز هجماته على قطاع الجيش الثانى ، بعد أن أصبح لدى فى الشرق قبل منتصف ليلة ٦ أكتوبر ٥٠ ألف مقاتل ، بما فيهم الوحدات المدرعة والمدفعية ٠٠ وفى الصباح التالى مئات الدبابات ٠ وكانت دبابات الجيش الثالث لم تعبر بعد ٠ ثم بدأ العدو يركز هجومه بالطيران والمدفعية والمدرعات فى جنوب الاسماعيلية على الفرقة ١٦ وشمال الاسماعيلية على الفرقة الثانية ٠ كنت مصمما على ألا يحقق العدو هدفه وهو تدمير القوة الرئيسية للجيش الثانى بدليل أنه قام ب ٣٦ هجمة مضادة بكل أسلحته ٠ ومنها ٧ هجمات استخدم فيها من ١٠٠ الى ١٥٠ دبابة ٠

هذا هو الموقف ٠٠ واستمر هذا القتال الضارى ليل نهار حتى مساء يوم ١٣ أكتوبر ٠
ولذلك لم أنم ٠٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

تولى رئيس أركان الجيش الثانى القيادة بعد اللواء سعد مأمون ثم تولاها قائد آخر ٠٠
وخاصة أن تسلل العدو يوم ١٦ أكتوبر الى الغرب ٠٠ كان قد بدأ يشكل خطرا ٠٠
ونجحت قوات العدو فى العبور بعد معارك دامية رهيبة ، وبعد خسائر خيالية ٠
ويسجل الضابط الاسرائيلى آموس قائد رأس الجسر فى خطاب الى زوجته ليلة ١٨ أكتوبر :
ـ « اذا كانت قد كتبت لى النجاة هذه الليلة ، فانها معجزة ٠ فلم تكف قذائف الكاتيوشا عن السقوط على رؤوسنا ٠ وكان الجنود يغادرون سياراتهم دون أن يسعفهم الوقت بايقاف المحرك ٠ لقد كانت أكثر الامور رعبا هى عمليات القصف التى تلتها هجمات الطائرات ، وبالنسبة للقصف المدفعى فهذا أمر تعودنا عليه ، ولكن عندما تشترك الطائرات فان ذلك لم يكن بالامر المحتمل ٠ ان أفضل شىء هو أن يظل الانسان فى مخبئه وأن ينتظر وهو يصلى ٠ لقد كان المصريون مصرين على تصفية رأس الجسر ٠

انه الجحيم بعينه . لقد كانت الصواريخ والقنابل والنابالم تنهال ، وكان علينا أن نصلح باستمرار ما يعطب » .

وقال الجنرال برن : لقد عبرنا القناة في الساعة العاشرة مساء .. ولم تكد ثلاث من دباباتنا تعبر القناة حتى أعطب أحد الجسرين .. وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطىء الغربى تعرضت لقصف شـــديد لم نشهد له مثيلا في حياتنا .

كل هذه الاقوال وردت في المؤلف الاسرائيلى « عيد الغفران » .. وقد سجل المؤلفون أن الجزء الاكبر من القوة الاسرائيلية لم يستطع أن يعبر يوم ١٧ أكتوبر ، لان المصريين شنوا هجوما مضـــادا كاد يستحق رأس الجسر .

. . . .

وفي اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر عين اللواء سعد مأمون مساعدا لوزير الحربية .

وفي أوائل ديسمبر صدر قرار بتعيينه مندوبا عن القائد العام ، لقواتنا المسلحة غرب القناة ، وكلف بتنفيذ خطة لمواجهة الوجود الاسرائيلى فى الغرب .

وفى ٢٤ ديسمبر تم وضع الخطة « شامل » ، وصدق عليها القــائد الاعلى الرئيس أنور السادات فى اجتماع خاص تم بالقناطر الخيرية (١) .

وكان من الممكن أن يكون قدر سعد مأمون ، قيادة القوات المصرية لتطهير الغرب من القوات الاسرائيلية .

ولكن الاسرائيليين أدركوا أن مصلحتهم الاولى هى فى الانسحاب .. وتم الانسحاب ..

---

(١) تفصيل الخطة « شــامل » فى الفصل الاخير من هذا الكتاب .



الجندي المصري الباسل ينقل جريحا اسرائيليا من الاسرى

عملتهـــا يا بابا !

●●● « العسكرية هي هوايته .. وطفله الاصغر شريف (١٢) سنة أمضى معه فى الجبهة وكان يدرب طفلة على استخدام كل أنواع الاسلحة ! .. أمله ان يراه مقاتلا .. وكان الطفل يقول لوالده العميد فؤاد عزيز غالى « امتى بقى ، تنزلوا علم اسرائيل » ؟

وبعد أن تحقق الانتصار ، وفى أول اتصال تليفونى للاب مع أسرته صـــــاح شريف فى التليفون ضاحكا « عملتها يا بابا برافو عليك » !

وكانت هذه التحية أول وسام يحصـــل عليه قائد معركة القنطرة » ! ●●●

اشترك فى معارك فلسطين عام ١٩٤٨ وهو ملازم ٠٠ فى شمال غزة ، فى بيت جالون فى جباليا ٠ وفى رفح ٠ كان يعمل تحت قيادة الضابط المشهور السيد طه الذى أطلقت عليه الصحافة حينئذ لقب « الضبع الاسود » ٠٠

ثم اشترك فى حرب اليمن ثلاثة وثلاثون شهرا و ١٧ يوما ٠٠ بدأها فى ٣ فبراير ١٩٦٣ ، قائدا لمجموعة قتال ٠٠ ثم قائدا للكتيبة ٠٠ فى مناطق مختلفة ٠

ومنذ نوفمبر عام ١٩٦٧ ومواقع عمله فى الضفة الغربية ٠٠ جنوب الاسماعيلية ٠٠ وشمالها حتى أصبح قائدا للفرقة ١٨ مشاة وقائدا للمحور الساحلى العريش ـ قنطرة ـ غزة ٠٠

ومنذ أن أصبح المشير أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما ٠٠ كانت كلمته له ، التى لم تتغير ٠٠ « مسئوليتك تحرير القنطرة شرق ٠٠ هذا قدرك مع الحرب ٠ ومعى » !

وفى ساعة الصفر ٠٠ فى السادس من أكتوبر ٠٠ بدأ فؤاد عزيز غالى لقاءه مع قدره ٠ وتحررت القنطرة شرق بعد قتال مرير عنيف ثم أصدر القائد الاعلى قرارا فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ بتعيينه قائدا للجيش الثانى ٠٠

هو اذن نموذج للمقاتل المصرى ، الذى لمس فى صدر حياته العسكرية، الخيانة العربية فى حرب ٤٨ ٠٠ وكان الفشل ٠٠ ثم عرك حرب اليمن التى تكبدنا فيها خسائر كثيرة ٠٠ ولكننا ـ على حد قوله ـ خرجنا منها بخبرات عسكرية كثيرة ٠٠ الاعتماد على النفس ٠٠ حرب الجبال ٠٠ خبرات لتخصصات مختلفة ٠٠ حرية التصرف للقادة المحليين ٠٠ الضبط والربط ٠ ثم واجه مرارات المقاتل المصرى بعد هزيمة ٦٧ التى ابتلعت معارك عسكرية قاتل فيها الجندى المصرى بكفاءة وبسالة ٠٠ ولكن التاريخ أغفلها ٠٠ وأحس بالمهانة تأكل قلبه ٠ وكان لا يرتدى حلته العسكرية ، عندما ينزل الى المدينة ٠ فالجماهير كانت كافرة بجيشها ٠ والجيش كافرا بالقيادات الكبرى التى حرمته من اثبات وجوده وقدراته ٠٠ وهكذا أمضى وقته بعد ذلك ٠ ينتظر ساعة صفر جديدة ، يستعيد فيها كرامته ٠٠

كان يحاول خلال حرب الاستنزاف أن ينتقم لمهانة ٦٧ ٠ قام بأكثر من عملية عبور ٠٠ ضرب ودمر ٠٠ وعاد بالأسرى بين الكاب والتينة ٠٠ ومرة أخرى فى منطقة الجيش الثالث ٠ ومرات بعد ذلك ٠

وهاجم منطقة شمال البلاح من قبل ثلاث مرات .. نجح فى هجوم عام ٦٩ .. فشل فى الهجوم الثانى فى نهاية عام ٦٩ . استخدم فى الهجوم الثالث عام ١٩٧٠ أسلوبا مختلفا ..

وفى أبريل عام ١٩٧٠ .. قام فؤاد غالى مع مجموعة قتالية بعبور .. وهاجم أحد المواقع بعنف شديد . وكان قتالا عنيفا . انسحب بعده واختبأ فى موقع قدر أن القوة الاسرائيلية ستعود منه ، واستمر مختبآ أكثر من ٩ ساعات .. وتحقق تقديره .. وفاجأ القوة الاسرائيلية بنيران لا ترحم ، التهمت ٤٨ من جنود العدو . وكانت مجموعته من ١٣ مقاتلا .

وصمم الاسرائيليون فى اليوم التالى على الانتقام من هـــذه الضربة المرة ..

وألقوا فى غاراتهم الانتقامية بقنـــابل ثقيلة ، تعادل فى مجموعها ، ما ألقى فى حرب الايام الستة كما أعلن ذلك قادتهم ..

وكان هذا حقيقيا . لقد بلغ مجموع الحفر التى أحدثتها قنابل العدو من زنة ألف رطل وألفى رطل فيموقع دفاعى مساحته ٦٠٠ متر × ٨٠٠ متر .. بلغ عدد حفر القنابل ٤٨٠ حفرة !

وقد ذهل ضابط أجنبى كبير زار هذا الموقع .. عندما سمع فؤاد غالى يطلب من الجنود أن يظهروا من مخبئهم ..

قال الضابط الاجنبى الكبير :

ــ وهل يوجد موضع لهم هنا .. بعد أن أصبح موقعهم هدفا معروفا ..

وكان رد فؤاد غالى :

ــ بالعكس .. كان يجب أن أستمر فى استخدام هذا الموقع ، لأنه من وجهة نظر العدو قد تدمر تماما .. ولن يكون فيه موضع لقدم .. كانت كل جزيئات أرض القنطرة شرق .. مرتسمة فىذهنه كصورة فوتوغرافية كاملة .. المعلومات اليومية التى يحصل عليهـــا من نقط الاســتطلاع ، والمراقبة الجوية .. المراقبة بالنظر .

عاش خمس سنوات وثمانية أشهر .. يدرس الأرض والتحصينات.. ويحلم بالتهامها .. العسكرية هوايته .. وطفله الاصغر عمره ١٢ ســنة .. أمضى معه فى الجبهة طوال أشهر عطلة المدرسة حتى أول أكتوبر .. وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الأســلحة !.. أمله أن يراه مقاتلا .. وكان الطفل يقول له : « امتى بقى .. تنزلوا علم اسرائيل » !

وبعد أن تحقق الانتصار .. وفى أول اتصال تليفونى للأب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا : عملتها يابابا .. برافو عليك

وسألت الرجل : ألم تفكر فى أسرتك ، ليلة الهجوم ..

ــ مطلقا ..

ـ حتى مع هذه العاطفة القتالية التى تربطك بطفلك شريف ..
ـ مطلقا ..
ـ وكيف أمضيت الليل بعد أن عقدت الاجتماع الاخير مع قيادتك .. وسلمتهم مظروفات ساعة الصفر ..
ـ لم أنم . كنت فى تفكير هادىء متصل . كانت أمامى كل الاحتمالات .. وكنت أراجع أساليب تصرفنا أمام هذه الاحتمالات
ـ هل كان منها توقع ضربة مفاجئة من العدو ..
ـ طبعا .. كان هذا الاحتمال محسوبا وخاصة فى الأيام الاخيرة ..
ـ وبماذا تعلل هدوء أعصابك وأنت مقدم على تجربة الحياة والموت ..
ـ لم تكن بالنسبة لى تجربة حياة أو موت .. لقد أخذتها من جانب الموت فقط .. كان شعارنا الذى غمر ايضا كل قلوب الجنود .. « يا قاتل .. يا مقتال » .. اما أن تحرر الأرض .. أو أن نموت عليها حتى آخر رجل .. هذا أمر ليس موضوع مناقشة أو تردد .. المستحيل هو أن أعود من القنطرة شرق حيا .. وأتركها للعدو ..

وكانت كلمات الرئيس السادات فى آخر اجتماع شهده ، هى التى تسيطر عليه تماما :

ـ « يا أولادى .. هذه هى امكانياتنا .. ليس فى مقدورنا أن نحصل على مزيد من السلاح .. هذا أقصى ما استطعنا أن نوفره ، وأنتم عارفين كل حاجة .. وأنا مطلعكم على التفاصيل أولا بأول .. تقولوا أسلحة دفاعية .. أسلحة هجومية .. سموها زى ما أنتم عايزين .. لكن ده اللى عندنا .. هنقدر نحارب والا لأ ؟.. ده السؤال .. احنا مؤمنين بأن تحرير الارض هو قدرنا .. أم لأ ؟.. ده هو السؤال .. نموت أحرار .. أشرف ألف مرة من حياة المذلة .. والعدو قدام أعيننا .. وواقفين عاجزين .. أذلاء » .

وهذا فى رأيى أقوى بطولات معركة ٦ أكتوبر .
القتال بالامكانيات التى بين أيدينا ، والى الحد الذى تستطيع هذه الامكانيات أن تحققه مع التخطيط الجيد ، والاستعداد الكامل ، والاقتحام المتفانى ..
كما أن التخطيط للمعركة لم يفرض من « فوق » ..

لقد أعطيت لكل القيادات الميدانية .. حرية الحركة والتصرف .. وكل قائد فرقة أبدى ملاحظاته على الخطة .. بعد استشارة القيادات التى تتبعه .. ونوقشت كل الملاحظات مع القيادة الاعلى وهكذا .. حتى آخر سلسلة قيادية ..
ومن هنا كان كل قائد مقتنعا بخطة معركته ..

وعندما قام المشير أحمد اسماعيل بآخر زيارة له لجبهة القتال ·· في الايام السابقة على ساعة الصفر ·· وبالتحديد قبلها بسبعة أيام ··
ناقش المشير قائد بورسعيد في خطته ·· ثم اتجه الى فؤاد غالى :
وأنت كيف ستستولى على هذه النقط ·· (من حصون بارليف) ··
واجاب باعتزاز :
ـ هادوس على زرار يا افندم ·· وبعدها ستسقط جميع النقط القوية في القنطرة شرق !
ولم يظهر على وجه المشير أحمد اسماعيل أى تعبير ، يمكن أن يوحى بأن هذه الأجابة أعجبته أو لم تقنعه ··
وانتظر لحظات ثم قال : لا ·· اشرح لى خطتك الاخيرة ··
وشرح قائد الفرقة ١٨ كل التفصيلات ··
وأقرها القائد العام في شكلها النهائى ··

◎❖◎

وحانت ساعة الصفر ··
بدأت هجمات طائراتنا على العدو ··
بدأت نيران المدفعية تحمى العبور ··
وعبرت قوات الفرقة ١٨ ·· وعبر قائدها ··
وبدأ تنفيذ الخطة على الفور ··
صعوبة القنطرة شرق ·· ان العدو يعرف ان سقوطها له معنى سياسى كبير ، لأنها المدينة الثانية في سيناء بعد العريش ·· ولذلك فان تركيز العدو عليها أمر مفترض ··
والصعوبة الثانية ·· أن أرض القتال فيها تتوسطها مبانى المدينة ·· وهذا عائق قتالى في وسط المعركة ··

◎❖◎

ولم تكن معركة سهلة ··
ويجب أن نعرف أن القوات الاسرائيلية ، قاتلت بشراسة واستماتة · ودافعت عن مواقعها بكل امكانياتها ··
انني أكتب هذا ·· لأن الكثيرين في مصر ·· تصوروا أن العبور والاستيلاء على حصون بارليف ·· والتقدم في العمق ·· مر هكذا سهلا وكأنه نزهة ·· وكأن الاسرائيليين هربوا منذ الدقائق الاولى وانتهى الأمر!
لقد أخذتهم المفاجأة فعلا في الساعات الاولى من المعركة · ولكنهم قاتلوا بكل احتياطاتهم القريبة ، وراء بارليف على ثلاثة خطوط ·
ولما أفاقوا من المفاجأة ·· استخدموا كل امكانياتهم ·· حتى تحطموا فعلا ·· لولا الانقاذ الامريكي الذى بدأ في اليوم الرابع للقتال ·· واستمر

وبدأ يظهر منذ الحادى عشر من أكتوبر .. وكانت معارك الدبابات رهيبة فعلا ، ولم تكن الدفرسوار هى الثغرة الوحيدة التى حاول العدو أن ينفذ منها . الدفرسوار كانت واحدة من المحاولات . حاولوا عند الفردان واستطاعت دبابة اسرائيلية أن تصل الى قرب كيلو متر واحد من كوبرى الفردان وكان لواءهم الـ ١٩٠ تدمر تماما .. وحاولوا مرة ثانية وفشلت المحاولة .. معركة دبابات رهيبة سميت معركة (الطالية .. وثالثة .. ورابعة .. ان كل الهجمات المضادة الاسرائيلية طوال أيام القتال كانت محاولات لاختراق قواتنا للوصول الى الضفة الغربية

وسيجىء تفصيل ذلك ، فى موضع آخر من هذا الكتاب ..

كانت المعركة صعبة فى القنطرة شرق .. لأسباب عديدة .. منها أن موقع الهجوم المصرى فى الضفة الغربية .. منخفض (أرض زراعية) .. وموقع العدو مرتفع فى الشرق .. كما أن أرض المعركة ليست جافة .. معظمها (سبخ) لا تصلح للسير ولا تيسر التحرك العسكرى شرقا أوغربا .. كما أن تحصينات العدو فى الشرق (خط بارليف) كانت من أكبر تحصيناته .

وقد اختار القائد المصرى أن يهاجم تحصينات بارليف فى معظم نقاطها .. ومن الامام لا من الخلف .. اختار المواجهة وهى المهمة الصعبة .. وفى التحصينات البعيدة هاجمها من الخلف والاجناب .

كما أنه بنى خطته على مواجهة سريعة جدا ، بكل القوة الضاربة دفعة واحدة .. مع محاصرة المدينة بنفس السرعة باندفاع قوى بقوته الرئيسية .

كانت أمامه ٧ نقاط لخط بارليف . وكانت مسافة المواجهة ٣٧ كيلو مترا فاختار أولا : أن يركز قواته وهجومه على امتداد ١٨ كيلو مترا فقط أمام النقاط الرئيسية وهى أربع . واقتصر ضربه على النقاط المتطرفة شمالا ويمينا بالضرب بالنيران . واختار أولاً أن يهاجم النقطة الاولى والنقطة الرابعة .. وأن يحيطهما بدرع من قواته خلفهما ، حتى يكون فى وضع يتصدى فيه لاحتياطيات العدو الخلفية عند تقدمها .. وجعل لدعمه أعماقا متتالية .. من الصعب اختراقها ..

⊙✣⊙

تم احتلاله للنقطة الاولى والنقطة الرابعة بعد ٢٥ دقيقة من العبور بالمشاة والأسلحة الخفيفة . ورفعت القوات المصرية الاعلام عليها .

وبدأ حصار المدينة بعد ٣٥ دقيقة ..

ثم هاجم النقطة الثانية واحتلها ..

ثم سقطت النقطة الثالثة التى قاومت بشدة حتى الساعة الثامنة من المساء ..

ان الجانب الأيمن الذى بدأت منه عملية الحصار ، هو منطقة شمال البلاح ..
والجانب الايسر هو منطقة الحرش ..
وقد بدأ الهجوم الاسرائيلى حوالى الساعة الثالثة الا الربع ..
واستمرت هجماته المضادة .. وحتى الغروب فى السادسة مساء ..
فشلت هذه الهجمات المضادة أمام مقاومة المشاة المصريين بالاسلحة الخفيفة .
وكان العدو يهاجم من اليمين واليسار .. وفى المنتصف بهدف فك الحصار على قواته داخل مدينة القنطرة ..
وفى الساعة السادسة والربع من المساء .. ركز العدو ضربة شديدة على الجانب الايمن .. واخترق الحصار المصرى فعلا .. وتخلت القوة عن مسافة تتراوح بين كيلو مترين ونصف وثلاثة كيلو مترات .. الى الوراء ..
وركز القائد المصرى مواقعه الدفاعية بسرعة .. وعلى أعماق متتالية ..
ومن هنا اطمأن الى أن العدو ، لو أنه اخترق هذه الدفاعات ، فانه سيكون فى مصيدة نيران من جميع الجهات .
وكانت مساحة هذه العمليات بعرض من ٦ الى ٨ كيلو مترات .
واستمرت المعارك طوال الليل .. وكانت الدبابات المصرية قد عبرت (على معديات ــ لا كوبرى) ..
وكان يمكن أن تؤدى نجاح هجمات العدو الى نتائج خطيرة ..
لأنها أولا عطلت قدرتنا على عبور الدبابات .. وبعد تركيز الضرب على المعديات .. ثم قوة الهجوم الاسرائيلى على الجانب الايمن .. لم نتمكن الا من عبور عدد بسيط من الدبابات فقط كل ساعة ..
ولكن الاختراق من الجانب الأيمن لم يفلح ..
لقد استعاد العدو الموقع الحصين شمال البلاح .. ثم استعدناه ..
واستمر الموقع طوال الليل ، مناصفة بين قواتنا وقوات العدو .. ولكن الجندى المصرى لم يخرج منه أبدا ..
وفى الساعة السادسة من الصباح قام فؤاد غالى بهجمة مضادة عنيفة..
واستعادت قواتنا الموقع تماما .. وتقدمت ٣ كيلو مترات جنوبا ..
وقد قابل الاسرائيليون بعناد واصرار ..
وتحطم لهم فى هذه الهجمات ٣٧ دبابة .. ولم يبق للعدو الا اربع دبابات .. ومع ذلك تقدم بها ، يريد أن يكمل رأس حربة ..
وقضينا على هذه الدبابات الأربع ..
وخلال هذه المعركة القاسية .. وجه ضربات للجانب الأيمن للقوات المصرية من اتجاه حوض أبو سمارة جنوب رمانة .
وفى ٧ أكتوبر نجح العدو فى اختراق جزء من مواقعنا ..
ولكن قواتنا استعادت مواقعها بمعونة الدبابات التى عبرت خلال الليل .

وفي اليوم التالي ـ ٨ أكتوبر ٠٠ قرر العدو أن يوجه ضربته في خطين ٠
وتمكنت وسائل استطلاعنا من استكشاف الموقف ٠
واتصل اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني ، بقائد قواتنا في القنطرة ٠٠ وحذره :
ـ لواء مدرع اسرائيلي يتقدم اليك مع أول ضوء لضربك ٠
وبنى فؤاد غالي خطته ٠٠ على انتظار العدو عند نقطة معينة بحيث يفاجئه بقصف بنيران عنيفة ٠
لقد اختار القائد المصرى موقع قيادته في مكان مرتفع يطل منه على الجبهة كلها ٠٠ ويستطيع أن يراقب الموقف ، ويقدر المسافات ٠٠
ان المعركة الناجحة في رأيه تقدير مسافة أولا ٠٠ مع تقدير وقت ٠٠
فوجئت القوات المهاجمة بالقصف الشديد ٠٠ فوقع الارتباك بين صفوفها ٠٠ وهنا ٠٠ كان الطيران المصرى ، قد ظهر في الوقت المناسب المحدد له ، ليضرب بعنف ٠
وباعتراف أحد الاسرى أن ٧٠ ٪ من الكتيبة الميكانيكية لهذا اللواء المدرع الاسرائيلي ، قد أبيدت تماما ٠٠

ويقول فؤاد غالي :

ـ كان مشهد الطيران المصرى ، مثيرا وممتعا حقا ، ولم يكتف طيار واحد بضربة واحدة ٠٠ كان بعضهم يدور ثلاث دورات ويضرب ويضرب ويضرب ٠
وانتهى هجوم العدو بالفشل ٠٠
اننا الآن في الثامن من أكتوبر ٠٠
فشل هجوم العدو على الجانب الأيمن ٠
ولكنه كان يهاجم في الوقت نفسه الجانب الأيسر من قوات هجومنا على القنطرة ٠٠ ونجح في تحقيق اختراق جزئي بها ٠٠
وطهرت قواتنا هذا الاختراق الجزئي في ٤٥ دقيقة ٠٠
وبعد هذا يئس العدو فعلا ٠٠ من محاولات استعادة القنطرة ٠
وسألت فؤاد غالي : ولماذا لم ينجح طيران العدو في حماية اللواء المدرع المهاجم ٠
قال :
ـ الملاحظة العامة أن طيرانه كان (مهزوزا) ٠٠ في هذه المراحل الأولى من القتال ، بعد أن سقط منه الكثير ٠٠

⊙❖⊙

ولكن العدو لم ييأس ٠٠
بدأ تجميع قواته ٠٠ وأعد لهجوم مدرع آخر على شمال الاسماعيلية ٠
وكانت هذه مهمة عساف ياجورى قائد اللواء مدرع ١٩٠ اسرائيلي ٠٠
وتصدت الفرقة الثانية بقيادة أبو سعدة لهذا الهجوم ، كما شرحنا في

فصل آخر .

.. فى هجوم القوات المدرعة الاسرائيلية على قوات الجيش الثانى شمال شرق الاسماعيلية .. تقدم بقوات الى اليمين .. وأخرى الى اليسار .. واخترق من الوسط .. وحقق نتوءا فى الوسط .. أمام كوبرى الفردان .. وتمكنت احدى دباباته من آن تصل الى بعد أقل من كيلو متر من الكوبرى ..

وهذه هى الثغرة التى فشل فى صنعها .. ليصل الى الضفة الغربية .. وليستولى على مدينة الاسماعيلية .

هنا وجد اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى، الموقف بالغ الخطورة! . وتصرف بهدوء ..

دفع بقوات جديدة فى الغرب ، عبرت الى الشرق . لكى تعاون فى التصدى من الوسط ..

وفى الوقت نفسه .. طلب من قوات القنطرة بقيادة فؤاد غالى .. التقدم وتوجيه ضربة الى جنب وظهر دبابات العدو التى تقوم بالهجوم على الجنب الأيسر للفرقة الثانية .

وتم كل ذلك بنجاح ..

ولكن المعركة الرهيبة استمرت ثلاثة أيام ..

وقد ذهبت الى موقع هذه المعركة ..

ومن تبة بالمنظار المكبر .. رأيت آثار المعركة ، فى الدبابات الاسرائيلية المحترقة ..

وفى يوم ١١ أكتوبر قام العدو بمحاولة أخرى .

كان يريد أن يصل الى مفترق الطرق .. الذى يمكن أن تنفذ منه قواتنا الى الطريق الساحلى اذا تقدمت شرقا ..

وقام العدو بهذه المحاولة مستخدما طريقين ..

وحقق نجاحا جزئيا .. ثم تدمر هجومه تماما ..

◎❖◎

وخلال ذلك .. بدأت معركة دبابات أخرى فى التاسع من أكتوبر .. يسمونها معركة (الطاليا) .. وهى التى استشهد فيها قائد اللواء الذى منح نجمة سيناء ..

وتصدت فى هذه المعركة .. الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ (مما سيجىء تفصيله فى فصل آخر) .

كانت على مساحة شاسعة من أرض الصحراء ..

ولم تتوقف هذه المعركة التى كانت تتجدد كل يوم ، حتى يوم ٢٢ أكتوبر !

وقد زرت أرض هذه المعركة .. وهى تواجه مدينة الاسماعيلية ..

وفى هذه الأرض ، ظهر عبد العاطى المشهور ، الذى دمر وجماعته ٢٤ دبابة اسرائيلية بصواريخ اليد !

والمشهد رهيب حقا ..

على امتداد الأفق دبابات محترقة ، نراها من بعيد كأنهـا علب كبريت صغيرة سـوداء .. ويقربها الينا المنظـار الـكبير .. وهى منتشرة فى الصحراء ، صفوفا وراء صفوف . هذا عدا الدبابات التى تمكن الاسرائيليون من رفعهـا .. ونقترب من الدبابات المحترقة .. بسـيارة صلبة تخترق طريقها فى الرمال .. ويأخذنا المنظر المخيف .. أطنان من الصلب المحترق .. وعلى بعضها علامات (×) بالطباشير الأبيض أن هذا يعنى أن الاسرائيليين أخرجوا الجثث منها ..

⊙❖⊙

وبعد .. انى أعتبر عرضى السابق لمعركة تحرير القنطرة .. عرضـا جافا .. ولأننى أغفلت فيه ، وأنا أحدد الخطوات العسكرية ، الجانب الأهم والأخطر .. وهو الجانب الانسانى ..

الانسان المصرى الذى واجه هذه الحرب المريرة ..

انسان معجزة ٦ أكتوبر ..

الانسان يتمثل فى القائد أولا .. الذى كانت القنطرة بالنسبة له .. « يا قاتل .. يا .. مقتول » .

كانت هذه الخطة الأولى .. أن تحرر القنطرة .. أو نبقى فيها ..

ولكن جثثا .. حتى آخر رجل .. اذا عجزنا عن التحرير .

هذا هو الوقود الأول للمعركة .. الذى ملأ قلب كل مقاتل فى هـذه المعركة .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى الجنود المصابين فى معركة القنطرة ، وهم عائدون فى القوارب الى الغرب ، لكى ينقـلوا الى المستشفيات .. بعضهم فقد أصابع قدمه .. دمه يسـيل .. وهو لا يشـعر .. انه يغنى ؟.. ويصفق !.. وكأنه راجع من رحلة !.

وهذا معنى الانتصار !

وهنا نسمع من فؤاد غالى .. انه يعتز بالمقاتل الفلاح !

وعند تعويض خسائره فى عمليات اعادة تنظيم القوات ، وكان الفريق أول محمد فوزى ، وزير الحربية .. طلب فؤاد غالى ، جنودا من الفلاحين.. وكان الاتجاه حينئذ أن يعاد تكوين القوات المسلحة .. بالشـباب المؤهل فى الجامعات .. واسـتدعاه محمد فوزى وسـأله : هل تريد أن توجد تنظيما خاصا لك .. يختلف عن التنظيم العام للقوات المسلحة ..؟

وكانت وجهة نظر فؤاد غالى ، التى احترمها وزير الحربية ، أن المقاتل الفلاح اذا درب تدريبا حسنا ، فان ذكاءه فى التنفيذ خارق .. وأن قدرته

على الاحتمال تصل الى حد الاعجاز ·· وهذا يعنى عدم الاحتياج الى نسبة كبيرة من المؤهلات ·

لقد خبرها فى حرب الاستنزاف ·

انه لا ينسى مروره على قواته بعد ١٥ يوما من الضرب المتواصل بقنابل العدو من طائراته ·· الضرب الذى لم يتوقف ليلا أو نهارا ··

ـ الواحد منهم واقف زى السبع فى موقعه ·· وأسأله ·· أنت مش خايف يافلان ·· وأسمع رده : العمر واحد والرب واحد يا افندم ··

⊙❖⊙

هذا المقاتل المصرى ·· هو الذى اندفع الى حقول الالغام ·· دون أن يفكر فى حياته لحظة ·· وهو يصرخ (الله أكبر) ··

ان المجموعة الأولى التى هاجمت نقاط بارليف ·· كان من بينها جنود، رقدوا على الأسلاك الشائكة بأجسادهم ، لكى يعبر فوقهم زملاؤهم !·· لقد استشهدت هذه المجموعة ، وبقى منها جندى واحد على قيد الحياة ··

ضابط شاب بطل حصل على نجمة سيناء ·· تفخر به قوات القنطرة · كانت مهمة هذا الضابط اقتحام النقطة الاولى من حصون بارليف ·· ونجح ·· ولكن زملاءه الذين اقتحموا النقطة الثانية لم يستطيعوا الوصول اليها، لأن الطيران الاسرائيلى طاردهم ·· فتأخروا · واذا بالضابط الاول ·· يقتحم النقطة الثانية أيضا ·· بنفس قوة أفراده التى اقتحم بها النقطة الأولى !

قلت للواء فؤاد عزيز غالى :

ـ أذاعت اسرائيل أنها دمرت موقع قيادتك فى القنطرة هل هذا صحيح ؟··

ـ نعم ·· هذا صحيح ·· ومع ذلك رفضت تغييره ، ولو أن هذا خطأ عسكرى ولكننى قدرت أن وجودى فى موقعى رغم ضربه ، له أثر طيب على معنويات المقاتلين معى ·· ولذلك لم أغيره ··

⊙❖⊙

لقد تعرض للموت ثلاث مرات ··

المرة الاولى فى أيام القتال ·· فى ٦ أكتوبر ·· لقد قصفوا الموقع بقنابل ألف رطل ·· رمى نفسه فى حفرة بدون غطاء ، على بعد ٧ أمتار من الضرب · ونجا · ولن ينسى أن الجنود ارتموا فوقه لانقاذه ، أرادوا أن يفتدوه ··

وكانت المرة الثانية فى ١٧ أكتوبر ·· والثالثة فى ٢١ أكتوبر · لم يكن بمركز القيادة فى المرة الثانية · كان يقود مفرزة تقدم بها بعد حدوده الامامية ·· ومعه طقم صواريخ ··

وكان هذا أحد واجباته ·· التى كان يكلف بها نفسه ·· ومن الممكن

أن يؤديها ضابط برتبة صغيرة ‥ ولكن قيام القائد بهذه العملية الاستطلاعية ‥ كان يؤكد لكل مقاتل معه . أنه معهم جميعا على خط النار والاستشهاد ‥

وفي احدى هذه الجولات الاستطلاعية الخطيرة لاحظ تقدم مجموعتين من دبابات العدو ‥ الى يساره ‥ وفي مواجهته ‥ وبدأ طقم الصواريخ بمجموعة اليسار ‥ فأصاب الدبابة الأولى ‥ ثم الثانية ‥ وبقيت الثالثة ‥ وقبل أن يصوبوا نحوها ‥ كانت الدبابات المواجهة تقصفهم ‥ ونجوا بأعجوبة !

⊙❖⊙

كانت هذه الجولات الاستطلاعية تسمى رحلات اقتناص الدبابات خارج الحدود . وفي احداها تمكنوا من الاستيلاء على أحدث دبابة أمريكية ‥ سليمة تماما .

ولا ينسى القائد يوما تقدم اليه ضابط برتبة ملازم ، يعمل فى الشئون الادارية للفرقة ‥

قال الضابط الصغير : اننى أشعر يا أفندم ‥ أننى لا أحارب ‥ أريد أن أشترك فى عمل قتالى ‥ فوق الشئون الادارية ‥

واشترك هذا الضابط في كمين ليلي لدبابات العدو خارج رأس الكوبرى ‥ وعاد الى عمله فى الشئون الادارية ، مستريح الضمير ‥

ان خسارة العدو فى الدبابات أمام رأس الكوبرى تصل الى ٥٨ دبابة .

وخسائره فى الداخل فى مواقع التحصينات ‥ وفي هجمات الاحتياطى المضادة ‥ تصل الى ٦٧ دبابة .

أما الأرواح ‥ فالتقدير يتراوح بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ قتيل فى حصون بارليف ، وعلى أرض المعارك ‥

وكانت خسائر قواتنا فى الافراد فى معارك تحرير القنطرة ‥ هى بنسبة الخمس ، اذا قيست بمتوسط خسائرنا فى جبهات القتال الأخرى .

ولم نفقد أسيرا واحدا ، حتى ٢٢ أكتوبر ‥

⊙❖⊙

وفى يوم ١٣ أكتوبر كان واضحا فى كل جبهات جيوشنا شرق القناة ، أن الجيش الاسرائيلى قد واجه انهيارا كاملا ‥

وبدأت تظهر فى اليوم الحادى عشر ‥ طلائع الامدادات الامريكية بالدبابات والطائرات والصواريخ الحديثة التى لم تستخدم فى فيتنام ‥

وفى ١٦ أكتوبر بدأت محاولة العدو ‥ فى التسلل الى الغرب عن طريق الدفرسوار ‥

وبدأت معارك رهيبة ‥

وهذه قصة أخرى ‥

العميد .. فى شهر العسل !

●●● « كان فى اول أيام شهر العسل ، عندما تلقى الاستدعاء التليفونى الى الجبهة ..! واستطاع أن يقدم الى حبيبته الاولى مصر .. أروع هدية .. دمر اللواء الاسرائيلى المدرع ١٩٠ ، وأسر قائده عساف ياجورى ..

وأوقف اطلاق النار .. وعاد الى عروسه برتبة اللواء على كتفيه ..

قصته .. هى قصة الحب والحرب !●●●

فى الحادية عشرة من مساء ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اجتمع قائد الفرقة الثانية فى الجيش الثانى ، بجميع قيادات فرقته ·· وأبلغهم ساعة الصفر · الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالى ··

وسلموا منه مظروف ساعة الصفر عند منتصف الليل ، لابلاغه الى وحداتهم فى الصباح · وقرأوا الفاتحة معا ··

وكان قسمهم على القرآن معا ·· أن ننتصر أو لا نعود ·

ثم انصرف القادة الى وحداتهم ·· للاستعداد لاخر اللمسات ·· وجميعهم يعتز بشعار هذه الفرقة « المبادأة ــ المفاجأة ــ الخداع » ··

أما قائد الفرقة العميد حسن أبو سعدة ، فقد توجه الى لقاء قائد الجيش الثانى اللواء محمد سعد الدين مأمون ·· واستكمل معه بعض المعدات الاساسية الناقصة من مخازن الاحتياطى ·· ثم عاد الى مقر قيادته ··

ولم ينم ··

ان جبهته تمتد من الاسماعيلية الى الفردان ، على مسافة حوالى ٣٠ كيلو مترا · وهم يطلقون عليها (صرة) الجبهة ·· لان العدو لو نفذ اليها ، استطاع أن يستولى على الاسماعيلية ·· وانتهى الامر !

والعدو له على الضفة الشرقية المقابلة ٥ نقاط حصينة ·· تدعم ظهرها ٥٠ دبابة قريبة ·· وكتيبة مشاة ميكانيكية ·· وفى الخط الثانى للعدو يوجد لواء مدرع قد يصل الى مائة دبابة أو أكثر ··

وفى الاجتماع الاخير للقيادات على مستوى الفرق الذى تم ذات يوم من شهر سبتمبر ·· احتدمت المناقشات حول كل احتمال ·· واستكملت القيادات كل مطالبها الناقصة ، فى حدود ما هو ممكن · ووضع احتمال أن يقوم العدو بضربة (اجهاض مفاجئة) ·· وتم الاستعداد لذلك · وكان العميد أبو سعده يتوقع أن يقوم بها العدو فى الثالث من أكتوبر · وقد انتظر متوثبا للمفاجأة فى ذلك اليوم ·· ولكن العدو لم يقم بالضربة ·· وعرف بعد ذلك أن رئيس أركان العدو لم يزر جبهة القتال منذ ثلاثة أشهر ·· وان الضباط المهندسين المختصين بأنابيب النابالم التى كان مخططا لها أن تحول مياه القناة الى جهنم عند وقوع أى هجوم ·· عرف أن هؤلاء المختصين لم يتفقدوا هذه الانابيب من شهرين ! ·· وقد أسر مهندس كان يتفقدها يوم الهجوم فقط ·· فى ٦ أكتوبر !

وأشرق فجر ٦ أكتوبر ··

واطمأن القائد على اللمسات الاخيرة ..

ثم سجل خطاب الهجوم ، الذى كان مقرراً أن يذاع بالميكروفونات على الجنود مع أول طلقة ..

ثم صلى آخر ركعتين .. واتجه الى السماء ولسانه يردد : اللهم أنت تشهد أننى بذلت أقصى جهدى من علمى واخلاصى ..

وكان ذلك فى الساعة السادسة والربع من الصباح ..

وغمرت نفسه سكينة صافية ..

وبدأ يشرف على تنفيذ كل التفصيلات ..

لحظات المخاطرة الرهيبة تقترب ..

ولا يستطيع المحارب حتى فى أحرج اللحظات الا أن يفكر فى زوجته .. أنه عريس لم يستمتع بأجازة شهر العسل الا يوما واحدا .. لقد عقد قرانه فى يوليو ٧٣ .. وأجل الاجازة التى بدأت فى ٢٦ سبتمبر .

ولكنه تلقى اشارة تليفونية فى صباح اليوم التالى .. بالعودة الى موقعه على الفور ..

وفهمت زوجته كل شيء ، عندما كتب لها شيكا بكل ما يقتصده فى البنك ..

وتماسكت . ودعت له بالتوفيق .

وتذكرت كلماته عندما اتفقا على الزواج ..

قال لها : لا أريد أن أخدعك .. اننا مقدمون على الحرب ..

وقالت : الاعمار بيد الله .. وفخرى أن زوجى سيكون من الابطال ..

قال : أرجو أن تفكرى مرتين ..

قالت : أنت تطعننى فى مصريتى ..

★ ★ ★

وجاءت لحظة الصفر ..

ودوت المدفعية المصرية .. وانطلقت الصواريخ .. وانطلقت الطائرات ..

وبدأ العبور العظيم ..

وخطواته متفق عليها ، بالدقيقة والثانية ..

عبور بالقوارب والاسلحة الخفيفة على ظهر الجنود وفى أيديهم ..

اختراق السواتر الترابية الضخمة التى أقامها العدو ..

اقامة الكبارى ..

خلال ذلك تم الاستيلاء على مواقع بارليف وتدميرها .

التصدى بالمشاة فقط لدبابات العدو .. واحتياطى دباباته ..

التمسك بالارض ‥ حتى تعبر دياباتنا فوق الكبارى ‥
التصدى للواء مدرع للعدو فى (المليز) ‥ خلف مواقع بارليف ‥ والساتر الترابى المواجه فى هذه المنطقة رهيب ‥ ان ارتفاعه هنا يصل الى ٣٢ مترا ‥

وكان الرئيس أنور السادات قد زار هذا الموقع ‥ ورأى من الضفة الغربية ، ضخامة هذا الساتر ‥ وكان سؤاله :

ـ هل استعددتم لضخامة هذا الساتر ‥؟

وهذا الساتر . سبق أن رآه جنرال سوفيتى ‥ وكان معه اللواء سعد مأمون ‥ وقال الجنرال يومها أن العبور مستحيل ‥

وسأل القائد العام أحمد اسماعيل ‥ قائد الفرقة الثانية أمام الرئيس ‥ كان ذلك فى شهر مايو ١٩٧٣ .

ـ هل تستطيع أن تعبر بقواتك غدا ‥ ؟

وكانت الاجابة : أنا جاهز الليلة يا أفندم ‥

القائد العام ـ هل تعنى ما تقول ‥ ؟

ـ اننى أعنى ما أقول تماما ‥

وشد الرئيس على يده ‥

ثم تفقد الرئيس (المصطبة) المقامة على الضفة الغربية ‥ والمواجهة لمواقع العدو ‥ هذه المصاطب فكرة مصرية مائة فى المائة ‥ وصفها (بوفر) القائد الفرنسى بأنها أهرامات ‥ وضعت فوقها للتعمية نقط مراقبة مكشوفة ‥ ولكنها كانت تخفى كل أنواع الاسلحة (من مدفعية وصواريخ ، ودبابات بمدفعية ‥) ، وبحجم من ١٥٠ ألفا الى ٢٠٠ ألف متر مكعب للواحدة وتكلفت ملايين الجنيهات ‥ وتصوير العدو لها لم يكن مجديا فى معرفة أسرار استخدامها ‥

وسأل الرئيس أنور السادات فى ذلك اليوم عن مهمة الهجوم ، والارض المفروض الاستيلاء عليها ‥

ثم قال : هل تستطيع الاستيلاء عليها فى ليلة واحدة ‥ ؟

وأجاب : ممكن يا أفنـــدم ‥ لو فتحت الـكبارى فى الوقت المحدد تماما ‥

ودارت مناقشة حول التوقيت ‥ وهو اهم وأخطر عامل فى معركة العبور ‥ لان المشاة كانوا سيواجهون وحدهم دبابات العدو ، لعدة ساعات ، حتى تصل مدرعاتنا ‥

وفى ذلك اليوم ‥ قدم قائد الفرقة الثانية الى الرئيس علم الفرقة وقال له :

« أرجو أن تحتفظ بهذا العلم يا سيادة القائد الاعلى ، حتى تضعه

أمامك على مكتبك عندما يصلك البشير بأن الفرقة الثانية ·· نفذت مهمتها ·· وحققت النصر » ·

⊙❖⊙

اقتربت لحظة الصفر ··

وكان هذه الرؤى لا تفارق مخيلة قائد الفرقة الثانية ·· وهو يشرف على آخر لمسات المخاطرة الكبرى ··

انه يفترض فى تقديره ان العدو سيفاجئنا ·· رغم كل عمليات الخداع ، وعلى هذا الاساس كان تخطيطه لكل تحرك ·· ولذلك كان مستعدا لكل احتمال ··

ان أمامه ٥ نقاط حصينة للعدو ·· علاوة على السواتر ·· محاطة بكل أنواع الوقاية ·· حقول الغام ·· أسلاك شائكة ·· سيارات ميكانيكية ·· عدا ثلاثة خطوط احتياطية من الدبابات خلفها ··

وبدأ العبور بالقوارب المطاط ··

وتم تسلق الضباط والجنود للسواتر ·· والتقدم كيلو مترين ·· عشر دقائق فقط ·· وكان الوقت المقدر من ٣٠ الى ٤٠ دقيقة !

وظهرت دبابات العدو بعد وصولهم بعشر دقائق ·· وبدأت تضرب ولكن القوات المصرية فى نشوة خالدة ·· لقد ارتفع العلم المصرى على الارض المحتلة · وأصاب آلالاف بهزة فرح خارقة وانطلقت أصواتهم كالرعد ·· الله أكبر ·· الله أكبر ·· كانوا يصرخون فى وقت واحد ·· وعلت أصواتهم على دوى المدفعية والصواريخ ·· انطلقوا كالمارد ··

وكان القائد يرتب كل شىء على الضفة الغربية ·· حتى حان الوقت المحدد لعبوره · بعد ساعة ونصف · وكانت أعصابه هادئة ·· بل انه دخن سيجارة فى القارب أثناء عبوره القناة · واستقبله الجنود على الشاطىء الشرقى بالهتاف والتصفيق ·· وعلت صيحاتهم ·· « أيوه يا وحش » ·· وانتشر نبأ وصوله بين وحدات الفرقة ·· وكان لهذا أثره فى مضاعفة معنويات المقاتلين ·· القائد بين ضباطه وجنوده معا ·· لتحرير الارض ··

وتسلق العميد حسن أبو سعده الساتر الترابى ، على قدميه ·· ولم يستخدم سلم الحبال بل انه وجد أن جهازا لاسلكيا يحمله أحد الجنود ، ثقيلا على كتف الجندى ·· فحمله هو بدلا عنه ··

وهو يعبر عن نفسه فى هذه اللحظات : وعندما رأيت علم مصر ·· شعرت كأننى أرى مصر لاول مرة · وجه انسانة عزيزة غالية أعرفها منذ سنوات طويلة ·· وحولها وجوه كل من حاربوا من أجل مصر ·· واستشهدوا من أجل مصر ··

وتم تركيب كل أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية ..
واتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى .. وأعطى « تمام » .

⊙❖⊙

أول انتصار ثان عند موقع العدو أمام بحيرة التمساح ..
كان العبور الى هذا الموقع مفاجأة فعلا للعدوّ .. لان كل التقديرات ان بحيرة التمساح غير قابلة للعبور .. ما دام العـــدو لا يتصور أن العبور ممكن منها .. فلا بد أن نعبر منها وعبرت كتيبة .. وقابلها حقل الغام عمقه ٣٠٠ متر .. فتحت فيه ثغرة ..
ثم تقدمت قوة لمحاصرة موقع العدو .
ورأى العدو أن المقاومة غير مجدية .. والتقطت القيادة المصرية رسالة لاسلكية من هذا الموقع الى قيادته بأنه سينسحب بعد آخر ضوء ..
وتم على الفور اعداد كمين مصرى على مسافة كيلو متر ونصف .. بعد أن تحدد الطريق الذى يمكن أن يسلكه .. وأبيدت قوة العدو المنسحبة ..

⊙❖⊙

وقبل أن أستطرد فى رواية معارك الفرقة الثانية (للجيش الثانى) .. أحب أن أوضح هذه الصورة ..
السؤال هو .. ان مواقع خط بارليف ، أقيمت بحيث لا يؤثر فيها أى ضرب بمدفعية أو صواريخ .. فاذا كان الجندى الاسرائيلى مطمئنا بداخلها الى انها لن تتهدم فوق رأسه .. فلماذا يهرب ؟ .. ثم ما هو السبيل الى اجباره على التسليم ؟ ..
والجواب أن المقاتل الاسرائيلى .. أولا .. يحرص على تأمين حياته . هذا عنصر أساسى فى طبيعته القتالية . وكان الهجوم على أى موقع ، قد تم التدريب عليه مئات المرات . . هل يكون من الامام .. أو من الخلف .. أو من الجانبين . وكانت الخطة . احداث ثغرة .. للدخول الى الموقع . ثم القتال وجهالوجه ..
وقد أثبتت الاشارة الملتقطة .. وأثبت التســــــجيل الذى نشرته (السنداى تايمز) من أحد المواقع .. أن الجنود الاسرائيليين داخل هذه المواقع ، كانوا يطلبون نجدتهم بالمدرعات أو ضرب المدفعية .. أو ضرب الطيران .. وكانوا يرون القوات المصرية تحيط بهم من كل جانب .. ثم جاءت المدرعات المصرية ..
وكانت القيادة الاسرائيلية تعدهم .. وتعدهم .. ولم يتحقق الوعد .. ففكر الجنود داخل المواقع فى الانسحاب .. أو التسليم .. وفريق منهم اضطر أن يقاتل أمام موقعه . وكان قتالهم شرسا ..
وفى موقع لسان بور توفيق مثلا .. قاتلوا من داخل الموقع الى أكبر

وقت ممكن ٠٠ ثم لم يجدوا مفرا من طلب التسليم تحت علم الصليب الاحمر ٠٠

⊙❖⊙

وفي معارك الفرقة الثانية أكثر من قصة عن سقوط المواقع الاسرائيلية ٠

نقطة جنوب الفردان مثلا ٠٠

لم يستطع الملازم المصرى قائد الهجوم على الموقع من الامام مع جنوده فهاجم الى اليسار ٠٠ ولكن ضربات مدفعية العدو والطيران ٠٠ لم تهيىء له النفاذ الى الموقع ٠٠

فتسلل ضابط آخر ومعه جنديان من وسط الالغام والاسلاك الشائكة ٠٠ وتسلقوا دشمة ٠٠ وكان خارج الموقع جنديان أحدهما معه مدفع رشاش ٠٠ قفزوا عليهما ٠٠ قتلوا الاول بخنجر ٠٠ استولوا على مدفعه ووجوه الى الثانى ٠٠ فتقدمت نحوهم سيارة مدرعة للعدو ٠٠ وكان طيرانهم يهاجم أيضا ٠٠ فأصاب الاسرائيليين ٠٠ فخرج أفراد قوة العدو من داخل الموقع وجرى قتال متلاحم حتى سقط الموقع صباح ٨ أكتوبر ٠٠

وفي الليلة الاولى ٠٠ تقدمت ٨ دبابات للعدو لحماية هذا الموقع ٠٠ وتصدى لها الجنود المصريون ٠٠ فنسفوا أربعا منها بالصواريخ ٠٠ وكان قائد المفرزة المصرية (نقيب) قد أصيب فى بطنه ٠٠ ولم يتراجع ولم يتخل عن موقعه ٠٠ وأصر الجنود على ملاحقة الدبابات الاربع الاخرى المنسحبة ودمروها ٠

وهكذا لم يكن القتال سهلا ٠٠ وكانت المعارك دموية قبل عبور المدرعات المصرية ٠٠ وبعد وصولها ٠ المقاتلون المصريون متعطشون للارض ٠٠ وبمعنويات قتالية ملتهبة ، وخاصة بعد أن نجح العبور ٠٠ والاسرائيليون يحاولون تأمين أنفسهم ، لحماية مواقعهم ٠٠ ولكن القتال يجرفهم الى المواجهة ٠

وكان صراع الزمن هو المحك الصعب ٠

هل تصل دبابات العدو الاحتياطية فى خطوطه الخلفية ، لنجدة المواقع الاسرائيلية ٠ أولا ٠٠ أم ان القوات المدرعة المصرية سوف تصل من الغرب قبلها ٠٠

وقد حسبت القيادات المصرية هذا التوقيت ٠٠ على أساس استطلاعهم لمواقع دبابات العدو فى الخطوط الخلفية ٠٠ والمدى الزمنى الذى يستغرقه وصولها ٠٠ وحساب توقيت تركيب الكبارى ٠٠ وعبور الدبابات ٠٠

وكان السؤال الخطير فى أحـــد الاجتماعات العسكرية التى حضرها الرئيس •• وما هو الموقف •• لو وصلت مدرعات العدو الرئيسية قبل مدرعاتنا ••

وكان جواب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى : لا حل الا موقف واحد •• الرجولة والتشبث بالارض •• وصد دبابات العدو مهما كانت التضحيات ••

⊙❖⊙

ومفاجأة عبور الدبابات ليست بالامر الهين ••

أن تعطل دبابة واحدة فجأة فوق الكوبرى •• استدعى رفعها بونش •• واعادتها •• لمرور باقى الدبابات • عملية صعبة فى ظل القصف الجوى للعدو •• ومع سباق الزمن •• الدقيقة الواحدة لها أثرها فى توجيه المعركة ••

وقد كانت التعمية حتى فى تركيب الكبارى وعبور الدبابات عليها •• وأضرب لك مثلا •

فى هذه المنطقة بين الاسماعيلية والفردان •• هناك موقع على القناة ، يفتح على طريق مسفلت فى الضفة الشرقية •• والضفة الغربية أيضا • وهذا الموقع أيضا ، قريب من الطريق الاوسط فى سيناء •

وكان من الطبيعى أن يتصور العدو أن القوات المصرية ، ستقيم كوبريا ضخما فى هذه المنطقة •

وفكرت القيادة المصرية ، أن هذا سيكون تصور العدو ••

فأوحت فعــلا بأعمال معينة على الضــفة الغربية •• انها تستعد لاقامة الكوبرى •

وكان قائد الفرقة الثانية ، يخرج فى الايام الاخيرة •• ومعه ضباط •• وخرائط •• ويظهر أمام قوات العدو على الجانب الآخر •• وكأنه يعد فعلا ، لاقامة كوبرى فى هذه المنطقة ••

وفعلا فى يوم العبور •• تم انزال قطع كوبرى (غير حقيقى) •• وانزلت عليه هياكل خشبية لدبابات ••

وانشغل العدو بضربه بالطيران أكثر من مرة ••

وكان القائد يأمر باصلاحه بعد كل ضرب ••

وكان العدو يعاود الضرب ••

وكان كل ذلك تعمية ، لحماية الكبارى الاخرى الحقيقية •• وتخفيف وطأة طيران العدو عليها •• واستمرت هذه العملية طوال الليل •• وقد عاش هذا الكوبرى أربعة أيام يؤدى مهمته بنجاح حتى أغرق !

وقد تم انشاء الكوبرى الحقيقى الاول فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة من مساء ٦ أكتوبر وبدأ عبور الدبابات ..

وتم انشاء الكوبرى الثانى بعده بثلاثين دقيقة .. وعاشا الى ما بعد انتهاء المعركة .

قلت ان الصراع الزمنى الرهيب كان هو العامل الاول .

ولذلك فان قائد الفرقة الثانية ، بعد أن عبر .. وبعد أن أكمل تحديد موقع قيادته ، وتم تركيب وسائل اتصاله السلكي واللاسلكى .. بقواته .. وبقيادته فى الجيش الثانى .. كان يعد الدقائق .. لوصول أول دبابة مصرية ..

لقد وصلت أول كتيبة من دبابات العدو من خطوطه الخلفية فى الساعة الثامنة والنصف تماما .

كان العدو يتقدم مجزءا .. تقدم بكتيبة .. وتم ابادتها بقوات المشاة .. ثم تقدم بالكتيبة الثانية ..

وتحرج الموقف ..

وفجأة تلقى القائد الاشارة بالشفرة :

« هالو .. هنا كيتوكو ٣١٧ . تم العبور » ..

وصرخ القائد من فرحته وهو يرسل اشارته ..

ــ انطق بالعربى ..

وجاء الرد ــ تم عبور الكوبرى .

وبدأت معارك الدبابات الرهيبة ..

⊙❖⊙

لقد وجد العدو .. أن الجزء الوحيـــد من الجبهة الذى عبرت اليه الدبابات ، هو فى هذه المنطقة ، وهى التى تؤدى الى الطريق الاوسط فى سيناء .. أهم الطرق ..

فركز مجهوده الرئيسى عليها ..

وبدأ الصراع الجبار ..

⊙❖⊙

يوم ٧ أكتـــوبر :

العدو يضاعف ضربات الطيران ..

العدو يضاعف الضرب على الكبارى ..

العدو يضاعف تحدياته للدفاع الجوى المصرى ..

وعند أول ضوء .. كانت معنويات المقاتلين المصريين فى قمتها أول شمس تطلع عليهم .. وهم على أرض سيناء ..

وكان الجنود يضحكون .. وهم يسمونها « الصباحية » ..

بدأ الاحتياطي الكبير لقوات العدو المدرعة •• يصل الى أرض القتال فى الساعة السابعة من مساء ٧ أكتوبر ••
وبدأ العدو يتصرف بخطة ••
كان تصرفه فى النهار الاول •• والليلة الاولى •• والنهار الثانى •• تصرف الرد على فعل قواتنا وهجومنا والمفاجأة السريعة •
كان تصرفه رد فعل ••
الآن تصرف العدو •• هو فعل •• مبادرة منه بخطة موضوعة •

⊙❖⊙

الساعة الثامنة من مساء ٧ أكتوبر صادر أمر قيادة العدو الى اللواء ١٩٠ مدرعات بالتحرك من بير سبع على الطريق الساحلى •• على أن يلحق به جزء من اللواء متمركز من قبل • فى العريش •

وكانت المهمة هى تدمير القوات المصرية فى الفردان •• ثم العبور الى الضفة الغربية ــ كما عرف بعد ذلك ••

وبدأت مدرعات العدو تظهر فى الساعة ١١ من صباح ٨ أكتوبر •

ظهرت سرية من ١٠ دبابات هاجمت الجانب الايسر من قوات الفرقة الثانية •• وتم تدميرها بالكامل •• واستشهد فى هذه المعركة العقيد فطين •• الذى منح نجمة سيناء ••

ثم هاجمت سرية ثانية • دمرنا منها ٦ دبابات ••

ثم هاجمت سرية ثالثة ••

وكان هذا يعنى أن هذه الهجمات المتالية فى ثلاثة مواقع من الجانب الايسر لقواتنا •• تعنى أن وراء هذه الهجمات شيئا كبيرا •• وخطة ••

وطلب العميد حسن أبو سعدة قائد الفرقة الثانية ، من دوريات الاستطلاع ، أن تبحث عما يختفى وراء هذه القوات المدرعة التى هاجمت ثلاث مرات ••

وكانت نتيجة الاستطلاع أن قوات مدرعة بأعداد كبيرة •• على مسافة من ١٠ الى ١٥ كيلو مترا من مواقعنا فى طريق العريش ••

وقدرت دوريات الاستطلاع عدد دبابات العدو من ٧٠ الى ٨٠ دبابة •• وأن موتوراتهـــا ، دائرة •• وتقف متأهبة •• وأن مدافعها فى اتجاه الفردان •• أى فى اتجاه قوات الفرقة الثانية ••

وتتابعت تقارير الاستطلاع ، بما يؤكد أن معركة كبيرة تقترب •

ثم التقطنا اشارة لاسلكى تعطى بلاغا من قائد هذه القوات المستعدة انه سيبدأ هجوما بعد عشرين دقيقة وبأقصى سرعة ••

كانت الاشارة باللغة العبرية طبعا •• وترجمت وأرســلت للقائد المصرى •• واستغرق هذا حوالى ١٠ دقائق •• ومعنى ذلك أنه لم يتبق

أمامه الا ١٠ دقائق للتصرف ، فى كيفية مواجهة الهجوم .
وقواتنا على مسافة ٥ كيلو مترات من القناة . وهى التى تشكل رأس الكوبرى ، عند نقطة العبور ..
وكان السؤال أمام القائد المصرى ..

هل يصد القوات المهاجمة عند حد قواته الامامى .. ومعنى ذلك أن تتجمع قواته ومدرعاته على الفور عند الحد الامامى لصد الهجوم ..
أم أن يترك القوات المهاجمة تتقدم .. وتدور المعركة فى الداخل ؟
وكان يجب أن يتخذ القرار على مسئوليته .

ولا يكفى أن يصد القوات فقط .. لان الصد يمكن أن يوقف الهجوم بعض الوقت .. ثم يتابع العدو الهجوم للمرة الثانية ..
وفكر القائد لحظات ..
أن أى معركة على حدود القوات ، لن تمنع العدو من الاختراق .. واذا ركز كل جهده وقواته على الحد الامامى .. فمن الممكن أن يتطور الموقف الى أسوأ .. بعد أن يخترق العدو ..
وكان الاهم أن يحدد القائد المصرى ، استنتاجا ، المكان الذى يستهدفه العدو بعد هذا الهجوم ..
كانت هناك نقطة للعدو فى الجانب الايسر — على خط بارليف — لا تزال تقاوم .. ولم تقع .. ولم تستسلم .
وكان من الطبيعى أن يهاجم العدو بالمدرعات ليصل الى هذه النقطة .. ومنها يحاول العبور الى الضفة الغربية .
واستطاع القائد المصرى أن يحدد الخط الذى سيسير فيه العدو فى هجومه ..

⊙❖⊙

وكان هجوم العدو وبتشكيل دباباته على هيئة رأس سهم .. فى قوات متتابعة ..
وكان يؤمن هجومه .. بغارات طيران مستمرة ..
وأصدر القائد المصرى أمره الى قائد الكتيبة الواقعة على حدود قواتنا ..
— العدو سيخترق فى اتجاهك .. دعه يمر .. بعد الاختراق سيتم ضربه فى الداخل ..
وكان المشهد رهيبا .. أصوات المدرعات المخيفة .. زئير غارات الطيران .. زوبعة مريعة مفزعة من الرمال ..

وكان صعبا على قائد الكتيبة المصرية المقدم « الشهيد » ابراهيم زيدان .. أن يترك دبابات العدو تخترق بدون مقاومة .. لانه كما يلقبونه أستاذ القتال المتلاحم فى المدرعات ..

ولكن امتثالا لامر القائد .. نزل فى الحفر مع رجاله ..
وسارت دبابات العدو فوق الحفر ..
* وفى الوقت نفسه كانت الكتيبة المصرية تضرب على جانبى طريق دبابات العدو بالطلقات حتى تأمن عدم تفرقها الى عدة طرق ..
وكانت مدرعات العدو تجرى بسرعة عالية جدا وهى ٤٠ كيلو مترا .. والسرعة العادية للمدرعات من ١٥ الى ٢٠ كيلو مترا ..
ولكن العدو شاء أن يكون اختراقه سريعا ومفزعا ..
ان مدى مدفعية الدبابة يصل الى كيلو مترين .. ويجب أن تتدمر دبابته قبل أن تصل الى عمق رأس الكوبرى المتمركز ..
دخلت مدرعات العدو ٥٠٠ متر ..
واصلت التقدم ٥٠٠ متر أخرى ..
ثم بدأ اطلاق النار عليها من جميع الجهات .. من اليمين واليسار وأمامها .. وحتى كتيبة زيدان التى تركت دبابات العدو تخترق .. بدأت تضربها من الخلف .. وكانت هذه الخطة هى مصيدة الموت .
فوجئت قوة العدو أنها فى كمين « أرض قتل » كما يقول العسكريون .. كانوا يهاجمون باثنتين وسبعين دبابة ..
وكان ترتيب وقوف قواتنا انتظارا لتطويقهم ، بحيث تصوب أكثر من ٦ مدافع من أنواع مختلفة على كل دبابة ..
ولم يكن ليستطيع الانسحاب .. لان قوة ابراهيم زيدان .. تقدمت خلفه .. وكانت تضربه فى المؤخرة وعلى مسافة ٥٠ مترا ! وبعض الجنود المصريين .. هاجموا وهم جرحى .. وبعضهم هاجم ويده اليسرى مقطوعة !
وانتهت هذه المعركة الخيالية فى دقائق !
ان معركة لواء فى العلم العسكرى ، تستغرق من ساعتين الى ثلاث ساعات .. ولكن ما حدث .. كان حدثا فعلا !!
ولم يشأن القائد أن ينتظر لكى يتفقد المعركة ..
لقد أمر على الفور ، بمجرد احتراق دبابات العدو . وتعطلها .. وتدميرها .. بتطوير هجوم قواته الى الجانب الايمن ..
فاستولت على قيادة العدو فى « تبة الشجرة » .. وهرب منه جنوده ..
ثم اندفع بقوات أخرى الى الموقع الذى كان لم يستسلم بعد .. وكان ينتظر وصول لواء المدرعات اليه .. وسقط هذا الموقع فى الساعة الرابعة مساء ، أى بعد أربع ساعات ..
أما قواته على جانبه الايسر الذى تم منه الاختراق .. فقد تقدمت الى اليسار لتحسين أوضاعها ..
وبقيت دبابات للعدو لم تدمر .. وتحاول الافلات من رأس الكوبرى ..

تصدت لها دبابة مصرية •• ضربتها ضربة مباشرة فى مقتل •• تحت برجها مباشرة ••

قفز من دبابة العدو المحترقة أربعة •• جروا وسط الزمال •• واختبأوا في حفرة انضم اليهم أربعة آخرون من عربة مدرعة للعدو وأصبحوا كلهم فى الحفرة الواحدة ••

دفعنا اليهم سيارة مجنزرة حتى لا يهربوا ••

طوقتهم ••

تقدم اليهم المقاتل فتحى نجيب ومعه عدد من الجنود •• خرجوا من الحفرة •• رموا السلاح •• رفعوا الايدى ••

قال واحد منهم بلغة عربية ركيكة : أنا قائد اللواء الاسرائيلى •• عاوز أقابل القائد المصرى •

الملازم : اثبت هذا ••

أخرج الطبنجة •• وبطاقة تحقيق شخصية ••

كان يرتدى حلة عسكرية بلا رتب عليها ••

وغمى وجهه • وأوثقت يداه من الخلف • طبقا لمعاهدة جنيف

⊙❖⊙

وتم الاتصال بالقائد المصرى •• العميد حسن أبو سعدة ••

كان القائد منشغلا •• باكمال تطوير الهجوم ••

طلب أن يرسل اليه فى الصباح •

تم اللقاء • قال ان اسمه الكولونيل عساف ياجورى •

ــ وظيفتك ••

ــ قائد لواء مدرع ١٩٠ (قالها بالانجليزية) •

ــ انت ضابط احتياطى ••

ــ نعم ••

ــ وما هو عملك المدنى ••

ــ مدير فندق فى تل أبيب ••

⊙❖⊙

وفى اليوم الثامن من أكتوبر أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام ، هذا النداء •

نــــــداء

من القائد العام للقوات المسلحة

الى جميع أفرع وتشكيلات القوات المسلحة

يسعدنى أن أبلغكم أن الفرقة الثانية المشاة • قد دمرت اللواء ١٩٠ مدرع الاسرائيلى بالكامل صباح اليوم • وأسرت قائده العقيد عساف يارجورى ،

وقد بلغ ما تم تدميره من قوات العدو المدرعة فى القطاع الاوسط صباح اليوم ١٥٠ دبابة ٠

وانى باسمكم جميعا أحيى العميد أ٠ح جسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية المشاة ، وضباطه وجنوده وأشد على يدهم فردا فردا ٠٠

كما أقدم شكرى لكل من رجال قواتنا المسلحة فى البر والبحر والجو ، على كل ما بذلوه ويبذلونه فى أداء واجبهم ٠٠

ان عدوكم اليوم قد عرف من هو الجندى المصرى ، ومن هو القائد المصرى ، عرف أن المقاتل المصرى الذى أتيحت له الظروف المتكافئة ليثبت قوته وقدرته وعزمه ٠

ان عدوكم اليوم فى ذهول من هذا النوع الجديد من جنود مصر فعلى بركة الله ٠٠ تقدموا أيها الابطال ٠

وعلى بركة الله حققوا النصر لمصر ٠

فريق أول أحمد اسماعيل على
القائد العام للقوات المسلحة

⦿❖⦿

ونعود الى الوراء مرة أخرى ٠ الى السادس من أكتوبر الساعة السادسة والنصف من المساء ٠٠

انتهت المهام الاولى المكلفة بها قواتنا فى الفرقة الثانية ٠٠ وهى تدمير الاهداف القريبة ٠٠ محاصرة النقط القوية ٠٠ وقد تم الاستيلاء على نقطة منها ٠ وتم عزل ٣ نقط وحصارها ٠٠

ولم يتوقف القتال ٠٠

بدأ لواء مدرعات العدو ٠٠ الرابض خلف مواقعه ويسمى لواء « المليز » الهجوم بأكثر من ٣٥ دبابة ٠٠ تتقدم بأصوات رهيبة ٠٠ وكشافاتها مضاءة ٠٠

دباباتنا لم تصل بعد ٠٠

أمر القائد ، بأن تهاجم هذه المدرعات بـ « أطقم » اقتناص الدبابات ٠ وسألت محدثى ٠٠ ما معنى « أطقم » ٠٠

قال — انها مجموعات من ٣ أو ٤ أفراد ٠٠ تقترب من الدبابة على بعد ١٠٠ متر وتضربها بصواريخ محمولة بالايدى ! ٠٠ وقد تدربوا على هذه العملية آلاف المرات خلال السنوات الماضية ٠

وكان هؤلاء المقاتلون يختارون بمواصفات خاصة ٠٠ حتى يكون التعاون بينهم كاملا ! ٠٠

تقدمت مجموعات المشاة ٠٠

ضربت كشافات الدبابات أولا ٠

دمر جزء منها ..
اطفأ العدو باقى كشافاته .. واعتمد على الاشعة تحت الحمراء .. وهى محدودة المدى .. تقدمت « الاطقم » نحوها ..
هاجمت بعدد كبير .. دمرت منها ١٢ دبابة ..

حدث الارتباك . اختلطت الدبابات . فقدت اتجاهها . بعضها ضرب بعضه .

كانت هذه المعركة من أولى مفاجآت ضرب المدرعات .. بالمشاة .. بالنسبة للعدو .. الفكرة فيها بسيطة ..

مشهد الدبابة مخيف . حجم كبير . صوت مفزع . مجهزة بمدفعية . أبسط أسلوب للهجوم .. عليها .. أن تقترب منها جدا .. وتكون فى حماية من ضربها « لكى تهاجم الفيل البد تحت ودنه » كما يقول المثل العامى . وكان هذا المثل هو التطبيق العلمى لحرب المشاة للدبابات .

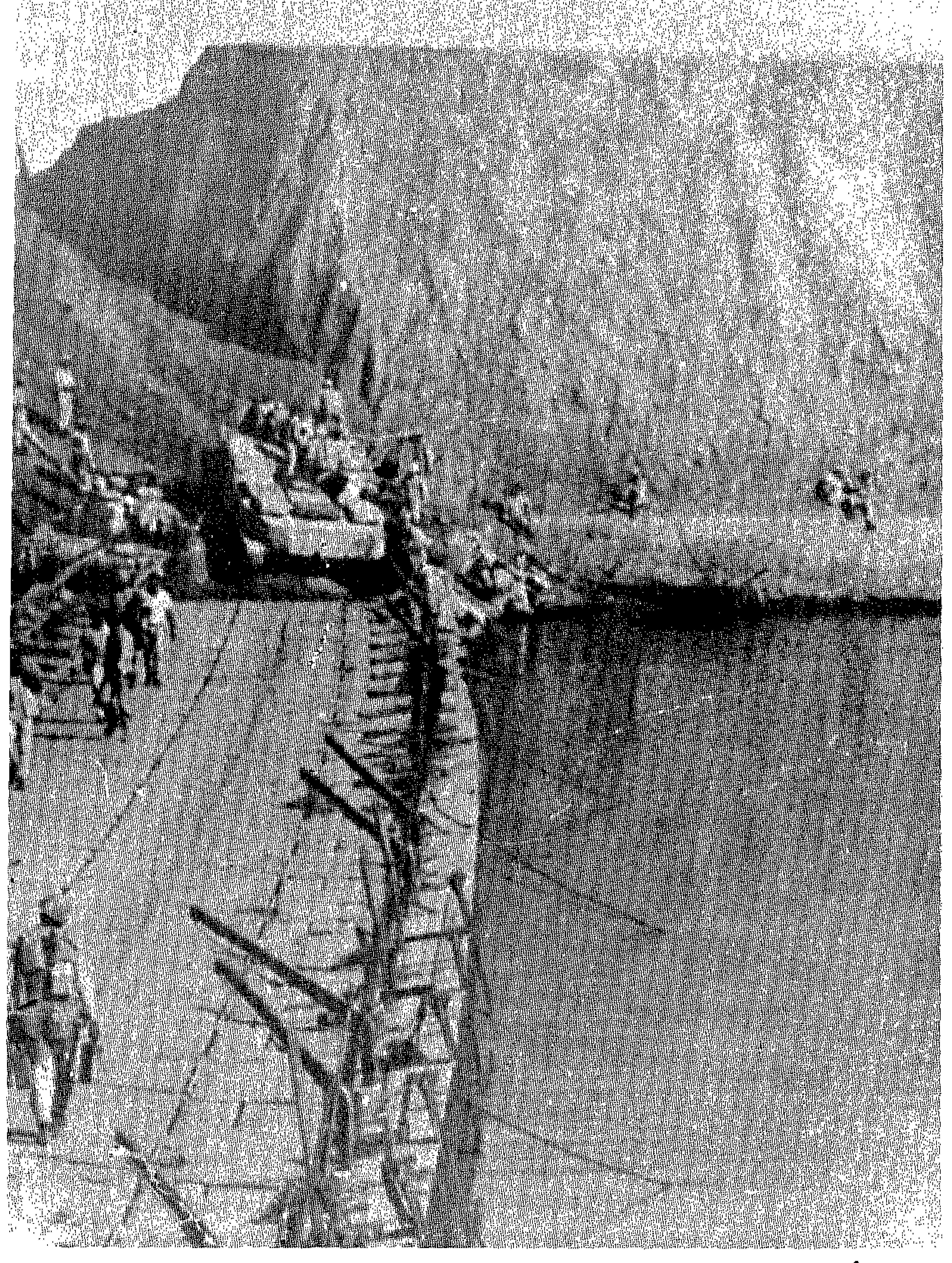
انها عملية انتحارية .. تحتاج الى شجاعة .. حسن رماية .. لياقة بدنية ..

وقد ساعد فى معركة لواء الملين .. ان احدى دباباته انفجرت وظلت مشتعلة طوال الليل .. مما سهل لرجالنا مهمة الضرب بالصواريخ .
بعد الضربات الاولى ..
تقدمت كتيبة دبابات أخرى للعدو .. وهاجمت من اليمين ودخلت وسط قواتنا .. لم يبق منها الا دبابة واحدة . كلها تدمر .. وهربت الدبابة الوحيدة .. وسارت على غير هدى .. الى أن ضربت .. وتوقفت .
وتم أسر طاقمها .

وسط كل هذه النيران .. لم ينس القائد عروسه .. لم ينس أنه استمتع بيوم واحد فقط من شهر العسل ! ..

وعندما أتيح الاتصال التليفونى من أرض المعركة .. كان أول صوت يسمعه هو صوتها !
كانت تبكى من الفرح ..
وكان يضحك من الفرح ..
ان الزوجة لا تنتظر الآن عريسها .. انها تنتظر البطل !
وعاد البطل بعد وقف النار ورتبة اللواء على كتفيه !

****



بعد العبور العظيم الذى حقق معجزة عسكرية باعتراف العالم كله ..
الكبارى التى صنعها المصريون واقتحموا بها خط بارليف بعد أن
هدموا السد الترابى

● الفصل الثامن ●

وحوش ونيــران ودمــاء

●●● « القصة الكاملة لمعــارك الدبابات الرهيبة التى لم تشهد مثلها الحرب العالمية الثانيــة . لم تهــدأ النيران الا لكى تتجدد أكثر التهابا . لم تصمت المدافع ابدا . كل الاســلحة اشتركت فى هذه المعارك الدموية الوحشية . الدبابات وجهــا لوجه .. المقاتلون وجهــا لوجه . اروع قصص البطولة والاستشهاد . والمدرعات تحولت الى علب كبريت .. الصواريخ تملأ الصحراء . انها قصة الرعب والموت ●●●

ماذا لو لم تنجح خطة الخداع التى برعت فى كتمان كل الاسرار حتى الطلقة الاولى فى ساعة الصفر يوم ٦ اكتوبر ؟ ..

هذا السؤال كان موضع دراسة دقيقة مستفيضة من قيادات القوات المسلحة على مختلف المستويات .

كان المتوقع ، اذا انكشف السر ، ان يقوم العدو بما يسمى ضربة اجهاض .. أن يسبق فى الهجوم . أن يقضى على كل الخطة .. أو على الاقل يعطلها وبخسائر فادحة من جانبنا .

ولكن هذا الاحتمال ، درس ، بأكثر مما درست تفصيلات خطة العبور وما تلاها من خطط . درس فى وقت أطول .. وبدخول الى كل الاحتمالات .

كان من الممكن أن يضرب العدو من مواقعه على الضفة الشرقية بنيران الطيران ..

وكان من الممكن أيضا أن يقوم العدو بعملية عبور من الشرق الى الغرب ويهاجم قواتنا المستعدة فى الايام الاخيرة ، لتنفيذ مهامها فى ساعة الصفر .

واذا نجح العدو ، فى ضربة اجهاض شاملة .. فقد كان هذا يعنى نكسة أخرى .. بل هزيمة أشـــد قسوة من هزيمة ٦٧ .. ويعلم الله متى كنا نستطيع أن نجمع قواتنا لحرب جديدة !

ولذلك درس هذا الاحتمال بعناية شديدة .. ووضعت الخطة المضـادة لضربة الاجهاض المتوقعة ..

كان التفكير المصرى .. أن العدو قد يواجه ضربة اجهاض جزئية اذا لم يسعفه الوقت ، وكان اكتشافه لنوايا الهجوم المصرى فى وقت متأخر . أو أن يوجه ضربة اجهـــاض كاملة .. اذا كان عنصر الزمن فى صالحه واكتشف نوايانا فى وقت مبكر . ووضعت الخطـــة المصرية المقـــابلة للاحتمالين ..

وتم التدريب على الخطة تدريبا قاسيا ، وصل الى أدق الجزئيات بما فى ذلك التدريب على العبور والاقتحام ..

وكانت الايام الثلاثة الاخيرة قبل ساعة الصفر .. هى الايام الفاصلة هل يسبق العدو بالضرب ؟ .. هذا هو السؤال الذى شغل ذهن كل قائد فى جيشنا على امتداد الجبهة .. وكانت كل العيون والاذان مفتوحة ..

وكانت خطواتنا المضادة لضربة الاجهـاض ، تتركز فى ثلاثة اجراءات

١ ــ ايقاف الضربة ..

٢ ــ ثم تدميرها ..

٣ ـ ثم تنفيذ العبور الى الضفة الشرقية ..

ولم يسمح لى القادة الذين تحدثت اليهم ، بأكثر من هذه الخطوط العامة .

⊙❖⊙

ومع ذلك .. وفى تقديرى .. أن أية ضربة اجهاض من العدو ، مهما نجحنا فى امتصاصها كان سيكون لها أسوأ الآثار .. على الاقل فى ارتفاع خسائرنا قبل العبور .. وفى « الفركشة » التى كان يمكن أن تحدثها ، الضربة .. وفى تبريد الحماس المعنوى الملتهب الذى ملأ قلوب جنودنا ، وهم يعبرون بنجاح ، بنداء « الله أكبر » .. الذى كان يدوى بأقوى من أصوات الصواريخ ..

وقد ثبت فيما بعد ، ومن الوثائق العسكرية للعدو التى استولت عليها قواتنا ، أن العدو كانت له خطة أجهاض فعلا ..

⊙❖⊙

وقد نجحت خطة الخداع المصرية . ولم يتأكد العدو من أن هجوما مصريا سيقع الا فى الساعة الرابعة من صباح ٦ اكتوبر . وعلى الرغم من أن المعلومات التى حصل عليها العدو ، هى أن الهجوم المصرى كان سيبدأ فى الساعة السادسة من المساء .. أى أنه كانت أمامه ١٢ ساعة لتنفيذ خطة الاجهاض أو الاحباط .. فانه لم يتخذ قراره ..

وقيل بعد ذلك أن جولدا مائير رفضت اتخاذ القرار السياسى بالمبادرة بالهجوم ، بحجة أنها لا تستطيع أن تقنع العالم ، بعدالة الهجوم .. وانها تفضل أن يهاجم العرب ، حتى تكسب التأييد الدولى ..

ولكن الحقيقة غير هذا . لان اسرائيل لم تكن يوما ، تهتم بالرأى العام العالمى اذا كانت تتصور أنها معرضة فعلا لخطر من هجوم مصرى .

لقد تراجعت اسرائيل عن خطة ضربة الاجهاض ، لعدة أسباب .. أهمها انهم كانوا يتصورون ، حتى بعد تأكدهم من معلومات الهجوم أن مصر ستخسر المعركة فيما لا يزيد على اليومين .. وأن اسرائيل ستتمكن من الابادة الشاملة للقوات المسلحة المصرية .. فلماذا تبدأ اسرائيل بهجوم وهى واثقة من الانتصار المكتسح السريع ؟ ..

وقد ثبت فيما بعد ، مما أذاعته اسرائيل ، أن موشى ديان وزير الدفاع رفض أيضا ضربة الاجهاض . وعندما بدأ الهجوم المصرى ، قال تصريحه المشهور ، الذى يعنى أنه سيمسح القوات المصرية من الوجود ..

وكانت لدى ديان أسباب عسكرية فنية أخرى ..

فلم يكن متيسرا أن يقوم بضربة الاجهاض أو الاحباط ، على اتساع كافة خط المواجهة .. واذا فعل ، فستكون الضربة ضعيفة .. ولو كانت المعلومات عن الهجوم المصرى ، قد تأكدت لديهم قبل ثلاثة أو أربعة أيام لكان يمكن أن يكون الوضع مختلفا ..

قال لى اللواء عبد رب النبى حافظ (سكرتير عام وزارة الحربية الان) قائد الفرقة ١٦ التى كانت مكلفة بأشــق مهــام القتال فى خطة ٦ اكتوبر فقد كانت مسئولة عن التقدم فى القطاع الاوسط للجبهة ، المتجهة الى العوجة والقسيمة ٠٠ وكان القائد الاسرائيلى الذى يواجهه هو أريل شارون الذى تسلم القيادة بعد أن استدعوه من مزارعه فى بير سبع ، وقطع ٢٢٠ كيلو مترا حتى وصل الى مقر قيادته فى الطاسة ٠٠

قال لى اللواء عبد ربه (هكذا ينادونه) :

ـ لقد وضعنا توقيتات عديدة لاحتمالات ضربة الاحباط من العدو ٠٠ وخاصة فى الايام الثلاثة الاخيرة ٠٠ وقبل كل توقيت ، كنا نستعد بكل أعصابنا وقواتنا ٠٠ لتنفيذ الخطة المضادة ٠ حتى جاءت الساعة السادسة من صباح يوم ٦ اكتوبر ٠٠ ولم يهاجم العــدو ٠ فلم تبق أمامه الا فرصة واحدة ٠٠ كان تقديرنا أن تكون الساعة العاشرة من الصباح ٠٠ وتجاوز عقرب الساعة رقم ١٠ ٠٠ فامتلأ قلبى بالتفاؤل ٠ ليس أمام العدو فرصة أخرى ٠٠ ومن هنا تركت موقع قيــــادتى ٠٠ ومررت على القــوات ٠٠ واطمأننت الى أن كل شىء معد تماما لساعة الصفر ٠٠

القوات فى أوضاع الهجوم ٠٠ بعد أن تمت اعادة تجميعها ، فى المواقع التى ستثب منها الى مهامها ٠٠ كل معــدات العبور فى مرابضها ٠٠ كل قيادة صغيرة تعرف مهامها دقيقة بدقيقة ٠٠

أن خط المواجهة فى هذا القطاع الاوســـط يمتــد ٤٠ كيلو مترا ، من منتصف بحيرة التمساح شمالا الى منتصف البحيرات المرة جنوبا٠ العدو على الضفة الشرقية له نقطتان فى الدفرسوار ونقطة ثالثة فى تل سلام على البحيرات المرة ، تؤمن نقطتى الدفرسوار ٠ ومركز قيادة العدو المجهز فى منطقة الطالية (تم الاستيلاء عليه مساء ٨ أكتوبر) ٠٠

التخطيط هو التقدم ٠٠ والتعاون مع الفرقة الثانية شمال الاسماعيلية لتشكيل رأس شاطىء للجيش الثانى ٠٠

هجمات العدو متوقعة ٠ الدراسات الدقيقة لتوزيع قوة العدو ، وخطوط احتياطيه ، أوحت باحتمالات هجماته التى وصلت فى المعركة الى ١٨ هجمة دموية ٠ عمليات الاستطلاع التى استمرت سنوات ، أعطت صورة دقيقة شاملة ، لمسرح العمليات أمامنا ٠

الاستطلاع بالنظر من الابراج ٠ تقارير عملائنا وسط صفوف العدو ٠ التصوير الجوى ٠ حتى اننا وضعنا « ماكتات » لحصون العدو من الخارج والداخل ٠٠ وكأننا كنا نعيش بداخلها !

⊙❖⊙

وأرجو أن أتمكن من تسجيل معارك القطاع الاوسط ٠٠ يوما بيوم ٠٠ كما سمعتها من قادة هذه المعارك حتى يعيش القارىء معارك الدبابات الكبرى

التى كانت أضخم بكثير من أكبر معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية ولم يكن موشى ديان ليتوقع أن تصل هذه المعـــارك ، الى هذه الدرجة من الضراوة والدموية عندما وعد بسحق عظام المصريين • فقد عاد فى رابع أيام القتال ليقول أن معارك بهذه الدموية وبهذه الخسائر الفادحة لا يمكن أن تستمر طويلا • وهذا حق فقد اشـــترك فيها من الجانبين أكثر من ألف وخمسمائة مدرعة •• وكان القتال يجرى فى كثير من الاحيان مواجهة بين عشرات المدرعات التى لا يفصل بينها اكثر من مائة متر ! •• ويســـجل التاريخ بالفخـار للجندى المصرى ، أنه لم توجد دبابة مصرية محترقة على أرض المعارك ، الا وكانت فوهة مدفعها (الماسورة) فى مواجهة العدو •• وقد رأى شهود العيان ، دبابات اسرائيل المحترقة ، وعدد كبير منها متجه الى الشرق تسللا من رهبة المعركة ••

وكاتب هذه السطور من هؤلاء الشهود •

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

حانت ساعة الصفر • العميد عبد رب النبى فى موقع الملاحظة على الضفة الغربية الذى يبعد ٩٠٠ متر فقط من الشاطىء ، وفى مكان مرتفع يرى منه كل شىء• الساعة الثانية ودقيقتان •• انطلقت الطـــائرات المصرية على ارتفاع منخفض جدا ، وكأنها زاحفة فوق الرؤوس •• (على ارتفاع ١٥ مترا اتجهت الى جميع مواقع مطارات العدو ومراكزه المؤثرة ••

شعور شامل بالارتياح والامل ••

بدأ التاريخ يكتب أول سطور الملحمة ••

ـ القوات الامامية للعـــدو أذهلتها المفاجأة • لم تفتح نيرانهـــا ! سمعنا أصـــوات اشتباك الطيران فى العمق •• أول بشرى لنجـــاح أول ضربات الخطة •

الســــاعة الثانية و٥ دقائق • المدفعية المصرية تصب نيران جهنم على امتداد الجبهة • بطاريات مدافع العدو بدأت التدخل • اسكتناها •

الساعة الثانية و ٢٠ دقيقة عادت الطائرات المصرية ••

التهب الحماس ••

أطقـــم اقتناص الدبابات تنزل الى الماء • بدأ العبور • صرخة الايمـــــان المدوية « الله أكبر » تهز الاجواء •

الموجـات تتدفق • العـــــدو يتدخل بالمدفعية • اسكتناها • الطـيران الاسرائيلى لم يظهر بعد • معابر الاقتحام يتم تركيبها • معـــابر الناقلات البرمائية تظهر على الشاطىء ، وتمتد سريعـــا الى وسط المـــاء • المعديات يحملها مئات الرجال • قطـــع الكبارى تظهر من مكامنها •• المهندسون الابطال يتحركون بأسرع من الطلقات •

عالم جديد .. ولد فى لحظات .. ولا دقيقة للضياع . الكل يعرف واجبه .. الكل يعرف أنه معرض للضرب بكل أنواع الصواريخ . لا شيء يهم . المهم فقط أن نعبر . هذا هو اقتحام الموت كما لايستطيع أن يسجله خيال الكتاب . مصر تبدأ الميلاد الجديد .

عشرات من الرجال يصلون الى الشاطىء الاخر . أصبحوا مئات . أصبحوا آلافا . أعلام مصرية ترفع . رجال يبكون . الكل يقبل التراب والرمال والطين . لا تهمه طلقات الرصاص حوله أو أمامه . كأنها ناموسة بجوار أذنه . الكل يؤدى مهامه . ويأخذ مواقعه . جنود مشاة بأسلحة خفيفة وصواريخ الكتف قاتله الدبابات .

الساعة الخامسة . فرقة المشاة كلها على الشاطىء الاخر . وكتيبة برمائية عبرت من منتصف بحيرة التمساح . وكانت هذه هى المفاجأة . أن هذه البحيرة مشطوب عليها من العسكريين فى أية خطة . الماء ضحل ولا يصلح لاى عبور . ولكننا أخذنا المواقع والاساليب التى لا يتوقعها العدو استفدنا تماما من الدروس السابقة ..

وكان قائد الفرقة قد عبر .

وهذا هو المبدأ الذى التزمت به ملحمة ٦ أكتوبر . القائد فى الصف الامامى وسط الجنود يدير المعركة معتمدا على الرؤية الشخصية فى قلب اللهيب والنار . وقد نتج عن هذا نسبة خسائر كبيرة فى القيادات . ولكنها سطور فخار .

استولى الجنود على المصاطب الترابية فى الشرق .. تسلقوا بأسرع من لمح البصر .. القائد فى موقع قيادته الجديد ..

الاقتحام الاول بدأ بعد ٤٥ دقيقة من العبور .

المشاة المصريون أمام دبابات العدو التى بدأت تهاجم من الجانبين بالاحتياطى القريب . اشارات عديدة تصل الى القائد . « ظهرت دبابات اننى قادر على تدميرها » .. الاجابة على الفور « تصدق . دمرها » .. فشلت الهجمات المضادة . القائد يصدر أوامر التقدم شرقا لتنفيذ المهمة الثانية . الكل يجب أن يكون فى موقعه على الخط الجديد على أبعاد تتراوح بين ٤ و ٦ كيلو مترات شرقا . الكل يستعد للضرب انتظارا لوصول مدرعات العدو .

هذه أحرج الاوقات .

الوقت المحدد لعبور الدبابات ووصولها الى المواقع الشرقية هو التاسعة مساء و ٢٠ دقيقة . على أحسن تقدير .

المشاة ستظل وحدها تقاوم هجمات المدرعات .

ماذا لو نجحت هجمات العدو ، قبل أن تعبر الدبابات ؟ تستطيع دبابات العدو أن تصل الى الشاطىء . ستوجه نيرانها على المعابر والكبارى وتعوق

العبور • لقـــد دمرنا الاحتياطى الاول • بقى أمامنا الاحتياطى الثانى من مدرعات العدو • لحظات فاصلة سنقاتل بشراسة مهما كلفنا الامر • هذه هى الحمـــاية الحقيقية للعبور •• بل لـكسب المعركة كلها •• قـدرنا أن تنجح هذه المفاجأة التكتيكية • وهى تواجـد تسليح مدرب على الضفـــة الشرقية ، فى توقيت لا يتوقعه العـــدو •• وفى أمكنة تفاجىء هجمـــاته المضادة •• كان المكان الذى تم منه العبور مفاجأة • استخدام البرمائيات (عربات مدرعة برمائية ذات تسليح خاص) •• كان مفاجأة ••

الانتشار السريع فى أماكن تتجاوز مواقع العـــدو الحصينة •• كان مفاجأة أخرى • المشاة تواجه المدرعات •• مفاجأة رابعة •• حدث الارتباك العظيم •

ولكن هذا لا يمنع أن عبور الدبابات كان هو المقياس الفاصل للنجاح ••

القائد يواجه موقفا رهيبا • قواته من المشاة فى الشرق •• وأسلحته فى الغرب •• وبينهما القنـــاة ! •• أى اختلال فى التوقيت يهدم الخطة كلهـــا •

وبدأت الدبابة الاولى تعبر فى الساعة التاسعة و٢٠ دقيقة من المساء •

كان صوتها المزعج •• هو أحلى أغنية سمعها القائد !

ولكن كل ما حضر له منذ ٦ سنوات ، وبتدريبات يومية تعرض أيضا للمفاجآت ! •

العبور لم يكن نزهة • طائرات العدو تغير • مدفعيته تضرب • ضوء القمر النصفى لا يسعف • قذائف الانوار تنطلق ولكن للحظـات خاطفة

دبابتان برمائيتان غرقتا فى الماء • ليس هذا أمرا سهلا • الكوبرى الاول تعطل • المرساة لم تكن مضبوطة تماما • غرست دبابة عند وصولها • وراءها مئات الدبابات واقفة • ضربة من العدو من الممكن أن تحطم العبور كله • ونش يجب أن يصل الى الضفة الشرقية • ينتشل الدبابات • المهندسون الابطال يصلحون مرساة الكوبرى • الدبابات الواقفة تتقدم • الدقيقة لها ثمن ، هو الانتصار أو الانكسار ، الكوبرى الثانى ضرب ، لابد من ابدال الوصلة من احتياطى قطع الكبارى المخبأة على الشاطىء • اقتضى الامر بعد ذلك تحويل الدبابات كلها الى كوبرى واحـــد • والفاصـــل بين الكوبرى رقم ١ والكوبرى رقم ٢ يزيد على ٥ كيلو مترات !

أن تحويل المرور من كوبرى الزمالك الى كوبرى قصر النيـــل ، يربك شوارع القاهرة كلها • فلتتصور تحـــويل عبور الدبابات من كوبرى الى كوبرى •• والنيران تغطى السماء ! •• والقائد فى الشرق يستعد لتطوير الهجوم •• ليواجه هجوما اسرائيليا مضادا ولكن المراسلين الاجانب شهدوا بأن مرور العبـــور بالدبابات كان أكثر تنظيما من مرور السـيارات فى القاهرة ! ••

القوات تتدفق • كل وحدة لها نور خاص ملون حتى تعرف مواقعها • ولها دليل يقودها الى الموقع • ومن الممكن أن نتخيل الصور فى الظلام •• والعابرون وصلوا فى النهاية الى أكثر من ٥٠ ألف مقاتل فى الجيش الثانى فقط وحتى صباح ٧ أكتوبر ، وعلى اتساع هذه الجبهة العريضة •• وبمختلف الاسلحة التى تعرفها الحروب الحديثة •• وبكل الاجهزة الدقيقة ! العدو يزداد ارتباكا • العدو يطلق النيران فى كل اتجاه •• تاهت دبابتان للعدو وسط قواتنا • ووجدناهما على الطريق • تم تدميرهما على الفور • تراشق النيران مستمر • العبور البالغ السرعة أفقد العدو القدرة على القيام برد الفعل • لا هجوم الليلة على مواقع بارليف القوية • المهم محاصرتها واسكات نيرانها ، لمنعها من الانسحاب •• ولحجب وصول أى امدادات اليها • كل الجهود الرئيسية مركزة الان فى مواجهة الخطر الكبير من الهجمات المضادة المتوقعة من احتياطيات العدو فى العمق •

أول هجمة مضادة فى العاشرة من المساء من احتياطى العدو •

تم تدمير الهجوم •

نقط الملاحظة تتقدم • التصنت على الاصوات • استراق اشارات العدو اللاسلكية •• المعلومات تتجمع •• القائد مع مجموعة القيادة ، يستعد للمعارك المقبلة •

— الحرب فى ليلتها الاولى لا تعرف النوم !

٧ أكتوبر :

القائد منذ الفجر يتفقد كل مواقع القوات • الاوامر مستمرة لتعديل المواقع ، وحل المشكلات المفاجئة • عبور الدبابات مستمر • العدو يبدأ هجوما كبيرا فى الثامنة والنصف صباحا فى الجانب الايمن للقوات من اتجاه حبيطة • قوة الهجوم ٥٠ دبابة ووحدة مشاة ميكانيكية • أمكن صدها وتحقيق تدمير ٢٠ دبابة • المعركة على بعد ٣ كيلو مترات فقط من مركز القيادة • مسرح العمليات أمامه يراقبه ويوجهه بالعين المجردة • المعركة دائرة وطيران العدو يركز ضرباته منذ أول ضوء على جميع مناطق العبور حائط الصواريخ فى الضفة الغربية يؤدى مهمته بنجاح ساحق • قوات من الدفاع الجوى كانت قد انتقلت شرق القناة • المعارك بكل أنواع الاسلحة • القوات الجوية تنطلق فى طلعات اعتراض • الملاحظ اننا تمكنا من كسر موجات هجمات العدو بالطيران • كانت على ارتفاع منخفض • كل موجة من ٨ طائرات الى ١٢ طائرة • وكل مجموعة ٤ طائرات • الاخبار سارة • الضرب على المعابر غير مؤثر بسبب **كفاح الدفاع الجوى** • الغرور الاسرائيلى هيأ لهم انهم قادرون ، على ما فشلت فيه قوات الطيران الامريكى فى فيتنام • (قالت البعثة العسكرية الامريكية التى جاءت الى المنطقة لدراسة حرب اكتوبر • ان اسرائيل لم تأخذ العبرة من درس فيتنام) •

كل هذه الطلعات لم تحدث اصابة مباشرة الا فى كوبرى واحد • صاروخ أصاب أحد البراطيم • فك البرطوم •• أبدل بآخر من الاحتياطى المجهز على الشاطىء الغربى ••

هجوم ثان من العدو بالمدرعات عند الظهر • من نفس قطاع الهجوم الاول • قوة الهجوم ٥٠ دبابة • دمرنا ١٥ • تراجع العدو • استمرت المعركة أكثر من ساعتين •

قواتنا مستمرة فى التقدم • الهدف الوصول الى منطقة « الطالية » وتطويقها • التعبير العسكرى أن الطالية •• تبة متحكمة بسبب ارتفاعها ٣٤ مترا ـ تسيطر على الارض حتى القنال • كانت هذه هى المهمة الاولى ابتداء من بعد العبور مباشرة •

أمكن تحقيق الجزء الاكبر من المهمة ••

لا بد بعد ذلك من السيطرة على ثلاثة مواقع تحيط بالطالية •

● أبو طربوش •• وارتفاعها ١٠٩ أمتار •

* الخيل •• وارتفاعها ١٢٣ مترا ••
* أبو وقفة •• وارتفاعها ١٠٣ أمتار •
* بير حيطة •• وارتفاعها ٨٧ مترا ••

على يسارنا •• قوات الفرقة الثانية من الجيش الثانى ••

هناك فاصل ••

التقدم يعنى أيضا الالتحام مع قوات الفرقة الثانية وتكوين رأس كوبرى موحد •• اسمه العسكرى •• رأس كوبرى جيش ••

استمر الليل هادئا من المعارك حتى الصباح •

تراشقات بسيطة بالنيران •

العدو يستعد لهجوم جديد •

قواتنا تستعد للتقدم ومواجهة الهجوم •

الساعة الثالثة صباحا • من حق القائد أن يستريح ساعة واحدة فقط •

٨ أكتوبر :

العدو يهاجم الجانب الأيسر للقوات مرة ثانية ، فى الثامنة صباحا نفس الاتجاه •

بدأ الهجوم بـ ٥٠ دبابة •• لم ينجح •

العدو يعاود الهجوم •• فى نفس الاتجاه فى الساعة العاشرة والنصف صباحا •• قوة الهجوم ٥٠ دبابة •

المعركة تستمر ثلاث ساعات ••

• • • • • • •

أوامر اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بتطوير الهجوم وذلك بالتعاون مع الفرقة الثانية وفى نفس الوقت !٠٠
القوات تتقدم فى ثلاثة اتجاهات كما تتقدم الفرقة الثانية من ثلاثة اتجاهات أخرى ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

الساعة الرابعة مساء ٠ العدو يعاود الهجوم على يسار قواتنا ، لكي يمنع الاتصال مع قوات الفرقة الثانية ، الهجوم بالغ العنف هذه المرة ٠
عند آخر ضوء ٠٠ أمكن التحام قوات الفرقتين ٠ تم انشاء رأس كوبرى الجيش الثاني ٠ تجهيز المواقع الجديدة ٠ القادة يتبادلون التهانى ٠ ثم اخلاء الجرحى ٠٠ والشهداء ٠٠ اصلاح الدبابات التى أصيبت ولا تزال قابلة للعمل ٠ حفر الخنادق طوال الليل ٠ مشاورات بين قادة مختلف الأسلحة لتعديل المواقع ٠ وحدات الاستطلاع تقدم المعلومات ٠ اشارات من القيادة فى القاهرة بما التقط من اتصالات العدو ٠
استخدم العدو حوالى ١٥٠ دبابة ٠ تركيز متتابع فى الجنب الايسر ٠ قائد لواء اليسار العقيد عادل يسرى يدير المعركة من الحد الأمامى ٠٠ القائد البطل يصاب فى ساقه اليسرى بطلقة دبابة ٠٠ الاصابة شديدة ٠ الدم ينهمر ٠ القائد يرفض أن تقدم له معونة من أى فرد ، بعد أن فشل رباط الميدان فى وقف النزيف ٠ المقاتل الشامخ يقفل الجرح برمال سيناء !٠٠ لم يكن مجرد جرح ٠٠ لقد فقد ساقه بأكملها ٠ طارت الساق من عنف الاصابة ٠ استمر يقاوم النزيف بساق واحدة ٠٠ وهو يصدر أمرا لايقبل المناقشة ٠٠ « استمروا فى القتال » ٠ القذائف تدوى ٠ زوابع الرمال تغطى المكان كله ٠ صرخات انتصار ٠ وصرخات موت ٠٠ صرخات حياة ٠٠ وصرخات هزائم ٠٠ دبابات تحترق ٠ أحياء يتحولون الى فحم فى دقائق ٠ القتال لا يتوقف وأخيرا وبعد أكثر من أربع ساعات ٠٠ قدر العدو أن تقدمه مستحيل ٠٠ بدأ يتراجع ٠٠ قائد اللواء البطل العقيد عادل سليمان يسرى ، لا يزال يتابع المعركة بساق واحدة ٠ رمال سيناء لم تقو على اندفاع الدم ٠ كان دمه متعطشا الى مزيد من الرمال ٠٠ لواؤه يسجل الانتصار ٠٠ والعدو يتقهقر ٠ وامتزجت دموع الألم من عيون رجاله بدموع الانتصار لحظات عجيبة ، النقيض يمتزج بالنقيض ٠٠ الحياة والموت ٠ الألم والفرحة ٠
ولكن الحرب يجب أن تستمر !
تم اخلاء العقيد البطل الى المستشفى حيث أسعف بالعلاج ٠
العميد عبد رب النبى يتلقى النبأ القاسى باصابة البطل ٠
ما أقسى مهمة القائد

لا وقت حتى للألم ..
لابد من الاعداد السريع لاستكمال المهمة ..

ولكن القائد انسان . جاء اليه من روى قصة الجريح البطل . أبلغ قيادة الجيش الثانى باشارة عاجلة . فى نفس اللحظات يتلقى اشارة مفرحة . قائد اللواء المكلف بمهاجمة نقطتى الدفرسوار أنجز مهمته . أتم هجومه من أجناب الموقعين الحصينين .. ومن الخلف . الاشارة تقول «تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار. تم أسر ٣٧ من قوات العدو»

الرد العاجل : (ألف مبروك . أرجو أن يتم التمسك بهذه النقط وألا يسمح للعدو باستردادها مهما كانت الاسباب . رحلوا الأسرى الى الخلف) ..

⊙❖⊙

يتبين بعد ذلك أن اثنين من الأسرى من قوات البوليس الدولى . قصف المدفعية حول كشك البوليس الدولى الى قطعة من النار كما قالا بعد ذلك . اضطرا الى الاحتماء داخل ملاجىء الحصن . شاهدا قتالا مرعبا . الفاصل بين القوتين لم يزد عن ٦٠٠ متر فقط !..

كان العميد عبد رب النبى يتمنى أن يرى هذا الطابور الطويل من الاسرى . ولكن لا وقت أيضا ، حتى الاستمتاع برؤية أسرى الجيش الذى كان يتصور أنه لا يقهر ..!

انها الحرب التى تؤجل كل العواطف ..
كل ما يمضى يدخل التاريخ ..
واللحظة الجديدة استعداد لكتابة تاريخ جديد .
وطوى سجل الحرب صفحات هذا اليوم ..
وأشرق فجر جديد ..

٩ أكتوبر :

القائد يقول أن العدو حتى الآن لم يقم بالهجمات الحاسمة النهائية .. ان محاولته منع الالتحام مع الفرقة الثانية كانت أول مؤشر لضرباته القوية المقبلة . طوال ليلة الامس ، الاستعداد لهذه الضربة . المعلومات أنه حشد اللواء ٦٠٠ مدرع بالاضافة الى القوات الموجودة أصلا لديه .

فى التاسعة صباحا بدأ الهجوم بحوالى ١٥٠ دبابة ..

الاستطلاع يقول أن هجوم العدو على مدى المواجهة كلها .. صفوف من المدرعات تظهر على شكل نصف دائرة ..

القائد يقدر الموقف سريعا ..

ليس هدف العدو هذا الهجوم المواجه . ليست هذه كل قواته. الهدف هو أن يشغل قوات المواجهة ، حتى يختار نقطة ضعف يخترق منها بقوة

وبسرعة وبأعداد ضخمة لا تزال فى الخلف وبذلك يشطر قطاع الفرقة الى شطرين ·· ومن ثم يستطيع النفاذ والوصول الى شاطىء القناة ··

ولهذا احتفظ القائد بجميع الاحتياطيات فى الخلف وعلى الأجناب حتى يتبين اتجاه الضربة الرئيسية للعدو ··

فى التاسعة والنصف ·· اندفع العدو الى منتصف التشكيل بقوة اللواء المدرع ٦٠٠ بالكامل ·

احتياطينا المدرع والمضاد للدبابات يدخل بهجمة مضادة عنيفة · القتال لا يتوقف ·

العدو يحاول شغل الأجناب ·· ويعود الى الاقتحام ·· من الوسط · قواتنا تتصدى ببسالة خارقة ·· المواجهة بين الدبابات لا تزيد على مائة متر !

قناصة الدبابات يقومون بأعمال خرافية !··

الاقتراب الى بضعة أمتار من الدبابة المهاجمة لا يخيفهم ·

مجموعة منهم دمرت ٢٤ دبابة ، على التوالى ·

العدو يرتد ·· ولكنه يعاود التقدم ··

محاولات مستميتة من الاسرائيليين لنقل جرحاهم ··

الدبابات تحترق كأنها من خشب ·· بل من ورق ··

المشهد مريع ·· المواجهة واسعة ·· موقع الطالية مرتفع تستطيع أن ترى منه الدبابات المنتشرة تواجه بعضها ·· وكأنها علب كبريت صغيرة سوداء ·· النار تشتعل كأنها عود كبريت · التلكسوب يقرب المشهد ·· أبشع مجازر الحرب · لا رحمة ·· لا هوادة · كر وفر والتفاف · كل فنون قتال المدرعات على مسرح العملية الرهيبة · المدفعية تزمجر من الجانبين · اشتباك الطيران لا يتوقف · الصواريخ تملأ الفضاء · دخان ووهج وأتربة ودماء ··

مشهد التاريخ يستمر سبع ساعات كاملة حتى الرابعة والنصف !··

لقد زرت هذه المنطقة بعد المعركة ·

كنت أتمنى أن تبقى كل آثار المعركة فى موضعها ·· لتزورها الأجيال · بقيت بعض الآثار · ولكن كثيرا من الدبابات المحترقة قد رفعت بالأوناش ونقلت لتستخدم كحديد خردة ··

قائد الجيش الثانى اللواء سعد مأمون يتابع المعركة دقيقة بدقيقة ويعاون الفرقة بامكانيات عديدة ·

الساعة السابعة مساء ·· القائد العام الفريق أول أحمد اسماعيل يرسل برقية مكتوبة الى العميد عبد رب النبى حافظ يشيد فيها بموقف

الفرقة البطولى فى صد وتدمير اللواء المدرع الاسرائيلى ٦٠٠ ويتمنى للقوات استمرار النصر ٠

العميد عبد رب النبى ٠٠ يأمر بابلاغ تهنئة القائد العام الى قادة اللواءات ومنهم الى الجنود ٠٠

الروح المعنوية فى قمة ازدهارها ٠٠ فى الصباح التالى وصلت ١٠ نسخ من جريدة القوات المسلحة وفيها نص التهنئة ٠ الجنود يتخاطفون هذه الاعداد القليلة ٠ الاعداد العشرة تنتقل من يد الى يد ليقرأها الآلاف !

القائد يتابع اشاراته لقيادة الجيش الثانى بنتائج المعركة ٠٠ الارباح والخسائر ٠ فقدنا اليوم بطلا كبيرا ٠

الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء الاوسط ٠

كان فى سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية ضد أقوى هجوم على رأس شاطىء الفرقة فى كثيب أبو طربوش ٠

كان فى الخط الأمامى يواجه خطر الموت كل لحظة ٠

ارتد الهجوم ٠٠ ولكن طلقة دبابة أصابت سيارته ٠٠ فتحولت بمن فيها الى رماد فى لحظات !

١٠ أكتوبر :

يوم آخر مشهود ٠ هجمات العدو لم تتوقف ٠

بدأت فى الخامسة صباحا ٠ نفس الهدف ٠ اختراق التشكيل من الوسط للوصول الى القناة ٠

الهجوم هذه المرة بأعداد أقل: سبعين دبابة بعد تمهيد المدفعية والطيران ٠

ولكن العدو لم ييأس !٠٠

بدأ هجوما ثالثا على يمين التشكيل فى الخامسة من المساء ٠٠ وانتهى أيضا الى انسحابه ٠

الخسائر كبيرة من الجانبين فى العتاد والأرواح ٠٠

كل هذه المعارك فى قمة الشراسة والضراوة ٠ ان العدو الاسرائيلى عندما يقاتل بأعداد كبيرة ، وبعد أن يؤمن نفسه بضرب المدفعية وحماية الطيران، فانه يقتحم المعركة بكل قواه ٠٠ ويستخدم كل فنون التكتيك ٠ ولايهرب من المواجهة ٠٠ هذه حقيقة يجب أن نسجلها ٠

العدو دائما يتجنب الخسائر الكبيرة ٠٠ هذه فلسفته القتالية ٠

وهو يحاول بالحيل العسكرية ، أن يختار منافذ الضعف ، ويجيد استغلالها ٠ وهو يستخدم أسلوب الارباك فى أكثر من جهة بأعداد قليلة، ثم يقتحم بكل قواه ٠٠ وهو يقاتل الى آخر المدى ٠٠

وهو فى اليومين الأخيرين ، كان قد تمالك نفسه ، وتخلص من ارتباك مفاجأة العبور ٠٠ ونظم قياداته ٠٠

وكان يريد أن يحقق هدفا واحدا ·· الاختراق بأى ثمن للوصول الى شاطىء القناة ·· ثم العبور الى الغرب ··

وحتى الآن فشل فى تحقيق هذا الهدف ·· وبخسائر ضخمة ·

وسألت قائد الفرقة ١٦ :

ـ يقول أن العدو يقاتل بالأسلوب الغربى ·· أى أنه لا يعتمد على الكثافة ·· ونحن نقاتل بالاسلوب الشرقى (السوفيتى) وهو الاعتماد على الكثافة العددية ·· ومن هنا كانت خسائرنا فى معارك هذين اليومين كبيرة رغم أننا احتفظنا بمواقعنا ··

وأجاب :

ـ فى رأيى أن كلا الاسلوبين الغربى والشرقى ·· هو قتال بأحدث الفنون العسكرية · ولكن المهم هو التصرف أثناء المعركة · ولا توجد قواعد جامدة نظرية تطبق على أرض المعركة · الموقف وتطوراته ومفاجآته ·· كلها تتحكم فى الاسلوب سواء كان غربيا أو شرقيا ·

١١ أكتوبر :

هجمات العدو المضادة مستمرة ·

التركيز على الجانب الايسر ·

الهجمات لاتزال قوية ·

١٢ أكتوبر :

· ضعفت هجمات العدو·· وضح الارهاق·· كان ينتظر تجمع الاحتياطيات ·· استولينا على النقطة القوية من خط بارليف فى تل سلام ·· رفع عليها العلم المصرى ·

نجا العميد عبد رب النبى من الموت بأعجوبة !·· كان يمر فى جولة تنظيمية على قواته ، فى سيارة جيب يقودها مساعده والى جواره ضابط العمليات وهو فى الخلف · كان على الخط الأمامى فى كثيب أبو طربوش، وهو فى طريق العودة الى الطالية · ضرب الطيران من العدو كان مركزا · رأوا فجأة غمامة سوداء متسعة نتيجة انفجار أمامهم · اضطر قائد السيارة (مساعده) أن ينحرف بها ، وبسرعة جدا ، ٩٠ درجة ، أى أنه دار بسرعة على شكل زاوية قائمة · وانطلق بالسيارة وزجاجها قد تهشم ، وضغط الانفجار كاد أن يقذف بالسيارة فى الهواء · توقفوا بعد أن انقشعت الغمامة · هى نتيجة انفجار دانة ألف رطل !·· تضخم اطار العجلات من شدة الحرارة ، وتحول الى بالون ! ·· عادوا الى موقع الانفجار · تبين أن حفرة الانفجار كانت تبعد عن موقع انحراف سيارتهم بثمانية عشر مترا فقط ·· لو كانوا قد تقدموا ثانية واحدة ·· لتحولوا جميعا الى رماد ··

⊙❖⊙

هذه هى المرة الثانية التى ينجو فيها من الموت بأعجوبة ·· المرة الاولى

كانت يوم العبور ‥ وبعد أن استقر فى موقع قيادته على الضفة الشرقية ‥ انفجر صاروخ من العدو بالقرب من موقع القيادة وهو واقف على بعد ٦ أمتار فقط !‥

من قبل استشهد قائد لواء وجرح قائد لواء آخر من الفرقة ‥ وما أروع تقديرنا لبطولة القادة عندما نعرف أن الفرقة مكونة من ثلاثة ألوية!

١٣ أكتوبر :

بدأ العدو يسحب قواته من الجانب الأيسر ٠ سحب النيران لا تزال تملأ الفضاء ٠ استعدنا كفاءة التجهيز ٠ المهندسون يبذلون جهدا رائعا فوق طاقة البشر ٠ السيطرة من جديد على كافة المواصلات ٠ استمر الحفاظ على رؤوس الشواطىء ٠ تطوير الهجوم بالمدرعات ٠ عناصر مدرعة جديدة تنضم الى التشكيل ٠ احتياطيات جديدة للعدو تصل من جبهة سوريا ٠ معارك تصادمية بالدبابات بدأت من السادسة والنصف صباحا ‥ لم يحقق العدو أهدافه ٠

اشارات عديدة متبادلة بين قيادة الجيش الثانى ‥ وقيادة الفرقة ٠ الدروس المستفادة من معارك الأيام السابقة ٠

فى ٨ و٩ و١٠ أكتوبر خسائر العدو فادحة جدا فى المدرعات والارواح، بدأت بعد ذلك تظهر أسلحة جديدة ٠ فى القطاع الشمالى استولينا على دبابتين دائرتين هرب منهما الأفراد ، دون اصابة الدبابة ‥ عداد الدبابة كان متوقفا عند الكيلو ١٧٠ ‥ عرف أن الامدادات الامريكية تصل الى العريش ٠

١٤ أكتوبر :

صدرت أوامر القيادة العامة بتطوير الهجوم واكتساب مواقع جديدة ٠ العدو يتصدى بعنف ٠ ظهرت أسلحة جديدة ٠ الصاروخ الامريكى (تاو) ميزته أن أرضه الميتة قصيرة المدى ٠ كل صاروخ عندما ينطلق ، لا يبدأ توجيهه بالسيطرة الا بعد مسافة ‥ هذه المسافة تسمى الارض الميتة ٠ هذا الصاروخ يمتاز بأن السيطرة عليه وتوجيهه تبدأ بعد انطلاقه بمسافة قصيرة جدا ٠ وهذا يضعف فرصة اصابته فى هذه المرحلة ٠ كما أنه قادر على اصابة الهدف ليلا وبدقة ٠

ليس هذا هو السلاح الامريكى الجديد الوحيد الذى ظهر فى المعارك ٠

لقد ظهرت فى المعارك التالية صواريخ (سمارت) ‥ و (مافريك) ‥ والنوع الثانى لم تستخدمه القوات المسلحة الامريكية الا فى سيناء ! وهو صاروخ جو-أرض وقد اعترف بذلك تقرير لجنة الكونجرس الامريكية العسكرية ، التى زارت اسرائيل بعد الحرب ٠

يقول التقرير الامريكى بما نصه « لقد تم ارسال صواريخ Tow

بحرا الى اسرائيل قرب نهاية النزاع (هذا غير صحيح ، لأن هذه الصواريخ استخدمت في اليوم الخامس للقتال • وارسالها بالبحر يعنى أن تصل متأخرة جدا) ••

ثم قال التقرير الامريكي ::: « كان الصاروخ مافريك Mavrick •• وهو صاروخ جو ـ أرض زودنا به اسرائيل ، انطباع جيد للغاية خلال الحرب • (معنى هذا أنه أرسل مبكرا) • فقد استخدمه الاسرائيليون بكفاية أثناء الحرب وأعطى أحسن النتائج • وكانت أهدافه الدبابات ومخازن الوقود • ان المافريك يمكنه اختراق أكثر الدبابات المدرعة السوفيتية ثقلا وسمكا • وجدير بالذكر أن المصريين على علم تام بكفاءة وقدرات هذا الصاروخ ، وقد أشار الرئيس أنور السادات الى المافريك فى عدة مناسبات » •

ثم يقول التقرير الأمريكى : « وقد أفرط الاسرائيليون فى الثناء على سرعة وكفاءة الامداد الجوى ، خاصة بالطائرات نوع .C.S.A

وقال الاسرائيليون أن الجسر الجوى الامريكى لاسرائيل ، ومجهودات الاحلال العسكرى ، كانت أكثر كفاءة من الجانب الآخر » •

ويقول التقرير الامريكى : « ان الدبابة السوفيتية ت ـ ٦٢ لفتت الأنظار أثناء الحرب • وتعتبر واحدة من أحدث الاسلحة التى أعطيت للحرب • وعلى الرغم من أنها ظهرت لأول مرة فى هذه الحرب الا أن انتاجها يرجع الى سنة ١٩٦١ ، وهى بلا شك أقل كفاءة من مثيلتها الامريكية » •

⊙❖⊙

هذا بعض ما جاء في التقرير العسكرى الامريكى •• أشير اليه فقط ، بمناسبة ظهور الاسلحة الامريكية الجديدة فى المعركة •• بعد أن واجه الجيش الاسرائيلى هزيمة كاملة ••

١٥ أكتوبر :

ليس أمام العدو الا ضربة انتقام كبرى مهما كانت النتائج •• لقد فشل العدو فى تدمير القوات المصرية بضربة احباط قبل العبور • وفشل فى تدميرها أثناء العبور • وفشل فى تدميرها فى المراحل الاولى للقتال قبل وصول الدبابات الى الضفة الشرقية • وفشل فى تدميرها بضربات مضادة قوية بعد نجاحنا فى تكوين رؤوس الشواطىء وتعزيزها •

فكر العدو في حشد ضخم بعد وصول الاسلحة الامريكية • يحاول به العبور الى الضفة الشرقية مهما كانت الخسائر •

الجهود الدولية مكثفة لمحاولات وقف النار • أمريكا تطالب موسكو بالحاح عنيف أن تتوسط لدى مصر • الاتحاد السوفيتى يبذل ضغطا كبيرا متصلا لوقف النار • تل أبيب على علم بكل هذه الجهود • انها تريد أى

كسب قبل وقف النار حتى تكون فى موقف يسمح لها بأن ترفع رأسها قليلا • بدأ الشعب الاسرائيلى فى الداخل يدرك فداحة الخسائر • الموقف السياسى يتطلب تقدما عسكريا بأى ثمن •

بدأ ضغط عنيف من قوات العدو بعد آخر ضوء ، الضغط مركز على الجانب الأيمن للفرقة فى الدفرسوار عند التقاء القناة بالبحيرات المرة • هاجم العدو بمائة دبابة • لم يتمكن من الاختراق •• خسائره كبيرة •• خسائر العدو بالغة الضخامة •• القتال وصل الى أقصى درجات العنف والضراوة •

١٦ اكتوبر :

التقطنا برقية أرسلها قائد اللواء المدرع الاسرائيلى الى القيادة •• انه يطلب الغاء العملية أو على الأقل تأجيلها •• الخسائر فادحة جدا •• الرد يقول من القيادة •• تمسك بمواقعك •• سيصلك امداد كبير • احتياطيات ضخمة للعدو تتقدم •• التركيز فى نفس الاتجاه الجانب الأيمن عند التقاء القناة بالبحيرات المرة •• الهجوم هذه المرة بثلاثة ألوية مدرعة •• حوالى ٣٥٠ دبابة ••

استمرت المعركة الرهيبة طوال الليل (١) •

قاتلت قواتنا أمام الأسلحة الامريكية الجديدة قتالا أسطوريا •• القتال لم يهدأ دقيقة واحدة •• المواجهة دموية •• دمرنا للعدو ١٠٠ دبابة •• خسائرنا كبيرة ولكن المقاومة مستمرة وبحماسة بالغة (٢) •

---

(١) اعلن جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكى امام احدى لجان مجلس الشيوخ الامريكى ان الولايات المتحدة ارسلت ٧٠٠ دبابة لاسرائيل لتعويضها عما فقدته فى حرب اكتوبر وخاصة فى سيناء •
برقية رويتر – من واشنطن – ٢١ يونيو ١٩٧٤)

(٢) فى ٨ اكتوبر صرح الرئيس السادات بما يلى :
لقد خسرنا فى معارك اكتوبر أسلحة بما قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى •• أما خسائرنا فى الارواح خلال المعركة فيتعدى الرقم الستة آلاف بقليل •• لقد خرجت بقواتى الرئيسية سليمة تماما • اسرائيل فى المقابل خسرت اكثر من ألف مليون جنيه • ولقد تمكنت من المحافظة على قوتى سليمة للتنبؤ الذى حصل بالنسبة لموقف اطلاق النار • لأنه كان من الممكن جدا ان نخرج مهشمين وبنفس النتيجة لو تاخرنا اكثر على قبولنا لوقف اطلاق النار•



الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى مع أبطال معركة السويس .. ومعهم محافظ السويس الذى قاتل فى الشارع مع أبناء شعب السويس ..

حبوب الشجاعة !

●●● « أذهلتهم شجاعة المقاتل المصرى ، فتصوروا ان القيــادة تقدم للجنود المصريين حبــوبا تخلق فيهم الشجاعة !.. هذا الفصل يروى قصة الأعمال المجيدة التى حققها سلاح الطيران المصرى .. وســلاح الدفاع الجوى .. الاعمــال المجيدة التى قضت على اســطورة طيران اسرائيل » ●●●

سأل رجل المخابرات الاسرائيلية ، الضابط الطبيب المصرى بعد أن وقع فى الأسر :

ـ ما هى الحبوب التى تصرفونها للجنود المصريين أثناء القتال ؟..

واندهش الاسير المصرى من السؤال ، وتصوره عبثا من المخابرات الاسرائيلية ، وسأله بدوره :

ـ ماذا تقصد بكلمة حبوب ؟..

الاسرائيلى : سؤالى واضح .. الحبوب الطبية التى نصرفونها للجنود أثناء القتال .. وأنت ضابط طبيب .. فلا تحاول أن تتظاهر بعدم علمك.

المصرى : ولماذا نصرف حبوبا للجنود ؟..

الاسرائيلى : لا تحاول المراوغة .. ان لصبرى حدودا .. وتذكر أننى لا أزال أعاملك برفق .

المصرى : أنت تسأل عن شىء لم أسمع به فى حياتى ..

الاسرائيلى : اذن .. أنا مضطر أن أستخدم القوة ..

المصرى : أنا متأكد أنك تهزل ..

الاسرائيلى : ان معلوماتنا موثوق بها .. أنتم تعطون للجنود حبوبا ، تلهب شعورهم ، وتنسيهم خطر الموت ، وتجعلهم يقتحمون المعارك بروح انتحارية ..

المصرى (ضاحكا) : من قال لكم هذه التخاريف ..

الاسرائيلى : أنت تحاول المراوغة مرة أخرى ..

وبدأ ضابط المخابرات الاسرائيلية الشجاع ، فى تعذيب الاسير الاعزل ، وانتهت الجولة الأولى من التعذيب ، وعاد يكرر سؤاله :

ـ اننا نعرف أنكم تطلقون على هذه الحبوب اسم حبوب الشجاعة . لا تحاول أن تنكر مرة أخرى .. والا فسأعيد جولة التعذيب .. أريد أن أعرف منك كطبيب مم تتكون هذه الحبوب ؟..

ولما تأكد الأسير المصرى ، أنه أمام حيوان لا يريد أن يفهم بأن شجاعة المقاتل المصرى ، هى من أعماق ايمانه الخالد بأرضه ووطنه .. قال له :

ـ فعلا كان جنودنا يتناولون حبوب الشجاعة قبل القتال !..

واستراح رجل المخابرات الاسرائيلى .. وتصور أنه توصل الى سر شجاعة المقاتل المصرى ، وتحديه الموت بلا مبالاة !

روى لنا هذه القصة الواقعية المثيرة ، اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع

الجوى ، وهو يقول : هكذا أفزعتهم بسالة المقاتل المصرى ، وأخذوا يبحثون عن سرها ، بخيال مريض ••

والحق أن فدائية المقاتل المصرى ، فى ملحمـــة أكتوبر الخالدة ، كما يسميها قادة الاسلحة فى جيشنا ، فاقت تصور كل خيال انسانى ••

الايمان •• هو السر أولا وأخيرا ••

ولم يكن الايمان ، نتيجة شنحنات كلاميــة لا يلبث أثرها أن يزول •• فهناك فرق بين بناء الايمان •• وبين الشحن بالايمان ••

بناء الايمان ، هو ترسيخ صادق لكل معانى الرجولة والشرف والدفاع عن العرض وحماية التراب المقدس ••

بناء الايمان ، ينمو صحيحا سليما ، فى الوجدان الصادق ••

ومن دعائم الايمان ، أن الكل سواء فى ميدان الفداء • الجندى والضابط الكبير ، كان القادة فى الصفوف الامامية دائما مع الجنود • عبر الجنــدى وعبر قائد السرية • وقائد الكتيبة •• وقائد اللواء •• وقائد الفرقة •• وقائد الجيش •• الكل صدورهم مفتوحة للاستشهاد •• ووجبة طعام واحدة فى أقسى ظروف القتال وزمزمية ماء واحدة ، للضابط وللجندى •

والدليل أن خسائرنا فى القادة على كافة المستويات رغم أنها قليلة جدا ، هى أعلى نسبة فى الخسائر فى أى حرب حتى الآن •

ان البناء المعنوى هو الذى حمى المقاتل المصرى من (مرض الخنادق) كما يسميه العسكريون •

ان البناء المعنوى ـ لا الشحن ـ هو الذى جعل من صرخة الله أكبر •• متفجرة من القلوب ، حافزة لا لعبور على الماء •• بل للسير على الماء ! •• نعم لقد كانوا يعبرون بطاقة روحية أسطورية •

الله أكبر •• لم تكن فقط صرخة العبور ••

واستمعوا معنا هذه الاسطورة من اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :

ـ كانت الطائرة المصرية تغير على مطار للعدو فى سيناء •• والقت قذائفها ودمرت عددا من الطائرات • وبقى عدد آخر من الفانتوم لم يدمر • خلال ذلك أبلغت القاعدة المصرية ، الطيار المقاتل ، باللاسلكى أن طائرته أصيبت ، وطلبت اليه العودة •• واذا بصوته يسمع باللاسلكى وهو يصرخ (الله أكبر) •• واندفع بطائرته الى أرض مطار العدو ، ودمر الطائرات الباقية •• وهو يستشهد ! ••

كان السباق رهيبا بين طيارينا الى الفداء ••

يقول قائد القوات الجوية :

ـ لقد قاتلنا ١٨ معركة عند ثغرة الدفرسوار غرب القناة ، الفان وخمسمائة طلعة فى سبعة أيام ! ••

الطيار المصرى كان يقوم بست طلعات قتال فى اليوم الواحد !!
ـ الطيار المصرى كان يعود الى القاعدة ، ولا يخرج من طائرته حتى تموّن بالوقود ، ثم يقلع بها ثانية الى نفس المعركة التى عاد منها !
ـ تلقت احدى قواعدنا آمرا باقلاع ٤ طائرات ٠٠ فأقلعت الطائرات الاربع فى وقت واحد خلال دقيقة ونصف دقيقة !
ـ أصيبت الطائرة ، واضطر الطيار أن يقفز قرب انشاص ، فربط نفسه بالشاش ، وقفز الى طائرة أخرى ٠٠ وعاد الى معركة الجو ٠ وهذه ظاهرة نادرة ٠ لان القفز يسبب للطيار رضوضا عضوية ، وخاصة فى العظام ، تستدعى الراحة والعلاج لبضعة أيام تصل الى أسبوع أو أسبوعين !
ـ احدى غارات العدو ضربت ممرا للطائرات ٠ وتقدم الفنيون الى أصلاح الممر واستمر فى أصلاحه رغم انفجار القنابل حولهم ٠٠ واستشهد أحدهم ٠٠ ولكن الممر أصلح ، وأقلعت طائراتنا تضرب العدو !
ـ سقطت قنبلة على ممر فى مطار آخر ، ولم تنفجر ، واذا بالمهندس الفنى يمسك بالقنبلة ويقذف بها بعيدا ٠ والمعروف أنها تنفجر بعد ١٥ ثانية ٠٠ ومن الممكن أن تصيبه شظاياها ٠٠ ولكنه فعلها ٠٠ وانفجرت القنبلة ولم يأبه ٠٠ وأقلعت المقاتلة المصرية لتؤدى دورها فى مطاردة طائرات العدو !
أما أطرف القصص التى تثبت ارتباك طيران العدو الذى كان يزهو بنفسه ، فقد وقعت فى بورسعيد :
ـ هاجمت طائرات الميراج بورسعيد ، وتدخلت طائراتنا واضطرت تشكيل العدو أن ينقسم ، واختفت طائراتنا ٠٠ واذا بطائرات العدو تضرب بعضها البعض ! لقد تصوروا أن مصر هاجمت بطائرات ميراج ، وأدى الارتباك الى أن اشتبكوا معا فى معركة ٠٠ وسقطت بعض طائراتهم ٠

ولكن ماذا حدث ساعة الصفر ٠٠ بالنسبة لقوات الطيران ؟ ٠٠

قال اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :
ـ ان قواتنا الجوية قامت بضربة قوية فى تمام الساعة الثانية مساء يوم ٦ أكتوبر على مطارات العدو ومواقع صواريخه ومواقع الشوشرة ٠٠ كما ضربنا مركز سيطرة ضخما فى سيناء ، واضطروا الى نقله لمكان آخر فى ارتباك ملحوظ ، سمع من التصنت اللاسلكى ٠٠ أما مركز الشوشرة فقد دمر تماما ، ولم يستخدم حتى وقف النار ٠٠ أما مطارهم الرئيسى فى سيناء فقد عطل ٤ أيام ٠
ثم تكررت الهجمات بأحجام أقل ٠ ثم بدأت قواتنا الجوية تنفذ مهامها مع باقى القوات ٠
وماذا عن هجمات العدو ؟ ٠٠

ـ قامت ٧ معارك عنيفة في شمال الدالتا فى الايام السنة الاولى ، استمرت معركة منها ٥٠ دقيقة ٠ وهذا وقت قياسى فى استمرار معارك الطيران ٠ واشتركت فى هذه المعارك ٦٠ طائرة مصرية ٠
اشتبكت مع الفانتوم ، وسقطت قنابل العدو فى المزارع ٠
ـ معركتان جويتان كبيرتان فى يومى ١٩ و ٢٠ أكتوبر ، فقد فيهما العدو ١٨ طائرة ٠٠ وكان قد فقد فى معركة سابقة ١٧ طائرة ٠

⊙❖⊙

ويكمل اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى الصورة :
ـ أن سلاح الدفاع الجوى ، هو الذى يتولى الانذار بغارة العـدو ويحدد مسارها ٠٠ وهو الذى يوجه المقاتلات بمعلومات الانذار ٠٠ وهو الذى يسيطر على غابة الصواريخ أرض ـ جو ٠٠ الصواريخ قصيرة المدى ٠٠ والبعيدة ٠٠ والمتحركة ٠ ثم المدفعية المضادة للطائرات ٠ ثم وسائل الدفاع الجوى الالكترونية التى لم يفصح عنها ٠

ويكفى لـكى نقدر قيمة الدفاع الجوى ، أن نعرف أن العـدو هاجمنـا فى الايام الثلاثة الاولى مستخدما ٥٠٠ طائرة ، ألقت من القنابل ما يوازى فى أثره ، قوة أول قنبلة ذرية ألقيت على هيروشيما ٠

وقد بدأنا استخدام الصواريخ فى مصر فى عام ١٩٦٣ فقط ٠ وكنا نستخدم قبلها المدافع المضادة للطائرات ٠ والمدفعية المصرية لها شهرة دولية اكتسبتها فى الحرب العالمية الثانية وسجلتها المؤلفات العسكرية ٠ ولم ينشأ سلاح لقوات الدفاع الجوى الا فى يونيو ١٩٦٨ ٠

واستطعنا أن نبنى قواعد الصواريخ ٠ أو ما يسمى حائط الصواريخ فى يونيو ١٩٧٠ ٠٠ ودفعنا بغابة الصواريخ الى الجبهة فى عام ١٩٧٢ ٠ ولم يكن ذلك بالامر السهل ٠٠ فان غارات العدو كانت تلاحق مواقـع الصواريخ ساعة بعد ساعة ٠٠ باعداد رهيبة من القاذفات ٠٠ واستشهد أبطال مدنيون فى بناء القواعد ٠٠ وتم دفع حائط الصواريخ الى الجبهة بخطط تمويه ٠ لم يكشف عنها حتى الآن ٠٠ حتى أن جولدا مائير صرحت بأن غابة الصواريخ المصرية كأنها عش الغراب ٠٠ كلما [illegible] قاعدة ٠٠ زرعت على الفور قاعدة جديدة !

ولغابة الصواريخ جولات مع العدو منذ تقدمت الى [illegible] ٠ ولعل أهمها اسـقاط طائرة الاستطلاع والتجسس (الاستروتركوزر) ٠٠ وهى من أكبر وأغلى طائرات التجسس ، فيها ٧ ملاحين ، وثمنها الايين من الدولارات ! ٠٠

وفى هذه الجولات ، يذكر قائد الدفاع الجوى بالفخار ٠ الجندى المدفعجى خيرى زكى الذى بقى وحده جريحا فى موقع [illegible] جزيرة

الخضراء ، بعد أن أستشهد كل زملائه ٠٠ واسقط طائرتين ٠٠ ورقى الى عريف ٠٠ ثم رقيب ٠٠ واستشهد أخيرا فى عملية انزال بحرى ٠
ويذكر بالفخار أيضا الرائد شطا قائد الكتيبة ، الذى استشهد فى موقع ميدانى غير محصن بعد أن دمر ٤ طائرات للعدو ٠
وهكذا سارت الامور ٠٠ حتى فتح التاريخ صفحة الملحمة الخالدة فى أكتوبر ٠
يقول اللواء محمد على فهمى :
ـ سيطرنا منذ اللحظات الاولى على نطاق أمن شرق القناة ٠٠
وجاء أول رد فعل للعدو بعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم ٠٠ ويعنى هذا أن العدو كان على درجة من الاستعداد ٠٠ ولكنه كان يهاجم بغير بخطة منظمة وبعد ٣ ساعات كان قد خسر ١٥ طائرة !
عم الارتباك السلاح الجوى للعدو ، بعد أن تبين له أن صواريخه الموجهه لم تحقق نتيجة ٠٠ الاعاقة الرادارية لم تحقق نتيجة ٠ الخداع الالكترونى لم يجذب صواريخنا ٠٠
وكنا ننتظر ضربة جوية ضخمة من العدو فى صباح ٧ أكتوبر ٠٠ لقد خطط لضرب مطاراتنا الامامية ٠ وهاجم بسبعين طائرة ٠٠ واقترب من أهدافه على أرتفاعات منخفضة ، وكانت النتيجة أنه خسر ١٨ طائرة ، ولم ينجح فى تحقيق مهمته ٠ ولكنه عدو عنيد ٠٠ كرر العملية ٠ واجه مزيدا من الفشل ، حتى قال بارليف يوم ١٠ أكتوبر ان اسرائيل ستحاول معالجة الموقف ٠
وكان العلاج ، هو اختيار هدف منعزل ٠٠ بورسعيد ٠٠ وذلك لرفع المعنويات ٠ وركز الضرب على بورسعيد بشراسة ٠ وكانت ملحمة رائعة كبدته فيها عناصر الدفاع الجوى خسائر فادحة ٠٠ وفى التاسع من أكتوبر أصيبت بعض صواريخنا باعطال ٠ وتصور العدو أن المجال الجوى لبورسعيد أصبح نزهة بالنسبة له ، عندما لاحظ أن قواعدنا لا تضرب ٠ ولم يكن يعرف أنها خطة للتمويه ٠ أنها فترة تسكين للاصلاح ثم تأتى بعدها المفاجأة ٠٠ وفى ١٢ أكتوبر جاءت طائراته للفسحة فوق بورسعيد ٠٠ وفوجىء بأنها تتساقط ٠ لقد سقطت له ٢٢ طائرة دفعة واحدة ، وكان يتصور أن بورسعيد قد خلت من الصواريخ ٠ وقل نشاط العدو ٠٠ ولكنه زاد النشاط فجأة بعد أن وجد الدعم الامريكى ٠٠ ان تقديرات خسائره فى الشرق ٢٥٨ طائرة ٠٠ وفى الغرب ٢٠٠ طائرة ٠
ويقول قائد الدفاع الجوى :
ـ هناك أسرار فى الخداع الالكترونى لم يحن الوقت للكشف عنها ٠ ودلائلها ما شهد به الطيارون الاسرى ٠ أن طائرة الفانتوم ، بها لمبة حمراء تضاء اذا ما أقترب منها الصاروخ ٠ ولكن الطيار يقول ان الصاروخ

أصاب طائرته دون أن تضاء هذه اللمبة • لماذا ؟ •• هذا هو السر المصرى •
وطيار آخر يقول •• أضاءت اللمبة ، واستطعت أن أتفادى الصاروخ ••
ولكننى فوجئت بصاروخين واحد من اليسار والثانى من اليمين ••
كيف ؟ •• هذا هو السر المصرى •• ان تفادى الصاروخ معناه نجاح
الطائرة فى الافلات من دائرة الضرب •• ولكنه ضرب •• وبصاروخين !
الاستماع ممتع حقا الى ملحمة البطولات ••

وقصص قوات الصاعقة يمكن أن تملأ مجلدات فى الفداء الانسانى •
قوات الصاعقة هى التى قاتلت فى معركة رأس العش بعد الهزيمة •
هى التى حمت البلاد فى حرب الاستنزاف •• أول أسير وقع فى قبضتها
•• وآخر أسير قبل وقف النار حينئذ ••

ان قائد قوات الصاعقة العميد نبيل شكرى ، يتحدث الينا عن التدريب
الشاق أولا •• « العرق فى التدريب يعوض الدم » •

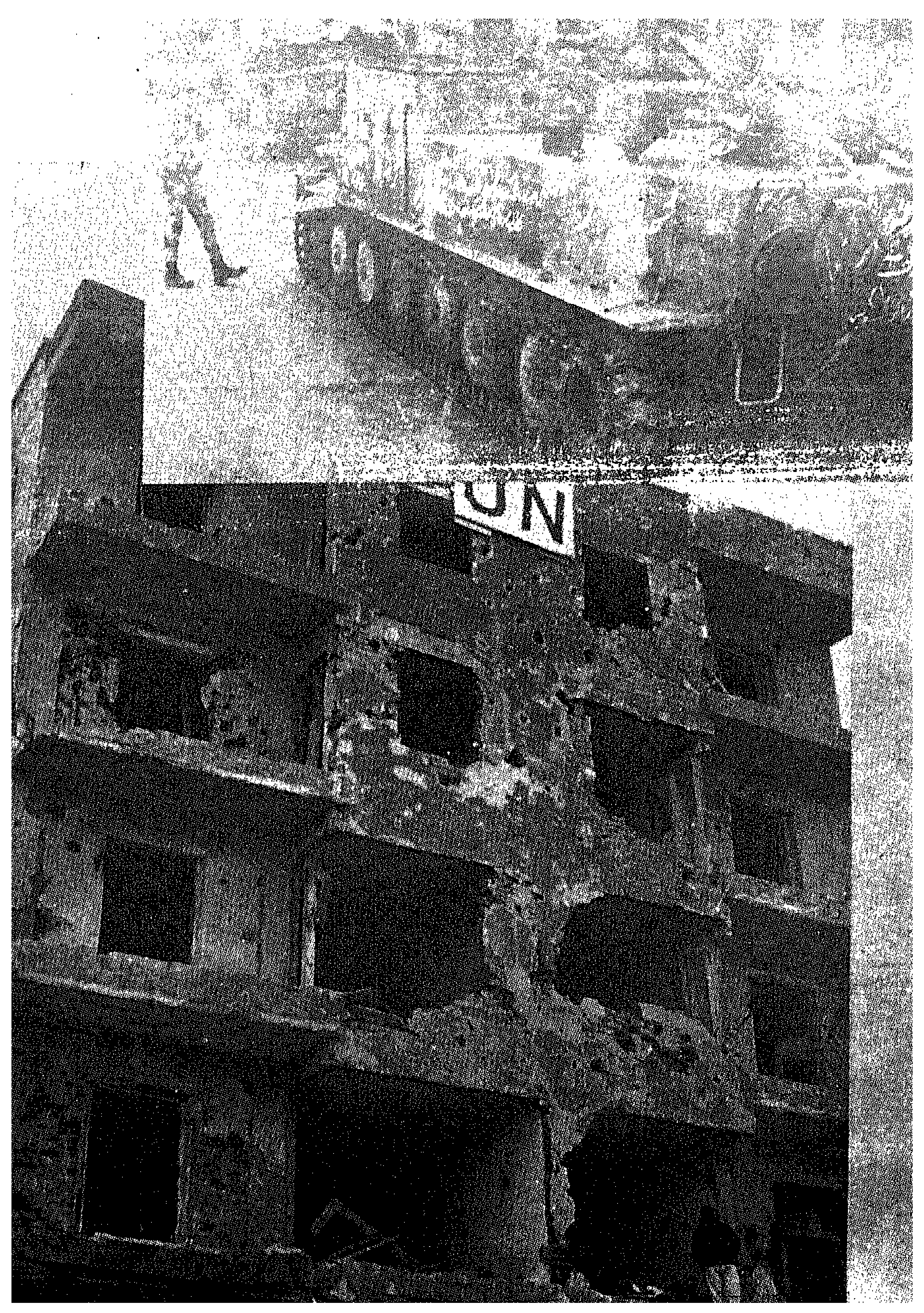
قوات الصاعقة لها أمجادها منـــذ الطلقـــة الاولى فى ٦ أكتوبر الخالد •
كانت منتشرة فى كل الاعماق • لها دورها الخالد فى الممرات •• كانت
حمايتها رائعـــة فى حرب المدرعات • القنطرة شرق ســـوف تروى كيف
طهرتها قوات الصاعقة من كل أثر للعدو لم يهرب موقع للعدو من آثار
هجماتها المرعبة فى كل أعماق سيناء • ولم يؤسر منها مقاتل واحد الا
بعد أن نفدت ذخيرته •

وكان العدو يتصور أنهم يتعاطون حبوب الشجاعة !

هكذا قدرت حساباته بعد أن روعه القتال الجبار •

لم يكن البطل الوحيد الذى أقدم على هذا الفداء •

ان بطولات الصاعقة ولدت مع تكوينها • منذ عام ١٩٥٩ • ان العميد
نبيل شكرى لا ينسى « الدورية » التى ضلت طريقها فى جبل عتاقة ،
فى يوم ملتهب ارتفعت حرارته الى ٤٥ درجة •• وكان أفرادها الستون
معرضين للموت عطشا بعد أن فقدوا مياه الشرب وتدهورت أحوالهم ••
ولكن بطلا منهم ، أخذ يعدو ويعدو حتى وصل الى الطريق ، واستغاثه
لانقاذ زملائه •• وسقط البطل ••



هذا ما فعلوه بمبانى السويس •• فى انتفاضة الموت •• ولكن الشعب الباسل تصــدى وتحدى •• وحطم دباباتهم •• وانتصرت السويس ورفعت أعلام الحرية •

ملحمة السويس

« كل بطـل .. له قصة .. وكل قصة لها بطل »

يوم ٢٢ أكتوبر بعد وقف النار ·· منطقة الدفرسوار التي عبر منها العدو ، والمساحة التي أمنها فى الغرب ·· قطعة مشتعلة من نيران الصواريخ ، بأضوائها التى تمرق فى الظلام ·

الظلام دامس · لم تتوقف حركة العدو لحظة بعد وقف النار · تقدم من جنيفة الى الجنوب على الساحل الغربى · له هدفان · الوصول الى السويس · وفى الوقت نفسه حصار قوات الجيش الثالث شرق القناة الممتدة من فناره الى السخنة جنوبا على خليج السويس · قوات التأمين التى تركها الجيش الثالث على الضفة الغربية من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ ، لم توقف تقدم العدو الذى بدأ تحركه في الثامنة من المساء · أستطاع العدو أن يغطى جزءا كبيرا من قطاع الفرقة السابعة بقيادة العميد أحمد بدوى · تم ابلاغ العميد بدوى بالموقف · دفع بمجموعة اقتناص دبابات عبرت المجموعة الى الغرب على المواسير الممتدة لنقل الوقود · انتشروا في الغرب فى المناطق الزراعيـة · كان التحرك ليلا سهلا بالنسبة لمجموعة اقتناص الدبابات · لقد عاش فى هذه المنطقة ست سنوات بكتيبته ولذلك فهو يعرفها شبرا شبرا · العدو تمكن من أسر بعض أفراد كتائب نقل البترول والماء · انها ليست كتائب قتال · استطاعت قوة اقتناص الدبابات أن تدمر ١١ دبابة للعدو ومركبة قيادة فى المناطق الزراعية · ولكن ذلك لم يمنع تقدم العدو · قوات أخرى من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ بقيادة العميد يوسف عفيفي عبرت الى الغـــرب وتمركزت فى الاماكن التى لم يصل اليها العدو بعد لتعوق تقدمه · مجموعة أقتناص دبابات أخرى بقيادة المقاتل حسان هاجمت العدو على طريق المعاهدة ـ الشلوفة ·· وجنوب طريق ٢٢ · طيران العدو فى طلعات لا تتوقف بغير خوف من غابة الصواريخ التى كانوا دمروا قواعدها في هذه المنطقة منذ ١٦ أكتوبر · الضرب مركز وعنيف بصواريخ جو ـ أرض الامريكية الحديثة · صواريخ تاو (أرض ـ أرض) التى تجيـد الاصابة ليلا ، استخدمت على نطاق واسع · تجاوز العدو كل مقـاومة واستطاع أن يصل الى نقطة العوايد وهى أحد مداخل السويس ، تصل الى الزيتية ومنها الى العين السخنة ·

كانت الساعة قد وصلت الى الخامسة والربع من مساء يوم ٢٣ أكتوبر وضحت نية العدو فى حصار السويس ·

تركيز الطيران بعنف على منطقة مصنع السماد •• وعلى طريق عتاقة ــ الادبية •
تعليمات القيادة المصرية تصل تباعا ••
ــ « نظموا سريعا الدفاع عن مدينة السويس » ••
كانت قيادة الجيش الثالث قد خصصت قوات للدفاع عن المدينة ، تدفقت من المحور الذى يصل الى معابر الجيش •• محور بورسعيد ••
الخطة •• اغلاق مداخل المدينة الرئيسية •• أى « محاور » المدينة بالتعبير العسكرى •
١ ــ محور المثلث •• مدخل المدينة من الطريق الرئيسى • القاهرة السويس •
٢ ــ المحور الزراعى •• المدخل من ناحية الاسماعيلية •• وهو مساحات واسعة من الحدائق •
٣ ــ محور بور توفيق •• وهو المحور الذى يصل الى معابر الجيش الثالث •
المحوران الاولان محاصران تماما من العدو •
المحور الثالث هو الباقى ••
أغلق العدو طريق السويس •• فلا أمداد من القاهرة •
كما أغلق أيضا طريق الادبية •• بعد أن هاجم ميناء الادبية جنوب السويس مباشرة فى العاشرة من المساء واستولى عليه عند صباح الرابع والعشرين من أكتوبر • أمن الميناء بعد الاستيلاء عليه • وتقدم حوالى نصف كيلو متر جنوبه •
العدو يستعد طوال الليل بعد أن هاجم الادبية •• للاستيلاء على السويس • وكان هذا هو خطأه الاول •
لقد أفقد نفسه عنصر المفاجأة •• عندما لم يستمر فى هجومه ليلا •

• • • • • • • •

قوة مصرية بقيادة العميد فتحى عباس •• كانت متمركزة فى مبنى احدى الشركات ترقب تحركات العدو •• مرت أمامها دبابات العدو المتجهة الى الزيتية • أسرع العميد فتحى عباس بدخول السويس ، لابلاغ قيادة المدينة بالموقف • كان المتوقع أن يتم الهجوم ليلا • الموقف غامض بالنسبة لاهالى السويس • كانوا يسمعون القصف على الادبية • لم يكن أحد يتوقع أن العدو متقدم • وأنه يحاصر مداخل السويس فى هذه اللحظات • قيادات المدينة بدأت تستعد • المحافظ • المستشار العسكرى • مدير الامن العام • الحكمدار • قيادات المقاومة والدفاع الشعبى ومعها القيادة العسكرية •

تم الاتصال بالقاهرة ، صورة كاملة أمام القيادة العامة لكل التطورات دقيقه بدقيقه • أصدر القائد العام أمرا بتعيين المستشار العسكرى للمدينه قائدا عسكريا لها • بدأ على الفور تنظيم وتحديد القوات المخصصه للدفاع عن المدينه •

كان الاجتماع الخطير فى غرفة العمليات : عرض شامل للموقف • الدفاع العسكرى • حاجات هذا الدفاع • تموين المدينة من المخزون • الماء ـ الوقود ـ حماية مخزن الدقيق ـ حماية المواقع الاستراتيجيه • الاحتفاظ بالروح المعنوية •• وسائل تنظيم الجنود غير المقاتلين من الجيش الثالث (الفرق الادارية التى لجأت الى السويس من الدفرسوار وجنوبها) تقرر أن تقسم المدينة الى عدد من قطاعات دفاعية • تم تعيين قائد لكل قطاع •

تم قطاعات فرعية فى الزراعيـة واليهودية وغيرهمـا • انها أقل أهمية ، لانها مكتظة بالمبانى أو فى المناطق الزراعية •

القوة الرئيسية للدفاع تتكون من وحدة فى المدينة من الفرقة ١٩ كانت مهمتها الدفاع عن المدينة قبل العبور •

بدأ تركيب أجهـزة تليفون •• وأجهزة لاسـلكية فى قطـاعات الدفاع الرئيسية تربطها بقيادة الدفاع عن المدينة •

وزعت قوات أقتناص الدبابات • ركبت المدافع المضادة للدبابات (م•د) ومدافع ١٣٠ ملليمتر بعيدة المدى فى المواقع الدفاعية الاساسية •

تم انتشار قوات الدفاع الشعبى وعناصر المقاومه الشعبية بجوار أفراد القوات المسلحة •

استمر العمل الشاق طوال الليل • الاتصالات بالقاهرة لا تتوقف • الاتصالات بقيادة الجيش الثالث فى الشرق مستمرة • بدأت فـرق الاستطلاع ، تخرج الى مشارف المدينة ، لتتبين تشكيلات العدو • انتشرت الاخبار فى المدينة • استيقظت السويس كلها بنسائها وأطفالها • حركة غير عادية فى كل أرجاء المدينة •

جاءت صلاة الفجر • فاكتظت المساجد بالناس • مشاعر غامضة من التساؤل والقلق والثقة ومحاولات استطلاع الحقائق •

أعلـن بدوى الخـولى المحـافظ فى مسجد الشهداء الحقائق لشعب السويس •

ـ المدينة محاصرة • العدو يستعد لدخول السويس بين لحظة وأخرى نظم الدفاع عن المدينة تماما • المطلوب هو الهدوء وضبط الاعصاب • كل مواطن عليه أن يساهم بكل ما يستطيع • سننتصر • لن تسقط السويس • الله أكبر •

وارتفع الدعاء الى السماء من أعماق القلوب ••

وخرج الناس من الجوامع ، وانتشروا فى المساكن .. كل يأخذ له موقعا . كل مواطن جند نفسه للمعركة ، وتسلح بما أستطاع أن يصل اليه . زجاجات مولوتوف . شكائر طوب . سكاكين . قطع حديد . صفائح غاز تبلل فيها كور من القماش .

المشهد لن ينساه التاريخ .

الانسان المصرى بكل طوائفه .. وطبقاته .. وأعماره .. يستعد لقتال الحياة والموت .

الاطباء والمرضات فى المستشفيات مستعدون .

قوات الشرطة تأخذ مواقعها مع قوات الجيش .

التحذير مستمر للمواطنين . لا تعرض نفسك لمنطقة مكشوفة . تحصن وراء ساتر . الجأ الى أماكن الوقاية عند قصف الطائرات .

الطرق الرئيسية سدت بالسيارات والاحجار .

عادت فرق الاستطلاع عن طريق الاسماعيلية عند منتصف الليل ، لتقول أن العدو وصل الى بعد ١٢ كيلو مترا . تأخر وصوله نتيجة مقاومة الفرقة ١٩ . لم يصل العدو الى مدخل السويس من هذه الناحية الا فى الصباح .

. . . .

الساعة السادسة صباحا . العميد عادل اسلام القائد العسكرى يعطى تمام الاستعداد .

الاشارة الى القاهرة .. سننتصر . الاشارة باللاسلكى الى قائد الجيش الثالث فى الشرق . وتبلغ تليفونيا الى القائد العام . الرد . تمسكوا بمواقعكم . سننتصر .

. . . .

العسكريون يعرفون أنها معركة صعبة . المدينة صغيرة . قوات العدو تحاصرها من كل الاتجاهات بالمدفعية والمدرعات . فى الزيتية أحتل العدو العمارات وتحصنوا بمدافع الرشاشات . مقاومتنا للطيران بالاسلحة الصغيرة فقط ، وهى لا تقاوم الطيران السريع .

ولكن العسكريين يعرفون أن العدو سيلقى ردعا عظيما .. ان قتال المدن ليس بالامر السهل على المهاجم مهما كان عتاده . والروح المعنوية فى قمة الالتهاب . وكل مواطن ينتظر فى لهفة قوية .

الساعة السادسة والنصف .

العدو يمهد لمعركة الاقتحام . غارات طيران مكثفة وسريعة ، بطلقات لا تتوقف . ضرب مدفعية من جميع الجهات . قذائف ثقيلة . كل بيت فى السويس أصابته قذيفة . حديد شريط السكة الحديد فى الشارع الرئيسى انصهر من حرارة القذائف ، والتوى الى ارتفاع ٣٠ مترا ! .

فرق الانقاذ تعمل بكل نشاط وشجاعة ٠
المستشفى يستقبل الجرحى ٠
آذان أبطال السويس ، بدأت تستمتع بدوى القذائف ٠ وانفجارات الصواريخ ٠ وصوت النفاثات الرهيب ٠٠ أثناء هذا القصف الوحشى الدامى ، كان أحد البسطاء « يقلى » الطعمية فى محله المتواضع ، ليرسلها « سخنة » فى أرغفة العيش الى المقاتلين !
استمر الضرب المتواصل العنيف ثلاث ساعات كاملة ٠٠
تصور العدو أن المدينة أخذت درسا قاسيا ٠٠
تصور أن الكل أصبح مستعدا للاستسلام ٠
تصور أن مدرعاته سوف تدخل المدينة لترى الرايات البيضاء تطلب الامان ٠
ان خسائر المبانى رهيبة ٠٠
ان رعب القصف يكفى لان تتجمد الدماء فى العروق ٠٠
وتوقف القصف ٠٠
وبدأ الهجوم على المدينة من كل مداخلها ٠٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

كانت الساعة التاسعة والنصف من الصباح ٠
مدرعات العدو تتحرك من اتجاه (المثلث) ٠٠ المدخل الرئيسى للمدينة ٠
— من اتجاه القطاع الزراعى (الهويس) ٠٠ المدخل من الاسماعيلية ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

— ثم من اتجاه الزيتيه ٠٠ وكانوا قد أحتلوها ٠
الهجوم لم ينجح من اتجاه الهويس ٠ كان على العدو أن يجتاز كوبريا صغيرا ٠ الكوبرى محتل بالمدافع (م٠د) المضادة للدبابات ٠ الدفاع عنه أسهل كثيرا من الهجوم ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

القوات العسكرية تتصدى للهجوم من ناحية المثلث ٠٠ المقاومة تضرب من المساكن الشعبية ٠٠ المقاومة تستمر ساعة واحدة ٠ استطاع العدو أن يحدث ثغرة ٠ وصلت مدرعاته مشارف الشارع الرئيسى ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

نجح العدو أيضا فى أختراق تحصيناتنا من ناحية مدخل الزيتية ٠
آمن العدو قواته عند مدخل المثلث ٠ اندفع بعشر دبابات وعشرين عربة مجنزرة ٠ كل دبابة وراءها عربتان ٠ هيأ له غباؤه أن وضع أعلام دول عربية على المدرعات يمكن أن يخدع أحدا بعد كل هذه المعارك !

مرق العدو بدباباته ومجنزراته بسرعة ، ليتلافى أي مقاومة جانبية من الاسلحة الخفيفة .. استطاع أن يصل الى بور توفيق . اصطدم هناك بحقل الغام . انفجرت الالغام فى الدبابة الاولى . انهالت عليها قذائف ال (م.د) .. أصابت الدبابة الثانية . ارتبكت صفوفه . كانت مدفعية الدبابات التي دخلت من الزيتية تحميه بستر من نيرانها تقدمت الدبابات الثماني الباقية والعربات المدرعة الى الزيتية ، هـاربة من استمرار المقاومة .

بعد نصف ساعة .. « قول » آخر من دبابات العدو يقتحم مدخل المثلث .

مجموعة منظمة سيناء ، أطلقت أول صاروخ على أول دبابة عند جامع الاربعين . الطلقة لم تصب الدبابة . انفجرت في سور السكة الحديد الممتدة في الشارع . خرج بطل من حصنه في دار السينما الى الشارع . انتظر الدبابة . أصبح بينه وبينها ١٢ مترا فقط . طلقة (م.د) من مدفعه أطارت برأس سائق الدبابة في الهواء . وقفت الدبابة . جنود الدبابة قذفوا حولهم قنابل يدوية للوقاية . اقتحم البطل المصرى نيران القنابل . قفز على الدبابة . رمى بداخلها قنبلة يدوية . انفجرت . اشتعلت فيها النار . كان وراء الدبابة ٣ عربات مدرعة ، رجالها يطلقون النيران ويملأون المكان حولهم بسياج من القنابل اليدوية. البطل يقتحم النار مرة أخرى . يقذف أول عربة مدرعة . تشتعل العربة . باقى الدبابات تتوقف . العربات المجنزرة أيضا تتوقف . يقفز منها الجنود الاسرائيليون محاطين بسياج من النار . المنطقة تتحول الى جهنم . كل مواطن فى المساكن والطريق الرئيسى والشوارع الفرعية الضيقة بدأ يضرب . بالبنادق . بزجاجات مولوتوف . بكور النيران . بالطوب . محافظ السويس بدوى الخولى فى قلب المعـركة . يشجع المقاتلين . اضرب . تقدم . احترس من هذه القذيفة ، روح معنـوية طاغية . صبى فى السابعة من عمره يضع على رأسه خوذة . ويجـرى وسط الشوارع يخترق النيران الرهيبة . الصبى يصل الى مبنى الدفاع الشعبى الذى أصبح مقرا للمحافظ ، ومقرا لتشوين الذخيرة . الصبى يملأ الخوذة بالذخيرة .. يعود حاملا الخوذة فى يده ورأسه عار ! .. يجرى وسط النيران .. يسلم أبطالنا الذخيرة .. يوزعها عليهم .. يعود ثانيا تحمى رأسه الخوذة .. ويرجع : رأسه عار والخوذة ملأى بالذخيرة . أسطورة شجاعة لطفل فى السابعة من عمره ! ..

حماكَ الله أيها الشعب !

الاسرائيليون أصبحوا فى مصيدة هـذا الشارع بين دار السينما والجامع . النار والاحجار والقذائف تحيط بهم من جميع الجهات ..

يجرى بعضهم الى حارة مفتوحة أمامه ، يرى أن الحارة امتلأت فجأة بالعسكر .. تهدده القنابل . يعود . يحاول البعض الآخر الاحتماء في مسكن . ينهال عليه الطوب . رؤوس الاسرائيليين مبعثرة . المقاومة تقفز على الدبابة . شهداء أبطال يسقطون . استطاع ٣٥ اسرائيليا أن يهرقوا الى مبنى قسم الشرطة فى الوسط بين السينما والجامع . أرادوا أن يؤمنوا أنفسهم داخل القسم ، بعد أن تمزقت أجساد الباقى استطاعوا أن يشقوا طريقهم بحماية المدافع الرشاشة . رجال القسم يقاومون . استشهد ٢١ جنديا . سيطروا على القسم . المبانى حول القسم تحميه . دباباتهم وعرباتهم المدرعة احترقت . ثلاث دبابات ، ١٢ عربة مدرعة عربات ذخيرة . أصبحت قطعا من الفحم . شعب السويس لم يكتف بذلك . حتى بعد احتراق الدبابات . أعادوا حرقها من جديد . بالجاز وزجاجات مولوتوف . أجساد الاسرائيليين تحولت الى لحم محترق ودماء وقطع مبعثرة من الارجل والايدى والرؤوس .

استمرت الملحمة الخالدة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . كانت قد بدأت فى الحادية عشرة من الصباح . الاهالى ينقلون الجرحى الى المستشفى . قصص فداء من الاطباء والممرضات . الاطباء متطوعون بدمائهم . بعضهم أعطى دمه أكثر من مرة . جراحات خطيرة وجراحات صغيرة . الشهداء تحملهم الايدى الى مثواهم الاخير . المقاتلون يعيدون تنظيم صفوفهم . الدبابات المحترقة تبهر الانظار .

أما الاسرائيليون داخل قسم البوليس .. فهم فى المصيدة ..

كان أحدهم يحمل جهاز لاسلكى ، اتصل بقيادته . نصحوهم بالتسليم أخرجوا جنديا مصريا بالقسم برسالة الى قيادة المدينة .. اننا مستعدون للتسليم . أمنوا حياتنا . سنخرج ومعنا قطعة قماش بيضاء . الجندى لا يعرف أين القيادة . اصطحبه أحد أبطال منظمة سيناء الى العميد فتحى فى غرفة العمليات . كان الجواب أننا قبلنا استسلامهم . وسنحمى حياتهم . ولكن الجندى لم يستطع الوصول مرة ثانية الى القسم . عرف الاسرائيليون أن مصيرهم الاخير داخل القسم عندما لم يتلقوا ردا .

. . . .

انتشرت الانباء فى المدينة الصغيرة أن الاسرائيليين داخل قسم الشرطة . الجماهير أحاطت من بعيد بالقسم من كل مكان . الاعداء يحتفظون بجنود الشرطة كرهائن داخل القسم ومع ذلك أصابهم الرعب من التجمع حول القسم . طلبوا باللاسلكى من قيادتهم . بعد أن فشلت محاولة التسليم ، الضغط بالنيران . بدأت المدفعية الاسرائيلية تقصف غارات طيران أخرى . محاولة هجوم أخرى بالمدرعات من مداخل المدينة . فشلت المحاولات .

الروح المعنوية مرتفعة جدا · تضاعف تمسك الجماهير الباسلة بالمدينة الباسلة · الدبابات المحترقة أذكت روح القتل والمقاومة ·

الساعة الخامسة :

مجموعة من أبطال منظمة سيناء مع عدد من العسكريين وعدد من المقاومة الشعبية قرروا اقتحام قسم الشرطة · كانوا ٢٥ بطلا · القسم وسط منطقة مكشوفة ، ومحصن بالمبانى بعد هـــذه المنطقة · وصلوا الى سور القسم · تسلقوا السور · شعر الاسرائيليون · سلطوا عليهم النيران · لم يتوقف الهجوم · استشهد ثلاثة أبطال وهم يقفزون السور · نزل الباقون الى الفناء · أحد الشهداء هو البطل ابراهيم سليمان أحد رجال منظمة سيناء · انه الشجاع الذى ضرب أول دبابة وأطار رأس قائدها وأحرقها · انه مقاتل رهيب · له سجل حافل فى العبور الى الضفة الشرقية منذ ٦٨ ·· هو الذى عاد الينا بأول أسير فى منطقة الشط فى ذلك الوقت · انه موظف كتابى بشركة السويس للتصنيع البترولى · ولكنه وهب نفسه للفداء وتطوع فى منطقة سيناء · ووصل الى رتبة نقيب · وهو متزوج وله أطفال · ولكنه كان يقدم نفسه للموت كل يوم ! ·· مع القوة المهاجمة عدد من ضباط الشرطة · استشهد منهم ضابطان ·

لم ينجح الاقتحام ·

سقط عدد من الاسرائيليين داخل القسم ·

· · · · · · · · · · · ·

خلال هذه المعركة ·· أصـــابت قذيفة مخزن الدقيق بالمدينة · احترق المخزن · الخسارة كبيرة · انه تموين المدينة استعدادا لايام القتال · فرقة المطافىء · المواطنون · جهود جبارة لانقاذ الدقيق · احترق ١٢٠٠ جوال وبقى فقط ٨٠٠ ·

· · · · · · · · · · · ·

المقاومة الشعبية عنيفة فى الزرايرة واليهودية والمغربية والهويس ·· محاولات مستمرة للعدو للاقتحام · كلها دمرت ·

· · · · · · · · · · · ·

محاولة أخرى للعدو لاقتحام المدينة من مدخل المثلث بثلاث دبابات وعربتين مدرعتين · الهدف هو الوصول الى مبنى قسم الشرطة ، لانقاذ الاسرائيليين · تقدمت الدبابات عربة مدرعة · ســـائق المدرعة أصيب بالذهول من مشاهد النيران والدبابات المحترقة وعنف المقاومة · دار بالعربة المدرعة حول نفســـه مرتين ، وعاد بأقصى سرعة · هرب بجلده · هربت الدبابات وراءه · لم يكن الاسرائيليون يتخيلون أن شعبا سيقاوم بهذه الشجاعة الخارقة · بقى ١٢ اسرائيليا أحياء داخـــل القسم · محاولة تخليصهم هى كل أمل العدو ·

جاء الظلام · صمتت مدفعية العدو · عرف أن القصف النيران والصواريخ لن يهز هذه المدينة أبدا · عرف أن الاستيلاء على المدينة كان مغامرة خاسرة · أن عنف المقاومة والشوارع الضيقة · واكتظاظ المدينة بالمباني ·· يمثل عقبة كبيرة أمام العدو ·

استطاع الاسرائيليون التسلل من قسم الشرطة اثناء الظلام كان الاجهاد قد حل بالجميع بعد المعركة الوهيبة · انشغل الكثيرون بنقل الجرحى ، واعادة تجهيز المواقع ، وتشوين الذخيرة ·

تنبه بعض رجال المقاومة الى الهاربين فى طريق اليهودية والزرايره · أصابوا ثلاثة ·

أمكن اكتشاف ستين جثة للعدو · بعد وقف النار تسلموا ٢٧ جثة · عرفوا أن قواتهم ـ بعد ذلك تنفص ٣٣ · قلنا نعرف · كنا نعرف انهم قتلى · ولكننا اردنا أن نساوم بهم · حتى يتصوروا أنهم لا يزالون أحياء · قلنا سنبحث · كان ذلك بعد قطع الماء عن المدينة ·

· · · · · · · ·

٢٤ أكتوبر :

مر اليوم هادئا · العدو لم يهاجم · القوات المسلحة وقوات المقاومة والدفاع المدنى ·· يستعدون لمعركة جديدة · جمع الاحجار حفر خنادق جديدة · اتصالات لاسلكية بقيادة الجيش الثالث · وصول اسلحة · القائد العام يصدر تعليماته من القاهرة ويتلقى تقارير تفصيلية · المستشفى الاميرى لم يعد يتسع للجرحى · فريق من الجرحى فى فرقة الدفاع المدنى ومعهم أطباء متطوعون · المخابز تعمل ·· بدأ التفكير فى تحديد توزيع المؤن ·

جاء الليل ··

بدأ العدو يتابع القصف بالمدفعية من جميع الجهات خارج المدينة ·

الانباء تصل الى قائد مدينة السويس · الاسرائيليون يريدون البحث عن ال ٣٣ الذين لم يعودوا · انهم لا يعرفون عنهم شيئا ·

هل قتلوا ؟ ·· هل وقعوا فى الاسر ؟ انهم لا يزالون يحتلون جزءا من الزيتية · قيادتهم فى احد مكاتب شركة تصنيع البترول ، يوجد معهم حوالى ١٥٠ موظفا وعاملا مصريا · اخبارهم على السنة المصريين فى الزيتية تصل الى قيادة السويس · أن الاسرائيليين يتصورون ان المدينة مسلحة تسليحا خارقا · انهم مترددون فى القيام بهجمات جديدة · لقد ايقنوا أن التضحيات كبيرة · بدأ الاسرائيليون يستخدمون اساليب التهديد · الضباط الاسرائيليون يتصورون أنهم أكثر ذكاء · يحاولون التحدث مع المصريين فى الزيتية ، واستدراجهم الى الكلام والحصول منهم على معلومات · انهم يسألون ·· بلدكم فيها ايه ·· تقريبا ؟ ·· حوالى ٨٠ الف ؟ ·· طبعا كلهم عسكريين ·

المصريون أكثر ذكاء • انهم يضاعفون لهم الارقام •
طلب القائد الاسرائيلى من سعد الهاكع الموظف بالشركة ، أن يتصل تليفونيا بالمحافظ قال له انه لا يعرف رقم المحافظ • استخرجوا أرقاما من دفاتر التليفون •

اتصل سعد الهاكع بفرقة الدفاع المدنى • رد عليه المحافظ • قال أن القائد الاسرائيلى يريد أن يتصل بالمحافظ • الاسرائيلى يتكلم بلهجة عربية شامية • ليبلغه بالتهديد بهدم السويس اذا لم تسلم •
رد المحافظ
الاسرائيلى : انت المحافظ
المحافظ : لا ••
الاسرائيلى : لا •• انت المحافظ •
المحافظ : انا لست المحافظ •• عاوز ايه علشان نبلغ المحافظ

الاسرائيلى شوف •• احنا هندمر البلد بالطيران والمدفعية • مش حنخلى فيها طوبة واحدة •• فى خلال نص ساعة • اذا لم تعلنوا تسليم السويس •
المحافظ : لا •• نص ساعة ده وقت قليل لغاية ما اتصل بالمحافظ وارد عليك ••
الاسرائيلى : نص ساعة بس •• بعد كده البلد حتتحول طوب وجثث •
المحافظ : ده وقت قليل •

الاسرائيلى : ماعنديش كلام ثانى • تيجى انت والقائد العسكرى ومدير الامن ومعاكم كل الاهالى • رافعين اعلام بيضاء •• وانا منتظر فى الاستاد •
انتهى الحديث •

كان تقدير البعض أن هذه عملية تهويشية ، وان الاسرائيليين لن يهاجموا ، بعد ما تكبدوا من خسائر بالامس •• هجومهم مستحيل • لو كانوا قادرين لما لجأوا الى هذا الاسلوب •• وآراء أخرى تطالب بدراسة الموقف من جميع نواحية ••
والكل كان مخلصا فى أبداء رايه ••

المحافظ يتصل تليفونيا بالقائد العسكرى • روى له الحديث •• شرح تفصيلات تقييم الموقف من وجهة نظره •• التموين • الماء • الادوية • الخبز • القتلى والجرحى • طلب من القائد تقدير موقف • هل قواتك كافية للدفاع عن المدينة ؟ ••

القائد العسكرى يقول اننا قادرون على الدفاع عن السويس وسأقوم بالرد بعد أن ادرس الموقف مرة ثانية •

المحافظ يتصل بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية
جاء رد القاهرة بعد لحظات • انه رد الرئيس أنور السادات • لا تسليم • قاتلوا حتى أخر رجل وامرأة وطفل •

صفق الجرحى وابطال المقاومة ومن يقاومون الموت •

رد أنور السادات ضاعف من الروح المعنوية • نصف المقاتل اصبح مقاتلا •• المقاتل اصبح فى قوة عشرة مقاتلين • الجريح نسى الامة • من يعانى حشرجة الموت دبت فيه الحياة ••

فليذهب تهديد القائد الاسرائيلى الى الجحيم •

المحافظ يتصل بالقائد العسكرى : قرار القاهرة هو استمرار القتال •

القائد العسكرى : هذا هو قرارى • اننا قادرون على معركة ومعارك أخرى •

القائد الاسرائيلى يتحدث فى التليفون بعد مرور نصف ساعة • السماعة تقفل فى وجهه بمجرد سماع صوته •

القائد الاسرائيلى يتصل بكل المكاتب التى يجد أرقامها فى دفتر التليفون •

اتصل بالحكمدار •• يا اخى ماتهد البلد اذا كنت قادر •• اتصل برئيس مباحث الامن العام • قال له ومين قالك اننا حنسلم •

فقد القائد الاسرائيلى اعصابه • كان لا يسمع الا سخرية !

المحافظ يكلف مندوب الاتحاد الاشتراكى ورجال الشرطة وعددا من رجال المقاومة ، أن يمروا بعربات فى جميع شوارع المدينة وبمكروفونات •• انطلقت اصواتهم عالية من الميكروفونات • العدو يطلب أن نسلم • لن نسلم • سنقاوم • سنحارب • سننتصر ••

المحافظ يطلب من الشيخ حافظ سلامة أن يعلن من جامع الشهداء • فى الاذان •• وأثناء الصلاة •• شعار المقاومة حتى آخر رجل • الجامع الان اصبح مقر القائد العسكرى • تحول الجامع أن ثكنة عسكرية • تشوين ذخيرة • تنظيم خطط الدفاع • رجال من المقاومة يدخلون ويخرجون •• أخبار عن العدو تحملها فرق الاستطلاع •

يوم ٢٥ أكتوبر :

قصف بالمدفعية من خارج المدينة • أصوات القذائف لم تعد ترهب أحدا •

العدو يذيع كذبا أن المدينة استسلمت • تخرج برقية كاذبة ارسلها مراسل الاسوشيتدبرس (دافيد لانكشير) : هذا نص البرقية •

السويس المحتلة ــ من دافيد لانكشير :

« احتلت القوات الاسرائيلية كل مدينة السويس تقريبا ، وهى البداية الاستراتيجية ، الى الطرف الجنوبى من قناة السويس • صرح بذلك اليوم (الخميس ٢٥ الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) الضباط الاسرائيليون فى الوقت الذى كانت فيه طلقات المدافع تنفجر على طول القناة على الرغم من وقف اطلاق النار » •

ثم أطلق هذا المراسل لخياله العنان وقال ما نصه :

كان الدخان الرمادى يسبح بين المبانى ، وكان يبدو أن القوات المصرية المعزولة على الجانب الاخر من القناة فى الشرق ، تقصف المدينة فى محاولة يائسة لطرد القوات الاسرائيلية التى احتلت المدينة •

وصرح لى ضابط اسرائيلى برتبة كولونيل ، وعرف نفسه بأنه قائد قطاع مدينة السويس قائلا أن قواتنا داخل مدينة السويس منذ ما قبل وقف اطلاق النار الاول • وقال هذا الضابط ان المدينة محتلة بالكامل تقريبا ، بأستثناء جيوب قليلة للمقاومة • ربما مئات قليلة من الجنود المصريين فى وحدات متناثرة ، لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم يشكلون قوة •

ووصف دافيد لانكشير المراسل الامين جدا الكولونيل قائد قطاع مدينة السويس بقوله :

« ان قائد السويس الاسرائيلى كان يحمل مسدسا وخنجرا فى حزامه ، وكان يتحدث على الطريق الواقع عند الطرف الجنوبى من السويس ، بالقرب من منازل المدينة التى بدت مهجورة • ومن نقطة تقاطع طرق على مسافة ميل الى الشمال كانت القوات الاسرائيلية ، والسيارات نصف جنزير والمدرعات تتحرك داخلة وخارجة من المدينة من الغرب دون أية علامات مقاومة • وقد رفض القائد الاسرائيلى أن يحدد كم عدد قواته داخل المدينة • وصرح القائد الاسرائيلى بأنه كانت هناك مقاومة عندما تحركنا الى المدينة ، أما الآن فلا يوجد سوى جيوب قليلة لا تزال صامدة • ربما بقايا الجيش الثالث • ولكن لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم جيش • وقال القائد الاسرائيلى أيضا أن الاسرى يتوافدون الآن وان لدينا حوالى ٤٠٠ استسلموا حتى الآن ومازالوا يتوافدون حاملين أعلاما بيضاء » •

هذه هى الاكذوبة التى نشرها الاسرائيليون •

ولكن قيادتهم وجدت أنها كبيرة •• وبعدها وفى اليوم التالى (٢٦ أكتوبر) فى الساعة السابعة و ٤٥ دقيقة مساء أذيع البيان الرسمى التالى الاسرائيلى من جميع وكالات الانباء • وأنا أنقل نص ما أذاعته وكالة يونيتدبرس :

« نفت القيادة العسكرية الاسرائيلية اليوم أن قواتها موجودة داخل مدينة السويس وهى المدينة المصرية الواقعة عند الطرف الجنوبى من قناة السويس . وكان أحد الضباط الاسرائيليين قد قال للصحفيين الذين زاروا المنطقة يوم الجمعة ان القوات الاسرائيلية موجودة بالمدينة التى تم اخلاؤها من السكان المدنيين وكان معهم ١٥ ألفا من الجنود المصريين . وقد صرح الكولونيل مهمان كارمن ـ المتحدث الرسمى بلسان القيادة الاسرائيلية بقوله : اننا عند ضواحى مدينة السويس ، وبالتالى فنحن لا نسيطر على المدينة . اننا نحاصرها ولكننا لسنا بالداخل . ووجه حديثه الى الصحفيين قائلا : انكم تستطيعون القول بأن مدينة السويس مستقلة عن القوات الاسرائيلية » .

. . . .

حاول العدو دخول المدينة مرة أخرى . اندفع من أحد المداخل بدبابة ومدرعة وسيارة جيب . حمى نفسه بنيران مستمرة . كان يسعى الى استكشاف .. أين يوجد الاسرائيليون الثلاثة والثلاثون .. أنه يتصور أنهم أحياء . استطاع أن يختطف أحد المواطنين .

قوات المقاومة تهاجم العدو عند مدخل السويس ناحية المثلث . استطاعوا أن يختطفوا أحد ضباطهم . الضابط يصيح بلغة عربية ركيكة . أنا عندى معلومات . أنا حفيدكم . ولكن الاهالى أعطوه علقة ساخنة . أصيب ونقلوه الى المستشفى الاميرى .

انتشرت اشاعة فى المدينة ان المدرعات الاسرائيلية ستهاجم المدينة ، ولكنهم سيضعون فى مقدمة المدرعات المصريين الذين يعملون فى الزيتية . سيصدرونهم أمام الدبابات حتى لا يستطيع أى مدافع عن المدينة أن يضرب المدرعات . الاشاعة تقول انهم اختاروا ١٥٠ من مهندسى وعمال المصانع .

كان لابد أن نناقش هذه الاشاعة . هكذا قال لى محدثى من أبطال السويس .

ماذا نفعل لو كان هذا صحيحا .. فهل نضرب ونضحى باخواننا دفاعا عن المدينة . أو أن نمسك عن الضرب . حرصا على حياة اخواننا .. ثم تسقط المدينة ..

واستمرت المناقشات .. ثم استقر الرأى على قرار واحد . سنضرب مهما كان الثمن . كرامة الوطن تطالبنا بالاستشهاد . هذا قدرهم . وقدرنا شهداء .

٢٦ أكتوبر .. أول أيام العيد :

أراد العدو أن ينتقم من ضربة العبور فى عيد الغفران .. غارات طيران مكثفة على الجيش الثالث وعلى أطراف السويس . ضرب متواصل بالمدفعية .

الضرب وطلعات الطيران وقذائف الصــواريخ لم تتوقف دقيقة واحـدة من الحادية عشرة ، فى الصباح حتى الخامسة مساء •
هذا الضرب المتواصل بكل الخسائر التى سببها ، لم يؤثر على استمرار الاستعداد العسكرى • اعادة الاوضاع الدفاعية داخل المدينة •• الكتائب الادارية التى كانت فى الغــرب ، وهــددها عبور الاسرائيليين • وصــلت امدادات أسلحة الى المدينة من الجيش الثالث فى الشرق • ذخيرة • أسلحة (م•د) •• الصاروخ فهد •
مجموعات بوحداتها من الفرقة ١٩ انضمت للدفاع عن المدينة • الوصول الى الســويس عن طريق المزارع كان ميسرا • استمر التجهيز الهندسى • خسائر ضرب الطيران محدودة • تأثيرها النفسى الآن مفقود ، من كثرة اعتياد الناس على دوى القنابل والصواريخ والقذائف •
بدأت تظهر مشاكل التموين والسيطرة على النظام • لقد أخذنا درسا من ٦٧ ، وأعدت أماكن لتخزين المعلبات والمــاء • خزانات ميــاه تحت الارض متصلة بمواسير الى داخل المدينة ١٢ ألف متر مكعب من المياه فى الخزانات • الخزان الرئيسى فى الزيتية وبه ٩٠ ألف متر مكعب • المعلبات جزء منها فى السويس •• وجزء فى الحدائق •• فى مدخل السويس ••
كان لابد أولا الاطمئنان على السيطرة على مصــادر الماء وتأمين نقلها فى المواسير •
تقرر وقف بيع الخبز من الافران •• لم يبق فى المدينة بعد حريق مخزن الدقيق الا ٨٠٠ شوال • تقرر لكل فرد رغيفان من الخبز يوميا • وزع على كل فرد ثلاث معلبات (فول ـ بامية ـ لانشون) • الخبز يوزع • كل مصلحة تقدم قائمة • القطاع الزراعى يتسلم خبزه من مراكز الشرطة •
تنظيم هذا العمل يبدو هكذا سهلا • ولكن التنفيذ صعب والمدينة تعيش جو الحرب والتهديد والموت ، وتواجه قصف المدفعية والطيران ليل نهار • ولكن المعنويات مرتفعة • الكل راض •• الكل يريد أن يشارك بأى تضحية •• يكفى أن العدو لم يستطع اقتحام المدينة بعد اندحاره فى معــارك ٢٥ أكتوبر •
التنسيق كامل بين المدينة وقوات الجيش الثالث • تقرر لكل جندى ربع رغيف كل يومين • تعيين اليوم الواحد لكل جندى يقسم على أربعة أيام •
الاتصال مستمر بين القيادة العامة فى القاهرة •• وقيادة السويس •• وقيادة الجيش الثالث •

٢٧ أكتوبر :

تراشق بالنيران على مشارف المدينة •
مدفعية العدو تضرب فى العمق •

٢٨ أكتوبر :

وصلت أول مجموعة من قوات الامم المتحدة • كان كل جهدها السيطرة على وقف النار • أمكن السيطرة على الاسرائيليين • المدافعون عن المدينة ، من غير العسكريين ، من الصعب السيطرة عليهم • انهم منتشرون فى كل مكان • الاسرائيليون فى مبانى شركة النصر فى الزيتية عند مشارف المدينة •• رجال المقاومة فى العمارات التى تواجهها • وبينهما فضاء •

استخدم رجال الامم المتحدة كل الوسائل لمنع اطلاق النار • اذا ساروا فرادى كانوا يحملون علم الامم المتحدة • فى السياراتيرفعون (البيارق) بأعلام الامم المتحدة • الضرب مستمر ، وكانوا يخشون أن يصابوا •

استمرت محاولات السيطرة أربعة أيام متصلة •

كان يتم الاتفاق بين قوات الامم المتحدة ، على أن الضرب سيتوقف بعد ١٥ دقيقة • الاتفاق ارتضاه الاسرائيليون والمصريون •• فى الدقيقة الاخيرة يصب المصريون ضربات نار قوية ومتسعة • يرد الاسرائيليون • يبطل الاتفاق • وهكذا ••

٣٠ أكتوبر :

بدأت تظهر مشاكل داخلية فى المدينة ، الدفاع عن المدينة فى الساعات الحرجة اقتضى أن ينتشروا فى كل مكان ، وأن يضربوا بأى شىء •• مواد التموين غير كافية • الاعصاب مرهقة • وقعت مشكلات بسبب الطعام • أمكن السيطرة عليها •

صدر قرار القائد بتعيين قائد عسكرى جديد للمدينة من قوات الجيش الثالث فى الشرق هو العميد الكنزى •

بدأ سريعا عمليات اعادة تنظيم الدفاع عن المدينة • تنظيمات جديدة للدفاع • مكعبات خرسانية • الاستفادة من قضبان السكك الحديدية • أسلاك شائكة • ألغام • مدافع جديدة وصلت من الجيش الثالث من الشرق •• خنادق فى أماكن دفاعية جديدة •

كان عملا عسكريا رائعا ••

كل العناصر غير المحاربة ، بين هؤلاء الجنود بدأوا تدريبا عسكريا شاقا ، رغم أن أعمارهم متقدمة •

الاتصال بقوات بدر (٢ فرقة من الجيش الثالث شرق القناة) مستمرة عن طريق معبر لم يستطع الاسرائيليون الاستيلاء عليه أو تدميره • ضرب هذا المعبر بالطيران والمدفعية والدبابات • ضرب العدو من الزيتية يمكن أن يصل مداه الى بورتوفيق • من القطاع الزراعى يستطيع أن يضرب الى موقع الكيلو ١٦٠ ، من الموقع الذى وصل اليه وهو الكيلو ٥٢ ، من بورتوفيق يمكننا الوصول الى حوض الدرس حيث يوجد المعبر • هناك طريق آخر الى

منية الغلة . ضرب المعبر استمر ليلة بطولها ، حتى تحول الى شعلة من النور . ومع ذلك .. فلم يتحطم .. وأمكن اصلاحه .. وكان العبور الى الشرق يتم عليه ! .

المخابرات الاسرائيلية تحاول الحصول على معلومات عن الحالة داخل المدينة . تصوروا ان المصرى يمكن أن يكون جاسوسا . اتصلوا ببعض المصريين فى مواقع خارج المدينة . ودفعوهم الى داخل المدينة باغراءات مالية .. كان المصرى يدخل الى المدينة ويتجه على الفور الى قيادة مدينة السويس .. كان يروى كل شىء . وكان يحمل معه الاجابة التى ترهق أعصاب الاسرائيليين .

كانت أسئلة المخابرات الاسرائيلية . ما هو أثر وقف مباحثات الكيلو ١٠١ على المواطنين ؟ .. هل لديهم ماء كاف ! .. كيف يأكلون ؟ .. ألم تقم مظاهرات ضد الحكومة ؟ ..

كانوا يتصورون أن هذا الشعب يمكن أن يضعف أو يخضع .

وكانت الاجابات تصلهم . شعب السويس واثق من الانتصار . هذا التسلل الاسرائيلى مهما اتسع مداه ، واقع فى المصيدة . سيباد . الاكل عادى جدا . الماء متوافر . كل الناس سعداء . سنقضى على هذا الحصار . قواتنا ستفتح الطريق .

فى الايام الاولى رموا المنشورات التى تطالب بالاستسلام . فأشعل الناس النار فى هذه المنشورات .

لجأوا الى مكبرات الصوت عند أطراف المدينة . سلموا . ستحطم المدينة حجرا حجرا . سننهى حياتكم .

وكان الرد .. اشتعال المقاومة .

اوقفوا المنشورات . وأوقفوا الصراخ فى مكبرات الصوت .

انهم يواجهون الارادة المصرية لاول مرة .

بعد اعادة التجهيز العسكرى زادت خسائر العدو فى التراشق بالنيران . كانت نيرانه بلا هدف . كانت نيراننا تعرف هدفها . كانوا يضربون ضرب عشواء ، وكنا نصيب أهدافنا .

وكانت الجماهير تستطيع أن ترى على البعد سيارات الاسعاف تنقل قتلاهم وجرحاهم بعد كل تراشق نيرانى .

وكانت الروح المعنوية تزداد ارتفاعا .. رغم معاناة النقص فى الماء والطعام .

بل حدث فى الايام الاخيرة .. ان الجنود اليهود كانوا يصرخون .. يا مصريين .. احنا تلامذة .. عاوزين نذاكر .. عندنا امتحانات .. احنا ما ضربناش .. الموقع التانى هو اللى ضرب .. اضربوه ..

وتتجه نيران المصريين الى الموقع الثانى .. فيصيحون .. ماتصدقوش احنا ماضربناش .. ومش حنضرب أبدا .
وهكذا شعر أبناء السويس .. بقوتهم .. رغم الحصار !
القائد الاسرائيلى يطلب مقابلة محافظ السويس تحت علم الامم المتحدة .
القائد الاسرائيلى يريد أن يعرف مصير الثلاثة والثلاثين اسرائيليا المفقودين : طلب معلومات .
ولم تصلهم المعلومات .
واستمر الحصار مائة يوم .
وتأجج نضال شعب السويس مائة يوم .
بل انهم احتفلوا بالعيد الكبير . برنامج ضخم فى جميع شوارع المدينة . المدنيون يزورون القطاعات العسكرية . الجميع يزور المرضى . حفلة خاصة للاطفال فى حديقة المستشفى . ما أروع أطباء المستشفى . كل طبيب كان هرما .. كل ممرضة كانت مصر . مدير المستشفى الشهيد الدكتور أيوب . بذل فى صمت . عمل بأضعاف جهد سنه . تحدى كل شىء . أعطى دمه وعلمه وفنه وراحته وفى يوم فك الحصار .. كأنه شعر أن رسالته قد انتهت . مات فجأة فى صمت ، كما كافح فى صمت . كانت السويس تحتفل بانتهاء الحصار .. وكان جثمانه يخرج من المدينة الى القاهرة ! .. عندما بدأت الافراح . لم يعد له مكان !
يا لمفارقات القدر !

٢ يناير :

العيد الكبير . الآلاف فى الجوامع يؤدون صلاة الفجر . الله أكبر .. همسة الايمان تخرج من قلوبهم . العدو يضرب بالمدفعية المدينة تهتز .. همسة الله أكبر .. ترتفع مع ارتفاع دوى المدفعية دعاء الايمان يتحول الى صرخة اصرار .. الله أكبر . مدفعية العدو تستمر فى الضرب . الله أكبر تدوى بأقوى من المدفعية . دموع الايمان فى كل العيون . نبض الايمان فى كل القلوب . وخرج المصلون من الجوامع .. أكثر اصرارا . واحتل كل واحد موقعه . واستعد لمعركة جديدة .
الله أكبر !

١٦ يناير :

تم توقيع اتفاقية الانسحاب
الاسرائيليون عند مشارف المدينة يرقصون ويغنون ويسكرون . أسعد يوم فى حياتهم . العودة الى اسرائيل بعد المعارك الفاشلة . الانتصار الوحيد هو أن يعودوا سالمين . كانوا يهتفون بالعربية . السادات راجل تمام . السادات رجل جدع . جولدا مائير بنت كلب .. مائير بنت ....

(ويعف القلم عن ذكر الصفات الشائنة التى ألحقوها بشرف رئيسة وزرائهم) ٠

برقية من الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام الى قيادة السويس يوم ٢٨ يناير الساعة ٣٠ر٨ مساء :

« من وزير الحربية الى قائد مدينة السويس :

« الى قائد مدينة السويس ٠ بمناسبة توقيع اتفاق الفصل بين القوات وانسحاب القوات الاسرائيلية شرق قواتنا فى سيناء أبعث اليكم والى جميع قواتكم ضباطا وجنودا ، أبعث اليكم بتحياتى القلبية وتقديرى العميق ٠ وأؤكد ان جهودكم وتضحيتكم كانت عاملا رئيسيا فى توقيع اسرائيل اتفاق انسحابها شرق مواقع قواتنا فى سيناء ٠ وأؤكد ضرورة استمرار اليقظة والاستعداد وعدم التهاون اطلاقا لحين اتمام الانسحاب كاملا ٠٠ والى اللقاء قريبا ٠٠ باذن الله والله يوفقكم » ٠

هذه ليست أول برقية من القائد العام ٠ كان الاتصال كما قلت يوميا ٠ ومن سجلات الحرب أقدم بعض البرقيات السرية التى أرسلت من السويس الى القائد العام فى القاهرة ٠

★ اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١١/١٣ الساعة ٣ صباحا :

« عن القوات شرق القناة ، المعنويات ممتازة ٠ الجميع فخورين بما حققوه من نصر ٠ توجد بطولات مشرفة كثيرة ٠٠ درجة الايمان عالية جدا ٠ القادة والقوات يبذلون جهدا مشرفا لتدعيم الدفاع ورفع كفاءة التجهيز الهندسى ، علاوة على التدريب ٠ الاتصال اليومى مع الوزير يرفع المعنويات ٠٠ القائد العسكرى فى السويس يبذل جهدا مشرفا لتنظيم الدفاع عن المدينة ٠ المعنويات ممتازة للعسكريين والمدنيين ٠ المدنيون يقدمون كل معاونة ممكنة للعسكريين ٠ الاطباء وهيئة التمريض بمستشفى السويس الاميرى قاموا بعمل بطولى رائع » ٠

★ اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١٢/٥ الساعة ١١ مساء :

« المخابرات الاسرائيلية تسعى الى معرفة معلومات عن معنويات العسكريين فى رأس الشاطىء فى السويس ٠٠ وعن موقف الذخيرة والوقود فى رأس الشاطىء ، وعن صدى بيان القاهرة بايقاف المباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ » ٠

★ اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٤/١/٣ الساعة ١٠ مساء :

« بدأ العدو الاشتباك الساعة (٥٥٥) ـ أى السادسة الا خمس دقائق الاشتباك من كفر جودة والمثلث وكازينو روكسى فى كفر أحمد عبده والمثلث وحوض الدرس ٠ تم الرد على العدو بنيران مؤثرة ٠ استمر الاشتباك حتى الساعة (٧٥٥) ـ أى الثامنة الا خمس دقائق ٠٠ استمرت احتفالات العيد بالمدينة دون تغيير ٠٠ الروح المعنوية أكثر من ممتازة ٠

خسائر العدو ٣ قتلى ، ٣ جرحى • تدمير عربة جيب على طريق العوايد • اصابة دبابة خلف مدرسة فى قطاع المثلث • اشتعال النيران بها • اصابة لورى • خسائر قواتنا طوال اليوم ٢ فرد شهيد » •

⊙❖⊙

وبعد •• هذه بعض سطور من ملحمة السويس • الملحمة تحتـــاج الى مؤلفات • كل معركة تحتاج الى أقلام • كل نقطة دم تلهب الهام الشعراء والكتاب • كل بطل له قصة • وكل قصة لها أبطال •• والقصة الكبرى • هى آلاف من أمجاد الرجال • ولم يكن ميسرا لى فى هذا الكتاب ، أن أروى حكاية كل بطل • جرحه • قتاله • الاحياء والشهداء • ولكننى قصدت أن أقدم شريطا قصيرا لرواية طويلة • العنوان قصير • ملحمة السويس • ولكن صفحات التاريخ أطول وأكبر وأروع من أن يسطرها قلم واحد •• بل مئات الاقلام •

قال لهم السادات : قاتلوا حتى آخر رجل وامرة • وطفل • وقاتل الرجال •• وانتصر الرجال •

حقـــائق الثغـــرة

●●● « لاول مرة ، يذيع قائد مصرى ، هو الفريق محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، حقائق معارك الثغرة منذ وقوعها ، حتى وضع الخطة العسكرية ـ شامل ـ لحصارها وابادتها .. ثم انسحاب الاسرائيليين .
لقد وقعت بعض أخطاء منا .. ولا يعيبنا هـــذا .. والحرب معارك متصلة . والفريق الجمسى يتحدث فى هذا الفصل لاول مرة عن كل الاسرار » ●●●

الرئيس السادات : هل قرأت عن غزو نورماندى فى الحرب العالمية ؟
اللواء الجمسى : نعم ٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠
الرئيس السادات : خذ هذا الكتاب ، واقرأه جيدا ٠٠ أعتقد أنه سيفيدك ٠٠ وكان الكتاب الصغير ، باللغة الانجليزية ، على منضدة بجوار الرئيس ، فأعطاه للواء الجمسى ، الذى قرأه عدة مرات ٠٠ ولاحظ أن الرئيس قد وضع خطوطا وملاحظات على بعض سطور وفقرات من الكتاب ٠ ان هناك أوجه شبه فى بعض النواحى العسكرية بين انزال قوات الحلفاء ٠٠ فى نورماندى ٠٠ وبين عبور قواتنا الى شرق القناة ٠ تلك عملية انزال قوات فى أرض يحتلها عدو على نطاق واسع ٠٠ والعبور ٠٠ هو أيضا الوصول بقوات ضخمة الى أرض يحتلها عدو ويفصلها عائق مائى ٠٠ والكتاب يتناول عمليات الطيران ٠٠ وعمليات تنظيم القوات ذات الاعداد الضخمة بعد انزالها ٠٠ كما يتناول دور القادة المحليين فى العملية الكبرى ٠٠

عرف الجمسى من ملاحظات الرئيس المكتوبة ، على صفحات الكتاب ماذا يدور فى ذهن القائد الاعلى عن المعركة وامكانيات العبور ٠
كان ذلك ذات يوم فى أغسطس من عام ١٩٧١

وكان الرئيس قد دعا وزير الحربية ورئيس الاركان وبعض القادة الى اجتماع خاص فى القناطر الخيرية ٠٠

وفى هذا الاجتماع قدم اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بوصفه رئيسا للعمليات تقريرا شاملا عن أوضاع القوات المسلحة المصرية وتناول فى تقريره ، وجود المستشارين والخبراء السوفيت ، وعدم تبعيتهم للقيادة المصرية ، والنتائج التى يمكن أن تحدث من جراء ذلك اذا وقعت الحرب ٠٠

ومن هنا كما قال الرئيس أنور السادات فى اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى أكتوبر ١٩٧٢ ، بدأت تدور فى ذهن الرئيس فكرة انهاء خدمات الخبراء السوفيت ، حتى يمكن أن ندخل المعركة بدون وجود قوات سوفيتية على أرضنا ٠٠ ثم أخذت الفكرة تتبلور شيئا فشيئا ، وهى تنمو فى العقل الباطن للرئيس ، حتى اتخذ قراره التاريخى المشهور فى الوقت المناسب ٠٠ وغادرنا الخبراء السوفيت فى مايو ١٩٧٢

وفى اجتماع القناطر (أغسطس ١٩٧١) نبه الرئيس أنور السادات ، وزير الحربية والقادة الى عدة نقاط هامة منها ٠٠

* قال لهم الرئيس ، انه يحذرهم من التفكير النمطى المعروف فى وضع الخطة العسكرية .. التفكير النمطى يمكن أن يتوقعه العدو ، ويتيسر له أن يقاومه .. وطالبهم الرئيس بالابتكار والخلق من واقع ظروفنا الموضوعية المحلية ..

* طلب اليهم الرئيس ، أن تكون مفاجأة العدو ، هى الاساس الهام فى الخطة العسكرية .. قال : توفير المفاجأة والمباغتة يعتمد عليه نجاحنا فى تلافى خسائر كبيرة فى العبور ..

ومن هنـا فعلا ، بدأ التفكير العمـلى فى خطة الخداع .. التى نفذت على أحسن وجه ، ووضع الجمسى أساسها فى الكشكول الصغير الذى كتبه بخط اليد من نسخة واحدة ، وقدمه الى الرئيس (كما أشار الرئيس فى حديثه الى المؤلف فى الجزء الاول من هذا الكتاب) .

* وكان الرئيس مهتما بالغ الاهتمام بوضع الطيران ، بضرورة مواجهة تفوق العدو فى الطيران .. فى هذا الاجتماع ، أصبح واضحا أنه من الممكن الاعتماد على القوات الجوية المصرية ، ابتداء من أكتوبر ١٩٧٢ ، بعد تنفيذ اقتراحات معينة طرحت فى هذا الاجتماع ..

خرج اللواء الجمسى من اجتماع أغسطس .. وهو على يقين كامل ، أن الرئيس أنور السادات ، جاد كل الجد ، فى أن يصدر قرار الحرب .. فى فترة قريبـة .. وقريبة جدا .. وبدأ على الفور تنفيذ تكليفات القائد الاعلى . ولكنه كان يشعر مما يراه حوله ، من تصرفات بعض القادة ، ومن أقوالهم ، أنهم لا يعيشون جدية الموقف الخطير ، كما يجب ، وبما يتجاوب مع فكر القائد الاعلى ..

ولذلك .. لم يفاجأ بقرارات اعفاء وزير الحربية وبعض القادة .. وكان فى دمشق مكلفا بمهمة عسكرية ، وعندما قرأ هذه الانباء ، ملأه التفاؤل بتعيين الفريق أحمد اسماعيل وزيرا للحربية .. لقد عمل معه سنوات طويلة ، ويعرف مدى كفاءاته القيادية ، وقدراته العسكرية ..

وبدأ الوضع فى القوات المسلحة ، يتطور الى الاعداد الشـــامل الجدى للقتال ، عبورا ،وهجوما ، وتطويرا للقتال .. وانتقلت الخطة العسكرية الى مناقشة كل الجزئيات .. وبدأ ٦ أكتوبر العظيم ..

◎❖◎

وكان تخطيطى وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، أن يكون الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، فى مقدمة من التقى بهم من القيادات العسكرية ، لمعرفتى بالدور الذى أداه .. ولكنه استطاع أن يتهرب من مطاردتى له طوال أشهر اعداد الكتاب ، وفهمت أنه يريد أن يقفل فمه من أى حديث عسكرى .. وأنه يرى أن من واجبه تسجيل الحقائق العسكرية

لحرب أكتوبر في مؤلف علمي ، يصدره بعد أن يترك الخدمة في القوات المســلحة ، ليكون دليل تاريخ ·· ولكنني لم أتوقف عن مطاردته ·· وحصلت على اذن خاص ، أن يتحدث الفريق الجمسي عن حقائق الثغرة ·

لقد أمر الرئيس بعد وقف اطلاق النار ، أن يجرى حوار عسكرى فى أكاديمية ناصر ، عن الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ، يشترك فيه كل من أسهم فى المعارك ، وقد كان موضوع الثغرة ، من أهم الموضوعات التى رئى أن تسجل حقائقها يوما بيوم من واقع سجل الحرب ·

قلت للفريق الجمسي : هل تريدون اخفاء حقائق الثغرة عن الجماهير ·· وعن التاريخ ؟ ··

قال : اطلاقا ·· ان كل شيء سجل · وكل ما يحيط بحرب أكتوبر ، يناقش فى دراسة عسكرية علمية ·

قلت : اذن ·· لماذا تهربت من مطاردتى أكثر من أربعة أشهر ؟ ··

قال : ها أنذا أمامك الآن ··

قلت : اذن ·· نضيع الوقت ، ما هى حكاية الثغرة ؟ ·· وكيف فات على قيادة القوات المسلحة التى وضعت الخطة ، أن العدو يمكن أن ينفذ من نقطة الضعف بين الجيشين الثانى والثالث ! ··

قال : ان التنبه لنقاط الضعف بين جيشين أو لواءين أو كتيبتين ·· مسألة محسوبة · وليست مفاجئة لاحد · وأساليب تأمين الحدود بين الجيشين فى الخطة العسكرية موجودة منذ أن وضعت · لم يكن الموضوع اذن خافيا ، كما نشر أحد الكتاب ·· وقد كنت أعتزم توضيح الموقف للرأى العام حين نشر ذلك التحليل للثغرة ·· ولكن القائد العام رأى ألا نتكلم حتى تنتهى المعركة · ان المنطقة الفاصـــلة بين الجيشين الثانى والثالث ، هى منطقة البحيرات · وقد درسنا هذه المنطقة جيدا · واتساع البحيرات · وطبيعة الارض فى الشاطئين الغربى والشرقى ، ووضع الالغام فى الاتجاهين يجعل من الصعب عبورها ، من العدو أو منا ·· هى منطقة مؤمنة جغرافيا الى حد ما ··

ــ ولكن هل كان هذا يكفى ؟ ··

ــ بالطبع لا ·· لذلك خصصـــنا قوات لتأمين الجنب الايسر للجيش الثانى ·· بحيث تستطيع النيران أن تصل فى الوقت المناسب اذا حدث اختراق ·· وكان من المستحيل طبعا أن نغطى كل شبر من الارض على امتداد المواجهة ، وهى ١٧٠ كيلومترا ، ونؤمنها بقوات عسكرية ·· هذا ليس بالعمل العسكرى · ولكننا أمنـــا جنبى الجيشين الثالث والثانى للحماية من الاختراق · وكان هـــذا مخططا ومعلوما للجيش على مســتوى القيادة ؟ ··

فقلت : اذن .. كيف تم اختراق العدو ؟

قال : ان العدو كان يقوم بهجمات مضادة عنيفة حتى يوم ١٣ أكتوبر ، على قوات الجيشين الثانى والثالث .. ولعلك سجلت فى كتابك تفصيلات هذه الهجمات ، وأنا أعلم أنك التقيت بكل القادة ..

قلت : نعم .. ولولا صد هذه الهجمات ، لحدث اختراق من العدو الى الغرب فى أكثر من وضع ..

قال : وفى يوم ١٤ أكتوبر قررنا تطوير الهجوم شرقا لنحقق هدفين : نقل ثقل العدو من الجبهة السورية الى سيناء .. والحصول على مزيد من الارض .

قلت : يقال عسكريا ، أنه لم تكن هناك ضرورة لهذا التطوير ، فقد تكبدنا فيه خسائر كبيرة ، ولم نتقدم الا لمساحات قليلة من الارض لم تكن تساوى هذه الخسائر .. كما أن التطوير هو الذى أتاح للعدو فرصـــة الثغرة .

قال : كلام غير سليم عسكريا . فقد كان من المستحيل أن نتوقف ، وكان لابد من تنفيذ الخطة ، ولا يمكن أن تبقى قواتنا فى مواقعها ، وتتحول من موقف الهجوم الى موقف الدفاع .. ان بقاء قواتنا مدافعة فقط ، كان سيتيح للعدو أن يخترقها من أماكن عديدة ، لان هجماته كانت مستمرة .. وهدفه الاختراق . ان العدو كان يحتفظ بشريط قتالى من الشمال الى الجنوب ، يبتعد من قواتنا ١٥ كيلومترا ، ومن مواقعه فى خط الشريط الممتد ، كان يستطيع تركيز هجماته من أكثر من موضع .. لذلك كان لابد أن نتقدم ، لكى نصل الى هذا الشريط ، ويكون هو الخط الحدى الجديد لقواتنا .. عندئذ كان العدو مضطرا للتقهقر الى شرق المضايق . وتكون قواتنا مؤمنة من هجماته المستمرة ..

قلت : ولكن قيل أن امكانية التغطية بالصواريخ المضادة للطيران كانت أقل من حماية تطوير الهجوم .

قال : هذا أيضا تقدير غير عسكرى ، لان لنا فى الشرق منذ البداية ، قواعد صاروخية .. كما كانت لدينا الصواريخ المحمولة .. وليس من الضرورى أن يكون الهجوم بتأمين كامل ضد طيران العدو .. علاوة على أن قوة طيراننا كانت كافية .. وعندما تمكن العدو من احداث الثغرة ، كان سلاح الطيران هو الذى يطالبنا بأن يؤدى أى تكليف .. وكان دائما لديه فائض للاستخدام .. أى أن الطيران المصرى كان قادرا على حماية تطوير الهجوم .. مع قوة الصواريخ وان كانت محدودة نسبيا ..

بدأ تطوير الهجوم فى ١٤ أكتوبر .. ودفعنا بفرقة مدرعة هى الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق ، وعبرت فى منطقة الجيش الثانى ، من اتجـــاه

الدفرسوار بالذات ٠٠ قواتنا اذن لم تكن قليلة شرق القناة في منطقة الدفرسوار ٠٠ وكان العدو مركزا في هجماته على الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبي حافظ ٠٠ وقد قاتلت هذه الفرقة قتالا مجيدا ، وصدت هجمات ضارية ٠٠

قلت : ولكننا خسرنا يوم التطوير حوالى ٢٠٠ دبابة ٠٠

قال : نعم خسرنا ولكن ليس كل هذا العدد ٠٠ وكان العدو يستخدم الاسلحة الحديثة التي وصلته ، ومن أهمها الاسلحة المضادة للدبابات بالذات ٠٠ ولكن العدو تكبد خسائر أفدح ٠٠ هذه المعارك التي سميت بمعارك الدبابات الكبرى ٠٠ كانت المواجهة بين الدبابات لا يفصلها أكثر من كيلومتر واحد ، وهذا لم يحدث في أية حرب سابقة في العالم ٠٠ كانت معارك دامية وشرسة ٠٠ وفي رأيي أن تطوير الهجوم نجح في هدفه ، وهو أن شريحة الارض الجديدة ةالتي استولينا عليها ، لم تكن كبيرة ٠٠ وكانت خسائر العدو فادحة جدا ، وأكبر من خسائرنا ٠ وهذه حقيقة معترف بها ٠

قلت : ولكن الثغرة بدأت يوم تطوير الهجوم ٠٠

قال : هذا غير صحيح ٠٠ في حوالى الساعة العاشرة من مساء ١٥ أكتوبر (ليلة ١٥/١٦) ، تمكنت قوة صغيرة للعدو تتكون من ٧ دبابات أن تصل الى غرب القناة ٠ باستغلال ملتقى القناة بالبحيرات المرة ٠٠ في هذا الوقت بالذات كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، قد فاجأه المرض منذ صباح يوم ١٤ حيث أصيب بنوبة قلبية ، ونقل من مقر قيادته الى المستشفى ٠ وتولى رئيس أركانه مسئولية القيادة ٠٠ الى أن عين اللواء عبد المنعم خليل قائدا للجيش الثانى ، وكان من قبل قائدا لهذا الجيش ٠٠

قلت : ماذا كان تصرف القيادة العامة ، عندما أبلغت مساء ١٥ أكتوبر بهذا التسلل ٠٠

قال : الذي حدث أن القيادة العامة لم تبلغ ٠٠ وهذه أول الاخطاء ٠٠ لقد اكتشف رئيس أركان الجيش الثاني هذا التسلل ٠ وصباح يوم ١٦ أكتوبر أبلغ به القيادة العامة ، وكان تقديره أنه تسلل بسيط ، وأنه قادر على التعامل معه ٠٠ وكان صباح ١٦ أكتوبر ، هو يوم اجتماع مجلس الشعب ، حيث تحدث الرئيس أنور السادات الى الشعب ٠٠ وكان الفريق أحمد اسماعيل القائد العام موجودا بالمجلس ٠ وعندما عاد من المجلس ، أقر كل التصرفات التي اتخذناها ، والحقيقة أن التبليغ لم يكن مستقرا ٠ كان متضاربا ٠ الدبابات اتجهت الى الشمال ٠ بعضها اتجه الى الغرب ٠ بعضها اتجه الى الجنوب ٠ عادت الى الشمال ٠٠ وزادت عدد الدبابات المتسللة من ٧ دبابات الى ٣٠ دبابة ٠ لقد كانت الثغرة أكبر مما تصورها القائد المحلي ٠ ورأت القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلي

وأنه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة ·· ان الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا في الغرب لم يفلح ·· الهجمات كانت ضعيفة · وقررت القيادة العامة ، في أوامرها عدم العمل بقوات صغيرة · وصدر الامر باستخدام لواء بالكامل للتدمير ·· من احتياطيات القوات بالغرب ، وتم حشد نيران المدفعية ضد العدو في منطقة التسلل · وهاجم الطيران ابتداء من صباح ١٦ أكتوبر · ولكن مقاومتنا لم تنجح ، لان دبابات العدو الثلاثين التى تسربت ، تفرقت في المنطقة الجبلية فى عدة اتجاهات ·· وكانت لها حماية طبيعية ·· ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف ·· وقد قاتلت القوات المصرية المهاجمة قتالا باسلا ·· واستشهد قائد كتيبة ·· وقائد لواء ·· وقائد فرقة ·· فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧

قلت : كانت القوات الاسرائيلية المتسللة قد دمرت مواقع الصواريخ ؟

قال : لا ·· حتى يوم ١٦ أكتوبر ، كانوا قد ضربوا موقعي صواريخ فقط حتى المساء ·· ولم يكن هذا الامر ليشكل خطورة كبيرة ·

قلت : وماذا كانت خطة الهجوم يوم ١٧ أكتوبر ؟ ··

قال : كانت خطة القيادة العامة ·· هي حصار الثغرة في أضيق مساحة من الارض في الغرب وسرعة تدميرها ·· وفى نفس الوقت قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو ·· وتقرر أن يهاجم الجيش الثاني جنوبا ، وأن يهاجم الجيش الثالث شمالا ، لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو فى المصيدة ·· وقد كان هذا الموقف الصعب ، هو موضع المناقشة الحامية فى القيادة الاسرائيلية ·· وكان سؤال بعض قادتهم ·· وما العمل ، اذا نجح الجيشان الثاني والثالث في سد الثغرة من الشرق ؟ ·· واختلفت آراؤهم ·· وكان المثير للفزع لديهم أن خسائرهم ستكون فادحة جدا ··

⊙✥⊙

قلت : وهل نفذ الهجوم ؟

قال : نعم ·· تقدمت قوات الجيش الثانى جنوبا ·· وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالا ·· ووصلت المسافة بينهما الى ٤ كيلو مترات فقط ، ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء ·· لقد استعد العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا ، وكان القتال رهيبا ·· استخدمت فيه كل الاسلحة · وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ بأعداد أكثر الى الغرب ·· ولكن القتال الرهيب استمر أيام ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ أكتوبر · وقد تكبد العدو في هذه الايام الاربعة أكبر خسائر فى الحرب كلها ، سواء فى العتاد أو الارواح · وقلت لك ان القتال تم بجميع أنواع الاسلحة ·· المدفعية ·

المدرعات ٠ الصواريخ ٠ الطيران ٠ الهيلوكبتر ٠ وزاد تسلل العدو الى المنطقة الجبلية متجها الى الجنوب ، مستخدما أسلوب حرب العصابات التى يجيدها ، بأن تندفع اعداد قليلة من مدرعاته (من ٤ ــ ٧) فى كل اتجاه ٠٠

⊙❖⊙

قلت : وماذا كان توقع القيادة العامة بعد نجاح التسلل ٠٠

قال : توقعنا أن يتجه العدو الى الشمال صوب الاسماعيلية والى الجنوب صوب السويس ٠٠ ونجحنا فى تأمين الاسماعيلية ، فلم يستطع الاتجاه الى الشمال ٠٠ ولكنه تمكن من الانتشار جنوبا ٠٠

قلت : ولكنى أذكر أن الرئيس القائد الاعلى ، كلف الفريق سعد الشاذلى يوم ١٨ بالسفر الى الجبهة وحمله مسئولية تصفية الثغرة ٠٠

قال : نعم ٠٠ وكانت خطة القيادة العامة احاطة قوات العدو بستارة من الدبابات والاسلحة المضادة ، لتثبيتها فى أقل مساحة من الارض فى الغرب حتى لا تنتشر وبذلك يمكن تدميرها بالهجمات المضادة المخططة ٠٠ واتخذت بعض الاجراءات لتنفيذ ذلك ٠٠ الا أن هذه الاجراءات لم تؤد الى النتائج المطلوبة تماما ٠٠

ولا يزال هذا الموضوع موضع الدراسة الدقيقة حتى الآن ٠٠

والدراسة تجرى على أساس ما هو مثبت فى سجلات الحرب دقيقة بدقيقة ٠٠

قلت : وهل تكتب سجلات الحرب ؟ ٠٠

قال : نعم ٠٠ لان كل أمر يصدر ، يسجل كتابة ٠ وكل من اشترك فى معركة الثغرة ، يستدعى ، ويشرح موقفه العسكرى كاملا ، ويدافع عن وجهة نظره من الناحية العسكرية ٠ ولا يمكن طبعا ، رغم كل هذا ، الا أن نقبل اختلاف التقدير العسكرى الذى لا يعنى أن قائدا مسئولا وأن قائدا آخر غير مسئول ٠

قلت : ولكن قيل ، أنه لو تم من اللحظات الاولى ، مقاومة الثغرة بهجوم كبير ٠٠ كان أمكن القضاء عليها ، وأن الخطأ الاساسى هو فى معالجتها فى اليوم الاول بهجمات صغيرة ٠٠

قال : على كل هذا رأى عسكرى ٠٠ ولكننى قلت لك أن التقدير المحلى لاول تسلل لم يكن سليما ٠٠ كما أن القيادة العامة لم تبلغ بالموقف الا يوم ١٦ أكتوبر ٠ ٠وكان العدو قد تمكن من الوصول الى المنطقة الجبلية بما فيها من حماية طبيعية مع استخدام حرب العصابات ٠٠

وقد واجه العدو بعد ذلك أرهب قتال دموى شرس فى الايام التالية ، وتكبد أفدح خسائره فى الحرب كلها ٠ كان قتال القوات المصرية ، معبرا

من أقوى مثل الشجاعة والفداء • واستشهد كما قلت لك • قائد كتيبة وقائد لواء ، وقائد فرقة ، وكان القائد قبل الجندى مندفعا الى جسارة الاستشهاد فى سبيل تطهير الارض • وسجل البطولات المصرية ، حافل بأروع القصص ••

قلت : كان هذا هو الموقف حتى يوم ٢٠ أكتوبر ••

قال : نعم •• وتطور الموقف بعد ذلك الى أن العدو وصل بقواته جنوبا الى أن قطع طريق القاهرة السويس ، وبذلك هدد طريق الامداد والتموين عن فرقتى الجيش الثالث فى الشرق ••

قلت : هل كان يمكن للعدو أن يصل الى القاهرة ؟ ••

قال : هذا هو المستحيل ، وأكررها •• هذا هو المستحيل • لقد كانت المنطقة مؤمنة بقوات مدرعة لاتسمح لاى قوة مهما بلغت أن تنفذ الى اتجاه القاهرة • ولم تكن هذه الفكرة ، تزعجنا على الاطلاق ••

قلت : لقد عاد الفريق الشاذلى من الجبهة يوم ١٩ مساء ••

قال : نعم •• وعبر عن وجهة نظره فى تقدير الموقف العسكرى للقائد العام •• ورئى أن يحضر القائد الاعلى الرئيس السادات الى مقر هيئة العمليات •• واستمع القائد الاعلى الى وجهة نظر الفريق الشاذلى •• واستمع الى وجهات النظر الاخرى ••

⊙❖⊙

قلت : أنا أذكر أن الرئيس السادات قد صرح من قبل فى حديث صحفى أنه لم يوافق على فكرة سحب قواتنا من الشرق اطلاقا •

ثم تطورت الامور كما يعرفها القارىء ، وكما جاءت فى فصل آخر من هذا الكتاب ••

أعلن الرئيس السادات يوم ٢٠ أكتوبر قبول وقف أطلاق النار ، بضمان من أمريكا والاتحاد السوفيتى بالتنفيذ الفورى لقرار مجلس الامن (١) •

---

(١) صرح الرئيس أنور السادات :

● فى يوم ١٩ اكتوبر دعيت الى غرفة العمليات فى القيادات العامة •• وعرفت ان الامدادات الامريكية لاسرائيل بدات تاخذ صورة خطيرة اذ أن الامريكيين راحوا ينزلون معداتهم فى العريش التى تقع خلف الخطوط مباشرة •• ومن هناك تخرج الاسلحة والمعدات كلها على الجبهة •• يعنى مسافة الطريق فقط وانى اعترف بأن الاسرائيليين اكفا عسكريا سواء من ناحية التخطيط ام من ناحية التنفيذ • ولكن ابتداء من يوم ١٥ و ١٦ بات واضحا تماما ان هذا الذى نشاهده ليس تخطيطا اسرائيليا • ففى الايام الاربعة الاولى ضربنا القوة الرئيسية لاسرائيل • اكثر من ٤٠٠ دبابة ضربناها فى جبهتنا باعتراف اسرائيل نفسها ، فكيف يمكن بعدئذ أن اجد امامى فجاة اللواءات المسلحة تحول [illegible] •• كل هذا واجهناه •• لقد دخلنا معارك الدبابات الشهيرة التى [illegible] تاريخ العالم العسكرى • ذلك أن خسائر الدبابات خلال ١٧ يوما [illegible] دبابة [illegible]

أمكن تقدم العدو بعد وقف النار فى ٢٢ أكتوبر ..
وضعت الخطة العسكرية (شامل) لمقاومة الثغرة غربا .. ولتطوير الهجوم شرق القناة . (وسيجد القارىء تفصيلها فى الفصل المقبل) ..
ثم انسحبت قوات اسرائيل ، تنفيذا لاتفاق فصل القوات .

◎❖◎

وسألت الفريق الجمسى :

ألم يكن ميسرا أمام القوات الاسرائيلية أن تدمر قوات الجيش الثالث ! ..

وأجاب : بالقطع لا .. لقد كان رأيى الذى أعلنته فى اجتماع الساعة الواحدة – صباح ٢٠ أكتوبر مع الرئيس القائد الاعلى ، أن قوات الجيش الثالث فى الضفة الشرقية تكون صخرة صلبة ، من فرقتى مشاة مدعمتين بمدفعية . ذخيرتها متوافرة . كانت تستطيع أن تقاتل بالتموين الذى لديها أياما عديدة . ولم يكن العدو ليقدم على هذه المقامرة أبدا ..

قلت : وما هو تقديرك لدور أمريكا فى موضوع الثغرة ؟

قال : ان الاستطلاع الامريكى يوم ١٣ أكتوبر ، هو الذى حدد لاسرائيل نقطة الضعف التى أمكنهم التسلل منها . كما أن السلاح الامريكى الحديث ، ساعد فعلا ، على صمود القوات الاسرائيلية رغم ما تكبدته من أفدح الخسائر

= على الجبهات الثلاث .. فاذا كانت الخسائر ثلاثة آلاف فكم هو عدد الدبابات التى دخلت المعركة » ؟

« لقد وضحت قوة اسرائيل فى الدبابات فى الايام الاربعة الاولى . وفى الطيران كما اعلنوا مؤخرا . اعطت اسرائيل اوامرها الى طياريها بعدم الاقتراب من منطقة القناة . كانت العملية منتهية . وفى هذا اليوم بالذات جمع ديان الصحفيين واعطاهم معلومات اذيعت بعد الحرب ، قال فيها أن اسرائيل لن تستطيع ان تزحزح المصريين سنتيمتر واحدا من الشرق . كان الموقف واضحا تماما . ولكن الذى جرى بعد يوم ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ ؟ الذى جرى تخطيط جديد . قدم دم جديد . فقد اعلنت امريكا رسميا الجسر الجوى . وفى الواقع لم يكن جسرا جويا ، بل كان تدخلا امريكيا فعليا . لدرجة ان بعض الدبابات الامريكية الحديثة لم يتعد الكيلو متر ، فيها الرقم ١٠٤ كيلو اى المسافة التى تؤكد ان امريكا قد انزلتها بطاقمها فى العريش ودخلت الجبهة على طول ..

ثم ان الاخطر من ذلك الذى ظهر بعد ١٦ اكتوبر تلك الاسلحة الجديدة التى لم تستخدم حتى من قبل الجيش الامريكى نفسه .. نحن نعلم انها موجودة عند امريكا ولكن لم يكن قد استخدمها الجيش الامريكى حتى ذلك التاريخ مثل القنبلة التليفزيونية وبعض الصواريخ المضادة للدبابات التى تطلق من مسافات بعيدة .. وهذا كله ، حتى لو اراد الاسرائيليون ان يستعملوه فسوف يحتاجون الى سنين عديدة للتدريب عليه .

هكذا لم تكن الثغرة هى التى دفعتنا الى اعلان وقف النار وانما التطور الاخر الذى تحدثت عنه بالنسبة الى التدخل الامريكى فى المعركة . ولقد كان سبب موافقتى على هذا القرار هو ما ورد فى برقيتى للرئيس الاسد تماما . اى انا مستعد ان احارب اسرائيل ، وقد حاربناها وكشفناها للعالم كله . وظهر فى الايام الاربعة الاولى ما هى اسرائيل .

اما التدخل الامريكى بهذا الثقل ، فانا غير مستعد لمحاربته وخاصة انه لم يكن لدى ما اواجه به هذا الثقل فى معركة طويلة الامد » .

.. والاستطلاع الامريكي بعد ذلك هو الذى عرف مدى الاستعداد المصرى الكامل . لابادة الثغرة ابادة كاملة .. ومن أجل ذلك . فضلت اسرائيل الانسحاب الى الشرق . بدلا من العودة الى خطوط وقف النار فى ٢٢ أكتوبر ..

⊙❖⊙

ولعل هذا الحديث ، وهذه الاجابات من الفريق الجمسى ، هى أول تصريح رسمى . يقدم الحقائق كاملة عن قصة الثغرة .

نعم .. حدثت أخطاء فى التقدير ، ولكنها لا تقلل أبدا من جلال الانتصار المصرى ، الذى كان قادرا على تطهير الارض المصرية من كل جندى اسرائيلى أن يعبر الى الغرب .

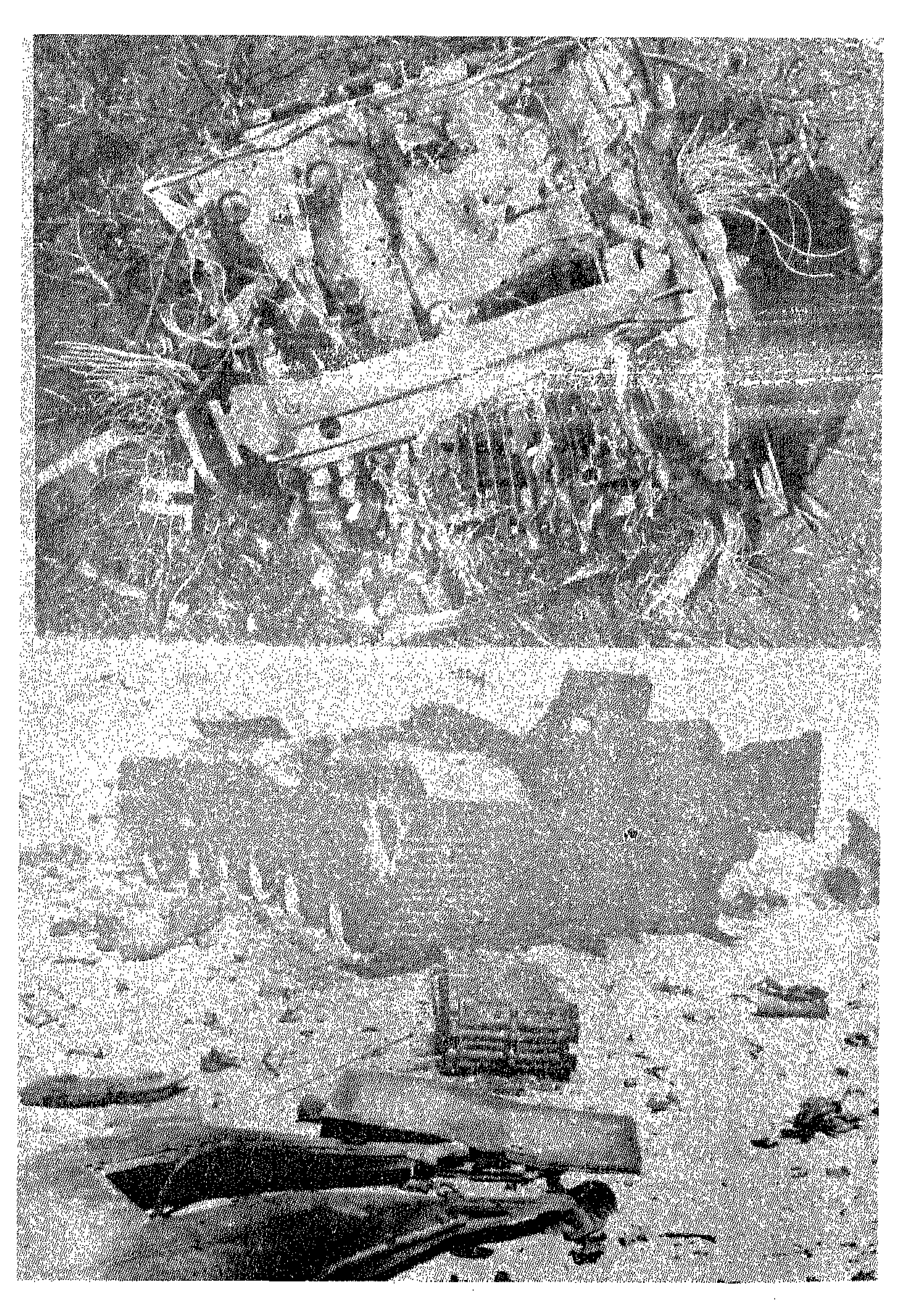
وهنا يقول الفريق الجمسى :

ـ وعلى الرغم من أن هذه الثغرة تعتبر نجاحا تكتيكيا للجانب الاسرائيلى ، الا أن الموقف الاستراتيجى العام للقوات الاسرائيلية كان يواجه الفشل الكامل . أى أن هذا النجاح التكتيكى لم ينقذ الفشل الاستراتيجى للعدو . يقابل هذا .. النجاح الاستراتيجي المصرى الكامل .. الذى لم يؤثر فيه الخطأ التكتيكى من جانبنا فى مقاومة الثغرة .

وتاريخ الحرب العالمية الثانية ، والحروب المحلية منذ عام ١٩٤٤ حتى الآن ، تقدم لنا أمثلة عديدة ، على أن الخطأ التكتيكى لا يؤثر على النجاح الاستراتيجى .

ان الحروب لا تقيم بمعارك محدودة .. ان التقييم السليم هو فى النتائج الاستراتيجية العسكرية للحرب بكل معاركها .. التى تحقق الاهداف العسكرية والسياسية ..

ولا أعتقد أن خبيرا عسكريا عالميا .. تناول موضوع الثغرة الا وكان هذا رأيه .



حطام أسلحة العدو .. الدبابات والطائرات .. ملأت صحراء سيناء

من الدفرسوار .. الى جنيف

●●● « تم وقف اطلاق النار .. وبدأت حرب الجنرالات فى اسرائيل فى صحافتهم وصحافة العالم .. الشعب الاسرائيلى لم يقتنع بأن الجيب الاسرائيلى يعد انتصارا .. الحالة الداخلية فى اسرائيل يسودها الالم والمرارة ، وتعبر عنها الدموع . الرئيس السادات يروى قصة الثغرة . وقرار ضرب الثغرة . كيف امكن تفادى قتال دموى جديد والوصول بفصل القوات الى مؤتمر جنيف .. ثم تنفيذ فصل القوات .. ماذا قال الرئيس لرؤساء تحرير الصحف فى منتصف الليل فى اسوان يوم الخميس ١٧ يناير ٧٤ قبيل اعلان الاتفاق؟ » ●●●

نعم .. استطاع الاسرائيليون أن يعبروا الى الضفة الغربية ، من الدفرسوار .. وامتدوا جنوبا الى مشارف السويس .. وأخذوا المدنيين أسرى ، وصوروا الامر فى صحافة العالم ، على أن قوات الجيش المصرى تستسلم بالآلاف . وهذا غير صحيح طبعا ولو كان فى مكنتهم أن يبيدوا الجزء المحاصر من الجيش الثالث لما ترددوا . ولكنهم أرادوا أن يكسبوا الدعاية النفسية ، لتغطية هزائمهم الساحقة فى الشرق ، وصوروا جولدا مائير فى الزيتية . وكانت أيضا فرصة أمام موشى ديان لكى يظهر فى الصورة ، بعد انتهاء أسطورته كقائد عسكرى .

كان من المستحيل ابادة الجزء المحاصر من الجيش الثالث .. لعدة أسباب :

١ ــ كان هذا الجزء (فرقتان مشاة مدعمتان) يملك ذخيرة كافية وقادرة على القتال .

٢ ــ لم يكن الجيش الاسرائيلى ليحتمل مزيدا من الخسائر ، بعد أن تكبد أفدحها فى الارواح والعتاد ، باعتراف الاسرائيليين فى مؤلفاتهم ، لكى يحقق العبور الى الغرب بأى ثمن .

ولذلك لجأوا الى العمل المسرحى ..

من ذلك مثلا : اذاعة فى التليفزيون الاسرائيلى .. طرفا الحوار فيهما الجنرال حاييم بارليف رئيس الاركان الاسبق .. ومقاتل مصرى أسير .. بارليف :

ــ أطلب منك أن تكون مبعوث اسرائيل لدى الجيش الثالث .

المقاتل المصرى :

ــ لماذا ؟

بارليف :

ــ هذا عمل انسانى لصالح مصر . اذهب الى رفاقك فى الجيش الثالث على الضفة الشرقية ، وأبلغهم بعرضنا أن ينتقلوا الى الضفة الغربية ويعودوا الى الخطوط المصرية ، اننا قادرون على ابادتهم ، ولكننا نفضل الاسلوب الانسانى . قل لرفاقك اننا مستعدون لان نتركهم يرحلون لا بوصفهم أسرى حرب ، وانما ليلحقوا بقوات الجيش المصرى .

المقاتل المصرى :

ــ لا .. لن أفعل ..

بارليف :
ـ انك تستطيع أن تنقذ آلاف الارواح اذا قمت بهذه المهمة ٠
المقاتل المصرى :
ـ لا ٠٠ لن أفعل ٠٠
وانصرف المقاتل المصرى مرفوع الرأس ٠
هذا الحوار نقل الى جميع أنحاء العالم ، لتحقيق الهدف الدعائى ٠ كيف يمكن أن نتصور أن اسرائيل تأبى أن تبيد جيشا مصريا اذا كان هذا فى مكنتها !

ان بارليف هذا ، صاحب خط بارليف ٠٠ كان فى قمة من تلقوا الصفعة بعد انهيار خطه ٠ هو بعينه الذى قال لوكالة الانباء الفرنسية فى ٥ فبراير ١٩٧١ ما نصه :

« ليست لدى المصريين أدنى فرصة للنجاح اذا هم حاولوا عبور القناة ٠ من المؤكد أن لديهم الوسائل اللازمة لمثل هذه المهمة ، ولديهم خطط العمل ٠ ولكن ما ينقص مصر هو الجيش الذى يستطيع أن يخطط وينفذ ويقاتل » ٠٠

وهو الذى قال أيضا فى ٨ مارس ١٩٧٢ : « أقول باختصار ٠٠ اذا استأنفت مصر القتال ، فان اسرائيل لن تخسر موقعا واحدا » ٠

كل واحد من قادة اسرائيل ، بهذه الاساليب الدعائية بعد حرب أكتوبر ، كان يحاول الدفاع عن نفسه ٠ كان يحاول أن يغطى على تصريحاته المغرورة السابقة ٠

موشى ديان كان يقول : ان مصر لن تحارب قبل عشر سنوات ، اذا هى فكرت فى الحرب فعلا ٠٠ وكان يشفع هذا القول بنكتة « واذا حاربت فاننى أعدكم بأننى سأقول لكم لماذا حاربت » ! ٠٠ ويضحك المستمعون ٠٠
وهو الذى قال : ان الجبهة المصرية لا تستحق من جهد جيش اسرائيل أكثر من ٦٠ دقيقة ! ٠٠
وكان اليعازر رئيس أركان ديان يباهى باليد الطويلة التى تستطيع أن تمتد فى لحظات الى أى موقع فى الارض العربية ، ثم تتحول الى قبضة قوية تضرب بلا رحمة !
أما جولدا مائير فقد كانت تتحدث فى (تواضع شديد) ٠٠ وتتساءل فى دهشة : اذا كان أنور السادات عاجزا عن الحرب واذا كان يعلم تماما أن الهزيمة الساحقة المنكرة هى النتيجة المحتومة ٠٠ فلماذا لا يقبل المفاوضة مع اسرائيل ؟ وهى تقصد طبعا ٠٠ لماذا لا يرفع يديه ويستسلم ؟ ٠٠

أما فصيحهم أبا ايبان فقد كان يعطى محاضرات التاريخ والحكمة والفلسفة ٠٠ وينتهى بالتساؤل الساخر : هذه هى أول مرة يسمع فيها أن المنهزم يريد أن يملى شروطه على المنتصر !

وقد روى كيسنجر بعد ذلك وهو في القاهرة ، ان أبا ايبان كان يزوره يوم ٤ أكتوبر • أي قبل الحرب بيومين •• وفى أثناء الحوار بينهما ، قال كيسنجر لأبا ايبان •• أنتم في وضع قوي ومحصن ١٠٠ ٪ • ألم يئن الاوان لكي تتقدموا بشيء لحل المشكلة • ان مصر يحكمها رجل معقول ؟ •• ويمكن الوصول الى حل •• وكان رد ايبان : ولماذا نقدم حلولا ؟ •• سنبقى على ضفة القناة للخمسين سنة القادمة • ومصر لا قيمة لها • ولن تستطيع مواجهتنا في أي يوم من الايام •

وبعد أقل من ٤٨ ساعة صحا كيسنجر من نومه ، على صوت أبا ايبان يستنجد : لقد هجمت مصر وسوريا •• أرجوك الاتصال بالرئيس نيكسون •

ويمضي كيسنجر في روايته الى الرئيس السادات :

ـ وقتها حزنت عليك • وقلت : بعد ساعتين •• ثلاثة •• سيدمرون الجيش المصرى فى القتال • واسرائيل اذا انتصرت لثانى مرة ، فلن يستطيع أحد أن يتحدث معها •

وفى مساء ٦ أكتوبر ، اتصلت جولدا مائير وقالت : ان الحرب ستنتهى بعد يومين • !!

وفى اليوم الثالث اتصل ديان وقال : اعطونا يومين آخرين •• ولكن كونوا جاهزين لتعويض المعدات •

ويقول كيسنجر :

ـ وانتظرنا •• وقلقنا عليهم • وصور البنتاجون العملية • وقدموا تقريرا بأن اسرائيل خسرت حتى تلك اللحظة ٣٥٠ دبابة والمعركة ليست فى صالحها • وبعد ساعتين اتصل ديان يطلب ٤٠٠ دبابة فورا ، بدلا من التي خسرها على الجبهة المصرية •

ويعلق الرئيس السادات على ذلك :

ـ وهنا بدأ التغيير الامريكى • طلب كيسنجر جولدا مائير وقال لها أنها خسرت المعركة استراتيجيا ، ولابد من البحث عن حل سلمى ••

هذا هو مبرر تحول الموقف الامريكى • وجاء كيسنجر الى مصر لجس النبض • ووجد أن النصر لم يلهب رأسى • ولكننى قلت له : لن أتنازل عن بوصة واحدة من الارض •

⊙❖⊙

واتيحت لى الفرصة أن ألتقى بالدكتور كيسنجر فى منزل اسماعيل فهمى وزير الخارجية فى اليوم العاشر من أكتوبر ١٩٧٤ فى احدى زياراته للقاهرة •• وكنا حلقة حول الدكتور كيسنجر من الدكتور عبد العزيز حجازى وممدوح سالم والفريق الجمسى •• ولعل الوزير الامريكى تصور أنى أحد الوزراء ولذلك تحدث بلا تحفظ ••

قال كيسنجر :

« صباح يوم الاحد السابق على ٦ أكتوبر توجهت الى مكتبى ، فوجدت أمامى تقارير عن الشرق الاوسط وصفتها الجهات التى قدمتها بالاهمية البالغة . لم أكن معتادا أن أقرأ بصفة مستمرة تقارير الشرق الاوسط . ولكن تقارير ذلك اليوم لفتت نظرى .. أنها تتحدث عن تحركات ضخمة للقوات السورية .

وبعد أن قرأتها قلت : اننى أفهم من هذا ان سوريا تستعد لحرب قريبة ..

وبكل أسف ، كان صوتى هو الصوت الوحيد الذى قال ان سوريا تستعد للحرب !!

ثم قال كيسنجر :

« لم تكن لدينا معلومات عن الجنرال الجمسى .. لقد استطاع أن يخدعنا تماما .. عندما قرأت التقرير عن التحركات السورية .. وقلت ان سوريا تستعد للحرب .. كانت معلوماتنا عن الجبهة المصرية ان احتمال الحرب مستحيل تماما .. صحيح ان الاقمار الصناعية والاجهزة الاخرى قدمت لنا معلومات .. ولكن تحليل هذه المعلومات كان بالنسبة لنا أنه لا حرب مطلقا .. أكثر من هذا فى ليلة ٦ أكتوبر .. كان هناك اجتماع لدراسة الموقف .. وكان رأى الحاضرين بالاجماع دون شذوذ رأى واحد .. انه لا حرب على الجبهة المصرية ..

⊙⁂⊙

وكان الفريق الجمسى يتابع اعترافات كيسنجر بسعادة بالغة ظهرت على قسمات وجهه الصامت ..

ثم قال كيسنجر :

« وعرفنا فى الصباح عن القتال وطلبنا وقف النار ، على أن تعود القوات المتحاربة الى أوضاعها السابقة قبل القتال .. لان تقديرنا كان أن القوات المصرية ستدمر تدميرا كاملا فى ٤٨ ساعة فقط ..

وسألت الدكتور كيسنجر :

« ولكن على أى أساس بنيت هذا التقدير » ؟ ..

قال : تسألنى عن أسس تقديرى فأقول لك أنها ثلاثة .. أولا بسبب تجربة الهزيمة فى ١٩٦٧ .. وثانيا لتأكدنا من التفوق الاسرائيلى الجوى وسلاح طيرانه القوى .. وثالثا لان الفكرة العامة السائدة كانت ان الجيش المصرى عاجز عن قتال جيش اسرائيل .. والحق اننى لم أكن معطيا وقتا كبيرا لمشكلة الشرق الاوسط .. ولم أكن متابعا لها بدقة ..

ترحيل الرعايا السوفيت

وقال كيسنجر :

« كانت تحليلاتنا للمعلومات ، خاطئة تماما ، مثلا وصلت أنباء ترحيل الرعايا السوفيت فى ساعة متأخرة من الليل فى ٤ أكتوبر ٠٠ وعلى طائرات خاصة وصلت مطار القاهرة من موسكو ٠٠ ان هذا يعنى ان هناك حدثا خطيرا ٠٠ ومع ذلك فان تفسيرنا لهذه الانباء كان مضحكا ٠٠ كان التفسير أنه حدثت أزمة بين مصر وسوريا وبين الاتحاد السوفيتي ٠٠ وان السوفيت قرروا ترحيل رعاياهم بسبب هذه الازمة ! ٠٠ طبعا عندما ننظر لهذا التحليل الآن ، نراه غير منطقى تماما ٠٠ ولكننا فى وقتها وبسبب تقديرنا ان مصر غير قادرة على الحرب ٠٠ وصلنا الى هذا الفهم » !

⊙❖⊙

وفى عرض بقلم محسن محمد لكتاب (كيسنجر) تأليف الاخوين مارفيه وبرنارد كالب الصحفيين الامريكيين اليهوديين الذى ظهر بعد حرب أكتوبر، تنكشف صورة أخرى للموقف يقول الكاتب :

ورغم انتصارات العرب فى اليومين الاوليين للحرب فقد بقى كيسنجر على اعتقاده بأن اسرائيل قادرة على رد أعدائها وتوقع انتصارا اسرائيليا سريعا خلال ٣ أيام على الاكثر ٠

وفى السادسة من مساء ٧ أكتوبر عاد السفير الاسرائيلى دينتيز الى واشنطن بطلبات متواضعة من الاسلحة للتعجيل بتسليم الـ ٤٨ طائرة فانتوم ودبابات وأجهزة اليكترونية فوعد كيسنجر بالمساعدة ٠٠

ولم يكن كيسنجر يرغب فى اثارة السوفيت أو عداء مجموعات فى الكونجرس تهتم بشئون البترول وتريد اعطاء العرب فرصة لاسترداد أراضيهم أو فرض حظر البترول على الولايات المتحدة فى وقت تعانى فيه أزمة طاقة ، كما أنه خشى اذا منع الاسلحة عن اسرائيل أن يتجه السفير الى مجموعة ضخمة من أعضاء الكونجرس والكتاب غير اليهود الذين يؤيدون اسرائيل ٠

وفى يوم ٨ أكتوبر اجتمع شليزنجر وزير الدفاع وقرر رفض طلب اسرائيل هبوط طائراتها فى الولايات المتحدة لنقل الذخيرة وقطع الغيار ٠

وعندما علم دينتيز بقرار شليزنجر اتصل بكيسنجر الذى وعده بدراسة الموقف ثم عاد ليقول أنه حصل على اذن بهبوط عدد محدود من طائرات اسرائيل فى القواعد الامريكية لنقل الذخيرة بشرط تغطية النجمة الاسرائيلية على الطائرات ٠٠ فان الحكومة الامريكية لا تريد عداء العرب وبالذات بالنسبة للبترول ٠

وفى الواحدة والربع بعد الظهر اتصل كيسنجر بدينيتز وأبلغه بأنه

حصل على موافقة الرئيس الامريكي من حيث المبدأ على تعويض اسرائيل عن خسائرها من الطائرات التي تتزايد بسرعة ..

وفي الثالثة والربع بعد الظهر اتصل دينيتز بكيسنجر يسأل عن موعد شحن الطائرات الفانتوم لان خسائر اسرائيل من الطائرات أكثر كثيرا مما كان متوقعا .

أجاب كيسنجر بأن هذه مسألة حساسة وانه يتفاوض فيها مع البنتاجون ..

وفي الخامسة مساء اتصل دينيتز مرة أخرى وقال انه تحدث مع جولدا مائير بالتليفون التي طلبت اعطاء أولوية ضخمة لتسليم الطائرات والدبابات المطلوبة من قبل مع قائمة جديدة من الاسلحة بسبب خسائر اسرائيل الضخمة .

رد كيسنجر بأنه حصل من وزارة الدفاع على اذن بطائرتي فانتوم لاسرائيل .. أما الدبابات فهي مشكلة معقدة لانها تحتاج الى أسابيع ..

اقترح دينيتز الحصول على الدبابات من القواعد الامريكية في أوربا ..

أجاب كينسنجر بأنه يعاني متاعب بيروقراطية مع وزارة الدفاع .

طلب دينيتز الاجتماع بكيسنجر والتقى به في البيت الابيض ليقول له ان عددا من الشيوخ مستعدون لمساعدة اسرائيل على الحصول على الاسلحة ، فان اسرائيل تريد الطائرات والدبابات بسرعة ..

وبدأ كيسنجر يراجع موقفه .. ان اسرائيل ستحتاج الى أكثر من الـ ٣ أيام لالحاق الهزيمة بالعرب ..

قال كيسنجر لدينيتز ان اسرائيل ستحصل على طائرتين خلال ٢٤ ساعة .. رد دينيتز ..

ـ طائرتان .. اننا في حاجة الى عشرات . وفي نفس الوقت كان كيسنجر يتصل بدوبرينين ليقول له انه في حاجة الى تعاون السوفييت لوقف تقدم الجيوش العربية وفرض هدنة في الشرق الاوسط .

⊙✣⊙

في الثامنة والربع من صباح ٩ أكتوبر جاء دينيتز الى مكتب كيسنجر في البيت الابيض ليجدد طلبات الاسلحة وقال ان اسرائيل خسرت على الاقل ١٥ طائرة فانتوم و ٤٥ سكاي هوك وان الخسائر بلغت ٢٠ ٪ من كل الطائرات التي تسلمتها اسرائيل من الولايات المتحدة ان صاروخ سام ٦ سلاح قاتل ودقيق ..

وفي الحادية عشرة والربع ومن أجل تعجيل الاتصال بين كيسنجر ودينيتز أقيم خط تليفوني مباشر بينهما في دار السفارة الاسرائيلية . وقال كيسنجر انه لا يزال يعاني متاعب البيروقراطية في وزارة الدفاع .

وفى المساء قال كيسنجر لدينيتز ان الرئيس الامريكى وافق على كل طلبات اسرائيل وتعويض خسائرها من الدبابات والطائرات ومدها بالاجهزة الالكترونية وأجهزة التشويش وان طائرات النقل الاسرائيلية ستهبط فى فيرجينيا لنقل صواريخ جو ـ جو والاجهزة الحديثة ٠

وفى الساعة ٨ر٤٥ قال كيسنجر لدينيتز انه يستطيع لقاء شليزنجر يوم الاربعاء أى فى اليوم التالى ٠٠

⊙❖⊙

واختلفت الجنرالات فى اسرائيل بعد الهزيمة ٠٠ ولم يستطيعوا اقناع أحد داخل اسرائيل ، ان العبور الى الغـرب ، يعنى أى انتصـار ٠ وكانت التصريحات الصهيونية الواقعية تؤكد ان هذا العبور ، هو عملية مسرحية دفع فيهـا دم كثير ، بلا مبرر ٠٠ وقال النائب البريطـانى الصـهيونى (كروسمان) فى نداء وجهه الى زعماء اسرائيل (ان القتال فى غرب القناة طنطنة لن تفيد ٠ الاولى بكم أن تواجهوا الواقع) ٠٠

وبدأت فى اسرائيل حرب الجنرالات على صـفحات الصحف الاسرائيلية والعالمية ٠٠

وجاء التقرير المبدئى (للجنة اجرانات) للتحقيق فى مسئوليات الهزيمة فاضحا لغرور الجنرالات : وكانت اللجنة مشكلة من : رئيس المحكمة العليا ، والجنرال يادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيس الاركان الاسبق ، وموشى لاندوا قاضى المحكمة العليا ، واسحق فنتراحى رئيس لجنة رقابة الدولة ٠

وتضمن ما نشر من هـذا التقرير المبدئى ادانة كاملة للجنرال دافيـد اليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى ٠ اتهمته اللجنة بأنه تقاعس عن أى جهد حقيقى لكى يستخلص استنتاجا سليما للموقف كقائد عسكرى ، حتى أنه لم يقم بزيارة الخطوط الامامية خـلال فترة زيادة التوتر فى الاسـبوع السابق على بدء القتال ٠٠ وكانت الدلائل كلها تشير الى أن مصر وسوريا كانتا تستعدان للحرب ٠ وقال التقرير ان المخابرات العسكرية الاسرائيلية طبقت نظريات عفا عليها الزمن ، جعلتها تتجاهل المعلومات الواضحة التى قدمها قادة الميدان وآخرون فى الايام السابقة لنشوب الحرب ٠٠ وقالت ان هذه النظريات البالية هى أن مصر لا يمكن أن تدخل الحرب ، ما لم تقم أولا ، بتجنب نسبة مئوية معينة من قوة سـلاح الطيران الاسرائيـلى عن طريق ضربها ، وتجاهلوا الحقيقـة بأن مصر مزودة بصواريخ سـوفيتية حديثة ، تمكنت الى حد كبير من تحييد قوة سلاح الطيران الاسرائيلى ٠٠

وقال التقرير : عندما اتفق قادة المخابرات على أن مصر وسوريا سوف تهاجمان يوم ٦ أكتوبر ، فانهم أخطأوا فى حساب الساعة التى سيبدأ فيها الهجوم ٠ لقد حددوا السادسة مساء ٠ وبدأ الهجوم قبل ذلك بأربع ساعات، مما كلف اسرائيل خسائر فادحة ٠٠

ولكن لاسباب سياسية دافعت اللجنة عن موشى ديان ، وقالت انه زار جبهة الجولان قبل نشوب القتال بأسبوع ، ودعا الى ارسال تعزيزات للمواقع اضافة للاوامر التي يصدرها رئيس الاركان ..

وطردت اسرائيل رئيس الاركان ، ورئيس المخابرات العسكرية ، وقائد الجبهة الجنوبية .

وتعالت الاصوات : ليس هؤلاء وحدهم هم المسئولين .
وطالب الشعب الاسرائيلي بمزيد من الادانات .
وقال اليعازر : ان تقرير اللجنة ظالم ، لانه لا يحكم بميزان واحد ..
وطالب آلون باستقالة ديان ..

وهاجم اسحق رابين القادة العسكريين .. وقال في اجتماع حزب العمل وأنا أنقل هنا عن مؤلف الاسرائيليين (عيد الغفران) .. قال رابين (ان موشى ديان ، ورئيس هيئة الاركان ، ومدير المخابرات العسكرية ، كانوا جميعا واقعين تحت نوع من الحصار كانوا أسرى لاقتناعهم العميق ولتصريحاتهم الخاصة . كان المصريون بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئا . وكانوا عاجزين عن أى حرب . وانهم حتى اذا دخلوا مثل هذه الحرب ، فانهم سوف يسحقون فيها بصورة لا قيام لهم بعدها) ..

وهاجم ديان الجنرال اسحق رابين . وقال انه كان مصابا بانهيار قبيل حرب الايام الستة ، عندما كان رئيسا للاركان . ودفع موشى ديان الجنرال عزرا وايزمان رئيس العمليات في حرب ٦٧ ، أن ينشر وثيقة تدين رابين بأنه لا يصلح لشغل أى منصب قيادى . قالت الوثيقة ان رابين أصيب بانهيار عصبى حاد قبل وخلال حرب يونيو ، وظل عاجزا عن العمل تماما أكثر من ٣٦ ساعة قبل بدء الحرب مباشرة . وانه لم يتخذ أى قرار أثناء الحرب . وكان يبدو عليه التوتر والتشاؤم . ولكن الجماهير خدعت في رابين واعتبرته بطلا قوميا ، بسبب انتصار اسرائيل السريع في حرب يونيو وهو أمر لا دخل لرابين فيه . وقال وايزمان ان الجنرال رابين استدعاه في الساعة الثانية من صباح ٢٣ مايو ١٩٦٧ ورجاه أن يتولى عنه منصب رياسة الاركان وكان يبدو رجلا محطما تماما . وقال الدكتور جبلوت الطبيب العسكرى الذى كان يتولى علاجه : ان رابين يعانى من انهيار عصبى حاد .

ورد رابين ، بأن هذه الوثيقة نشرت بايعاز من ديان . وانه عرض فعلا على وايزمان رياسة الاركان . بسبب الاجهاد الشديد الذى أصيب به أثناء الاعداد لحرب يونيو ، ولكنه لم يصب بانهيار عصبى .

ولا أريد أن أفيض في حرب الجنرالات لانها يمكن أن تستغرق مؤلفا خاصا .. ولكننى أقول ان كل الحركات الدعائية التي قصدتها اسرائيل ، من العبور الى الغرب بتضحيات غالية جدا ، لم تحقق أهدافها في تغطية الهزيمة .

وانتهى الامر بانسحابهم • ومنع ديان تصوير الانسحاب . وقال انه انسحاب من جانب واحد ، وانسحاب كهذا سيكون له أسوأ الاثر على الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى (١) •

---

(١) اصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملحقا خاصا تضمن كل ما نشر من موضوعات وابحاث وندوات عسكرية وسياسية داخل اسرائيل بمناسبة مرور عام على حرب اكتوبر •
ويتحدث هذا الملحق عن انهيار ديان فى ٩ اكتوبر واقتراحه الانسحاب الفورى من سيناء والجولان ، وكيف منعته جولدا مائير من التوجه الى التليفزيون الاسرائيلى لاعلان ذلك ••
وهذا موجز لما سجلته مؤسسة الدراسات الفلسطينية :

● تناولت لجنة اجرانات ، التى عينت للتحقيق فى اسباب التقصير فى حرب تشرين ، الناحية العسكرية منه ، ونشرت تقريرها الاول ، الذى استقالت الحكومة على اثره ، الا ان التقرير لم يتعد القيادة العسكرية الى الزعامة السياسية ، التى كانت فى النهاية مسئولة عن القرار (انظر نص التقرير • ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٠) • ولكن شلوموا اهرونسون (هآرتس ١٦ و ٩/٢٠/ ٧٤) ، عاد وطرح السؤال : « ماذا كان أصل (التقصير) ، أى غياب الاستعدادات والاحياطات العسكرية الاولى ، والتطورات السياسية غير المتوقعة •• وهل وقعت هنا مفاجأة وخطأ استخبارى ، أم كمنت فى الاساس نظريةسياسية ــ استراتيجية ــ تكتيكية كاملة ، فى الامتحان ؟ » • واستطرد اهرونسون متسائلا : (كيف نفسر كلام رئيسة الحكومة ، يومها ، ان اسرائيل (لم تؤخذ على حين غرة) ، وكلام وزير الدفاع انه يجب الاستعداد للحرب (فى النصف الثانى من الصيف) ، والكلام الذى نسب الى وزير الدفاع فى جلسة (للمطبخ) عقدت قبل الحرب ــ (اذا نشبت هناك ــ فى سيناء ــ حرب فلتنشب) • وكيف نفسر اجلاء العائلات عن ابو رديس قبل الحرب بيومين ،مقابل اهمال جنود التحصينات المأساوى ؟ كيف وسمت لجنة اجرانات خطا عريضا الى ذلك الحد ، وفصلت بشكل لا يقبل التاويل بين الجنرال ديان واللواء العازر ؟ ولماذا نحى جونين ، واعفى اللواء العازر بقرار لا رجعة عنه ، فى حين ظل موضوع ديان (مفتوحا) ومعرضا للتفسيرات المختلفة » ؟ •

وفى اجابته عن تلك الاسئلة ، استعان اهرونسون فى مقالته ، بدراسة قام بها احد الطلاب فى الجامعة العبرية اسمه (تسفى كلاين) • وحاول اهرونسون أن يبرز دور دايان فى (التقصير) ، مما اثار بعض ردود الفعل فى الصحف الاسرائيلية ••

● ويقول اهرونسون :
« ان كلا من الحكومات العربية وموشى دايان قد تاهب للحرب لاحراز مزايا عسكرية ، تمهيدا للمفاوضات السياسية التى كانت متوقعة بعد الانتخابات) •• واستنادا الى دراسة كلاين ، فان ديان (قد تنبأ بالحرب ، ولكنه لم يرغب فى حرب وقائية) وكان يرى كما هو دارج فى الجيش الاسرائيلى ، أن الفجوة فى الجيوش العربية والجيش الاسرائيلى كبيرة • ولذلك فمن الممكن « المخاطرة بحرب عربية » • وكان الامل ان تهزم الجيوش العربية بشكل لا يقبل التاويل ، وبالتالى التقدم نحو المفاوضات من واقع القوى ، وبعد الهجوم العربى « ستقوى دعوى اسرائيل بشأن أهمية المناطق ، من أجل الحفاظ على توازن القوى » • وكذلك ، فان فشل الهجوم العربى سيعلمهم « بانه لا يمكن الحصول على شئ بالقوة •• ومن هنا عليهم البحث عن سبيل آخر « والانتصار الاسرائيلى الكاسح سيفهم واشنطن « انه ليس امام العرب خيار عسكرى ، فتضغط عليهم لسلوك الطريق الاسهل لنا » •

واضاف اهرونسون ان قرار الحكومة بالامتناع عن شن حرب وقائية ، اتخذ اساسا على خلفية الادعاءات الاسرائيلية تجاه حكومة الولايات المتحدة ، بشان الحدود الآمنة ،

، بما في ذلك قعود اسرائيل على طول قناة السويس ، اذ كانت تقول : ان هذه الحدود تعفينا من ضرورة اللجوء الى حرب وقائية » . ومن هنا ، « ومن اجل تبديد اى ظل للشك في مسالة (من الذى بدأ) ، و (من المذنب) اخر وزير الدفاع ، قدر استطاعته تجنيد الاحتياط » ، واشار اهرونسون الى ان الجيش تعهد لديان « بان التحصينات ستصمد وبان السلاح الجوى ، وباقى القوات النظامية ، ستكفى الى حين تجنيد قوات الاحتياط » . وان دايان لم يرد التحرش بالعرب هذه المرة » و « ورفض تجنيد قوات كبيرة » . وهذا ، كما يراه اهرونسون ، يفسر الخلاف المعروف بين ديان والعازر بشأن حجم التجنيد .

وعزا أهرونسون (هارتس ٧٤/٩/٢٠) ، الى كلاين قوله : « أن الحكومة الاسرائيلية لم تتحول أكثر فأكثر الى نغمة (المفاجأة) والتى ، بطبيعة الحال ، بدأ « تقصير الاستخبارات » ياخذ فيها دورا متزايدا ، الا بعد أن اتضح الخطأ الاستراتيجى التكتيكى (العظيم) ، سواء فيما يتعلق بنسبة القوات ، ام بأبعاد التمزق وفداحة الخسائر » ومضى اهرونسون يقول : « كانت هنا حقا مفاجأة على المستوى العسكرى ، سواء الاستخبارى ام التنفيذى وعلى وجه الخصوص فى القيادة الجنوبية على اختلاف رتبها . ولكن لم تكن مفاجأة على مستوى وزير الدفاع ، الا أن السيد دايان اضطر الى خلق انطباع (وجود مفاجأة) مع مرور الوقت ، لان الشعب فى اسرائيل لم يكن ليصفح عنه ، انما قدم تفسيرا سياسيا فى اساسه ، يتعلق بجولة اخرى طفيفة ، قبل تجديد المبادرة الامريكية . أو اعترف بانه من خلال هذا الاعتبار ، فضل الامتناع عن تجنيد الاحتياط عن قصد ، حتى اللحظة الاخيرة » .

● وتناول مارك جيفن (عال همشار ٧٤/٢٥) سلوك دايان خلال الحرب ، فقال : « من الواضح لى » دون اى جدل ، ان الحرب التى ادت الى انهيار فلسفة ديان ، ادت فى لحظات معينــة الى انهياره هو شخصيا . وصحيح ان لموشيه ديان قدرة ، لا باس بهـا ، على التكيف مع كل وضع تقريبا . ولكن ديان اليوم ليس ديان ما قبل حرب يوم الغفران .. وخلال الحرب شاهدنا وسمعنا كيف تتحطم خرافة ديان ، القادر على كل شيء .. » .

وتطرق جيفن الى لقاء ديان برؤســاء تحرير الصحف الاسرائيلية يوم الثــلاثاء ١٠/٩/ ١٩٧٣ ، فقال : « كان الذى اذهلنا جميعا ، هو تقديره بانا سنضطر الى الانسحاب فى سيناء الى خطوط جديدة ، اذ ليس فى استطاعتنا صد المصريين وارجاعهم الى ضفة القنـاة الغربية » . ونقل جيفن عن ديان قوله : « ربما كان باســـتطاعتنا محاولة ذلك » ولكننا ســندفع ثمن هذه المحاولة غاليا ، فى ميزان القوى الحـالى ، لان قوة الجيش الاسرائيــلى الاساسية يجب ان تدافع عن دولة اسرائيل ، وليس عن الصحراء » .

وقال جيفن ان ديان كان ينوى الظهور فى برنامج تليفزيونى يقــول فيه « هــذه الحقيقة » الى الشعب الاسرائيلى ، واعترف جيفن بأن قرار ديان « اثار ذهولا لدى الجميع » ، لان الجمهور الاسرائيلى لم يكن معــدا لتقبل هذه الاخبــار ، خصــوصا « وان التقــارير الصحافية كانت تنطوى على مبالغة للافضل ، سواء بسبب نقص المعلومات الوثيقة ، ثم بسبب الرغبــة فى تشــجيع الســكان » واكد جيفن أن اظهار ديان ذلك ، كان ســيؤثر كثيرا فى الروح المعنوية للاسرائيليين ولذلك ، حاول بعض محررى الصحف اقناعه بالعدول عن رايه الا انه اصر على ذلك . وكشف جيفن ان جولدا مائير هى التى منعت ديان من تنفيذ خطته ، وقال : « ومن جولدا نفسها حصلنا على اقرار بانها هى التى امرت ديان هنا بالامتناع عن الظهــور فى ذلك المســاء على شاشة التليفزيون . وكانت لديها اسباب وجيهة لالغـاء ظهوره التليفزيونى . فقــد كانت تعلم بالكآبة التى يعيشــها وزير الدفاع منذ مساء يوم الاحد ، ففى ذلك اليوم « اليوم الثانى من الحــرب وعندما لم تتحقق توقعات ديان ، وكان الوضع على الجبهات حرجا » جاء وزير الدفاع الى رئيســة الحكومة وعلى شفتيه اقتراح بالانسحاب من مرتفعات الجولان وسيناء معا ، ووصف الوضع بصورة مكدرة جدا ، واعتبر الانسحاب الملاذ الاخير » .

ومضى جيفن يتحدث عن انهيار ديان فقال: وعنـــــدما رفض اقتراح ديان المذهول بالانسحاب من الجـولان وسـيناء ، توقف وزير الدفاع ، فى الواقع ، عن التـدخل فى ادارة الحرب .

واصيب ديان بالذعر خلال المراحل اللاحقة من الحرب ايضا . عندما برز فى الواقع النصر العسكرى الاسرائيلى . وكان خوفه ناجما عن احتمال عدم انتهاء هذه الحرب . لان للعرب نفسا طويلا . ولاننا . فى هذه المرة . يقف ضدنا عالم عربى كبير وموحد ..

« . واورد جيفن من اقوال ديان ما يلى : « لا ارى دلائل على الاستسلام من جانبهم . حتى لو دخلنا القاهرة ودمشـق . العـالم العربى باسره ضدنا ، ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليون عربى ، من الجزائر الى الكويت ، ولديهم الوقت والصبر .. يستطيعون ان يخسروا ، ويرفضوا الكلام عن وقف القتال .. لو عرضوا علينا العودة الى الخطوط السابقة فى ســوريا ومصر كشرط لوقف القتال ، لما رفضنا ذلك .. واذا بدت احتمالات لوقف قتال حقيقى ، فساشعر بارتياح كبير .. » .

(الانهيار العسكرى)

● كتب زئيف المراسل العسكرى لصحيفة « هارتس » مقالين عن يوم ٨ تشرين الاول (اليوم الثالث للحرب) . وذكر ان ذلك اليـوم كان اهم يوم فى الحــرب على الجبهة المصرية ، وشبهه بالمعركة حول ستالينجراد ، ومعركة ميدواى Midwy البحرية فى المحيط الهادى خلال الحرب العالمية الثانية .

وقال شيف ، فى مقاله الاول (هارتس ٢٥/٨/٧٤) : (فى ذلك اليوم قام الجيش لاسرائيـــل ، بمساعدة قوات الاحتياط ، التى اسـتطاعت التجمع فى الجبهــة ، باول هجوم مضـــاد على الجبهة المصرية . وقام صد هذا الهجــوم الاسرائيلى ، وتكبدنا خســائر جسيمة . وبقى الكثير من رجالنا ، سواء المصابون ام الاصحاء فى الميدان ، دون امكان انقاذهم ، ووقع قائد كتيبة مدرعات اسرائيل فى الاسر .

« كانت القيادة العليا للجيش الاسرائيلى مقتنعة باننا سنعبر القناة فى اليوم نفسه . وارسل تقرير الى الحكومة يفيد ان العبور قد بدا « وظهر ان التقارير الواردة من الميدان غير صحيحة . واحدث هذا الفشل هزة عنيفة . وكانت هذه المرة الثانية من الحــرب بعد المفاجاة التى داهمتنا ظهر يوم الغفران . وفى الحقيقة هــــدد القتـــال ، فى ذلك اليوم ، مصير معظم تحصينات القناة التى لم تكن قد سقطت بعد . ففى مساء ذلك اليوم ، شــعرنا لاول مرة وبصورة ملموسة ، باننا وقعنا فى خطأ بالنسبة الى تقدير ميزان القوى وتاثير انواع معينة من الاسلحة فى ميدان القتال . وادركنا اننا اخطانا فى بناء قواتنا » .

واضاف شيف ان تلك الهزة جعلت القيادات الاسرائيلية تتردد « بالنسبة الى المراحل التالية » ، حيث تقرر تاجيل العبور الاسرائيلى الى غرب القناة مدة اسبوع وتقرر ايضا نقل مركز الثقل الى الجبهة الشمالية ، السورية ، بينما اخذ الجيش المصرى ، فى تلك الاثناء يدعم ويحصن نفسه فى سيناء » .

وتحدث شيف عن « حرب الجنرالات » فى الجبهة الجنوبية التى نتجت عن احداث يوم ٨ اكتوبر ، والفشل الذى منيت به القوات الاسرائيلية . وتحدث عن الخلافات بين جونين قائد جبهــة سـيناء ، وشارون قائد اوغدا مجموعة الوية) فى تلك الجبهـــة ، وكيف اثرت هذه الخلافات فى ســير المعارك . وبالتــالى لم تستطع قيـادة الجيش الاسرائيلى تنفيــذ الخطط التى اعدتها فى السابق ، لمواجهة احتمال عبور مصرى . وقال فى هذا الصدد : « كان مفهوم الجيش الاسرائيلى هو نقل الحرب الى الجانب الثانى . الى اراضى العدو . وكان من الواضح ، دائما وابدا ، انه فى حال عبور مصرى للقناة ، سيشن الجيش الاسرائيلى هجمات مضادة فورية . وبعد ذلك ، يبدأ هجوما مضادا موازيا واسع النطاق ، ويعبر القناة . وكان الهدف هو العبور من خلال استغلال الهجوم المضاد . ولهذا الغرض اعدت

في القيادة ، خلال سنوات ، خطط مفصلة للعبور ، في عهد شـارون عندما كان قائد المنطقة ، حتى انه جرى تمرين عبور كبير في سيناء » •

واشار شيف الى البيانات « غير الصحيحة » التي كانت تصـل الى الجبهة ، فذكر ان « الاحساس بان كل شيء يسير بموجب الخطة ، وان الجيش الاسرائيلي يصد المصريين ، استمر حتى ما بعد الساعة الخامسة صـباحا • ففي الساعة ١٩ر٥ قال اللواء جونين لرجال القيادة ، ان الوضع في الجبهة الجنوبية استقر ، لذلك فهو يزمع نقل قوة دان شومرون الى الشمال • وبعد ذلك بدقيقة ، انقلب كل شيء راسا على عقب • ووصـلت الاخبـار المقيتة التي غيرت الصـورة » • وهي انه لم يبق من ٢٤٦ دبابة التي يـسودها البرت مندلر ، سوى ١٠٠ دبابة سـليمة •« واتضح فجاة انه لم يبق اتصال ، في الجبهة الوسطى ، الا بجزء صغير من الدبابات •• واتضح ، ايضا انه خلال بضع ساعات ، في الظلام الذي خيم بين منتصف الليـل وبين الساعة الخامسة صباحا • فقد الجيش الاسرائيلي عشرات الدبابات •• » •

وعنـدما وصل التقرير حول وضع الدبابات ، بدأ الهجوم المصري ولم يسـتطع سـلاح الجو العمـل في الفجر بسبب الضباب • « وفي السـاعة ٤٥ر٦ فقط ، نفذت الطلعة الاولى ، ووجهت ضد بطاريات صواريخ مصرية • ولكن هذه الطائرات غادرت ولم تعد •

« وبعد وقت قصير ، اتصـل رئيس هيئة الاركان بجونين قائلا : ان هناك حاجة الى سلاح الجو في الشمال ، حيث اخترق السوريون الخطوط • وقال رئيس الاركان لجونين « اصمد دون سلاح جو » وقد ادرك هنا ان الدفاع عن مستوطنات سهل الحولة اهم ، وتلقى قرار دادو بتفهم •

« والان بدات اكثر الساعات رهبة في الجبهة المصرية • وقال جونين لرجاله في غرفة العمليات ، ان الصد سيكون صعبا ، وقد يخسرون اراضي • وفي ذلك الوقت تبلغت غرفة العمليات ان قوات كوماندوز مصرية توغلت في العمق وتهاجم اهدافنا في المنطقة » ، ولدى سماع القادة العسكريين في غرفة العمليات هذا النبا سارع كل منهم الى حمـل سلاحه الشخصي في غرفة العمليات ، كما اغمي على شخص اخر يعمل اجهزة اللاسلكي •

● وكشف شيف عن المزيد من اعمال رجال الكوماندوز المصريين فقال ان « رجـال الكوماندوز المصريين هاجموا قوة الدبابات الاولى التابعة لبرن بقيـادة نتكا •• وكان الكمين المصري يضم ١٥٠ رجلا ، واطلقوا صواريخ ساجر وبازوكا آر • بي • جي • • وخلال الضربة النارية الاولى احرقت دبابتان وعربة مجنزرة ، وقتل سبعة اشخاص وجرح ٢١ • ونشبت معركة • ولم يستلم احد من المصريين •• « واشار شيف الى فشل مهمة خاصة قامت بها طائرة الميراج ضد احد الجسور المصرية • واضاف يقول « ثمة شهادة اخرى على خطورة الوضـع في الجبهـة • ظهرت لدى وزير الدفاع الى غرفة العمليات • فقد وصلها (يوم ٧ تشرين الاول) في الساعة ٤٠ر١١ • وقبـل ذلك طلب قائد طوافته الهبوط هناك ، ولكن جونين اقترح ان يتخلى وزير الدفاع عن الفكرة خوفا من الكوماندوز المصريين » • وقد تخلى ديان عن الهبوط بالقرب من غرفة العمليات وهبط في مكان اخر ، ثم جاء الى الغرفة بمجنزرة • وعندما اطلع ديان على خطورة الوضع ، اتصـل لاسلكيا برئيس الاركان طالبا مساعدة جوية للجنوب • ولم يسمع من المحادثة سوى صوت ديان ، وهو يقول : فعلا دا جانب أهم » • ثم خاطب ديان قادة المنطقـة الجنوبية قائلا : « هذه حرب صعبة وليست اشتباكا • يجب الانسحاب الى خط ثان ، الى الجبال • والتحصن هناك • ستحصلون على المساعدة الجوية ، ولكن ليس قبل صباح الغد • يجب ترك خط المياه • لا ينبغي الاعتماد على التحصينات • لا ارى ان الوضع سيتغير • وليس في المنطق مهاجمتهم ، ولا ان يحاول الرجال في التحصينات الهجوم ليلا » • وعندما سـئل دايان عن « مصير الجرحى في التحصينات » ، اجاب : « الاحصاء يحاولون عبور الخطوط ، والجرحى ؟ لا خيار الا ان يقعوا في الاسر » •

ويكفي أن ننقل للقارىء بعض الصور عن كثير جدا مما كتبته صحافة العالم عن اسرائيل من الداخل بعد الهزيمة ..

وهذا بعض قليل جدا مما كتب بعد وقف النار .. وأثناء وجود القوات الاسرائيلية فى غرب القناة :

★ **دان جيبر : مراسل الاسوشيتدبرس** : « كان الشعب الاسرائيلى ينصت الى الانباء فى الراديو وأجهزة الترانزستور ، فى هدوء يشوبه الغم . مواطن اسرائيلى يقول لى : ان ما تحقق لا يساوى حياة جندى اسرائيلى واحد .. وشاب آخر . كنا نحلم بطردهم من سيناء .. وقال ثالث : جاء وقف النار فجأة كما جاءت الحرب فجأة » .

★ **مراسل نفس الوكالة فى القدس** : « اختفى الناس من الشوارع المظلمة ، رأيت حاخاما يصلى مع زوجته الامريكية عند حائط المبكى . وتناقض هذه الصور تماما منظر الجموع المحتشدة التى تدفقت نحو الحائط فى ١٩٦٧ للصلاة فى أيام الانتصار » .

★ **خبراء عسكريون بريطانيون فى تليفزيون لندن** : « اننا لا نشك مطلقا فى أن مصر بعبورها القناة ، وتحطيمها لخط بارليف ، برؤوس جسورها ، جاءت بعكس كل التقديرات والتوقعات . وأن تقدم القوات المصرية فى سيناء هو نصر عسكرى ضخم . واننا نشك تماما فى جدوى وجود قوات اسرائيلية غرب القناة ، لان وجود هذه القوات ، يمكن أن يتحول الى كارثة بالنسبة لاسرائيل ..

★ **الجنرال الامريكى ايفيل بانجر ـ يونيتدبرس ـ لوس انجلوس** : « ان اسرائيل بقيت قائمة كدولة لاننا لم نخنها . فبدون الاسلحة والنفاثات الامريكية كان محتوما أن تفنى اسرائيل » .

★ **مجلة (لانوفيل أوبزرفاتير) الفرنسية : نشرت مقالا بعنوان : (نهاية دولة اسرائيل الكبرى) بقلم فيكتور سيجلمان** ، يتحدث فيه عن أغانى الانتصار التى كانت ترددها اذاعة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ عن (شرم الشيخ) و (القدس الذهبية) .. لقد حلت محلها اليوم فى حرب اكتوبر أغنية تلاحق الاسرائيليين ليل نهار من الاذاعة والتليفزيون ، وتقول كلمات الاغنية (باسم الجنود الذين احترقوا أحياء فى دباباتهم .. باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة فى أجسادهم .. باسم .. باسم .. باسم .. أعدك يا صغيرتى العزيزة ، ان هذه الحرب ستكون الاخيرة .. نعم الاخيرة .. الاخيرة .. الاخيرة) .. ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : (كانت أغانى ٦٧ تعبر عن فرحة الحياة ، ولذة النصر .. أما اليوم فقد خارت قوى الابطال ، ولم يسبق فى تاريخ اسرائيل القصير أن شعر الاسرائيليون ،

بمثل هذه الشدة والحدة ، وبالتعطش الى السلام والهدوء وزوال التوتر) ٠
ثم يتحدث كاتب المقال عن أثر تصريحات ديان وغيره من العسكريين الاسرائيليين حول الانتصار المزعوم فيقول ٠٠ (ان الاسرائيليين أنفسهم لا يشعرون بأنهم انتصروا على الاطلاق ٠٠ والظاهرة الغريبة بالفعل ، تتمثل فى أن رجل الشارع الاسرائيلى لا يعبأ بمثل هذه الامور ، ولا يهمه كثيرا تحديد من الذى انتصر ومن الذى انهزم ، فالشاغل الرئيسى لرجل الشارع الاسرائيلى يتركز الآن فى الانتهاء من هذه الامور بسرعة ، وفى اعادة الجنود المرابطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له أن يلتقط أنفاسه التى كادت تتوقف ٠٠ وحينما يقول الجنرال ديان : لسوف نصبح عما قريب ، أقوى بكثير مما كنا قبل الحرب ٠ حينما يقول هذا ، يغضب الاسرائيليون أو يبتسمون باستخفاف ٠٠ لقد فقدوا الثقة فى وزرائهم ، وهم يشكون فى جنرالاتهم السياسيين ، الذين يتبادلون الاتهامات) ٠

★ ويكتب ميشيل سولومون فى صحيفة تريبون دى جنيف السويسرية تحت عنوان : « كلمة أخطأنا ٠٠ على ألسنة جميع اليهود » ٠٠ ويقول :

« تردد هذه الايام ، فى عناوين الصحف وفى المحادثات التى تدور بين الناس فى اسرائيل كلمة عبرية هى كلمة ماندال أى الخطأ ٠ تلك الكلمة التى تحمل معنى دينيا الى حد ما والتى وقعت منذ بداية الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة سواء بالنسبة للتأخر فى ادراك خطر الهجوم العربى ، أو فيما يتعلق بالاوضاع السيئة فى الميدان ، ونفس الشىء ينسحب بلا شك على الخلافات التى ثارت بين الجنرالات والتى قامت الصحافة المحلية والعالمية بترديد صداها » ٠

★ وتنشر التايمز البريطانية تحقيقا عن أزمات مباحثات وقف النار بقلم أريك مارسدن يتناول فى ختامه الوضع العسكرى الاسرائيلى بقوله :

« ان الادلة تتزايد على وجود حالة من القلق تؤثر على كل الشعب فى اسرائيل وعلى الجنود فى الجبهة ، وقد أظهر التعبير عن قدر من الشعور بخيبة الامل فى الرسائل التى تلقتها الصحف ٠ ولخص هذا الشعور بخيبة الامل بصورة عنيفة مقال كتبه زيف شيف فى صحيفة ها آرتس المستقلة ٠ وهو مراسل يتمتع باحترام كبير فى اسرائيل ٠ قال شيف : (ان الجنود يشكون من نقص الذخيرة وعدم كفاية المعدات ٠ ويقولون بأنه ينتابهم شعور مثير للاحباط ، لانهم لا يتلقون اجابات عن الاسئلة التى يوجهونها حول الحرب ٠ ثم كتب (شيف) انه توصل الى استنتاجات مريرة وغريبة من الاحاديث التى أجراها مع عشرات الضباط والاشخاص الذين يشغلون مواقع المسئولية » ٠

★★ ومقال آخر في جريدة (ناسيونال تسايتونج بازل) السويسرية تحت عنوان (مزيد من الضحايا بعد ضريبة الدم) ٠٠ يقول الكاتب : (لقد جندت اسرائيل-أكثر من مليون شخص-منذ اندلاع حرب يوم الغفران، وسوف يبقى هذا العدد الكبير فى الجيش عدة أشهر على الاقل ٠ ويتكون هذا العدد من الشباب ، والغالبية من القوى العاملة ذات القدرات العملية ٠٠ وترتب على هذا انخفاض فى الانتاج تصل قيمته الى ٤٠ ٪ ومع ذلك فليس هذا أسوأ تأثير اقتصادى نجم عن الحرب ٠ اذ أن التسليح العسكرى الذى تدهور فى الثمانية عشر يوما أثناء الحرب ، تكلف كثيرا من مليارات الجنيهات الاسرائيلية (الجنيه الاسرائيلي يساوى فرنكا سويسريا) ، ويصل اجمالى مرتبات الاحتياطي المستدعى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه اسرائيلي فى الشهر وهناك صعوبات فى نقل التموين الى السكان المدنيين ، بسبب نقص وسائل النقل ، لان أغلبية عربات النقل ، وجزءا كبيرا من سيارات الاتوبيس انضمت للخدمة العسكرية ٠ لذلك فقد قررت الحكومة طلب ٢٥٠٠ عربة نقل ثقيلة ، ذات حمولة عشرة أطنان من الخارج ٠ ولكن الامر يحتاج الى سائقين ، وكانت النتيجة أن كثيرا من المؤسسات الصناعية قد توقفت عن العمل ، لان بعض العمال ذوى المراكز الكبيرة قد جندوا » ٠٠

★★ ولم يكد الاسرائيليون ليصدقوا أبدا متحدثهم العسكرى حاييم هيرتزوج مدير مخابرات اسرائيل السابق ٠ انهم يستمعون اليه منذ سنوات ٠٠ وهو الذى صرح فى اليوم الاول للقتال ، ان القوات المصرية ستعرف معنى الهلاك والتدمير الكامل ٠

وهو الذى قال للاسرائيليين وبالتحديد فى ٢٧ فبراير ١٩٧١ ان النظام المصرى سيسقط اذا حارب المصريون ٠٠ وقال « اذا فتحت مصر النيران ، فاننى أحذر المصريين بأن الرد الاسرائيلي سيكون ثقيلا جدا ، وعنيفا جدا ، وليس هذا فقط ٠٠ بل ان الرد الاسرائيلي لن يكون مفاجأة للمصريين وحدهم ، ولكنه سيفاجىء العالم كله » ٠

وفعلا تحققت المفاجأة للعالم كله ٠٠ ولكن بهزيمة اسرائيل !

★ ثم قال بعد ذلك : ان أى هجوم مصرى ، مصيره الفشل ، هذه حقيقة ٠ ولكن ليعلم المصريون، ان أى هجوم اسرائيلي سيؤثر بغير أدنى شك ، على هيبة ومركز الرئيس السادات ، ويعرض النظام كله للخطر ٠

★ ثم قال : ان القيادة الاسرائيلية تتوقع طبعا ، أن يحاول المصريون القيام بعملية عبور للقناة ، تحت ستار المدفعية وحماية الصواريخ أرض ـ جو ٠ ولكننى أقول للمصريين أننا نعد لهم مفاجأة قاصمة ٠

★ وتصريحات أخرى لموشى ديان بالمئات :

★★ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ (مؤتمر صحفى) : « ان خط بارليف خط منيع يستحيل اختراقه • اننا أقوياء لدرجة تكفى لان نحتفظ به الى الابد • ان عمليات العبور المصرية ـ اذا حدثت ـ ستلقى الرد الحاسم ولن تؤثر على قبضة اسرائيل الحازمة على خط بارليف » •

★★ فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ (فى الكنيست) : « اذا فضل المصريون استخدام القوة وعبور قناة السويس ، فاننى أعلن أن قواتهم ستتحول الى رماد » •

★★ فى ٢٦ مايو ١٩٧١ (وكالة أ•ب) : « اذا حاول المصريون الاقدام على مخاطرة العبور ، فان هزيمة دموية فى انتظارهم •• وحتى أصدقاؤهم يعلمون أنهم لم يصلوا الى مستوى القتال » •

★★ فى ١٩ سبتمبر ١٩٧١ (الوكالة الفرنسية) : « اذا حاولت مصر عبور القناة فسوف يتم ابادة قواتها •• سيواجه الجيش المصرى كارثة » •

★★ فى ٢٨ فبراير ١٩٧٢ (تصريحات صحفية وهو فى واشنطون) : « اننى أحذر المصريين من الهلاك اذا أطلقوا النار » •

⊙❖⊙

وديان بنفسه هو الذى كان قد تصور أنه سيسحق الهجوم المصرى فى ٦ أكتوبر خلال يومين فقط •

واننى أترك للاسرائيليين أنفسهم وصف الموقف ، كما سجلوه فى كتاب (عيد الغفران) •• فقالوا :

★ « حتى مساء ٦ أكتوبر لم يكن أحد قد أدرك بعد مدى اتساع التغلغل المصرى وأهميتــــه الاستراتيجية • كانت عمليـــــات تخليص المحاصرين باستخدام المدرعات عسيرة •• وصل الجنرال جونين الى الموقع الحصين الذى كان معدا ليستخدم بمثابة قيادة عامة لسيناء فى زمن الحرب • استقر الجنرال مندلر بدوره فى موقع متقدم للقوات المدرعة • كان الموقف يشير الى أن ما يقرب من ٥٠٠ دبابة قد اشتبكت بالفعل فى معركة فى الخط الاول •• وهى تبذل جهودا يائسة • أدركت القيادة العامة أن الخســـائر ستكون فادحـــة • تمكن المصريون من ابادة ٤٠ دبابة اسرائيلية وعربة ومصفحة ، بينما كانت تحاول اخلاء موقع محاصر صغير ، كما أباد المصريون وحدة اسرائيلية كانت تحاول انقاذ ٣٠ رجلا » •

★ « بعد ظهر يوم الاحد حضر الجنرال شارون والجنرال أدان الى موقع القيادة المتقدم • اقترح شارون تخليص المواقع الحصينة بفتح ثغرة فى الخطوط المصرية يأخذها من قواته • اقترح موشى ديان حل الموقف هكذا

« ليس أمامنا الآن أن نختار • ان الذين يستطيعون القرار عليهم أن يفعلوا ذلك • أما الآخرون فعليهم البقاء داخل الدشم » • انه قرار رهيب • ولكن ماذا يمكن عمله غير ذلك ؟ » •

ومن نفس المؤلف الاسرائيلى أنقل هذه الفقرة • انها تعطى الصـــورة الكاملة على لسانهم :

★ كانت مشكلة اخلاء جنود خط بارليف ، هى التى أرقت ضباط مواقع القيادة المختلفة ، طوال الايام الثلاثة الاولى من الحرب • وكانت الرسائل التى يتلقونها بليغة كل البلاغة :

« ان ٨٠٠ جندى مصرى يهاجمون » •

وبعد بضع ثوان من الصمت ، يجيء نداء جديد باللاسلكى :

« انهم فى ساحة الموقع • اننى مضطر الى التراجع للداخـــل • وهم يطلقون النار علينا » •

وبعد ذلك يجيء الاتصال الاخير :

« انهم قريبون جدا •• ها هم قد وصلوا • انهم يدخلون الحصن » •

وفى المؤخرة ، وعلى خرائط القيادة ، تمتد ذراع لتضع خطا تشطب به الموقع الذى سقط • ويعلو البكاء والنحيب بين رجال الاستماع الذين يتلقون الرسائل •

قال عامل لاسلكى اسرائيلى :

« اننى كنت أسمع صوتا • انها رسالة • ثم يكون الصمت • وعندئذ كنت أقول لنفسى : هذا قتيل آخر • لا تتعب نفسك بالحديث • انه لن يجيب •

كان ذلك هو الموقف فى مواقع خط بارليف • وفى الوحدات التى كانت تحارب القوات المصرية على طول قناة السويس » •

⊙❖⊙

وانقل هنا وصفا لاحداث الثغرة ، وكيف واجهنا على لسان الرئيس أنور السادات ••

قال الرئيس انور السادات :

حدث بعد أن ألقيت خطابى فى مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر أن ذهبت مساء الى مكانى فى غرفة العمليات • وكان المشير أحمد اسماعيل الى يمينى والفريق الشاذلى الى يسارى • وفى هذا الاجتماع ، قلت للشاذلى : عليك أن تكون بعد ساعة ونصف فى الاسماعيلية لتنفيذ المهمة التى اتفقنا عليها ،

وهي نوض طوق حول بحيرة الدفرسوار . بحيث نترك اليهود يدخلون الى هذه المنطقة ، ولكن ليس خارجها ، بعدها تصبح كل القوة الاسرائيلية في يدي . كلهم أسرى • عملية الدفرسوار عملية مسرحية • وقد سبق لي أن عممت توجيها محددا وجهته للمجلس الاعلى للقوات المسلحة قبل المعركة بخمسة أيام ، أن يكون قادة الجيش في منتهى البرود ، ان الاسرائيليين سيلجأون الى عمليات تليفزيونية ، مسرحية • ينزلون في نقطة منعزلة في العمق من أجل الارباك ، في نقطة على البحر الاحمر - مثلا - فيصطحبون معهم المصورين والتليفزيون ويذيعون على الهواء بأنهم نزلوا واستولوا واحتلوا • مثل هذه الاعمال المسرحية تتم بسرعة على طريقة الحرب الخاطفة، تهدف الى احداث انهيار نفسي• فاليهود يعتبرون أن العرب «بنوع فوره» • انهم يعتمدون على نظريات (بلتزكريج) Blitz Krieg التي طبقت في بداية الحرب العالمية الثانية • والرد على مثل هذه العمليات معروف • نحن نشبهها بماكينة مليئة بالتروس ، تدور بسرعة • فلو استطعت أن تضع بين هذه التروس حصاه صغيرة ، فستقف الماكينة وتتكسر • هذا تشبيه عسكري معروف عندنا • وعندما وقعت عملية الدفرسوار ، أدركت منذ البداية أنها من هذا النوع • وكان عندي في القناطر الخيرية أخيرا الجنرال (بوفر) وقد أيد وجهة نظرنا تماما بأن عملية الدفرسوار هي عملية تليفزيونية ، لذلك قلت للشاذلي : خلال ساعة ونصف ، يجب أن تصل الى الاسماعيلية وتمنع أن يتجاوز الاسرائيليون النطاق الذي حددناه لهم • وأنا لا أريد التحدث في تفاصيل ما وقع خلال الثلاثة أيام التي أعقبت ذلك ، والذي حدث أن المشير أحمد اسماعيل اتصل بي في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١٩ أكتوبر وذهبت وكان رأى الشاذلي أن علينا أن ننسحب من سيناء • ودرست العملية فوجدت أن التوسع الاسرائيلي ليس مخيفا• والدليل انني أستطعت أن أوقف القتال عند خط ٢٢ أكتوبر ، وهو الخط الذي كان يسميه ديان والعسكريون الاسرائيليون (المصيدة) •• لم يكن الشاذلي يعارض وقف اطلاق النار كما أشيع بعد ذلك • كان يطالب بانسحاب القوات كلها • وهذا هو هدف اسرائيل من عملية الدفرسوار ، أن أنهار وأسحب قواتي الى الشرق • عندئذ ، وبعد أخذت قرار اعفاء الشاذلي من منصبه ، عينت مكانه الجمسي رئيسا للاركان ، وأبقيت هذا القرار سرا طيلة شهرين • ليه ؟ لانه لم يكن جائزا أن اعلن شيئا لا أمام قواتي المسلحة ولا أمام البلد ولا أمام الاسرائيليين • هذه قصة الشاذلي •• وقد عينته سفيرا في لندن ، لان الرجل عبر واقتحم خط بارليف • وسوف أذكر دائما أن المراسلين الاجانب كتبوا أيام المعركة أن نظام [illegible] في

الجبهة كان أفضل من نظام المرور فى القاهرة • كان هذا جهده • ورأيه فى ضرورة الانسحاب من الشرق لا يخرج عن أن يكون رأيا •

كان القرار المصرى اذن ، مقاومة الثغرة عسكريا ، بدون انسحاب أى جندى مصرى من الشرق الى الغرب •

وعاد الرئيس من القيادة الى مكتبه • وأرسل للقوتين الكبيرتين ، استعداده للاستجابة الى وقف النار ، بضمان القوتين ، أن يتم الانسحاب الكامل • وفى نفس الوقت أرسل الرئيس الى دمشق رسالة للرئيس الاسد بها كل تفصيلات الموقف •

وفى ١٢ ديسمبر ٧٣ عين الفريق الجمسى رئيسا للاركان •• وعين اللواء سعد مأمون قائدا لجبهة مقاومة الجيب الاسرائيلى •

وكنا جاهزين للقتال وطرد الاسرائيليين فى ٢٤ ديسمبر ، عندما درست الخطة فى اجتماع عسكرى بالقناطر برياسة السادات • واقرها القائد الاعلى • ولم يبق الا التوقيت •• وكانت الدبابات التى كنا نحتاج اليها ، قد استكمل وصولها من الجزائر ••

ثم حدثت اتصالات السلام • وجاء كيسنجر الى القاهرة • وأعلن اتفاق وقف النار ••

خطة « شامل »
لتدمير الثغرة

قال لى الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة :
ـ اتخذ القائد الاعلى قرار مقاومة الثغرة الاسرائيلية عسكريا فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٣
قلت :
ـ واعلم أنك عينت فى هذا اليوم رئيسا للاركان ..
قال :
ـ القرار أعلن بعد ذلك .. لقد ظل سرا حتى ١٢ ديسمبر ..
قلت :
ـ ماذا كانت خطة مقاومة الثغرة ..
قال :
ـ لقد تم ايقاف النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ، بعد وصول قوات الامم المتحدة .
واعتبارا من ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو غرب وشرق القناة .

كانت أمامنا مهمة رئيسية وهى ألا نسمح للعدو أن يتمركز أو يخندق ويثبت أقدامه فى الغرب . كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة ، الى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة .

وقد وضعت خطة الهجوم الشامل .. نوقشت .. صدق عليها القائد العام .. وتقرر أن يعين لقواتنا فى الغرب قيادة منفصلة تقود جميع القوات لتصفية الجيب . ونترك قوات بدر فى الشرق تقاتل معركتها ؛ وقوات الجيش الثانى تقاتل معركتها .

وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة . الطيران الدفاع الجوى . البحرية . واختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة .

وعرضت على السيد الرئيس القائد الاعلى أنور السادات فى ٢٤ ديسمبر وصدق عليها ٠٠ ولم يبق الا تحديد الموعد ٠٠ بقرار من سيادته ٠

وكانت حرب الاستنزاف مستمرة ٠٠ طبقا للتخطيط الموضوع لها ، وهو ضرب قوات العدو غرب وشرق القناة ، وعلى طول المواجهة ، بهدف ايقاع أكبر خسائر في أرواحه ومعداته ، ومنعه من تحسين مواقعه ٠

وطبقا لبيانات الامم المتحدة ، قامت قواتنا بـ ٤٣٩ عملية ضد العدو ، ٣٩ عملية فى نوفمبر و ٢١٣ عملية فى ديسمبر ٠٠ ومن أول يناير الى ١٧ يناير ١٣٣ عملية ٠

وهذه هى الخسائر التى أعلنها العدو : ١١ طائرة ، ٤١ دبابة ومدرعة ، ١٠ رشاش ثقيل ، ٣٦ معدة هندسية ، ١٨٧ قتيلا ٠

لم يحدث اذن أى توقف فى عملياتنا ٠٠ حتى تم اتفاق فك الارتباط ٠ استمرت حرب استنزاف ولم تترك للعدو هدوءا ليلا أو نهارا ٠

⊙❖⊙

أعود الى خطة تصفية الثغرة ٠٠ التى صـــدق عليها الرئيس فى ٢٤ ديسمبر وهنا يذيع الفريق الجمسى هذه الاسرار :

★ لقد سلمت الخطة الى جميع قيادات القـــوات المسلحة فى ٧ ديسمبر ٠

★ صدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها ٠ تخطيط ٠ اعداد ٠ تدريب ٠ استكمال ٠

★ كانت ساعة الصفر المقررة أول ضوء يوم ١٨ ديسمبر ٠

★ ولكن طبعا ترك تحديد ساعة الصفر للقائد الاعلى ٠٠ لاختيار الوقت المناسب سياسيا ٠ وتم هذا فى اجتماع المجلس الاعلى للقوات المســـلحة برياسة القائد الاعلى السيد الرئيس ٠٠ فى ٢٤ ديسمبر ٠ أقر الرئيس الخطة ٠٠ وكان أمره ٠٠ « كونوا جاهزين فى أية لحظة » ٠٠

وتم اختيار الاسم الكودى للخطة ٠٠ « شامل » ٠٠

وسألت الفريق الجمسى :

ـ كيف يتم اختيار اسم الخطط العسكرية ٠٠

قال :

ـ قد يكون الاسم رقما ٠ وقد يكون تعبيرا عن أهداف الخطة ٠٠ كنا قد اخترنا اسم (واصل) لخطة تصفية الثغرة ٠٠ بما يعنى أننا سنصل الى قوات بدر فى الشرق ٠ ثم رأينا أن اسم (شامل) هو الانسب ٠٠ لانها كانت هجوما شاملا ٠٠

⊙❖⊙

والتقيت بعد ذلك باللواء سعد مأمون الذى اختير لقيادة الهجوم ٠٠ وكشف لى بعض أسرار الخطة باذن خاص ٠

لقد بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير أحمـــد اسماعيل بقيادة الهجوم على الثغرة في الساعة الثالثة من مساء ١٢ ديسمبر ·

استدعاه القائد العام وقال له :

ـ يبدو يا سعد أنك ستغادرنا وتعود الى الميدان من جديد ، كمندوب للقائد العام لقيادة القوات الرئيسية غرب القناة لتصفية الثغرة · أنت من الآن مسئول أمام وزير الحربية والقائد العام عن تدمير الجيش الاسرائيلى · وثقتى فيك لا حدود لها · متى يمكن أن تسافر ؟

سعد مأمون :

ـ لن أنسى ما حييت هذه الثقة · وسأحقق المهمة باذن الله ·

وسافر الى الجبهة على الفور · وقام بجولة على الحدود الامامية للقوات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب · قام بتعديل الخطة على الطبيعة وفقا لما رأى ·

صدق وزير الحربية على التعديل الاخير · ناقش الرئيس الخطة فى ٢٤ ديسمبر كما ذكرنا · ركز الرئيس فى توجيهاته على أمرين :

★ أهمية التعاون المشترك للقوات البرية مع القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى ·

★ أهمية العمل الحاسم السريع للمدرعات ·

ثم يستطرد اللواء سعد مأمون :

كانت الخطة تعتمد على :

١ ـ تقدير سليم لقدرات العدو ·

٢ ـ تحديد واضح لنقاط ضعفه ·

٣ ـ تحديد سليم لنقاط قوته ·

ان العدو فى مصيدة · وكان يجب أن أزيده احساسا بأنه فى مصيدة · كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية · كان يدافع فى حالة نفسية سيئة · ويبدو قلقه فى جميع تصرفاته ·· ان أوضاعه الدفاعية تدل على فزعه · مثلا رص العدو أمامه حوالى ٧٠٠ الف لغم · حفر خنادق مضادة للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ الى ٧ أمتار ، وعمق ٥ أمتار) كان لديه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ دبابة ·

وكان شعارى أن نلقن العدو درسا ·· أقسى من درس العبور وتحطيم حصون بارليف ··

وواقع الحال أن الجيب الاسرائيلى كان هشا ·

كل دبابة للعدو فى الغرب ·· كان يقابلها حوالى دبابتين فى قواتنا ، وقطعتين مضادتين للدبابات ·· علاوة على نيران المدفعية والطيران ·· علاوة على احتياطى القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير ·

وقد قدرت خطة (شامل) كافة الاحتمالات ، بطريقة لعلها أحسن من تحضيرات ٦ أكتوبر وكان تفكيري ان النصر في هذه العملية لايحتمل الجدل ولا التجربة ، وقمنا بمشروعات حقيقية للخطة على ارض مشابهة ..
وكان التقدير :
بالنسبة للوضع العسكري العام .. انه تم احتواء العدو تماما في الغرب
لقد حاصرنا العدو من كل جانب وله منفذ واحد في الدفرسوار لايزيد عرضه على ٦ كيلو مترات . وكان مقررا اغلاق هذا المنفذ بالقوات في ساعات قليلة .. وهذه الشريحة كان مخصصا لها اعداد هائلة من القوات
وسألت اللواء سعد مأمون :
ـ أرجو ان تصرح أكثر ببعض اسرار خطة الهجوم .

قال :

ـ دون ان ادخل بك في نواح عسكرية جافة ، أو افشي خطة سرية .. كان المقرر ان نصفي الجيب الاسرائيلي على ٤ محاور بالتعاون مع كافة أفرع القوات المسلحة . أي اننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات . وكانوا حقا في مأزق .

قلت :

ـ لماذا في مأزق وقد تمكنوا من توسيع رقعتهم ؟ ..

قال :

ـ هذا هو المأزق . ان قوات العدو في ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس شاطيء واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلو مترا مربعا (٧ × ١٠) .. قواتنا في الشرق كانت قد عملت رؤوس شواطيء في الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلو متر مربع . أي مائة ضعف . كان موقف العدو العسكري حرجا للغاية . لذلك حاول أن يحول هذا الوضع الحرج (لصغر حجم رأس جسره في الغرب) الى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا ثم طور فكرته لانه أدرك ان هذا الانتشار ، فيه نوع من اضعاف قوته في الكثافة أمام القوات المصرية . حاول دخول السويس . قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث في الشرق . والهدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج في الغرب .. ولكن وضعه عسكريا هش جدا

قلت :

ـ لماذا ؟

قال :

ـ لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجي .. قوات شبه محصورة في الغرب . عجز عن زحزحة قواتنا في الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا الى بورفؤاد شمالا . وخلال حرب

الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ٧٣ اكتسبنا نحن أرضا جديدة غربا وشرقا ثم انه مجبر على التعبئة الكاملة فى اسرائيل • كل لقمة • كل جرعة ماء • كل دانة مدفعية • . كل نقطة بنزين • يجب ان تصل اليه من بعد ٣٠٠ كيلو متر فى الخلف •• من مخنق عرضه ٦ كيلو مترات •

كان التخطيط أن نقفل هذا الممر ، ونشعله نارا • فى نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته فى الغرب •• وأستطيع أن أقول ان هذا كان سيتم فى (لا وقت) ! أى وقت قليل جدا !

قلت :

ـ ولماذا لاوقت ••

قـال :

ـ نعلم من خط بارليف ان الدفاع مهما كان حصينا ، يمكن اختراقه • فما بالك بهذا الجيب • قواعـــد طيراننا قريبة جدا •• الدفاع الجوى استطاع أن ينشىء حائطا ثانيـــا للصواريخ أقوى مما كان • العدو •• ثقته فى نفسه وفى قياداته اهتزت ولا شك ان العدو بتصويره الجـــوى لقواتنا فى الغرب أدرك ما يمكن ان يحدث له ، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام • وكان من المستحيل أن تنسحب اسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى امكانية البقاء •

الرئيس يعلن الاتفـــاق

دعا الرئيس انور السادات رؤساء تحرير الصحف الى اجتماع خاص في اسوان تم فى الساعة ١١ من مساء يوم الخميس ١٧ ينـاير ١٩٧٤ قال الرئيس :

ـ أنا متأسف • أخرتكم • لقد وصلنى من كيسنجر الساعة ٨ مساء أن كل شيء حول اتفاق فصل القوات •• تمام • رأيت قبلكم نواب رئيس الوزراء واريد الآن أن أوضح لكم الصورة • ما تم اخيرا وخلفياته ••

فى نوفمبر جاء كيسنجر بعد وقف النار • انتهينا الى النقاط الست • هرج علينا كثيرا بعض العرب وغيرهم على انها تنازلات من جانب مصر • الان ممكن أن أتكلم فى الوقت المناسب • العملية مستمرة • وتجيء مراحل يمكن الافصاح عنها • المراحل المقبلة كثيرة • ومن الخطأ الحـــكم على جزئية بسيطة فى احدى المراحل •

جاء كيسنجر • انتهينا الى النقاط الست • قيل انها تنازل من جانب مصر • هى العقدة القديمة قبل ٦ أكتوبر اننا لن نستطيع عمـل شيء • كيسنجر سيضحك عليكم • أنا ماحدش يجبرنى آكل لقمة توجع بطنى • آن الاوان ان نرمى هذه العقد • لقد واجهنا عسكريا ، وعلينا أن نواجه سياسيا ولا نخاف •• روجوا أن كيسنجر يضـــحك علينا • حاولوا الاصطياد • ومن بعض اخواننا العرب • بكل اسف مثل ما حدث من وزير خارجية سوريا اخيرا • وارسلت لاول مرة لحافظ الاسد ، رسالة بهـا كلمات لم اتعود على استخدامها عن تصرف وزير خارجيته •• رايح يقول ان مصر اتفقت على حل منفرد • فصل القوات تمهيدا للحل المنفرد • ولو كان فيه اتفاق مسبق كما يزعم، ماكانش كيسنجر يقعد ٨ أيام فى مباحثات

اتصل بى حافظ الإسد اليوم ، وطلب تأجيل توقيع الاتفاق • وان نوقع الاتفاق سويا بعد ان ينتهى اتفاق سوريا • كان رأيى ان أوقـــع اتفاقنا ، مادمت قد انتهيت منه ، ثم اوجه كل جهدى مع الرئيس الاسد لانهاء اتفاق سوريا • أنا ملتزم • حقيقة يجب ان تعرفوها • اننى أعمل وفق مبادىء وقيم لن اتنازل عنها • الرئيس حافظ الاسد له دين فى عنقى الى يوم القيامة ، لن أفرط فيه • انه الرجل الوحيد الذى اتخذ معى قرار

٦ أكتوبر . أن له هذا الدين في عنقكم جميعا . وفي عنق كل مصري وكل عربي . لسوء الحظ حصل خلاف حول البدء في اتفاق فصل القوات كان المفروض ان نبدأ معا . ولكن سوريا رأت الا تبدأ معنا . ولكنني أكرر لكم ، أن هذا لا يعني أي شيء . أكرر اننا يستحيل أن ننسى الاسد كفرد أو كشعب . لانفرط فيه . ولا نبيعه . ولا ندخل ضده في أي شيء حتى لو دخل ضدنا . الاسد له دين قومي علينا . وسوريا يعني حافظ الاسد بدون فتح الجبهتين في وقت واحد ، كانت اسرائيل تنفرد بنا واحدا واحدا كما هي عادتها . وهناك ابعاد كثيرة لمعركة ٦ أكتوبر لم تتضح حتى الآن . أبعاد عميقة ومؤثرة على العالم كله .

أقول لكم .. عملنـــا مع كيسنجر اتفاق النقط الست .. وقلنـــا الانسحاب الى خط ٢٢ أكتوبر في اطار فك الارتباط بين القوتين .

هذه فكرتي .. لا فكرة كيسنجر .

كيسنجر قال : خط ٢٢ أكتوبر مأزق لاسرائيل . كان القتال يوم ٢٢ أكتوبر في قمته . وضع الاسرائيليون كل ما عندهم . جاءهم دم جديد من أمريكا . ونحن أعددنا لتعزيز قواتنا بعد وقف النار .

قبل ان يجيء كيسنجر ، أرسلت اسماعيل فهمي الى امريكا . قلت أن خط ٢٢ أكتوبر يشكل مصيدة لاسرائيل . ولذلك حاولوا أن يأخـــذوا السويس والاسماعيلية وفشلوا . نص تقرير لجنة الاعتمادات العسكرية في الكونجرس الامريكي على ان الدفرسوار هي محـــاولة لحفظ كرامة اسرائيل . سجلوا روعة قتال الجيش المصري . هذا يكفيني .

اسرائيل كانت استراتيجيا بلا قدمين في الدفرسوار .

كنت صاحب فكرة فصل القوات . فلن نضيع الـوقت في خط ٢٢ أكتوبر ، لانه مصيدة بالنسبة لهم .

وجاء كيسنجر . وعملنا النقط الست ، وهذا سبب اننا نصينا على الفصل بين القوات في هذه النقط .

واقتنع كيسنجر بأنه بدل ان يضع كل ثقل امريكا ، في خط ٢٢ ، يضع كل ثقلها في فك الارتباط .

وقد اول بعض العرب ، ان مباحثاتي الطويلة مع كيسنجر لن تكون عن فك الارتباط بل كانت عن حل منفرد ..وبكل اسف بعضهم أفهم الرئيس الاسد هذا . في معركتنا القوى هي : امريكا ـ الاتحاد الســوفيتي ـ اسرائيل .

أي اتفاق مع امريكا ينعكس على اسرائيل ، لانها تمدها برغيف العيش والفانتوم . وهذا سبب ذهاب وعودة كيسنجر بين مصر واسرائيل .

قال لي : انت في اسوان .. اجيلك ..

وحضر ..

الوقت الطويل الذى مضى ، هى فى تطويع اسرائيل التى تملك قوى تدافع عنها فى امريكا • فى كل موقع مؤثر سياسى وعسكرى • السياسة الامريكية الموضوعة منذ عام ١٩٥٨ انه اذا تحركت مصر يجب ان تضرب بدليل ان كيسنجر عندما حضر منذ شهر فى القناطر ، كان متلزما بأن تحارب أمريكا مع اسرائيل اذا بدأنا قتال تصفية الجيب الاسرائيلى •

قلت له : ولماذا ؟ ••

قـــال :

ـ أنا مقتنع بان هذا خطأ • نيكسون ايضـــا مقتنع • ونريد تغيير السياسة الامريكية • ولكن هذا لن يتم بين يوم وليلة •• حتى يمكن ان نغير السياسة الامريكية ، أمامنا جهد كبير أمام القوى السياسية وامام الرأى العـــام الامريكى • اننا متعهدون لاسرائيل بنظرية التوازن التى تفرضونها كان يجب أن نساعدها عسكريا ، فلم يكن نسمح لان تهزم اسرائيل هزيمة كاملة بسلاح روسى ••

ومضى الرئيس السادات قائلا :

ـ ومرت الثغرة • ومضت الايام العصيبة التى عشتها • الشعب عاش واستمتع بملحمة ٦ أكتوبر الا انا • كيف أهرب من المسئوليات • اننى صادق مع نفسى • ومر الوقت ، الى ان جاء كيسنجر لفك الارتباط • وهذا موضوع معقد • وانتهينا الى اتفاقية من جملة اشياء • فيه بيان تمهيدى عن اتفاق عسكرى يوقع بين رؤساء الاركان ، لان ما نحن بصدده عملية عسكرية بحتة ••

قلت للامريكان : اختاروا : خط ٢٢ أكتوبر او فك الارتباط • مش عاوزين فك ارتباط • يرجعوا الى ٢٢ وانتم وروسيا ضامنين • طبعـــا اسرائيل رحبت بفك الارتباط حتى تعود الى الشرق ، لانها تعرف انها فى مأزق عسكرى •

غدا •• سيوقع الاتفاق فى الساعة ١٢ ظهرا • وسيكون كيسنجر فى اسوان • الخطوط الرئيسية • اسرائيل ترحل من الغرب كاملا • وتدخل الى المضيق ، وتأخذ خط محدد على خريطة محدودة •

خطنا فى الشرق لن يتزحزح • كان فيه فجوات بنعدلها •• ويعود خطا مستقيما • بعض النتوءات فى الشمال عدلناها •

الامم المتحدة فى المنتصف بيننا •

واكرر ان هذا اتفاق عسكرى بحت ، وليس له أى دخل فى الحـــل السياسى • اتفاق يوضح •• احنا فين واليهود فين ••

وواضح ان اليهود لو رأوا انهم يستطيعون البقاء بدون خســـائر •• كانوا قعدوا ورفضوا انهم يتزحزحوا ••

واضح اذن •• انه لاحل منفرد •• ولا حل جزئى

اننى لا أشعر بأى عقد فى المواجهة السياسية . ويجب أن نعيش عصرنا يحدث خلال العمليات العسكرية . أن يجتمع القادة المتحاربون ، وبعد نصف ساعة تبدأ عمليات . وهكذا ..

العملية عادية . ولا اقبل ان يكون احد أو دولة ولى أمرى ولا تهمنى مزايدات من يريدون المزايدة .

ثم قال الرئيس :

ـ النقطة الاولى التى اريد ان اوضحها لكم انه اتفاق عسكرى . لادخل له بمؤتمر جنيف وعملية السلام . ولكن كيف نتكلم فى جنيف من غير وقف النار . حتى هذه اللحظة الضرب شغال . ونحن لانهدأ .

الساعة ١٢ ظهرا غدا سنوقف اطلاق النار .

ونحن نريد السلام فعلا . ونحن واضحون مع انفسنا .. وسياستى هى الا معارك سياسية مع من يزايدون .. ومع من يتهمون بأن هذا حل منفرد . لن ادخل فى معارك جانبية مع احد مهما تسفل .

.. قد يقال ما هو الوضع بالنسبة لسوريا .

اننى متعهد بفصل القوات فى سوريا مثلما تم فى مصر . وقد وصلتنى الساعة السابعة من مساء أمس برقية من الرئيس الاسد يفوضنى رسميا ان اتحدث مع كيسنجر فى فصل القوات .

احنا سلمنا الاسرى . وانا عارف انا بأعمل ايه .. انا تفاديت معركة كانت ستكون مثل معركة ٦ أكتوبر . جهد عسكرى تخطيط . قتال . خسائر . كنا سنجليهم بالقوة العسكرية . انا تفاديت كل هذا . واجهنا قليلا من الخسائر فى الايام الاخيرة . ولكنها ربع خسائر اليهود . لم نتركهم لنوم ليلا أو نهارا . كانت ستكون معركة رهيبة ، أمام السلاح الامريكى الحديث الذى لم يستخدم من قبل . تفاديت كل هذا . و... هدفنا بلا دم . العملية بنيت فوق بعضها طوبة طوبة .

وقد قلت للرئيس الاسد :

ـ أى شىء أحصل عليه كسبا لى . هو كسب لسوريا أيضا . لانى متلزم معك بفك الارتباط .

وشرح الرئيس السادات الاتفاق :

١ ـ اليهود يخرجون من الغرب بالكامل الى الشرق .

٢ ـ خطنا باقى كما هو وتعدل بأرض زيادة

٣ ـ العمليات متساوية تماما . متوازية .

٤ ـ خطنا من القناة الى الشرق . خطهم من أمام المضايق الى الخلف

كان هناك خلاف على تحديد القوات . وهنا اقترحت على كيسنجر أنه آن الاوان أن تدخل امريكا باقتراح .

انتم قاعدين تتفرجوا ، والثقة مفقودة مع اسرائيل .

قدم كيسنجر إقتراحا للطرفين . وتمت الموافقة . وهذا ما حدث
.. الانسحاب سيتم فى ٤٠ يوما . لجان العمل ستراقب .
والوثيقة الثانية في الاتفاق ، هى مشروع امريكى قدم لمصر ولاسرائيل ووقع منى هذه الليلة فقط ، بعد أن وقع من مائير . الساعة التاسعة مساء تخفيف القوات على الخطين . الخط المصرى .. نهاية خطنا فى الشرق . التحديد من نهاية خطنا فى الشرق الى قناة السويس . حددنا المدفعية بعيدة المدى . والتخفيف على الخطين معقول .

أول تنفيذ للاتفاق سيكون فك حصار السويس ، وفــــرقتى الجيش الثالث . ويوم ان يتم هذا ، علينا أن نعامل امريكا كما نعامل أوربا فى حظر البترول . أنا وعدت بهذا ، مادام امريكا قد تغير موقفها ، وتبذل جهودا كبيرة من اجل السلام . ممكن ستحدث مزايدات فى هذا من بعض، ولكن موقفنا واضح اننا نسلك سلوك الاقوياء .

ــ المستقبل .. هل هو صلح ! .. هل هو معاهدة سلام ؟ لا .. لاصلح ولا معاهدة ، وانما اتفاق سلام .

فى المرحلة المقبلة ستدخل سوريا والفلسطينيون مباحثات مؤتمر جنيف

وفى النهاية لا يصح الا الصحيح . ليس عندى حل إخبئه تحت المنضدة انى أعمل فى وضوح كامل .

ودارت العجلة .
وتحقق اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية .
والامة العربية تستعد لمؤتمر جنيف .

حـرب أم سـلام ؟

●●● هذا فصل جديد على الطبعة الثالثة ،أكتبه بعد عودتى فى الاسبوع الاول من يونيـو ١٩٧٥ من مؤتمر سالزبورج حيث التقىالرئيس السادات بالرئيس الامريكى فورد ، وبحثا قضية السلام ٠

ان هذا الفصل لا علاقة له بالنتائج التى يسفر عنها هذا الاجتماع ٠ ولكنه تحليل للموقف الامريكى الذى يتساءل عنه الناس ٠ هل هناك تغير فعـلا فى الموقف الامريكى ٠٠ والى اى مدى ؟ ٠٠

ولماذا ؟ ٠٠

ويبقى بعد ذلك السؤال الكبير :

ما هو المستقبل ؟ ٠٠

حرب ام سلام ؟ ٠٠ ●●●

لقاء فى منزل السفير الدكتور عصمت عبد المجيد رئيس الوفدالمصرى لدى الامم المتحدة ، فى قلب نيويورك • كنا على مائدة غداء بدعــوة من السفير • لبى دعوته عدد كبير من أشهر المعلقين السياسيين والصحفيين الامريكيين • كانت المناسبة ، هى مناقشتى كصحفى مصرى سافر الى امريكا ، ليتحقق من الاتجاهات الامريكية على الطبيعة •• قبيل مغادرة الدكتور كيسنجر الى الشرق الاوسط لابرام اتفاق انســحاب اسرائيلى جديد من سيناء • وهو ماعبر عنه بسياسة ((الخطوة •• خطوة)) Step by Step كان المفروض أن تستمر المناقشة بعد الغداء طويلا •• ولكننى اضطررت للاعتذار لانه كان يجب ان الحق بطائرة الساعةالثالثة بعد الظهر الى واشنطن •• فقد كان موعدى مــع الدكتور كيسنجر فى الخامسة من مساء ذلك اليوم • ولكن كان محور المناقشة •• اننى متفائل مائة فى المائة من ان الدكتور كيسنجر سوف يعود الى امريكا والاتفاق فى جيبه • وكانت أسئلة الضيوف الامريكيين على المائدة •• لماذا تقول مائة فى المائة ؟ •• وكانت اجابتى أن لدى ما يقنعنى بهذا التفاؤل •

وتساءلوا عن الموقف السورى •• واندهشوا عندما اجبت انه نفس الموقف المصرى ، بغض النظر عن التصريحات السياسيةالخشنة أو الملتهبة أن سوريا ستظفر بانسحاب اسرائيلى آخر بعد ان يتحقق الانســحاب الثانى من الجولان •

وطرت الى واشنطن • ولقيت الدكتور كيسنجر فى مناقشة مفتوحة استمرت ساعة كاملة • ولقيت بعده مساعده سيسكو فى مناقشة صريحة وتأكدت بعد هذين اللقاءين ان تفاؤلى الذى سافرت به من القاهرة ، بعد لقاء طويل مع اسماعيل فهمىوزير الخارجية فىموضعه • لقد عادكيسنجر من جولته الاستطلاعية السابقة ، بركيزة قوية تمهد لاتفاق الانســحاب الجديد • ان ما أثاروه بشأن ضرورة أن تعلن مصر انهاء حالة الحرب ، عادوا واقتنعوا بأنه الشرط المستحيل الذى لن تقبله مصر •• وكانت مهمته هى البحث عن صيغة تضمن للطرفين عدم تجديد القتال خلالفترة معينة •• وبعد ذلك يمكن الاتفاق على خطــوات انسحاب فى الجبهات الاخرى •• ثم يصبح الجو ممهدا لمؤتمر جنيف •

ويمكن ان اسجل هنا بعض الحوار الذى جرى فى لقائى مع الدكتور كيسنجر •• وخلاصة هذه الحقائق :

● ان الدكتور كيسنجر لن يترك الشرق الاوسط هذه المرة قبل أن تنجح مهمته وتنتهى الى اتفاق فك ارتباط بين مصر واسرائيل يشمل انسحاب اسرائيل من الممرات وحقول البترول فى سيناء .

● يجرى توقيع الاتفاق بالحروف الاولى فى كل من القاهرة والقدس ثم تجرى بعد ذلك المباحثات العسكرية لتنفيذ الانسحاب وكل ما يرتبط باتمام التنفيذ فى جنيف . ولو ان الامر فى جنيف سوف يقتصر على المباحثات العسكرية الا انه ليس من المستبعد ان يتابع هذه المباحثات مراقبون دبلوماسيون .

● ان الدكتور كيسنجر يقلقه التفاؤل الزائد عن الحد فى مصر ، ولكنه لو لم يكن مرتكزا الى أسس واضحة لنجاح مهمته ، لما غامر بهذه الرحلة . كما ان التصريحات الاسرائيلية الرسمية المتميزة بالعناد والمعلنة عن عدم الانسحاب الا مقابل شرط انهاء حالة الحرب .. تقلقه .. وقد احتج لدى الاسرائيليين عليها أكثر من مرة .

● العقبات التى يتوقع مواجهتها فى اسرائيل تتلخص فيما يلى :

١ ـ ان العقلية الاسرائيلية من طبيعتها العناد الشديد أمام التنازلات التى يجب أن تتحقق لايجاد مخرج نحو السلام . وهو يعلق ضاحكا على العقبات الاسرائيلية بأنها تمثل ٣ ملايين عقبة أى بعدد سكان اسرائيل .

٢ ـ ان القلق على مستقبل الوجود الاسرائيلى قد تزايد كثيرا بعدحرب أكتوبر .. وان مصر تتمتع بالثقة والصبر النابعين من الوجود التاريخى الراسخ عبر آلاف السنين . ولكن الوجود القصير لاسرائيل يعنى الخوف من التراجع كيلو متر واحد . ولكن التجربة مع اسرائيل توضح ان اسرائيل تبدأ دائما بالرفض ولكن النتائج تأتى فى النهاية مختلفة عن المواقف الاولى .

٣ ـ الحكومة الاسرائيلية ليست على اتفاق بين اعضائها .

٤ ـ حكومة رابين تواجه موقفا صعبا ، لانها تعيش بأغلبية صوت واحد

٥ ـ الشكوك فى الضمانات التى يمكن ان تقدم ، بحجة ان الضمانات يمكن ان تفسر فى المستقبل تفسيرات مختلفة ، ولكن الاحتفاظ بالارض هو ما يتصورونه الضمان الاكبر الذى يعطيهم الامان .

● وكان الدكتور كيسنجر يقدر لمهمته اسبوعين .. وان كان سيسكو قال لى بعد ذلك انها لن تكون أقل من ثلاثة اسابيع .. ولكن كيسنجر قال لى : هذه المرة سابقى حتى انهى مهمتى . كما قال أن أى مساعدة أو ضمانات يمكن ان تقدمها الولايات المتحدة .. نحن مقبلون على تقديمها بكل اسلوب .

● وأمتدح الدكتور كيسنجر الرئيس السادات كثيرا .. وقال

أكثر من مرة خلال اللقاء : ان الرئيس السادات زعيم وطنى عظيم وواحد من ابرز رجال الدولة الممتازين الذين قابلتهم ·

ثم قال : وكلنا ندين له فى خطوات السلام ·

أما سيسكو فقد كان اكثر حذرا فى نقاشه معى · وقال لى ان المجال أمام رابين والون فى التحرك ضيق ومحدود · وان على رابين عندما يواجه الكنيست ان يقول لهم ماذا اخذ مقابل الانسحاب الجديد · وان حزب العمل ليس متكاملا ولا متحدا · وان بيريز وزير الدفاع يشكل قوة مناهضة لرابين ·· وان ٣٩ صوتا هى أصوات حزب ليكود فى الكنيست ضد أى اتفاق من أى نوع · وقال لى ان المخرج هو البحث فى الضمانات المقنعة لاسرائيل ، وان هذه الضمانات يجب ان تكون معلنة · واذا امكن أقناع اسرائيل ، فان المهمة تصبح سهلة فى داخل أمريكا ·· يقصد أقناع المجموعات الصهيونية الامريكية سواء فى الكونجرس أو خارجه ·

⊙❖⊙

ولكن سيسكو لم يكن متشائما ·

كان متفائلا ·· ولكن بحذر · وكان يدعم كلماته بأن رجال الكونجرس الامريكى الآن · الذين كانوا منحازين لاسرائيل تماما ، يؤيدون خطوات السلام ·

ولا أريد أن استطرد في هذا المجال ·· بعد ان فشلت مهمة كيسنجر ·

والسؤال الذى يفرض نفسه ·· لماذا فشل كيسنجر ؟ ··

والجواب بكل بساطة أن اسرائيل ارادت ان تقتل كيسنجر ·

ولا يعنى هذا أن كيسنجر اصبح عربيا ! ·· او انه اصبح منحازا لحقوق العرب !

هذا طبعا ليس صحيحا على الاطلاق ·

ان كيسنجر يؤيد تماما ، ويحمى تماما ، الالتزام الامريكى ببقاءاسرائيل وحمايتها ودعمها · ولكن هناك فرصة للسلام ، لاتتعارض مع بقاءاسرائيل ودعمها · ولكن هناك فرصة للسلام ، لاتتعارض مع بقاء اسرائيلودعمها وحمايتها · ثم هناك المصالح الامريكية في الشرق الاوسط ، بعد أن ثبت بهزيمة اسرائيل فى أكتوبر أنها لاتصلح كلب حراسة للمصالح الامريكية ثم خطر الحظر البترولى على الاقتصاد الامريكى والاقتصاد العالمى ·· ثم خطر احتمال المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ··

ولكن اسرائيل لا يهمها كل ذلك ·· فى مقابل الاحتفاظ باطماعها ·· وفي مقابل كسب الوقت ، وانتهاز فرصة ·· تضرب فيها ضربة عسكرية تعيد بها فلسفة الامن الاسرائيلى المنهارة · وهى فى هذا معتمدة على المساعدات العسكرية التى حصلت عليها من امريكا ، بعد حربأكتوبر

وامامي تقرير اللجنة الخاصة (١٨ عضوا) لمجلس النواب الامريكي عن المساعدات العسكرية لدول الشرق الاوسط · وكانت هذه اللجنة قد زارت المنطقة من ٦ الى ١٧ فبراير ١٩٧٥ ·

ان اللجنة تقرر أن اسرائيل حصلت على المساعدات العسكرية التالية:

٣٠ مليون دولار في عام ١٩٧٠ ·
٤٥٤ مليون دولار في عام ١٩٧١ ·
٣٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٢ ·
٣٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٣ ·
٢٥٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٤ ·
٣٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٥ ·

ويصل المجموع مع مبالغ أخرى الى ٣ آلاف مليون دولار و ٩٧٥ ألفا - أي حوالي ٤ آلاف مليون دولار · لم تدفع منها اسرائيل الا ٧٠ مليون دولار فقط ! ·· هذا عدا مساعدات غير عسكرية وصلت الى أكثر من ٩٠٠ مليون دولار !·· هذا عدا التبرعات غير الحكومية ، المعفاة من الضرائب ، والتي يجمعها اليهود الامريكيون بلا انقطاع ·

واسرائيل تطالب للسنة المالية الجديدة ١٩٧٦ بما قيمته ألف مليون دولار من الاسلحة الحديثة · وأوضحت اللجنة أن اسرائيل تريد الاسلحة عونا بلا دفع · كما تطالب على مدى السنوات المقبلة بما قيمته ألف مليون دولار سنويا · وحجة اسرائيل التي قدمتها لاعضاء لجنة الكونجرس لتبرير هذه المطالب العسكرية الخرافية تتخلص فيما يلي :

١ ــ ان اسرائيل تواجه الآن انسحابا من بعض الاراضي المحتلة ، ولذلك فهي تريد زيادة في التأمين ·

٢ ــ ان اسرائيل القوية تحمي مصالح أمريكا القومية لانها تشكل قاعدة أمريكية للتصدى للنفوذ السوفيتي في الشرق الاوسط ·

٣ ــ ان اسرائيل ستتنازل في مباحثات كيسنجر عن شيء مادي هو الارض ، مقابل شيء غير مادى ·· ولذلك فهي في حاجة الى ضمان مادي للدفاع عن نفسها ، وهذا الضمان يتحقق بالتسليح المتقدم ·

وتقول اللجنة أنها لم تسمع هذه الاعتبارات من حزب ليكود المعارض (٣٩ صوتا) ولكن من أعضاء الحكومة الحالية · وقد سمعت من رابين رئيس الوزراء قوله أن تقوية اسرائيل بالسلاح ، سيقنع العرب ، أنهم لن يكسبوا شيئا بالحرب ·· وبذلك يمكن أن يتساهلوا في اقرار السلام !·

خلاصة الكلام ، أنها عملية نصب وابتزاز ، كل هدفها أن تعود إسرائيل الى احياء فلسفة الامن الاسرائيلى ، التى قضت عليها حرب أكتوبر ٠٠ متصورة أن الفرصة ستسنح لها ، للانتصار فى حرب جديدة ٠

وهذه الحجج لم تعد مقنعة عند عدد محدود من اعضاء الكونجرس الامريكى الذين كانوا متأثرين بمنطق اسرائيل بأن مصر والدول العربية تريد ابادة اسرائيل ، والقاء سكانها فى البحر ٠٠ لقد وضح لهم ان الاتحاد السوفيتى ملتزم بالمحافظة على بقاء اسرائيل ٠ ووضح لهم ان السلام النهائى ، بعد عودة اسرائيل الى خطوط ٦٧ ، وبعد الحل العادل للمشكلة الفلسطينية ، يفرض ايضا على كل الاطراف وجود اسرائيل ، ووضح لهم ايضا أن مصر وسوريا جادتان فعلا فى الوصول الى سلام ، كما ذكرت أكثر من مرة ، فان امريكا تعرف أن الموقف الرسمى لسوريا ، هو نفس الموقف الرسمى لمصر ، وان الرئيس الاسد يمثل السياسى العربى المعتدل الواقعى فى كل اتصالاته بأمريكا ، بغض النظر عن التصريحات السياسية الساخنة التى يمكن أن تصدر لاسباب مفهومة ٠

نعم هذه الحجج لم تعد مقنعة عند عدد من اعضاء الكونجرس ٠ ولكن النفوذ اليهودى الخطير فى الكونجرس ، وفى البيت الابيض ، والمتغلغل منذ اكثر من مائة عام فى كل نشاطات المجتمع الامريكى ، والذى تضاعف فى السنوات العشرين الماضية الى درجة اصبحت مهددة للاقتصاد الامريكى ولمصالح امريكا الخارجية ٠٠ هذا النفوذ يمكن أن يجمع الاصوات فى الكونجرس لصالح استمرار تسليح اسرائيل بهذه المبالغ الخيالية ٠ وليذهب السلام الى الجحيم ٠٠ وهذا ما حدث فعلا ، قبل لقاء سالزبورج ـ بالخطاب الذى وقعه ٧٦ شيخا امريكيا (أعضاء مجلس الشيوخ ١٠٠) ووجهوه الى الرئيس فورد مطالبين استمرار المساعدات العسكرية لاسرائيل

من اجل هذا قتلت اسرائيل مهمة كيسنجر معتمدة على قدرتها ، على اخراجه من منصبه ، أو شل حركته ، بواسطة القوى اليهودية الامريكية المتغلغلة فى المواقع الرسمية والشعبية المؤثرة ٠

ولو لم يكن كيسنجر يهوديا ٠٠ لاستطاعوا توجيه الضربة القاضية ، باتهامه بالعداء للسامية ٠٠ ولكن كيسنجر يقول فى احاديثه الخاصة : ماذا يمكن أن يقولوا عنى ؟ ٠٠ اننى يهودى أولا ٠٠ كما اننى مهاجر من ألمانيا بعد القهر النازى لليهود الالمان ٠٠ أنا عانيت مما عاناه كل يهودى ٠

واسرائيل تعتمد فى تدخلها فى الادارة الامريكية وقدرتها على فرض ارادتها ٠٠ على أن ادارة الرئيس الامريكى فورد تواجه متاعب داخلية ، بسبب الغالبية الديمقراطية فى الكونجرس ٠٠ وبعد فشل السياسة الامريكية فى الشرق الاقصى المسئول عنها كيسنجر ٠ أن مجلس الشيوخ

المكون من ١٠٠ عضو ، من بينهم ٦٠ ديموقراطيا و ٣٨ جمهوريا واثنان مستقلان • وفي مجلس النواب ٤٣٥ عضوا من بينهم ٢٩٠ ديمقــراطيا و١٤٥ جمهوريا •

وقد استطاع السناتور الصهيوني جاكسون ان يفسد الاتفاق التجارى بين أمريكا والاتحاد السوفيتي ، بما يمكن ان يهدد سياسة الوفاق •• لولا حرص القيادة السوفيتية والقيادة الامريكية على مواجهة كل العقبات التي تهدد الوفاق •

قتلت اسرائيل مهمة كيسنجر

وشعر كيسنجر باللطمة •• والتمعت الدموع في عينيه وهو يغـادر اسرائيل •

وشعر فورد باللطمة •• فقرر اعادة تقييم السياسة الامريكية فيالشرق الاوسط ، وهدد بأسلوب غير مباشر ، بعدم استمرار المعونات العسكرية الجديدة لاسرائيل ••

ويحاول فورد الآن تجاوز الاهانة التي لحقته من اسرائيل •

وهو الذي دعا الى الاجتماع بالرئيس السادات في سالزبورج •

ويصدر هذا الكتاب • وربما تكون امريــكا قد اعلنت عن مشروعها للسلام • وربما تحدث خطوة سلام جزئية • ولكن أزمة الشرق الاوسط ستبقى مستمرة • واحداث المستقبل في رأيي متوقفة أساسا ، على موقف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتي •• وموقفنا من هاتين الدولتين • ثم على مدى صمود التضامن العربي الذى خلقته حرب أكتوبر • وموقف المقاومة الفلسطينية •

وليس هذا الفصل بحثا في كل هذه العناصر ، التي تحتاج الى مؤلف خاص •

ولكنني اريد أن احدد الاجابة على سؤال حائر ، بعد ان بدات صفحة جديدة في العلاقات بين مصر وامريكا • هذا السؤال هو •• هل هناك فعلا تحول داخل امريكا ينادى بالالتزام بحماية بقاء اسرائيل •• دون الالتزام بحماية التوسع الاسرائيلي في الارض العربية ؟ ••

ان اسرائيل في رأيي ، ستساوم حتى آخر دقيقة ، لكي تكسب وقتا ، وتعيد مأساة الحرب من جديد ، على أمل الانتصار هذه المرة •

ان خسارة اسرائيل في حرب أكتوبر ، طبقا لتقرير لجنة الكونجرس وصلت الى ٨ آلاف مليون دولار تشملالانتاج المدني • وقبلحرب أكتوبر كانت اسرائيل تصرف ١٧٪ من انتاجها القومي في الاعداد العسكرى • وخلال حرب أكتوبر صرفت اسرائيل ٤٧٪ من انتاجها القومي • وما تعتزم اسرائيل صرفه في عام ١٩٧٥ يصل الى ٣٠٪ من مجموع الانتاج القومي •

وهى فى سبيل هذا الاعداد العسكرى لحرب مقبلة ، تعانى تضخما وصل الى نسبة ٥٦٪ فى عام ١٩٧٤ ، واضطرت اسرائيل الى تخفيض عملتها بنسبة ٤٣٪ • والمواطن الاسرائيلي يدفع أعلى ضرائب فى العالم • ان الضرائب تشكل ٦٢٪ من الدخل القومي • وديون اسرائيل الخارجية التي كانت ٤ آلاف مليون دولار فى ١٩٧٢ ، وصلت الى ٨ آلاف مليون دولار فى عام ١٩٧٥ • وهى من أكبر نسب الديون بين دول العالم كله • وهذه الديون لا تشمل طبعا ، ثمن الاسلحة الضخمة الذى تحصل عليه من أمريكا بالمجان •

والعجز فى ميزان المدفوعات الاسرائيلى يصل الى ألفى ونصف مليون دولار فى عام ١٩٧٦ ، مقارنا بألف وربع مليون دولار فى عام ٧٥ و ٤٠٠ مليون دولار فقط فى عام ١٩٧٤

واحتياطات العملة الصعبة لا تتجاوز ألف مليون دولار ، بينما الالتزامات الداخلية تصل الى ٣ آلاف ونصف مليون دولار •

•• ومع كل هذه الاوضاع الاقتصادية الطاحنة •• فان اسرائيل تفضل كسب الوقت ، لكي تستعيد كرامتها العسكرية المنهارة ، وتثبت أطماعها •

وأعيد السؤال ؟ ••

هل يمكن القول بوجود تحول حقيقي داخل أمريكا ، يكتفى بحماية بقاء اسرائيل ؟ •

وللرد أقول ••

أنه يوجد فعلا تحول فى الرأى العام الامريكى ••

ولكنه تحول محدود ••

ولا يمكن القول أنه نما الى الدرجة الكافية •

كل من قابلتهم فى واشنطن ونيويورك ، وبغير استثناء ، ابتداء من الدكتور كيسنجر وأعضاء الكونجرس وألمع الكتاب •• يحملون احتراما عميقا « لانور السادات •• الرجل العظيم •• الزعيم القوى •• رجل الدولة الممتاز •• رجل السلام » ••

هذه العبارات سمعتها تتردد فى كل حوار ونقاش ، وفى خلال الجلسة الواحدة مرات ومرات •• وخاصة ممن التقوا بالرئيس السادات لقد بهرهم بطريقة خارقة •

وعندما كنت فى ضيافة السناتور برسى (ممثل الينوى) فى مكتبه بمجلس الشيوخ تصادف أن تلقى ـ وأنا معه ـ صورة للرئيس السادات هدية من الرئيس له •• فصاح الرجل فرحا •• هذا شرف كبير أعتز به •• وموقف السناتور برسى يعتبر من علامات هذا التغيير ••

انه يمثل ولاية تعتبر السادسة بين ولايات أمريكا في عدد اليهود بها ٠ وبينما أصواتهم تقرب من ربع المليون ٠٠ لا يوجد فى ولايته أكثر من ٣٥٠ أمريكيا من أصل عربى ٠ اليهود الامريكيون اذن لهم تأثير ضخم فى ولايته ٠٠ وقد كان السناتور برسى مع عضويته فى مجلس الشيوخ ، عضوا فى الوفد الامريكى لدى الامم المتحدة ٠ ولم تخرج مواقفه أبدا عن التأييد الكامل لاسرائيل ٠ بل هو واحد من ٧١ شيخا أمريكيا وقعوا عريضة احتجاج بعد سماح الامم المتحدة لياسر عرفات بالخطابة على المسرح الدولى ٠٠ وقبول منظمة التحرير كمراقب ٠ ثم سافر السناتور برسى الى الشرق الاوسط ، وزار ١٢ دولة من بينها اسرائيل ٠ والتقى بالرئيس السادات ٠٠ وعرف الحقائق ، وعاد الى أمريكا ليعلن : « ضرورة انسحاب اسرائيل الى حدود ٦٧ ، وضرورة اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير وأن يكون للفلسطينيين دولة » ، وقال أن اسرائيل يجب ألا تعتمد الى ما لا نهاية على أن أمريكا ملزمة بالاستجابة لمطالبها العسكرية من الاسلحة التى تجاوزت كل حدود ٠٠

والسناتور برسى فى كل هذا ملتزم ببقاء اسرائيل واستمرارها ٠

●● **قال لى :** لست ضد اسرائيل ، التزامى قائم ٠ ولكنى مع السلام ٠٠ مع الحق ٠ لقد حاولوا تحريف تصريحاتى ٠٠ ونشرت بعض الصحف كلماتى تحت عناوين مثيرة ٠٠ على من تعتمد يا سناتور برسى ٣٥٠ صوتا عربيا فى الينوى أو ربع مليون صوت يهودى ! ٠٠

●● **ثم قال :** ولكن هذا لا يهمنى ٠ اننى أعلن رأيا سـوف يعرف الجميع أنه الرأى الصحيح ، ورأيى لمصلحة سلامة اسرائيل ، لانه لاسبيل الآن الا السلام ٠ وبالامس فقط كنت على مائدة عشاء مع هنرى (يقصد الدكتور كيسنجر) وقلت له : ستسافر غدا ٠٠ لا سلام الا بالانسحاب الكامل والاعتراف بمنظمة التحرير ، (ثم قال ضاحكا) واذا كان كيسنجر يقول ان احتمالات نجاحه ٥٠٪ فأننى أقول أنها ٥١٪ حتى تكون الغالبية مع النجاح ٠٠

●● **وقلت للسناتور برسى (وهو من أنجح رجال الاعمال)** ٠٠ المشكلة أن أمريكا تعطى أسلحة بكميات ضخمة لاسرائيل بحجة أن هذا يطمئنها ٠٠ والصحيح أنه يشجعها على العناد ٠٠

●● **قال :** مسألة الاسلحة هذه ٠٠ مسألة هامة ٠ ان المطلوب منا شيء كثير ٠٠ وأصبح يكلف ميزانية أمريكا عبئا ضخما ، لم نعد نتحمله ٠٠ ولذلك فان السلام أصبح ضرورة من جميع النواحى ٠ ان أنور السادات يؤدى الآن دورا تاريخيا سيذكره له العالم كله ٠ ولست من مؤيدى الذهاب الفورى الى جنيف قبل خطوات حلول عملية لمشكلة السـلام ٠٠ سوف يتحول المؤتمر الى مسرح لتبادل الاتهامات ٠٠ وانتهى الامر ٠

● ● **وقال السناتور برسى (وهو يبدو شابا رغم أنه جاوز الخمسين)** ٠٠ فى زيارتى لدول الخليج سمعت من يقول لى ٠٠ اتركوا اسرائيل ٠٠ ان مصلحة أمريكا مع البترول العربى ٠٠ ولكنى لست من دعاة ذلك ٠٠ لقد خسرت أمريكا خسائر ضخمة فى المال والعتاد والارواح دفاعا عن فيتنام ٠٠ وليس لنا مصالح اقتصادية مع فيتنام ٠٠ اننى أتكلم من قاعدة المبدأ ٠٠ اسرائيل يجب أن تعيش ٠٠ ولكن يجب أن ينال العرب حقوقهم ٠٠ وهذه فرصة سلام من صالح اسرائيل أن تغتنمها ٠

وقال لى السناتور برسى : ولست من المتصورين أن الانسحاب من مرتفعات الجولان يشكل عقبة أمام السلام ٠ ان الرئيس الاسد معتدل وسياسى معقول ٠ ولم أجد فى كلامه معى أى تطرف ٠ ربما بدت التصريحات الرسمية غير ذلك ٠٠ ولكن التفاهم مع الرئيس الاسد ممكن وطبيعى ، وأنا أفهم بعض الاوضاع الحزبية التى تدفع الى تصريحات علنية تبدو غير معتدلة ٠٠

لا أريد أن أستطرد فى حديث السناتور برسى ٠٠ ولكننى أكتفى بهذا القدر ، فهو يمثل طبيعة التطور فى الموقف الامريكى :

لن تتخلى أمريكا عن اسرائيل ٠٠

ولكن من حق العرب أن يحصلوا على حقوقهم ٠٠

ولكن هذا الموقف يلقى مقاومة من القوى الصهيونية داخل امريكا ٠ مثلا ــ سؤال يلاحقه ــ وكيف تدافع يا برسى عن عرفات الذى خطب فى الامم المتحدة وفى جيبه مسدس ؟ ويجيب برسى : لم يكن عرفات يحمل مسدسا ٠ كان جيبه فارغا ٠٠ هذه هى الحقيقة ٠

والسؤال ٠٠ هل يمكن أن ينتشر موقف السناتور برسى بين أعضاء مجلس الشيوخ ٠٠ ومجلس النواب الامريكى ؟ ٠٠

لا شك أن زيارات أعضاء الكونجرس لمصر ولمنطقة الشرق الاوسط ، قد أحدثت بعض التحول المتوازن فى تفكير عدد منهم ٠ وبعد أن كانت التصريحات الامريكية لاعضاء الكونجرس قبل حرب أكتوبر هى كليشيه واحد لا يتغير ، يساند اسرائيل مساندة عمياء ، باستثناء مواقف السناتور فولبرايت (الذى ترك مجلس الشيوخ بعد سقوطه فى الانتخابات) ٠٠ وأتيحت لى الفرصة أن أقابله أيضا ٠ أقول بعد أن كانت التصريحات الامريكية كلها داخل كليشيه واحد ٠٠ بدأت تظهر تصريحات معتدلة ٠٠ وبدأ البعض يفضل الصمت !! فقد سمعت من سناتور رفض أن يعلن عن اسمه ، وقال أنه يؤيد آراء السناتور برسى ، ولكنه لن يعبر عنها ٠٠ حتى لا يتعرض لما تعرض له برسى من حملات وضغوط ٠

ولكن محك الموقف الحقيقي .. سيظهر بعد تحديد واضح للسياسة الامريكية في استمرار المساعدات العسكرية لاسرائيل .. أو توقفها .. وأمر هذا في يد أعضاء الكونجرس ، عند مناقشة هذه المساعدات .

● **قال لى هاملتون عضو مجلس النواب الامريكي ، ورئيس لجنة الشرق الاوسط :**

ـ « ان المواقف العظيمة التي يتخذها الرئيس أنور السادات ، تؤكد أنه رجل سياسة من الطرز لاول . لقد بهرتنا هــذه المواقف من أجل السلام ، لاننا رجال سياسة . ولكنى أحب أن أكون واقعيا في تقدير مدى التحول ، اذا رسمنا خطا بيانيا للموقف .. فان اسرائيل كانت فى قمة الصمود ، ومصر كانت فى قاع الهبــوط بالنسبة لعلاقات الاثنتين مع أمريكا . فى رأيى أن الخط البيانى المرتفع لاسرائيل لايزال كما هو . ولكن أرتفع الخط البيانى لمصر من الادنى الى المتوسط فقط » .

وللمستر هاملتون موقف متوازن ، عنــدما عرض موضــوع المعونة الامريكية لمصر واسرائيل . لقد طلبت بعض الاصــوات زيادة المعونة لاسرائيل .. وفى المقابل طلب هاملتون زيادة المعونة لمصر فأصبحت ٢٥٠ مليون دولار ..

وهو يقول لى : هناك شعور عام بين أعضاء الكونجرس ، بالامل فى السلام فى الشرق الاوسط .

ولا شك أن الاتصال المستمر بين مصر وأمريكا على مختلف المستويات .. وخاصة الكونجرس .. ومخاطبة كل المتصلين بالسياسة الخارجية ، سيساعد على مزيد من التفهم . وخاصة أنه أصبح الآن هناك اقتناع لدى الدوائر الامريكية المختلفة ، بأن مصر وسوريا والاردن ليست لديهما النوايا لتدمير اسرائيل ، كما بدأ التفكير فى أمريكا بأن هناك مصالح أمريكية يجب أن تسبق المصالح المشتركة مع اسرائيل ..

ولما سألته : كيف ترى مستقبل العلاقات بين مصر وأمريكا ؟

قال هاميلتون : أكرر أننا نرى فى الرئيس السادات رجل دولة ممتازا، ورجل سلام . وزعيما عظيما يريد أن يبنى بلده . ولابد من مســاعدة مصر ، والتعاون معها بكل الطرق والامكانيات ، فى عملية البناء الداخلى التى بدأت باعادة بناء مدن القناة ، وهذا عمل ايجابى ضخم ، اننا نؤيد اتساع مجال التعاون مع مصر .

وكنت قد رأيت قبل ذلك السناتور سباركمان الذى خلف السناتور فولبرايت فى رئاسة لجنة الشئون الخارجية . لقد سبق أن زار مصر ، والتقى بجمال عبد الناصر ، وهو لا ينسى أن عبد الناصر استبقاه بعــد

العشاء حتى منتصف الليل . وقد قال لى أن لجنة الشئون الخارجية تؤيد الدكتور كيسنجر وتؤيد كل خطوة من أجل السلام .. أما فى موضوع تسليح اسرائيل فقد كان متحفظا ، وقال لى اننا نسعى لايجاد توازن القوى ..

قلت له : هذه هى المشكلة .. توازن القوى ..

قال : وعندما تعلن حالة انهاء الحرب في الشرق الاوسط .. فان السلام سيزدهر ..

قلت : كيف يعلن ذلك قبل حل المشكلة أساسا .. وقبل الانسحاب الكامل ؟

قال : الحق اننى لست ملما بتفاصيل المشكلة .. ولكنى أقول لك اننا نؤيد السلام . ونؤيد جهود الدكتور كيسنجر ، وكل أملى أن أزور مصر لالتقى بالرجل العظيم الرئيس أنور السادات . وقد أشار على الدكتور كيسنجر بزيارة مصر ولقاء الرئيس السادات . وأرجو أن أفعل . لقد كانت أمريكا أول دولة اعترفت باسرائيل ، ونحن ملتزمون ببقائها .. وعندنا أمريكيون يهود كثيرون .

⊙❖⊙

هذه ثلاث صور أردت أن أقدمها للقارىء المصرى ، لتفكير بعض أعضاء البرلمان الامريكى .

● السناتور برسى .. كان منحازا لاسرائيل . أصبح مقتنعا بالحق العربى ، مع التزامه بحماية اسرائيل دون حماية توسعها .. وقد تعرض لحملة ضارية ولكنه لم يتراجع .. بل اننى عندما استأذنته فى نشر نقاشنا ، رحب بذلك .. وقال لن يهمنى شىء . هذا رأيى وسيجىء اليوم الذى يعرفون فيه أننى على حق .. لن تستعبدنى أصوات الانتخابات .

● هاملتون .. عضو مجلس النواب . وهو رجل عميق ، يمثل الاعتدال والتوازن ، ويؤيد السلام ، ويطالب بمساعدة مصر فى بنائها الداخلى .. ولم يكن كذلك من قبل .

● السناتور سباركمان .. وهو رجل ليس ملما بتفصيلات المشكلة ، ولكنه مقتنع بأن مصر أرض سلام .. وكان ضد الموقف العربى قبل حرب أكتوبر .

والجميع يؤيدون خطوات كيسنجر ..

⊙❖⊙

هذه الصور الثلاث ، يمكن أن تصبح ثلاثمائة صورة . لو أننا خططنا فعلا ، لصلات مستمرة مع أعضاء الكونجرس الامريكى وأجهزة الاعلام . هناك فعلا أعضاء صهيونيون ، لن يتزحزحوا عن التأييد الاعمى لاسرائيل ،

ولو على حساب المصالح الامريكية ، ولو على حساب السلام · ومثلهم الاول السناتور جاكسون والسناتور جاثتز · ولكن هناك أعضاء عديدون ، يمكننا اقناعهم بالاتصال المستمر ، والحجة المتبادلة ، وهؤلاء اما أنهم يمثلون ولايات لا توجد فيها أصوات يهودية عديدة مؤثرة ·· أو أنهم مؤمنون بالسلام مما يشجعهم على اتخاذ مواقف قادرة على التمرد على النفوذ الصهيونى ·

وكلنا فى الحق لا نزال نعتمد على شخص أنور السادات ··

لاشك أن كل من التقى بأنور السادات ، خرج مقتنعا بموقف مصر ، وبالحق العربى ·

ولكن هذه ليست مهمة رئيس الدولة ، وهى مسئولية مرهقة فوق مسئولياته الهائلة ·

لقد غيرت حرب أكتوبر ، من الموازين ، وجاءت المقاطعة البترولية ، لتقنع الرأى الامريكى بأهمية التفاهم مع العرب ، وعدم التضحية بمصالح أمريكا فى سبيل حماية الاستعمار الاسرائيلى لاراضى العرب بالقوة ·· وانكار وجود الشعب الفلسطينى ، الذى هو قائم ولن يتلاشى كما صورت الدعاية الاسرائيلية ·

والملاحظ الآن أن المناقشات التى تجرى فى الجامعات الامريكية وفى مختلف التجمعات ، تأخذ طابع الرغبة فى الفهم ، وقد تخلصت من ظاهرة التعصب الاعمى لاسرائيل ومعاداة العرب ·

ان جدول محاضرات الدكتور أشرف غربال سفيرنا فى أمريكا ·· محجوز دائما لاشهر مقبلة · وهو لا يكاد يمضى يومين دون القاء محاضرة عن الموقف المصرى العربى ·· تعقبها مناقشات ·· ومرة ، وبعد أن ألقى محاضرته ، وقف أحد الحاضرين يقول : (انى لا أريد أن أناقش ولكن لى تعليقا واحدا ·· بورك فى مصر التى اختارت شخصا ممتازا مثلك ، ليتكلم بصوتها) · ثم كان التصفيق المدوى من جميع الحاضرين وقد حققت الدكتورة ليلى تكلا عضو مجلس الشعب فى جولتها الاخيرة فى أمريكا · نجاحا ضخما · وألقت ١٥ محاضرة أعقبتها مناقشات مقنعة ·

وللدكتور عصمت عبد المجيد رئيس وفدنا فى الامم المتحدة ، جهد ممتاز ·· وسافر الى أمريكا فى أبريل من هذا العام ، وفد برلمانى مصرى بدعوة من الحكومة الامريكية ، أمضى ثلاثة أسابيع فى اتصالات برلمانية ·· وهذا أول نشاط برلمانى جماعى نقدم عليه ·· ولكنه يعبر عن قطرة فى بحر ··

وقد عرض التليفزيون الامريكى فيلما عن الرئيس أنور السادات استغرق ساعة كاملة ·· لقى نجاحا كبيرا ·· وأعيد عرضه مرة أخرى على نطاق أمريكا كلها ·· وأعرف أن اعداد هذا الفيلم استغرق فى مصر أكثر من أربعة أشهر · وسئل الرئيس السادات فى هذا الفيلم : (ماذا تريد أن

يكتب على قبرك) •• فقال : « رجل عاش من أجل المبادىء ومات من أجل السلام » •• وهذه العبارة يرددها كل من شاهد الفيلم اعجابا بشخص السادات ••

لقد عرفت أمريكا بعد حرب أكتوبر أن العرب لن يخضعوا • عرفت أن العرب لن يلقوا باسرائيل فى البحر •• عرفت أن مصر على استعداد لتعاون وثيق لحل القضية •

ولكن هذا لا يعنى أن الطريق سهل •• أكرر أنه لابد من جهود مضاعفة •

لقد تغلغل النفوذ الصهيونى ربع قرن من الزمان •• حتى أن القانون لم يعد له أقدام داخل الكونجرس كما قال السناتور فولبرايت •• لقد حدث أن أدخل السناتور جاكسون (صهيونى متطرف) تعديلات فى الجلسة العلنية لمجلس الشيوخ على برنامج المساعدات طالب بـ ٥٠٠ مليون دولار لاسرائيل وافق عليها المجلس) •• مع أن القانون يشترط عرض التعديل على لجنة العلاقات الخارجية ثم لجنة الميزانية ، ثم تتقدم اللجنتان بتقريرهما الى المجلس • كل هذا لم يراع ، ووافق المجلس على التعديل فى نفس الجلسة العلنية ••

يقابل هذا بعد حرب أكتوبر تأييد الكونجرس لبرنامج المعونة لمصر • تحت تشريع استمرار العمل بالميزانية القديمة •• وهذا يعنى عدم اقرار أى معونة • لان التشريع يشترط أن يكون لنا معونة فى السنة السابقة • ولم يكن لنا معونة فى عام ١٩٧٣ •• ومع ذلك فقد وافق الكونجرس على ١٥٠ مليون جنيه كعنصر جديد فى استمرار الميزانية •• والباقى ١٠٠ مليون جاء فى الميزانية الجديدة ••

هذه اذن تغييرات فى الموقف الامريكى • ولكنها طفيفة •• ورغم أنها طفيفة فان القوى اليهودية الامريكية تقاومها فى منتهى العنف •• ان هذه القوى لا تريد أن تدع الفرصة للمواطن الامريكى أن يفكر •• انها تريد أن تملى عليه تفكيرها •• تريد أن تشل حرية تفكيره تماما • وأكثر من ظاهرة تابعتها خلال رحلتى الاخيرة الى أمريكا ••

الظاهرة الاولى هى محاولة ايهام المواطن الامريكى ، ان التضخم الذى يعانيه ، وارتفاع الاسعار ، وزيادة البطالة التى قيل أنها وصلت الى ٨ ملايين بلا عمل •• كل هذا سببه ارتفاع أسعار البترول العربى ! •• ومن ثم سوف يواجه الكارثة اذا ما قام العرب بحظر البترول عنه •

وهذه دعوى باطلة تماما ، لان ما تستورده أمريكا من البترول العربى يصل فقط الى ١٥ ٪ من استهلاكها الداخلى •• كما أن ارتفاع الاسعار فى كل المواد بدأ قبل ارتفاع الاسعار فى البترول الذى تحقق فقط بعد حرب أكتوبر •• وأسعار المواد الاخرى فى ارتفاع تدريجى منذ سنوات • والنسبة

التي أثر بها البترول في موجة ارتفاع الاسعار في المجتمع الرأسمالي لم تزد على ٢ ٪ •• ومع ذلك فالدعوة الصهيونية التي لا يكاد يخلو منها تصريح رسمي من اسرائيل ، أو اشارات منكررة ومتعمدة في وسائل الاعلام الامريكي •• هي ان أمريكا واوربا لا يجب أن تركعا أمام شيوخ البترول •• وقد ظهر اعلان ـ لا يمكن وصفه الا بالوقاحة ـ في صحيفة النيويورك تايمز في صفحة كاملة مدونه بهـا صورة مرسومة قريبة الشبه من الملك فيصل •• وقد كتب فوقها عبارة واحدة (هل ستترك هـذا الرجل الذي سيحول حياتك الى تعاسة ؟ ••)

وأنا لا أشـك لحظة في أن تصريح الدكتور كيسـنجر الذي هدد فيـه باستخدام القوة والاستيلاء على منابع البترول اذا تعرض الاقتصاد الامريكي للاختناق ، كان مقصودا به مجـاراة المد الصـهيوني •• رغم أن كيسنجر يتعرض لحملة هجوم صهيونية منظمة ، تستهدف عرقلة خطوات السلام ، وتستهدف تجريح كيسنجر في الداخل • ولكن لعله أراد ، أن يثبت انه ليس منجرفا مع العرب •• وان مصالح أمريكا هي قبل كل شيء •• وان كان قد أصدر تبريرا لهذا التصريح انه كان مجرد رد على سؤال افتراضي •• عن حالة ليس من السهل أن تقع ••

وقد كانت جولات وزير البترول السعودي في أمريكا ، وتصريحاته في الصحافة والتليفزيون ، ناجحة تماما لانها اتخذت أسلوب مخاطبة رجـل الشارع الامريكي بعقليته وبالحقائق البسيطة ان العرب لا يريدون للاقتصاد الغربي أن يتحطم • ونحن لن نلجأ الى قطع البترول • ولكن لنا قضية ولنا حق • لماذا لاتناصرون الحق • لماذا تضيعون مصالحكم من أجل أطماع اسرائيل ••

ولكن اللعب اليهودي على أوتار الضيق الاقتصادي الذي يعانيه المواطن الامريكي ، لا يمكن أن يتوقف • لقد اضطرت الحكومة الفيـدرالية لضغط النفقات الى الاستغناء عن عدد كبير من الموظفين ، ومن قبلهم رجال بوليس •• ورجال اطفاء حرائق •• وبعضهم يظهـر في التليفزيون الآن ويطالب بعمل ولو بدولار واحد ! • وهذا طبعا مقصود به الاثارة • لان دولارا واحدا لا يساوي شيئا •

واستمر برنامج مواجهة التضخم وأزمة الطاقة موضع أخذ ورد عنيفين بين الرئيس فورد وبين الكونجرس المسيطر الآن على قرارات الحـكومة ، وحتى حق الفيتو الذي يملكه رئيس الجمهورية لايجاد التوازن بين البرلمان والحكومة أصبح غير ذي قيمة • لان أي قانون يعترض عليه رئيس الجمهورية يمكن للـكونجرس أن يقره بعد ذلك بغـالبية ثلثي الاعضاء التي يملـكها الديموقراطيون • والبرنامج الامريكي للتغلب على أزمة الطاقة ، والاستغناء عن البترول العربي ، مقدر له أن يحقق هذا الهدف في عام ٩٨٥ أي بعد

عشر سنوات فقط . ولعل اسرائيل تتمنى أن تماطل فى الحل الشامل حتى تنتهى هذه السنوات (العجاف) كما عبر عنها رئيس وزرائها ، ويفقد العرب سلاح البترول .

وقد حرص روبرت السوارث نائب وزير الدفاع الامريكى ، عندما لقيته فى البنتاجون أن يؤكد لى أن تصريحات الدكتور كيسنجر عن استخدام القوة ، لم تكن الا اجابة على مجرد سؤال افتراضى . ولما سألته عن صور التدريبات العسكرية التى نشرتها احدى الصحف الفرنسية ، عن التدريبات العسكرية الامريكية للاستيلاء على منابع البترول العربية .. وعن اسم الخطة (الصحراء) .. نفى هذا تماما وقال ان هذه تدريبات قديمة تجرى منذ سنوات ، وفى كل المجالات العسكرية . وطبعا هذا كلام سياسى مراوغ .

دعنا من هذا الاستطراد وأعود الى نشاط القوى الصهيونية التى تعمل لاجهاض أى تغيير فى الموقف الامريكى ..

هناك حملة مثارة تظهر يوما بعد يوم ، فى مختلف أجهزة الاعلام .. وهذه الحملة تحذر من سيطرة رأس المال العربى على اتخاذ القرار السياسى أو الاقتصادى فى أمريكا . وتحذر من دخول رأس المال العربى ، شريكا فى الصناعات الاستراتيجية الاساسية .. لان هذا يعنى أن العرب سيحكمون أمريكا ! .. وهم فى هذا ينسون النشاط الايرانى ولا يذكرون الا النشاط العربى . وعندما اشترى شاه ايران ١٥ ٪ من أسهم شركة طيران (بان أمريكان) وكانت معرضة للافلاس . علق أحد نجوم التليفزيون على الخبر ، معلنا أن الملك فيصل هو الذى اشترى .. واقترح ساخرا أن نقدم زجاجة بترول هدية لركاب بان امريكان بدلا من زجاجات العطور ..

ومع ذلك ، فقد قال لى سعودى رسمى أن مئات الطلبات تتراكم على السفارة السعودية كل يوم ، من مواطنين أمريكيين يريدون العمل فى أى شىء داخل السعودية .. بل أن أحدهم يملك منجم ذهب ، عرض بيعه للسعودية ! وطبعا هناك عروض كثيرة من أفاقين ونصابين .

ثم ظهرت حملة مسعورة ضد المقاطعة العربية للشركات اليهودية التى تتعامل مع اسرائيل . ظهرت الحملة بدون مناسبة بسبب اجتماعات لجنة المقاطعة العربية .. مع ملاحظة أن اللجنة عقدت مئات الاجتماعات قبل ذلك عبر السنوات الماضية .. ولكن توقيت الحملة الصهيونية ، جاء قبيل سفر كيسنجر الى الشرق الاوسط .. الحملة تقول أن هذه تفرقة عنصرية دينية ، تتحدى الدستور الامريكى الذى يكفل للمواطن الامريكى المساواة الكاملة فى المعاملة رغم الدين واللون . واضطر الرئيس الامريكى فورد أن يرد على بعض النواب الذين أثاروا الحملة ، بأنه أمر بالتحقيق فى كل شكوى بهذا الشأن ، وأنه سيتصرف طبقا لنتائج التحقيق . وظهرت المناقشات على

شاشات التليفزيون ، أما رئيس مكتب الجامعة العربية أمين حلمي ، فقد أرسل بيانا الى الصحف ، يفند فيه مزاعم العنصريه ، ولم تنشره الصحف ٠٠ كما سجل له حديث تليفزيوني لم يذع منه الا دقيقة واحدة !

والرد البسيط على كل هذه الزوبعة المفتعلة ، أن المقاطعة ليست لشركات يهودية ، بل للشركات التى تتعامل مع اسرائيل وتساهم فى تنميتها الاقتصادية والعسكرية ٠٠ سواء كانت رسمية أو يهودية أو اسلامية ٠٠ وهناك شركات يملكها مسلمون فى آسيا طبقت عليها قرارات المقاطعة لانها تتعامل مع اسرائيل ٠٠ ومبدأ المقاطعة ، معترف به دوليا ، وتطبقه الامم المتحدة على جنوب أفريقيا ٠٠ وأمريكا نفسها طبقت المقاطعة على كوبا ، ولا تزال تطبقها منذ سنوات !

⊙❖⊙

ووصلت النزعة المتطرفة المعادية للعرب ، الى أن صاحب احدى الشركات ارسل الى الدكتور أشرف غربال سفيرنا فى واشنطن ، يقول أن شركته لا تتعامل الآن مع اسرائيل ٠٠ ولكنه يطلب وضعها فى قائمة المقاطعة ، لانه ينوى أن يتعامل مع اسرائيل فى المستقبل ٠٠ وقد أجابه السفير الى طلبه ، وأرسل كتابه الى لجنة المقاطعة !

ثم تجيء بعد ذلك الحملة الضارية ضد الدكتور كيسنجر ٠٠ وأعود الى التأكيد هنا أن كيسنجر ليس منحازا للمصالح الامريكية فى السلام أولا ٠٠ ولمصلحة اسرائيل فى السلام ٠ ولكن حتى هذا لا تريده اسرائيل التى تحطمت كرامتها فى حرب أكتوبر ٠

انهم يطلقون عليه فى أمريكا هنرى (ك) ٠٠ رمزا لقوته ٠٠ أى يكفى حرف واحد من اسمه ٠٠ والبعض يطلق عليه (ك) فقط من غير هنرى ٠

وقد كان يسمى الرجل الذى لا يمس Untouchable وكان من قبل قد هدد بالاستقالة ، عندما كان يصحب نيكسون فى رحلة النمسا ، وقال أنه لن يبقى فى منصبه اذا لم يكن موضع ثقة كاملة ، وذلك عندما حاولوا المساس به فى موضوع ووتر جيت ٠٠ ولكنه الآن يصمد للحملة المثارة ضده ٠٠ وقد أعلن أنه لن يستقيل حتى نهاية ادارة فورد ٠

الحملة المثارة استندت الى تجدد القتال فى فيتنام ٠٠ والى سقوط كمبوديا فى يد الثوار ٠٠ وقد رفض الكونجرس زيادة المعونة العسكرية والمالية لفيتنام وكمبوديا التى طلبها فورد حتى لا تقع كمبوديا ٠٠ ولكنها وقعت ٠٠ وانتصر شعب فيتنام ٠٠

والحملة على كيسنجر لم تتوقف ٠ ولن تتوقف ، على أساس أنه المسئول ٠٠ لانه ينفرد بالقرار ٠ ولا يدع أحدا يشاركه فى رسم سياسة الدولة ٠ أن اليوت ريتشارد سون الوزير السابق ، والذى عين سفيرا لامريكا فى

لندن ، تنبأ بعد تعيينه أن كيسنجر سيترك وزارة الخارجية ، وأنه هو الذى سيتولاها ! ثم عاد وصحح تصريحاته بأنه لا مانع لديه من قبول منصب وزير الخارجية اذا خرج كيسنجر !

وقالت لى شخصية وثيقة الصلة جدا ، بكيسنجر .. (أن هنرى هو الذى عين ريتشاردسون سفيرا فى لندن ، لكى يزيحه من طريقه . انه يعلم أن ريتشاردسون سـياسى طموح .. ولذلك دفع به بعيدا الى منصب بروتوكولى .. لان الصحيح أن سفير أمريكا فى لندن لا يصنع شيئا !) .

وأصوات أخرى لقبت كيسنجر بأنه يرتدى ٣ قبعات . قبعة مجلس الامن القومى . وقبعة وزير الخارجية . وقبعة مستشار الرئيس فى رسم سياسة أمريكا الخارجية . وقد آن الاوان لان يرتدى قبعة واحدة .

وصوت آخر هو السناتور ادلاى ستيفنسون الذى يتهم كيسنجر بأن سياسته جعلت من أمريكا العملاق الذى لا حول له ولا قوة ..

⊙❖⊙

هذه هى الاتجاهات التى تركتها القوى الصهيونية فى أمريكا ، لتعويق خطوات التعاون الجديد بين أمريكا والعرب . ويجب أن أؤكد أنها اتجاهات قوية متعمقة الجذور فى المجتمع الامريكى ولها نفوذها العنيف الذى اضطر كما نعلم الى أن يعتذر الجنرال براون رئيس أركان الحرب الامريكى ، عندما صرح الرجل بأن مطالب اسرائيل من الاسلحة تكاد تصفى مخازن الجيش الامريكى .. بل اضطرت كاتبا كبيرا له وزنه الضخم مثل جيمس ريستون أن يعتذر كتابة أيضا ، لانه وصف حرب ٦٧ بأنها عدوان اسرائيلى على مصر !

لعلنى افضت فى سرد صورة الموقف الامريكى من الداخل .. واهمية ذلك أن أمريكا لا تزال هى العنصر الاهم فى الضغط على اسرائيل ..

ولا يزال السؤال مطروحا .. هل تؤيد أمريكا بقاء اسرائيل .. أم اطماع اسرائيل ؟ ..

وهو السؤال الاول والاخير الذى يحدد مستقبل السلام على المدى البعيد .

⊙❖⊙

موقف الاتحاد السوفيتى

بقى أن نسأل .. وما هو موقف الاتحاد السـوفيتى ، القوة العظمى الثانية ، التى لها وجود ؟ ومصالح فى الشرق الاوسط .. والتى حاربنا فى اكتوبر بأسلحتها ؟ ..

الموقف السوفيتى يمكن عرضه باختصار فى النقاط التالية :

● الاتحاد السوفيتى بدأ يتأزم ، منذ بدأت العلاقات المصرية الامريكية تأخذ طابعا جديدا .. والزعماء السوفيت يتصورون أن النفوذ الامريكى

في المنطقة سيطرد النفوذ السوفيتي ، وأن الرئيس أنور السادات يعمل على ذلك .

● من هذا الاساس الجوهري يمكن أن تتفرع كل مواقف الاتحاد السوفيتي ، الخاصة بعدم تعويض مصر عن الاسلحة التي فقدتها في الحرب بالشراء ، على الرغم من تعويض سوريا ، وبيع كميات كبيرة من الاسلحة السوفيتية الى ليبيا التي كان رئيسها القذافي يصف الاتحاد السوفيتي بأنه دولة استعمارية ، ويصف الشيوعيين العرب بأنهم عملاء لهذه الدولة الاستعمارية .. ولكن مواقف القذافي تغيرت كالعادة من النقيض الى النقيض ..

● ويتفرع عن هذا موقف السوفيت في رفض تأجيل دفع أقساط ديون السلاح ، على الرغم من أنه وافق على ذلك بالنسبة لسوريا .. وعلى الرغم من علمه بقساوة الازمة الاقتصادية في مصر بسبب أعباء القتال ..

● ومن أجل هذا عارض الاتحاد السوفيتي سياسة كيسنجر التي أقرتها مصر وهي سياسة « الخطوة خطوة » .. ونادي بالتعجيل بمؤتمر جنيف .. وعندما فشلت مباحثات كيسنجر ، عاد الاتحاد السوفيتي ليعلن أن نجاح مؤتمر جنيف يتوقف على وحدة كلمة العرب أولا .. وهكذا تسير هذه الحلقة المفرغة ..

● ولكن الاتحاد السوفيتي يترك دائما خيط اتصال مع مصر .. وكذلك تفعل مصر .. ومن هنا وافق الاتحاد السوفيتي في الزيارة الثانية لاسماعيل فهمي وزير الخارجية ، على توريد كميات من الاسلحة المتعاقد عليها من قبل ، والتي كان مفروضا أن تصل في عام ١٩٧٤ .. وكان الفريق أول الجمسي عضوا في وفد مصر في هذه الزيارة وأحسن الاتحاد السوفيتي أستقباله . وقدم له المارشال جريتشكو هدية شخصية هي (مسدس) مع ذخيرته وقال له أنه مقاتل عسكري ممتاز .. ولذلك يقدم له هذا السلاح الممتاز ..

وعندما جاء الحديث في المفاوضات عن تعويض الخسائر .. اعتذر جريتشيكو من عدم الحديث في هذا الموضوع .. وقال مداعبا مداعبة لها معناها .. الامريكيون الآن أصدقاؤكم .. وهم القادرون على حل الازمة .. وهم أيضا قادرون على تقديم أسلحة لكم ..

وفي هذه المباحثات ، أعلن عن تأجيل زيارة الزعيم بريجنيف للقاهرة .. ولكن السوفيت أعلنوا التأجيل بأسلوب لايجرح كرامة مصر ..

ولا يزال الموقف كما هو ..

● الاتحاد السوفيتي ملتزم بحماية وجود اسرائيل . ولا يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية خارجا عن حدود هذا الالتزام ..

حرب أم سلام ؟

ثم يبقى السؤال الكبير .. ما هو المستقبل .. حرب أم سلام ؟

احتمال الحرب قائم في كل لحظة .. هذه حقيقة .

ولكن الاستراتيجية العربية قائمة على اتاحة كل الفرص للسـلام .. والمعيار الاول والاخير ، في تقدير الانتصار العربى سواء فى معركة السلام أو معركة الحرب ، هو في مدى صلابة التماسك العربى ، وفى مدى قوة التضامن العربى ، بحيث يستحيل أن تكون أداة لاية قوة عظمى ، فى الصراعات العالمية ، التى لا يمكن أن تتوقف ..

ان المسرحين العربى والدولى عامران بظواهر عديدة ، يجب أن نتيقظ لها .. وهذه الظواهر التى تعبر عن تناقضات وصراعات ومناورات واسعة النطاق ، تطالبنا بأن نفكر مرات ومرات ، ونحن نتجمع لتحديد خطوات الاستراتيجية العربية ، وخطوات التكتيك السياسى .. التى يجب أن تكون قائمة على موقف عربي موحد متكامل ، يحسب احتمال الحرب فى كل لحظة ..

وهذا يعود بنا الى الموقف المبدئى ، وهو أن القرار هو قرارنا . هو قرار الدم العربى الذى سجلنا به انتصار أكتوبر بتضامن عربى لم تشهده الامة العربية فى تاريخها المعاصر ..

لقد جرت محاولات بعد انتصار أكتوبر ، لتشويه هذا الانتصار ، وخاصة ممن كانوا يروجون للهزيمة ، وينشرون أن عبور القناة ، وتحطيم خط بارليف هو المستحيل .. وهو الانتحار ..

ثم تحقق الانتصار ..

وليس أمام هؤلاء اليوم الا قلب الحقائق ، وتزييف التاريخ .. ومن ذلك القول بأن المعركة كانت فى أيامها الخمسة الاخيرة لصالح اسرائيل .. وقد أعلن الرئيس السادات أنه يتحدى اسرائيل أن تعلن خسائرها .. فى ثغرة الدفرسوار فقط ..

ان أى تشويه لانتصار أكتوبر ، هو مؤامرة مكشوفة لن تجدى الا أن تكشف النوايا السوداء ، وهى موجودة فى كل مجتمع .. ولكن المجتمع المفتوح قادر دائما على أن يدوس المؤامرات الصغيرة بالاقدام ..

الموقف المبدئى اذن .. أن نتحدث الى العالم ، غربه وشرقه ، من موقع انتصار ، يدعمه تضامن عربى ايجابى حقيقى ، هز العالم خلال الحرب وبعدها .. ولا يزال قادرا على فرض حقه ، بقوة السياسة ، وقوة الاقتصاد ، وقوة القتال ..

وأى أصوات تخرج على هذا التضامن .. هى خربشة فيران .. انتصار أكتوبر لن يجهض .. هذه حقيقة تاريخية شـامخة كالصخرة .. الامة

العربية ستحقق أهدافها ·· هذه حقيقة أخرى سيعيشها جيلنا بكل أنوار الفجر الجديد ··

مصر لن تتراجع عن أداء دورها التاريخي ، والتزامها القومى ·· لقد كانت مصر أغنى دولة عربية ، وأصبحت الآن من أفقر الدول العربية .

ومع ذلك فاننا لن نئن ، ولم نتردد ، ولم نتراجع ·· ولا أقل بعد ذلك من أن يستحى المنافقون ··

أنها حقائق لكل ذى عينين ·· ولكن عبيد الاطماع الصغيرة ·· لايعقلون ·· على الرغم من أنهم يصرخون ! ··

« فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ··

⊙❖⊙

وبعد ·· فاذا عدنا الى السؤال الاول الكبير ·· حرب أم سلام ؟ ·· فاننى أسجل هنا اجابة الفريق أول الجمسى عن هذا السؤال فى حديث أجريته معه فى مايو ١٩٧٥

كان السؤال : حتى نتوقع الحرب ؟

وكانت الاجابة :

● **هذه السطور بعض من حوار جرى بين الفريق أول الجمسى وبينى فى مايو ١٩٧٥ ، وفى اجابات الجمسى ايضاح محدد لاسباب هزيمتنا فى ١٩٦٧**

قلت : أين كنت في ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : لا تذكرنى بهذا اليوم ·· اننا كنا نسميه باليوم الحزين فى القوات المسلحة ·· يوم السكون · اليوم الذى كانت تصدر فيه الاوامر للقوات المسلحة بعدم الحركة أو النزول الى شوارع المدن ·

ثم استدرك قائلا :

وفى رأيى أن اليوم الحزين بدأ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧

قلت : كيف ؟

قال : انه اليوم الذى فوجئت فيه القوات المسلحة بالامر برفع استعدادها الى الحالة الكاملة للقتال ، وتنفيذ التعبئة ، وبدء حشد القوات فى سيناء ، وتم كل هذا فجأة ودون سابق اخطار للقيادة العامة للقوات المسلحة · ولهذا وقعت الكارثة فى ٥ يونيو ·

قلت : أعيد السؤال ·· أين كنت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : كنت فى سيناء · كانت قيادة الجبهة برياسة الفريق مرتجى وكان المرحوم المشير احمد اسماعيل رئيسا للاركان · وكنت رئيس العمليات . كنا نمثل القيادة العامة فى سيناء ·· ولم نكن قيادة ! ··

ان العملية كانت تدار مباشرة من القاهرة !

لقد فوجئت القوات المسلحة المصرية بأمر استعدادها للقتال ، كما قلت لك ، وهي لا تعلم شيئا عن أى شيء • لا تعرف شيئا عن تطورات العمل السياسى •

قلت : كيف يمكن أن نحدد علاقة العمل السياسى بالعمل العسكرى فى حرب يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : الاستراتيجية العسكرية لاية دولة ترتبط بسياستها • وعلى ذلك فان الاستراتيجية العسكرية توضع لتحقيق الاهداف السياسية للدولة •

● وقد فوجئت القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ برفع استعدادها الكامل للقتال وتنفيذ التعبئة وبدء حشد القوات فى سيناء اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٦٧ ـ لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ـ كما أعلن ذلك للرأى العام ـ موضع التنفيذ • ومعنى ذلك أنه كان على القوات المسلحة أن تقوم بعمليات تعرضية ضد اسرائيل فى حالة قيامها بالاعتداء على سوريا • ولتنفيذ هذا القرار السياسى كان يجب اخطار القيادة العامة للقوات المسلحة ـ مسبقا ـ للتحضير سرا لتنفيذ هذه المهمة وبالتالى كان يمكن تخصيص المهام للقوات المسلحة وتنفيذ التعبئة والحشد بما يتناسب ويتمشى مع التخطيط الموضوع لها وهو ما لم يتم •

● فى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب قوات الطوارىء الدولية وجاء فى هذا الامر أنه من الضرورى سحب هذه القوات من بعض النقط فى نفس الليلة ، كما يتضمن ذلك سحب قوة الطوارىء الدولية بشرم الشيخ وهذا كان يتطلب ارسال قوات لتامين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليه بدون قتال بصرف النظر عن موضوع اغلاق خليج العقبة من عدمه •

● ثم صدر قرار سياسى آخر وهو اغلاق مضيق تيران ، وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية ووضع الخطة اللازمة لمواجهة الاحتمالات المختلفة التى قد يتبعها العدو ردا على ذلك • وترتب على ذلك ارسال قوات مظليين الى شرم الشيخ جوا يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ واستمرار تدعيمها بالقوات الى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ حتى تكون قادرة على تنفيذ مهمتها بالاضافة الى الالتزامات التى وضعت بسرعة على القوات الجوية نتيجة للوصول الى قرار تأمين شرم الشيخ ليلة ١٩ ـ ٢٠ مايو ١٩٦٧ الامر الذى يوضح أنه لم يكن هناك تخطيط سابق لتحقيق الهدف السياسى •

وعلى الرغم من استمرار الهدف السياسى للدولة دون تغيير • فان القرارات الاستراتيجية العسكرية بدأت تتحول اعتبارا من ٢٨ مايو ١٩٦٧

لتتخذ طابعا خاصا يجمـــع فى نفس الوقت بين تخطيط تعرضى هجومى وتخطيط دفاعي جـــزئى الامر الذى ترتب عليه غموض المهام المحـــددة للتشكيلات والوحدات وتسبب فى ضياع وقت ثمين فى تخطيط عمليات حربية غير مؤكدة العزم على تنفيذها وكذلك حشد قوات ضخمة لا تتمركز بما يخدم متطلبات خطة منسقة واحدة ٠

وزاد من عواقب غموض الهدف الاستراتيجى على نتائج المعركة ما أدى اليه هذا الغموض من عدم تحقيق اتزان الاوضـــاع الدفاعية فى مسرح العمليات لمقابلة صد وتدمير هجوم معاد رئيسى ولا تمركز التشكيلات فى أوضاع مناسبة تخدم خطة تعرضية وقد أدى كل ذلك الى عدم وضـــوح الرؤية لاجهزة القيادة العامة للقوات المســئولة عن التخطيط والاعـــداد والتنسيق للعمليات ٠

ثم قال الفريق أول الجمسي :

لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية ٥ يونيو ولم تكن أحد أسبابها، وهذه شهادة الرئيس أنور السادات القائد الاعلى للتاريخ فى خطابه أمام مجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣

ولكن ماذا حدث في حرب أكتوبر ؟

لقد هيأ الرئيس أنور السادات الموقف العربى والعالمى لتبدأ القوات المسلحة الحرب فى أحسن ظروف مواتية لها ، ووضعت مهامها فى حدود قدرتها ، وربطت كل هذا بالوضع الاقتصادى ٠٠ وكل ما يمكن أن يتصل بحالة الحرب ٠

نجاح الحرب يعتمد أولا على التخطيط الاستراتيجى على مستوى الدولة، وهذا ما يقوم به الرئيس القائد الاعلى ٠

محتويات الكتاب

رسم الغلاف : للفنان مصطفى حسين

صفحة

الجزء الثالث

سكرتير التحرير التنفيذى الفنان : محمد عفت

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

ملف قضية حب

بقلم

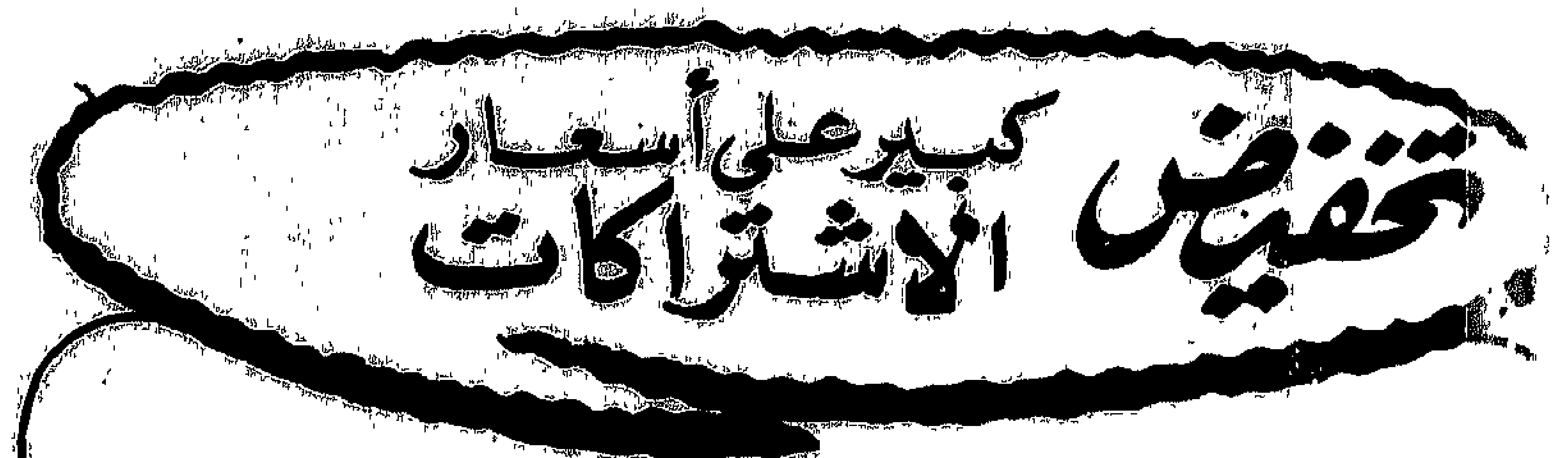
سكينه فؤاد

ترقب صدوره أول نوفمبر

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القوميه ٧٧/٤٤٥٤

الترقيم الدولى ٩٧٧ ISBN

مطابع الاخبار


تخفيض كبير على أسعار
الاشتراكات



« هذا الكتاب »

اتفق الرأى باجماع الآراء على أن كتـــاب « وثائق حـــرب اكتوبر » الذى قـدمه موسى صبرى الى مكتبة التاريخ ، هو أروع المؤلفات عن هذه الحرب ٠ هذا رأى القادة العسكريين ، والمقاتلين والقراء ٠

لذلك لم يكن غريبا أن تنفد طبعـاته الثلاث فى وقت قصير يعتبر قياسيا فى عالم المؤلفات ٠ ولاتزال تنهال على المؤلف آلاف الرسائل التى يطلب أصحابها الحصول على نسخة من هذا المرجع التـــاريخى الذى يسعد كل مواطن أن يحتفظ به فى مكتبته ٠٠

وكان موقفا وطنيا من المؤلف ، أن يطلب الى « كتاب اليوم » أن يصدر هذه الطبعة الجديدة ، بسعر التكلفة ٠ خمسين قرشا فقط ، حتى يكون الكتـــاب فى متنـاول الجميع ، لكى تعم فائدته ، ويتيسر لكل مواطن أن يعرف أسرار هذه الحرب الخالدة التى تعتبر نقطـة تحول فى تاريخ ومستقبل الأمة العربية ٠

ان هذا الكتاب تسجيل كامل لملاحم اكتـــوبر ٠٠ العسكرية والسياسية ٠٠

وقد أمضى المؤلف ٩ أشهر كاملة فى اعداده بالحقائق والوثائق العسكرية والسياسية ، ولقاء أبطال الأحداث وقادتها ٠٠ ليكون مرجعا علميا ووطنيا وتاريخيا لهذا الجيل والاجيال القادمة ٠

« كتاب اليوم »

٥٠ قرشا

(الطبعة ...)